مكتبة

چورچ ر. ر. مارتن

فارس من الممالك السَّبع

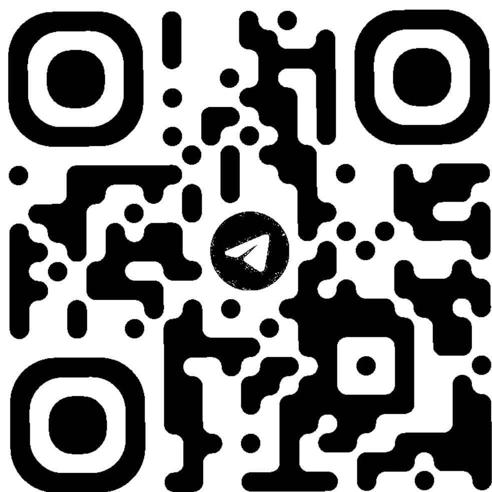


A KNIGHT OF THE SEVEN KINGDOMS

رسوم: جاري چياني

ترجمة: هشام فهمي





فارس من الممالك السّبع

مارتن، چورچ
فارسٌ من الممالك السَّبع: رواية / چورچ ر. ر. مارتن.
التَّرجمة: هشام فهمي
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2024.
536 صفحة، 20 سم.
ردمك : 978-977-820-244-1
ا-القصص الأمريكية.
أ- فهمي، هشام (مترجم).
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 28903 / 2023
الطبعة الأولى : يناير 2024.



كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

Published in the United States by
Bantam Books, an imprint of Random House,a division of Penguin
.Random House LLC, New York

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم- محافظة الجيزة.
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

چورچ ر. ر. مارتن

فارس من الممالك السبع

ترجمة: **هشام فهمي**

رسوم: جاري چياني

مكتبة
t.me/soramnqraa



إلى رايا جوْلدن،

لأجل الابتسامات البشوشة والصُّور الجميلة

— چ. ر. ر. م.

***

لأجل القضيَّة النَّبيلة والسيْر دَنك الذي في داخلنا جميعًا

— ج. چ.

فارسٌ
من
الممالك السَّبع



الفارس الجوّال





تدور القصَّة الواردة هنا قبل نحو مئة عامٍ من الأحداث الموصوفة في «لُعبة العروش».

رطَّبت أمطار الرَّبيع الأرض، ولذا لم يجد دنك صعوبةً في حفر القبر. انتقى بُقعةً على المنحدر الغربيّ لتلٍّ وطيء، فلطالما أحبَّ العجوز مشاهدة الغروب. «يومٌ آخر انقضى». اعتادَ أن يقولها ويتنهَّد. «وتُرى ماذا سيجلب لنا الغد؟ إه يا دنك؟».

طيِّب، أحد الأعداء جلبَ أمطارًا غمرَتهما حتى العظم، والتَّالي جلبَ ريحًا عاصفةً بليلةً، واللَّاحق نوبة برد. بحلول اليوم الرَّابع أصبحَ العجوز أضعف من أن يركب، وها هو ذا رحلَ. قبل أيَّام معدودة راحَ يُغنِّي وهما راكبان تلك الأغنيَّة القديمة عن الذَّهابٌ

إلى (بلدة النَّوارس) لرؤية فتاةٍ رائعة الجمال، وإن غنَّى بدلًا من (بلدة النَّوارس) عن (آشفرد). ببؤسٍ فكَّر دنك وهو يَحفُر: *إلى (آشفرد) سأذهبُ لأرى فتاتي رائعةً الجمال، هاي ـ هُوْ، هاي ـ هُوْ.*

لمَّا بلغَ عُمق الحُفرة الكفاية، رفعَ دنك جُثمان العجوز بين ذراعيْه وحملَه إليها. كان الرَّجل صغير الحجم، ونحيلًا أيضًا، وبعد تجريده من زرده وخوذته ونِجاد سيفه بدا أنَّ وزنه لا يُجاوِز جوالًا من ورق الشَّجر. أمَّا دنك فهائل الطُّول قياسًا إلى سنِّه، فتى أخرق الحركة أشعث الشَّعر كبير العظام في السَّادسة عشرة أو السَّابعة عشرة (لا أحد يعلم يقينًا)، قامته أقرب إلى سبعة أقدام منها إلى ستَّة، ولتوِّه بدأ عوده يشتدُّ. كثيرًا ما أثنى العجوز على قوَّته، وقد كان دومًا سخيًّا في ثنائه، فهو لم يملك إلَّاه ليمنحه.

مدَّده دنك في قاعِ القبر ووقفَ فوقه فترةً. تجدَّدت في الهواء رائحة المطر، وعرفَ دنك أنَّ عليه أن يردم الحُفرة قبل أن ينهمر، ولكن كم يَصعُب أن يُهيل التُّراب على ذلك الوجه العجوز المتعَب. *المفروض أن يحضر سِپتون ليتلو عليه بعض الصَّلوات، ولكن ليس له غيري.* علَّم العجوز دنك كلَّ ما يعرفه عن السُّيوف والتِّراس والرِّماح، إلَّا أنه لم يُحسِن قَطُّ تعليمه الكلام.

أخيرًا قال معتذرًا: «كنتُ لأترك لك سيفك، لكنه سيصدأ في الأرض. الآلهة ستُعطيك واحدًا جديدًا على ما أظنُّ. ليتك لم تَمُت أيُّها السيِّر»، ثم صمتَ لحظةً حائرًا في ما يجب قوله علاوةً على ذلك. إنه لا يعرف أيَّ صلاة بكاملها، فالعجوز لم يكترِث قَطُّ للصَّلاة. في النِّهاية أمكنَه أن يقول: «كنتَ فارسًا

حقًّا، ولم تضربني يومًا دون أن أستحقَّ، باستثناء تلك المرَّة في (بركة العذارى). صبيُّ الخان هو الذي أكلَ فطيرة الأرملة لا أنا، لقد أخبرتك. لا يهمُّ الآن. فلتحفظك الآلهة أيُّها السِّير». شاطَ دنك التُّراب في الحُفرة، ثم شرعَ يملؤها بانتظام دونما نظرةٍ واحدة إلى الشَّيء في قاعها. *لقد عاشَ عُمرًا طويلًا. مؤكَّد أنه كان أقرب إلى الستِّين منه إلى الخمسين، وكم رجلًا يُمكنه أن يقول ذلك؟* على الأقل عاشَ ليشهد ربيعًا آخَر.

بدأت الشَّمس رحلتها شطر الغرب فيما أطعمَ الخيول. ثلاثة هي: حصانه المعيب[1] الأقعس، ورهوانة[2] العجوز، وثندر، جواده الحربيُّ الذي لا يُركَب إلَّا في المباريات والمعارك. لم يَعُد الفحل البنِّي الكبير كما كان، لكنه لا يزال يتمتَّع بعينه اللَّامعة وروحه الضَّارية، كما أنه أثمن من أيِّ شيءٍ يملكه دنك. *إذا بعتُ ثندر وتشستنت العجوز، وسرجيْهما ولجاميْهما أيضًا، فسأخرجُ من البيعة بفضَّةٍ تكفي...* قطَّب وجهه. الحياة الوحيدة التي يعرفها حياة فارسٍ جوَّال؛[3] الرُّكوب من قلعةٍ إلى قلعة، الخدمة عند واحدٍ أو آخَرَ من اللوردات، القتال في معاركهم والأكل في قاعاتهم إلى أن تنتهي الحرب، ثم الانتقال إلى مكانٍ جديد. بين حينٍ وآخَر تُقام مباريات أيضًا، ولو أنها أقلُّ تكرارًا، ويعرف دنك أنَّ بعض الفرسان الجوَّالة تحوَّلوا إلى لصوصٍ خلال الأشتية العجاف، وإن لم يفعل العجوز ذلك قَطُّ.

١ ـ الحصان المعيب Stot: أيُّ حصانٍ يُركَب مع أنه غير صالحٍ للرُّكوب، بسبب إصابةٍ أو تشوُّهٍ خلقي أو الشَّيخوخة. (المُترجم).
٢ ـ الرَّهوان Palfrey: حصانٌ وديع مخصَّص بالأساس للرُّكوب لا القتال. (المُترجم).
٣ - الفارس الجوَّال Hedge Knight: فارسٌ بلا سيِّد يكسب رزقه من التَّنقُّل في الخدمة من مكانٍ إلى مكان. تعني الكلمة حرفيًّا «فارس الأسوجة»، لأن الفارسَ الجوَّال بلا بيت، ومن ثمَّ لا مأوى له عادةً إلَّا أسوجة الأشجار. (المُترجم).

فكَّـر دنـك: يُمكنـني العثـور عـلى فـارس جـوَّال آخَـر يحتـاج إلى مُرافـق يـرعى حيواناتـه ويُنظِّـف زرده، أو قَـد يُمكنـني الذَّهـاب إلى مدينـةٍ مـا، إلى (لانسـپورت) أو (كينجـز لانـدنج) لألتحـق بحـرس المدينـة. أو...

كان قـد كـوَّم أغـراض العجـوز تحـت سـنديانة. تحـوي الصُّـرَّة القُمـاش ثلاثـة أيائـل فضِّيَّـة، وتسـعة عشـر بنسًـا نُحاسـيًّا، وقطعـةً مـن العقيـق الأحمـر مكسـورة الحافـة، فكأكثـر الفُرسـان الجوَّالـة، وُقِـفَ السَّـواد الأعظـم مـن ثـروة العجـوز الدُّنيويَّـة عـلى خيولـه وأسـلحته. الآن يملـك دنـك زردًا مـن حلقـات الحديـد جلاه ألـف مـرَّةٍ مـن الصَّـدأ، وخـوذةً قصيـرةً ذات أنفيَّـةٍ عريضـة وانبعـاج في الصُّـدغ الأيسـر، ونِجـادًا مـن الجلـد البنِّي المشـقَّق، وسـيفًا طويلًا في غِمـد مـن الخشـب والجلـد. إضافـةً إلى هـذا، خنجـر ومـوسى ومشـحذ، وكلسـة وعُنقيَّـة، ورُمح حربـي طولـه ثمانيـة أقـدام يُكلِّلـه رأسٌ قـاس مـن الحديـد، وتُـرس مـن السِّـنديان بحافـة معدنيَّـة مشـوَّهة يحمـلُ رمـز السـير آرلان ابـن (شـجرة البنسـات): كأسًـا فضِّيَّـةً مجنَّحـةً عـلى خلفيَّـةٍ بنِّيَّـة.

رمـقَ دنـك التُّـرس، ثـم التقـطَ النِّجـاد وعـادَ يَرمُـق التُّـرس. النِّجـاد مفصَّـل لأجـل وركَي العجـوز النَّحيفتيْـن، ولـن يَصلُـح لـه أبـدًا، مثلـه مثـل الزَّرد. هكـذا ربـطَ الغِمـد بحبـلٍ مـن القنَّـب عقـدَه حـول خصـره، وسـحبَ السَّـيف الطَّويـل.

النَّصل مسـتقيمٌ وثقيـل، فـولاذه ممتازٌ مسـبوك في قلعـة، والمقبض مـن الجلـد الطَّـري الملفـوف عـلى خشـب، والقبيعـة مـن حجـر أسـود أملـس مصقـول. عـلى الرغـم مـن شـكل السَّـيف البسـيط، طـابَ لـه

إحساسه به في يده، ودنك يعلم مبلغ حدَّته، فقد عملَ عليه بالمشحذ والقُماش المزيَّت في عديد اللَّيالي قبل خلودهما إلى النَّوم. قال لنفسه: *يُناسِب قبضتي كما ناسبَ قبضته دومًا، وفي (مرج آشفرد) دورة مباريات.*

***

لسويتفُت مشيةٌ أسلس من تشستنت العجوز، لكن دنك كان لا يزال موجوعًا متعَبًا عندما لمحَ الخان أمامه، مبنى طويلًا من الجصّ والخشب يطلُّ على جدول. بدا الضَّوء الأصفر الدَّافئ المُراقَ من نوافذه مغريًا إلى درجة أنه لم يقوَ على تجاوُزه، وقال لنفسه: *معي ثلاث قطعٍ فضِّيَّة، ما يكفي لوجبةٍ طيِّبة وكلِّ ما أريدُ شُربه من مزر.*

بينما ترجَّل، خرجَ من الجدول غُلام عارٍ يتقاطَر منه الماء، وشرعَ يُجفِّف نفسه بمعطفٍ من الخيش البنِّي. سألَه دنك: «أأنت صبيُّ الإسطبل؟». لا يبدو أنَّ الصَّبي يتعدَّى الثَّامنة أو التَّاسعة من العُمر، مخلوق نحيل باهت الوجه، يُغطِّي الطَّمي قدميْه الحافيتيْن حتى الكاحليْن. أغرب ما فيه شعره، فلا شعر له. «أريدُ أن تُدعَك رهوانتي. وشوفان لثلاثة الخيول. أيُمكنك أن تعتني بها؟».

نظرَ إليه الغُلام بلا حياءٍ قائلًا: «يُمكنني، إذا أردتُ».

عبسَ دنك وقال: «لن أقبل وقاحتك هذه. فلتعلم أنني فارس».



ـ «لا تبدو كالفُرسان».

ـ «وهل يبدو الفُرسان كلُّهم سواءً؟».

ـ «لا، لكنهم لا يبدون مثلك كذلك. نِجاد سيفك حبل».

ـ «ما دامَ يحمل غِمدي فإنه يُؤدِّي الغرض. والآن اعتنِ بخيولي. ستنال قطعةً نُحاسيَّةً إذا أحسنت العناية بها، ولطمةً على الأذن إذا لم تفعل».

***

لـم ينتظـر ليـرى كيـف تلـقّى صبـيُّ الإسـطبل قولـه، بـل دارَ مبتعـدًا ودخـلَ دافعًـا البـاب بكتفـه.

تـوقَّع أن يجـد الخـان مزدحمًـا في هـذه السَّـاعة، إلَّا أنه ألـفى القاعة العامَّـة شـبه خاويـة. إلى إحـدى الموائـد يجلـس لوْرد صغيـر يرتـدي معطفًـا فاخـرًا مـن الدِّمقـس، غائـبٌ عـن الـوعي ويغـطُّ بخفـوتٍ في بِركـة مـن النَّبيـذ المسكـوب، ولكـن ليـس في الـمكان أحـدٌ آخَـر. نظـرَ دنـك حولـه بحيـرة، إلى أن خرجَـت مـن المطبـخ امـرأةٌ قصيـرة مكتنـزة ممتقعـة الوجـه، وقالـت: «اجلـس حيثمـا شئـت. أمـزرًا تُريـد أم طعامًـا؟».

أجـابَ دنـك: «كليْهمـا»، وأخـذَ مقعـدًا عنـد النَّافـذة، بعيـدًا بمسـافةٍ لا بـأس بهـا عـن الرَّجـل النَّائـم.

ـ «لدينـا لحـم حـملان طيِّـب، مشـويٌّ بقشـرةٍ مـن الأعشـاب، وبعـض البطَّـات الـتي اصطادَهـا ابـني. أيُّهمـا ستَطلُب؟».

لم يأكل دنك في خانٍ منذ نصف عام أو أكثر. «كليْهما».

قالـت المـرأة ضاحكـةً: «حسـن، أنـت كبيـرٌ بمـا يكـفي»، والتقطَـت كـوزًا مـن المـزر وجلبَتـه إلى مائدتـه سـائلةً: «هـل ستُريد غُرفـةً لقضـاء اللَّيلـة أيضًـا؟».

ـ «لا». مـا كان شيء ليحلـو لدنـك أكثـر مـن حشـيَّةٍ طريَّـة مـن القـشِّ وسـقفٍ فـوق رأسـه، ولكـن عليـه أن يقتصِـد في نفقاتـه. لا بـأسَ بـالأرض. «قليـلٌ مـن الطَّعـام وقليـلٌ مـن المـزر ثـم أواصـلُ طريـقي إلى (آشـفرد). كـم تَبعُـد؟».

ـ «يومًـا مـن الرُّكـوب. اتَّجـه شـمالًا حيـث يتفـرَّع الطَّريـق عنـد

الطَّاحونة المحروقة. هل يعتني صبيِّي بخيولك أم سرحَ ثانيةً؟».

قال دنك: «لا، إنه هناك. لا يبدو أنَّ عندكِ زبائن».

ـ «نصف البلدة ذهبَ للفُرجة على الدَّورة. كان ولداي سيذهبان أيضًا لو سمحتُ لهما. سوف يرثان هذا الخان بعد رحيلي، لكن الفتى يُفضِّل التَّسكُّع مع الجنود، والفتاة تُبادِر إلى التَّنهُّدات والقهقهة كلَّما مرَّ فارس. أقسمُ أني عاجزةٌ عن فهم السَّبب. الفُرسان مشكَّلون كسائر الرِّجال، ولم أعرف قَطُّ مُثاقفةً تُغيِّر سعر البيض». ثم رمقَت المرأة دنك بفضول، فقد أخبرَها سيفه وتُرسه بشيء، وحزامه الحبل وغلالته الخيش بشيءٍ آخَر تمامًا. «أأنت ذاهبٌ إلى الدَّورة عن نفسك؟».

أخذَ رشفةً من المزر قبل أن يُجيب. لونه بنِّيٌّ كالجوز، ومذاقه ثقيلٌ على اللِّسان، تمامًا كما يُحبُّه. «أجل. أنوي أن أكون بطلًا».

ردَّت صاحبة الخان بقدرٍ كافٍ من التَّهذيب: «حقًّا؟».

عبر القاعة رفعَ اللورد الصَّغير رأسه من بِركة النَّبيذ. لوجهه مسحةٌ مصفرَّة سقيمة تحت شعرٍ بنِّي رملي كجُحر جرذان، وتُغطِّي ذقنه جُذامة شقراء. فركَ الرَّجل فمه، وطرفَ بعينيْه ناظرًا إلى دنك، وقال: «لقد حلمتُ بك»، وارتعشَت يده إذ أشارَ بإصبعه مضيفًا: «ابقَ بعيدًا عني، هل تسمع؟ ابقَ بعيدًا تمامًا».

حدَّق إليه دنك متحيِّرًا، وقال: «سيِّدي؟».

مالَت عليه صاحبة الخان قائلةً: «دعك منه أيُّها السير. إنه لا يفعل إلَّا الشُّرب والكلام عن أحلامه. سأحضِرُ الطَّعام»،

وابتعـدَت بخُطـواتٍ نشـيطة.

ـ «طعـام؟». حوَّلـت طريقـة نُطـق الـلوْرد الصَّغيـر الكلمـة إلى شـتيمةٍ بذيئـة. نهـضَ يتـرنَّح واضعًـا إحـدى يديْـه عـلى المائـدة ليمـنع نفسـه مـن السُّـقوط، وأعلـنَ: «سـأتقيَّأ». تُغـطِّي وجـه غلالتـه طبقـة قشـريَّة حمـراء مـن بُـقعِ النَّبيـذ القديمـة. «لقـد أردتُ عاهـرةً، لكـن الـمكان خـالٍ منهـن. كلُّهـن ذهـبَ إلى (مـرج آشـفرد). بحـقِّ الآلهـة، أحتـاجُ إلى قليـلٍ مـن النَّبيـذ». ثـم انـدفعَ الرَّجـل مغـادرًا القاعـة العامَّة بخُطـواتٍ متقلقِّلـة، وسـمعَه دنـك يصعـد سُـلَّمًا وهـو يُغـنِّي بصـوتٍ خافـت.

قـال دنـك لنفسـه: *مخلـوقٌ حزيـن، ولكـن لِـمَ حسـبَ أنـه يعرفـني؟* وتفكَّـر في هـذا لحظـةً إذ شـربَ مـزره.

لحـم الحـملان مـن أطيـب مـا أكلَ، والبطَّـة أطيـب وأطيـب، مطبوخـة بالكـرز واللَّيمـون، ودسـامتها أقـلُّ كثيـرًا مـن أغلـب البـطِّ. جلبَـت لـه صاحبـة الخـان بـازلَّاء بالزُّبـدة أيضًـا، وخُبـز شـوفان مـا زالَ سـاخنًا مـن الفُـرن. قـال لنفسـه وهـو يمـصُّ آخِـر قطعـةٍ مـن اللَّحـم عـن العظـم: *هـذا مـا يعنيـه أن يكـون المـرء فارسًـا. طعـامٌ طيِّـب، ومـزر مـتى أردتُ، ولا أحـد يلطمـني عـلى رأسـي.* شـربَ كـوزًا ثانيًـا مـن المـزر مع الوجبـة، وثالثًـا ليُبلِّعهـا، ورابعًـا لأن أحـدًا ليـس هنـا ليمنعـه، ولمَّـا فـرغَ نقـدَ المـرأة أيَّلًا فضِّيًـا وأخـذَ منهـا البـاقي حفنـةً مـن القـطع النُّحاسـيَّة.

كان الـظَّلام قـد دمـسَ عندمـا خـرجَ دنـك أخيـرًا، معدتـه ممتلئـة وصُـرَّة نقـوده أخـفُّ قلـيلًا، لكنـه شـعرَ بالارتيـاح وهـو مـاشٍ إلى الإسـطبل. مـن أمامـه سـمعَ حصانًـا يصهـل وصـوت غُلامٍ يقـول:

«اهـدأ يـا فـتى»، فحـثَّ خُطـاه وقـد قطَّـب وجهـه.

وجـدَ صبـيَّ الإسـطبل ممتطيًـا ثنـدر ومرتديًـا درع العجـوز. الـزَّرد يُجـاوِزه طـولًا، كمـا اضطـرَّ إلى إمالـة الخـوذة إلى الخلـف فـوق رأسـه الأصـلع وإلَّا لغطَّـت عينيْـه. بـدا الـغُلام مصمِّمًـا للغايـة، وسـخيفًا للغايـة، وتوقَّـف دنـك عنـد بـاب الإسـطبل وضحـكَ.

رفعَ الـغُلام بصـره، واحتقـنَ وجهـه، وقفـزَ أرضًـا قـائلًا: «سيِّدي، لـم أقصـد أن...».



قاطعَه دنك محاولًا أن يُغلِّف نبرته بالصَّرامة: «لص! اخلع هذه الدِّرع، وانبسِط لأن ثندر لم يَرفُسك في رأسك الأحمق. إنه جوادٌ حربيٌّ لا فرس قزم يركبه غُلام».

خلعَ الغُلام الخوذة ورماها فوق القشِّ، وبكلِّ جرأةٍ قال: «يُمكنني أن أركبه بمثل مهارتك».

ـ «أغلِق فمك. لا أريدُ شيئًا من وقاحتك. الزَّرد أيضًا، اخلعه. ماذا حسبت نفسك فاعلًا؟».

ردَّ الغُلام: «كيف أخبرك وفمي مغلق؟»، وتلوَّى خالعًا حلقات المعدن وتركَها تَسقُط.

ـ «لك أن تفتحه لتُجيب. والآن التقِط هذا الزَّرد وانفض عنه الوسخ وأعِده إلى حيث وجدته. والخوذة أيضًا. هل أطعمت الخيول كما قلتُ لك؟ ودعكت سويتفُت؟».

قال الغُلام وهو يَنفُض حلقات المعدن من القشّ: «نعم. أنت ذاهب إلى (آشفرد)، أليس كذلك؟ خُذني معك أيُّها السيْر».

حذَّرت صاحبة الخان دنك من هذا. «وماذا قد تقول أمُّك بخصوص ذلك؟».

لوى الغُلام قسماته قائلًا: «أمِّي؟ أمِّي ماتَت ولا يُمكنها أن تقول شيئًا».

أدهشه هذا. أليست صاحبة الخان

أَمَّ الـغُلام؟ لعلَّـه يتـدرَّب عندهـا لا أكثـر. سـألَه دنـك بحيـرةٍ وقـد شـوَّش المـزر عقلـه قلـيلًا: «أأنــت يتيــم؟».

رشقَه الغُلام بردِّه: «أأنت كذلك؟».

أقرَّ دنك: «كنتُ ذات يوم». *إلى أن أجارَني العجوز.*

ـ «إذا أخذتني فيُمكنني أن أعمل عندك مُرافقًا».

ـ «لا يلزمني مُرافق».

قال الغُلام: «كلُّ فارسٍ يلزمه مُرافق. أنت تبدو أنك بحاجةٍ إلى واحدٍ أكثر من الأغلبيَّة».



رفعَ دنك يده مهدِّدًا، وقال: «وأنت تبدو بحاجةٍ إلى لطمةٍ على الأذن، هكذا يبدو لي. املأ لي جوالًا بالشُّوفان. إنني ذاهبٌ إلى (آشفرد)... وحدي».

إن خافَ الغُلام فقد أجادَ إخفاء خوفه. للحظةٍ وقفَ في مكانه بتحدٍّ مربِّعًا ذراعيْه، ولكن لحظة أن أوشكَ دنك أن ييأس منه، دارَ الغُلام وذهبَ إلى حيث يُوضَع الشُّوفان.

ارتـاحَ دنـك. *مؤسـفٌ أني لا أسـتطيعُ... لكـن حياتـه هـا هنـا في*

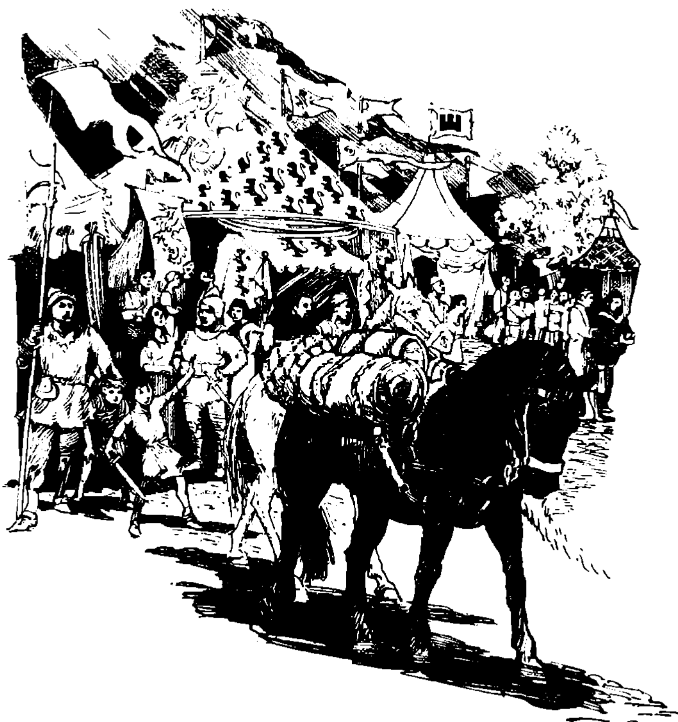
الخان طيّبة، حياة أفضل من عمله مُرافقًا لفارسٍ جوّال. لن يكون أخذه رحمةً.

على أنه ظلَّ يستشعِر خيبة أمل الغُلام. فيما امتطى سويتفُت وأمسكَ قِياد ثندر، فكر دنك أنَّ بنسًا نُحاسيًّا قد يسرُّه، فقال: «خُذ يا ولد، لقاء مساعدتك»، وألقى إليه بالعُملة مبتسمًا، إلَّا أنَّ صبيَّ الإسطبل لم يُحاوِل التقاطها، فسقطَت في التُّراب بين قدميْه الحافيتيْن، وهناك تركَها.



قـال دنـك لنفسـه: *سـيتناوَلها بمجـرَّد أن أرحـل*، ودارَ بالرَّهوانـة وانطلـقَ مـن الخـان قائـدًا الحصانيْـن الآخَريْـن. كان نـور القمـر ساطعًا علـى الأشـجار، والسَّـماء بلا سـحابٍ ومرقَّطـةً بالنُّجـوم، ومع ذلـك إذ خـرجَ دنـك علـى الطَّريـق أحـسَّ بصَبـيِّ الإسـطبل يُحـدِّق إلى ظهـره بصمـتٍ عابـس.

***



كانت ظلال الأصيل تستطيل حين كبحَ دنك خيوله على حافة (مرج آشفرد) الرَّحب، حيث نُصِبَ فوق عُشب الحقل نحو ستِّين من السُّرادقات، بعضها صغير وبعضها كبير، وبعضها مربَّع وبعضها مدوَّر، وبعضها من قُماش الأشرعة وبعضها من الكتَّان وبعضها من الحرير، لكن ألوانها جميعًا زاهية، وعلى قوائمها المركزيَّة تُرفرِف رايات طويلة أزهى من حقل زهورٍ بريَّة زاخر بالأحمر الغنيّ والأصفر الشَّمسي، ودرجاتٍ لا تُحصى من الأخضر والأزرق، وأخرى عميقة من الأسود والرَّمادي والأرجواني.

ركبَ العجوز مع بعض هؤلاء الفُرسان، ويعرف دنك آخَرين ممَّا سمعَ من حكاياتٍ في القاعات العامَّة وحول نيران المخيَّمات. مع أنه لم يتعلَّم قَطُّ سحر الكتابة أو القراءة، بذلَ العجوز جهدًا دؤوبًا لمَّا تعلَّق الأمر بتلقينه شعارات النَّبالة، وكثيرًا ما مرَّنه على حفظها وهما راكبان. العنادل تنتمي إلى اللورد كارون، سيِّد (التُّخوم) البارع في العزف على القيثارة السَّامية براعته بالرُّمح، والوعل المتوَّج يخصُّ السير لايُنل باراثيون، العاصفة الضَّاحكة. وميَّز دنك صيَّاد تارلي وبرق عائلة دُنداريون الأرجواني، وتُفَّاحة آل فوسواي الحمراء، وها هو ذا أسد لانستر يزأر ذهبيًّا على قرمزي، وها هي ذي سُلحفاة آل إسترمونت البحريَّة الخضراء الدَّاكنة تسبح على خلفيَّةٍ خضراء باهتة. الخيمة البنِّيَّة تحت فحلٍ أحمر لا يُمكن أن تنتمي إلى غير السير أوثو براكن، الذي لُقِّبَ بغاشم براكن منذ قتلَ اللورد كونتن بلاكوود قبل ثلاث سنواتٍ خلال دورة مبارياتٍ في (كينجز لاندنج)، وقد سمعَ دنك أنَّ السير أوثو هوى بضربةٍ في غاية العُنف من فأسٍ طويلة مثلَّمة

هشَّمت مقدِّمة خوذة اللوْرد بلاكوود والوجه تحتها. رأى دنك بعض رايات بلاكوود أيضًا عند حافة المرج الغربيَّة، على أبعد مسافةٍ ممكنة من السِّير أوْثوْ. ماربراند، مالستر، كارجل، وسترلنج، سوان، مولندوْر، هايتاور، فلوْرنت، فراي، پنروْز، ستوْكوُرث، داري، پارن، وايلد... يبدو كأن كلَّ عائلةٍ ذات حسبٍ ونسبٍ في الغرب والجنوب أرسلَت فارسًا أو ثلاثةً إلى (مرج آشْفرد) لرُؤية العذراء الجميلة وخوض حلبة المجاولة على شرفها.

ولكن مهما تسرُّ سُرادقاتهم الأنظار، يعرف دنك أنه لن يجد لنفسه مكانًا بينها. اللَّيلة مأواه الوحيد معطفٌ رثٌّ من الصُّوف، وفيما يتعشَّى اللوْردات والفُرسان العظام ديوكًا مسمَّنةً وخنازير رضيعةً، سيتكوَّن عشاؤه هو من قطعةٍ صُلبة قاسية من اللَّحم البقريِّ المملَّح. يعلم دنك تمام العلم أنه إذا خيَّم في هذا الحقل المبهرج فعليه أن يتحمَّل في آنٍ واحد السُّخرية الصَّامتة والتَّهكم الصَّريح. قد تُعامِله قِلَّةٌ منهم بلُطف، لكن ذلك يكاد على نحوٍ ما يكون أسوأ.

يجب أن يستمسِك الفارس الجوَّال بكبريائه، فدونها لا يعود أكثر من مرتزِق. *عليَّ أن أستحقَّ مكاني في تلك الصُّحبة. إذا أحسنتُ القتال فقد يضمُّني لوْرد ما إلى آل بيته، وعندئذٍ سأركبُ مع رفقةٍ نبيلة، وآكلُ لحمًا طازجًا كلَّ ليلةٍ في قاعة قلعة، وأرفعُ سُرادقي في الدَّورات. لكن عليَّ أوَّلًا أن أحسن البلاء.* على مضضٍ أولى دنك أرض المباريات ظهره وقادَ خيوله بين الأشجار.

على مشارف المرج العظيم، على بُعد نصف ميلٍ كامل من البلدة والقلعة، وجدَ مكانًا حيث كوَّن انحناء في جدولٍ صغير

بِركـةً عميقـةً، ينمـو عـلى حافتهـا البـوص بكثافـة، وتُشـرِف شـجرة دردار مورقـة عـلى كلِّ شيء. عُشـب الرَّبيـع هنـاك أخضـر كرايـة أيِّ فـارس، وناعـم الملمـس. بُقعـةٌ جميلـة هي، ولا أحـد استحوذَ عليهـا بعـدُ. قـال دنـك لنفسـه: *سـيكون هـذا سُـرادقي، سُـرادقًا مسـقوفًا بـورق الشَّـجر وأورف مـن رايـات آل تـارلي وآل إسترمؤنت أنفُسـهم.*

خيولـه أوَّلًا، وبعـد العنايـة بهـا خلـعَ ثيابـه وخـاضَ في البِركة ليغسـل نفسـه مـن غُبـار السَّـفر. لطالمـا قـال العجـوز: «الفـارس الحـقُّ محـبٌّ للنَّظافـة مثلمـا هـو تـقي»، مصـرًّا أن يغتسـلا مـن الـرَّأس إلى القدميْـن كلَّمـا دارَ القمـر، بغـضِّ النَّظـر عـن سوء رائحتهمـا مـن عدمـه. والآن وقـد أصبـحَ فارسًـا، تعهَّـد دنـك بـأن يفعـل المثـل.

جلـسَ عاريًـا تحـت الـدَّردارة ريثمـا يجـفُّ، يسـتمتع بـدفء الهـواء الرَّبيـعي عـلى جلـده وهـو يُشـاهِد ذُبابـة تنِّيـن تتحـرَّك بكسـل بيـن أعـواد البـوص. تسـاءلَ: *لمـاذا يُسـمُّونها ذُبابـة التنِّيـن؟*[٤] *إنهـا لا تُشـبه التَّنانيـن في شيء.* لا يعـني ذلـك أنَّ دنـك رأى تنِّينًـا يومًـا، إلَّا أنَّ العجـوز فعـلَ، وقـد سـمعَ دنـك القصَّـة نصفمئـة مـرَّة، عـن السِّير آرلان الـذي أخـذَه جـدُّه إلى (كينجـز لانـدنج) وهـو بعـدُ صبـيٌّ صغيـر، وكيـف رأيـا التنِّيـن الأخيـر هنـاك قبـل نفوقـه. كان أنـثى خضـراء صغيـرةً ناقصـة النُّمـوِّ ذات جناحيْـن ذاوييْـن، ولـم يفقـس أيٌّ مـن بيضهـا قَـطُّ. اعتـادَ العجـوز أن يـحكي: «بعضهـم يقـول إنَّ الملـك إيـجوْن سـمَّمها. أقصـدُ ثالـث إيـجوْن، لا والـد الملـك ديروْن، بـل الـذي سـمَّوه بمُهلـك التَّنانيـن أو إيـجوْن المنحـوس. كان يخـاف التَّنانيـن لأنـه رأى وحـش خالـه يلتهـم أمَّـه. لقـد صـارَت الأصيـاف

---

٤ - ذُبابة التنِّين Dragonfly: اليعسوب في عالم الواقع، لكننا نستخدم التَّرجمة الحرفيَّة لدواعي القصَّة. (المترجم).

أقصر منذ ماتَ التنِّين الأخير، والأشتية أطول وأقسى».

بدأ الهواء يَبرُد فيما غاصَت الشَّمس تحت مستوى قمم الأشجار، ولمَّا أحسَّ دنك بالقشعريرة تخزُ ذراعيْه نفضَ غلالته وبنطاله على جذع الدَّردارة ليُخلِّصهما من السَّواد الأسوأ من التُّراب، ثم عادَ يرتديهما. غدًا سيسعى إلى قيِّم المباريات ويُدرِج اسمه، لكن عنده مسائل أخرى ينبغي أن يَنظُر فيها اللَّيلة لو أنَه يأمل أن يُنازِل غيره من الفُرسان.

لم يلزمه أن يُدقِّق النَّظر إلى الماء ليعرف أنه لا يبدو كفارسٍ إلَّا قليلًا، وهكذا علَّق تُرس السِّير آرلان على ظهره ليعرضَ رمزه، وبعدما أوثقَ قوائم الخيول بالشُّكل، تركَها لترعى في الكلأ الأخضر الكثيف تحت الدَّردارة فيما انطلقَ على قدميْه متَّجهًا إلى مضمار المباريات.

***

المرج في الأوقات العاديَّة منطقةٌ مشاع لأهل بلدة (آشفرد) على الجانب الآخَر من النَّهر، أمَّا الآن فيبدو عليه تحوُّل نوعي. بين عشيَّةٍ وضُحاها وُجدَت بلدةٌ ثانية، بلدةٌ من الحرير بدلًا من الحجر، أكبر من أختها الكُبرى وأحلى. بحذاء حافة الحقل نصبَ عشرات التُّجَّار أكشاكهم ليبيعوا اللُّبود والفواكه، والأحزمة والأحذية، والجلود والبيزان، والآنية الخزفيَّة والأحجار الكريمة والأوعية القصدير والتَّوابل والرِّيش، وسائر أصناف البضائع الأخرى، وبين الجموع يتجوَّل الحُواة ومحرِّكو الدُّمى والسَّحرة ليُمارِسوا حِرفهم... وكذا العاهرات والنشَّالون، وعليه أبقى دنك

يـد الحـذر عـلى مالـه.

عندمـا التقـطَ أنفـه رائحـة سُـجق يـؤزُّ فـوق نـارٍ داخنـة، بـدأ ريقـه يجـري. اشـترى قطعـةً ببنـس نُحـاسيّ مـن كيـسٍ نقـوده، وقرنًـا مـن المـزر ليُبلِّعهـا، وفيمـا أكلَ تَفـرَّج عـلى فـارسٍ خشـبيّ ملـوَّن يُقاتِـل تنِّينًـا خشـبيًّا ملوَّنًـا. سـرَّته أيضًـا الفُرجـة عـلى محرِّكـة الـدُّمى الـتي تتحكَّـم في التنِّيـن؛ فتـاة فارعـة جذَّابـة ذات بشـرةٍ زيتونيَّـة وشـعرٍ دوْرني أسـود، رفيعـة كالـرُّمح وبلا ثدييْـن يُذكَـران، وإن أعجـبَ دنـك وجهُهـا والطَّريقـة الـتي تجعـل بهـا أصابعهـا التنِّيـن يكـرُّ وينزلـق عنـد أطـراف خيوطـه. لـو أنـه يسـتطيع الاسـتغناء عـن بنـسٍ نُحـاسيّ لألقـاه إلى الفتـاة، لكنـه محتـاجٌ الآن إلى كلِّ قطعـة عُملـة.

كمـا أملَ، بيـن التُّجَّـار صُنَّـاع سلاح، منهـم تايـروْشي بلحيـةٍ زرقـاء متشـعِّبة يبيـع خُـوذًا منمَّقـةً، قطعًـا عجيبـةً بديعـةً مشـغولةً بـأشكال طيـورٍ وحيوانـاتٍ ومموَّهـةً بالذَّهـب والفضَّـة، وفي مكانٍ آخَـر وجـدَ دنـك صـانع سـيوفٍ متجـوِّلًا يبيـع نصـالًا مـن الفـولاذ الرَّخيـص، وآخَـر عملـه أجـود كثيـرًا، غيـر أنَّ مـا يفتقـر إليـه ليـس سـيفًا.

عثـرَ عـلى الرَّجـل الـذي يحتـاج إليـه بعيـدًا في آخِـر الصَّـفِّ، يعـرض عـلى الطاولـة أمامـه قميصًـا مـن الحلقـات المعدنيَّـة الممتـازة وقُفَّـازًا من الفـولاذ المشـبَّك. فحصَهمـا دنـك بعنايـة، وقال: «شُـغلك متقـن».

ـ «لا أحـد أفضـل». الحـدَّاد رجـلٌ قصيـر ممتلئ، لا يزيـد طولـه عـلى خمسـة أقـدام، لكنـه يُناهِـز دنـك عرضًـا في الصَّـدر والذِّراعيْـن، ولـه لحيـة سـوداء ويـدان ضخمتـان، ويخلـو مـن كلِّ مسـحةٍ مـن التَّـواضُع.

أخبـرَه دنـك: «تلزمـني درعٌ للـدَّورة، بِـزَّة مـن الحلقـات الجيِّـدة بعُنقيَّـة وكلسـة وخـوذة عظيمـة». خـوذة العجـوز القصيـرة تُناسِـب رأسـه، لكنـه يُريـد لوجهـه حمايـةً أكثـر مـن الـتي يُوفِّرهـا قضيـبٌ واحـد لوقايـة الأنـف.

قلَّـب فيـه صـانع السِّلاح النَّظر من أعلى إلى أسفل قـائلًا: «كبيـر الحجـم أنـت، لكنـني درَّعـتُ رجـالًا أكبـر»، ونهـضَ مـن وراء الطَّاولة مُردفًـا: «اركع. أريـدُ قيـاس هاتيْـن الكتفيْـن. أجـل، وعُنقـك الثَّخيـن هـذا أيضًـا». ركعَ دنـك، ومـدَّ الرَّجـل شـريطًا مـن الجلـد الخـام المعقـود عـلى كتفيْـه، ثـم نخـرَ وطـوَّق بـه حلقـه ونخـرَ ثانيـةً. «ارفع ذراعـك. لا، اليُمـنى». ومـرَّةً ثالثـةً نخـرَ. «يُمكنـك أن تقـف الآن». استدرَّ باطـن سـاقٍ وسُـمك ربلتـه ومقـاس خصـره مزيـدًا مـن النَّخيـر، وحينمـا فـرغَ الرَّجـل قـال: «عنـدي في عربـتي بعـض قـطع قـد تَصلُح لـك. لا شيء مجمَّـل بالذَّهـب أو الفضَّـة، دعـني أخبـركَ، بـل فـولاذ ممتـاز فقـط، قـويٌّ وبسـيط. إنـني أصـنعُ خُـوذًا تبـدو كالخُـوذ، لا خنازيـر مجنَّحـة أو فواكـه أجنبيَّـة غريبـة، لكـن خُـوذي سـتنفعك أكثـر إذا أصابَـك رمحٌ في وجهـك».

قال دنك: «هذا كلُّ ما أريدُ. كم؟».

ـ «ثمانمئة أيِّل، لأني في مزاج كرم».

ـ «ثمانمئـة؟!». المبـلغ أكبـر ممَّـا تـوقَّع. «يُمكنـني... يُمكنـني أن أقايضـك بـدرعٍ قديمـة مصنوعـة لرجـلٍ أصغـر حجمًـا... خـوذة قصيـرة، زرد...».

صـرَّح الرَّجـل: «بِيـت الفـولاذي لا يبيـع إلَّا شُـغله، ولكـن قـد يُمكنـني الاسـتفادة مـن المعـدن. إن لـم يكـن صدئًـا جـدًّا فسـآخذه

وأدرِعـك بستِّمئة».

يسـتطيع دنـك أن يُناشِـد پيْـت أن يُعطيـه الـدِّرع مرهونـةً بالثِّقـة، لكنـه يعلـم نـوع الجـواب الـذي سـيتلقَّاه عـلى طلـب كهـذا، فقـد ارتحـلَ مع العجـوز طـويلًا كفايـةً ليتعلَّـم أنَّ التُّجَّـار مشـهورون بارتيابهـم في الفُرسـان الجوَّالـة، الذيـن يُعَـدُّ بعضهـم أفضـل قليـلًا مـن مجـرَّد لصـوص. «سـأعطيك قطعتيْـن فضِيَّتيْـن الآن، والـدِّرع وبـاقي النُّقـود غـدًا».

أمعـنَ صـانع الـسِّلاح النَّظـر إليـه لحظـةً، ثـم قـال: «قطعتـان فضِيَّتـان تشـتريان لـك يومًـا. بعـد ذلـك سأبيعُ شُـغلي للرَّجـل التَّالي».

التقـطَ دنـك الأيَّليْـن مـن كيـس نقـوده ووضعَهمـا في يـد صـانع الـسِّلاح الثَّفنـة قـائلًا: «ستَحصُل عـلى المبـلغ كاملًا. إنـني أنـوي أن أكـون بـطلًا هنـا».

قـال پيْـت: «حقًّـا؟»، وعـضَّ إحـدى العُملتيْـن مضيفًـا: «وأظـنُّ أنَّ هـؤلاء الآخَريـن كلُّهـم جاؤوا ليُشـجِّعوك فحسـب؟».

***

كان القمـر قـد ارتـفعَ في السَّـماء عندمـا وجَّـه خُطـاه عـودةً إلى دردارتـه. مـن ورائـه اتَّقـد (مـرج آشـفرد) بضـوء المشـاعل، وحمـلَ الهـواء أصـوات الأغـاني والضَّحـك فـوق العُشـب، لكـن مزاجـه هـو غلَّفتـه الكآبـة. لـم يسـتطع التَّفكيـر إلَّا في طريقـةٍ واحـدة لتحصيـل المـال مـن أجـلِ درعـه، وإذا هُـزِمَ... همهـمَ بصـوتٍ مسـموع: «نصرٌ واحـد هـو كلُّ مـا يلزمـني. ليـس هـذا أملًا يُجـاوِزُ الحـدود».



ومع ذلك ما كان العجوز ليأمل ذلك أبدًا. السير آرلان لم يركب في مُثاقفةٍ منذ اليوم الذي أسقطَه فيه أمير (دراجنستون) عن حصانه في دورة مبارياتٍ بـ(ستورمز إند) قبل سنواتٍ عدَّة، واعتادَ أن يقول: «ليس لكلِّ رجلٍ أن يتباهى بأنه كسرَ سبعة رماح ضد أبرع فارسٍ في (الممالكِ السَّبع). لم يُمكنني قطُّ أن آملَ أن أبلي بلاءً أحسن، فلِمَ أحاولُ؟».

شكَّ دنك أنَّ لسنِّ السير آرلان صلةً بالأمر أكبر من أمير (دراجنستون)، وإن لم يجرؤ على التَّصريح بذلك. لقد تمتَّع العجوز بالكبرياء حتى اللَّحظة الأخيرة. قال دنك لنفسه بعناد: *إنني سريعٌ وقوي، هكذا قال دومًا، وليس محتَّمًا أنَّ ما انطبقَ*

عليه ينطبق عليَّ.

بينما يجتاز رُقعةً من الحشائش وهو يتفكَّر في فُرصه، رأى وميض النَّار من خلال الشُّجيرات. *ما هذا*؟ لم يتوقَّف ليُفكِّر. فجأةً أصبحَ سيفه في يده فيما اندفعَ مخترقًا العُشب.

وانبثقَ هادرًا لاعنًا، فقط ليتوقَّف بحدَّةٍ فجأةً عند مرأى الغُلام بجوار نار المخيَّم. خفضَ السَّيف قائلًا: «أنت! ماذا تفعل هنا؟».

أجابَ الغُلام الأصلع: «أطبخُ سمكةً. هل تُريد؟».

- «أعني كيف وصلت إلى هنا؟ هل سرقت حصانًا؟».

- «ركبتُ في مؤخِّرة عربةٍ مع رجلٍ جلبَ بعض الحملان لأجل مائدة سيِّد (آشفرد)».

- «حسن، الأفضل أن ترى هل رحلَ بعدُ، أو تجد عربةً أخرى. لن أتركك تبقى هنا».

ردَّ الغُلام بقلَّة حياء: «لا يُمكنك إجباري على الذَّهاب. لقد اكتفيتُ من ذلك الخان».

حذَّره دنك: «لن أسمح بمزيدٍ من وقاحتك. جديرٌ بي أن ألقيك فوق حصاني الآن وآخذك إلى ديارك».

قال الغُلام: «عليك إذًا أن تقطع الطَّريق كلَّه إلى (كينجز لاندنج). ستفوتك الدَّورة».

- (*كينجز لاندنج*). للحظةٍ تساءلَ دنك هل يتعرَّض للسُّخرية، لكن الغُلام لا يملك وسيلةً ليعرف أنه هو أيضًا وُلِدَ في (كينجز

لاندنج). صعلوك آخَر من (سفح البراغيث) على الأرجح، ومَن يلومه على الرَّغبة في مغادرة ذلك المكان؟

شعرَ بالحماقة وهو واقفٌ فوق يتيم في الثَّامنة من العُمر وسيفه في يده، فدسَّه في غِمده بوجهٍ مكفهرٍ ليرى الغُلام أنه لن يسمح بأيِّ هُراء. فكَّر دنك: ينبغي *أن أبرِّحه ضربًا على الأقل*، إلَّا أنَّ الطِّفل بدا مثيرًا للشَّفقة للغاية، فلم تحمله نفسه على ضربه. ألقى نظرةً في أنحاء المخيَّم، فرأى النَّار متَّقدةً على نحوٍ سار داخل دائرةٍ من الصُّخور، والخيول ممشَّطةً، والثِّياب منشورةً على الدَّردارة لتجفَّ فوق اللَّهب. «ماذا تفعل هذه هناك؟».

قال الغُلام: «لقد غسلتها، وسستُ الخيول، وأشعلتُ النَّار، واصطدتُ هذه السَّمكة. كنتُ سأنصبُ سُرادقك، لكني لم أجد واحدًا».

ـ «هو ذا سُرادقي». قالها دنك ملوِّحًا بيده فوق رأسه ليُشير إلى فروع الدَّردارة الطَّويلة الشَّامخة أعلاهما.

قال الغُلام دونما تأثُّر: «هذه شجرة».

ـ «لا يلزم الفارسَ الحقيقيَّ سُرادق إلَّاها. أفضِّلُ النَّوم تحت الأشجار على النَّوم في خيمةٍ يملؤها الدُّخان».

ـ «وإذا سقطَ المطر؟».

ـ «ستقيني الشَّجرة».

ـ «الأشجار تُسرِّب الماء».

ضحكَ دنك، وقال: «صحيح. بصراحة، المال يعوزني لشراء



سُرادق. والأفضل أن تقلب هذه السَّمكة وإلّا احترقَت من أسفل وظلَّت نيئةً من أعلى. لن تَصلُح للعمل صبيَّ مطبخٍ أبدًا».

ردَّ الغُلام: «أستطيعُ إذا أردتُ»، لكنه قلبَ السَّمكة.

سألَه دنك: «ماذا جرى لشعرك؟».

ـ «حلقَه المِيسترات». فجأةً وقد اعتراه الاستحياء، رفعَ الغُلام قلنسوة معطفه البنِّي الدَّاكن ليُغطِي رأسه.

سمعَ دنك أنهم يفعلون ذلك أحيانًا لعلاج القمل أو دود الجذور أو عللٍ معيَّنة. «أأنت مريض؟».

قال الغُلام: «لا. ما اسمك؟».

- «دنك».

أطلقَ الغُلام الشَّقي ضحكةً عاليةً كأن هذا أطرف ما سمعَ على الإطلاق، وقال: «دنك؟! السيْر دنك؟ ليس هذا اسم فارس. أهو اختصار لدنكن؟».

أهو كذلك؟ حسبما يَذكُر، العجوز لم يَدعُه إلَّا بدنك، أمَّا حياته قبل ذلك فالباقي في ذاكرته عنها قليل. قال: «دنكن، نعم. السيْر دنكن ابن...». ليس لدنك اسم آخَر، ولا عائلة ينتمي إليها. لقد وجدَه السيْر آرلان يعيش حياةً من الضَّراوة في مواخير (سفح البراغيث) وأزقَّته، ولم يعرف قَطُّ أباه أو أمَّه. ماذا يقول؟ ليس لـ«السيْر دنك ابن (سفح البراغيث)» وقعٌ يليق بفارس. يُمكنه أن يأخذ (شجرة البنسات)، ولكن ماذا إذا سألوه عن مكانها؟ لم يذهب دنك إطلاقًا إلى (شجرة البنسات)، ولا تكلَّم عنها العجوز كثيرًا. عقدَ حاجبيْه بُرهةً، ثم اندفعَ يقول: «السيْر دنكن الطَّويل». إنه طويل فعلًا، لا أحد يُمكنه أن يُجادِل في هذا، وللاسم وقعٌ ينمُّ عن البأس. لكن لم يبدُ أنَّ المتسلِّل الصَّغير وافقَه، إذ قال: «لم أسمع قَطُّ عن أيِّ سيْر دنكن الطَّويل». وهل تعرف كلَّ فارسٍ في (الممالك السَّبع)؟».



رمقَه الغُلام بجراءةٍ مجيبًا: «أعرفُ البارعين».

ـ «أنا بارعٌ كأيِّ منهم. بعد الدَّورة سيعلمون جميعًا ذلك. ألك أنت اسم أيُّها اللِّص؟».

تردَّد الغُلام، ثم قال: «إج».

لم يضحك دنك. *رأسه يُشبِه البيضة حقًّا. الصِّبية الصِّغار قادرون على القسوة، وكذا الرِّجال البالغون.* «إج، يَجدُر بي أن أضربك حتى أدميك ثم أصرفك، لكن الحقيقة أني بلا سُرادق وبلا مُرافق أيضًا. إذا أقسمت أن تفعل كما تُؤمَر فسأدعك تخدمني خلال الدَّورة. بعد ذلك، حسن، سنرى. إذا قرَّرتُ أنك تستأهل تكلفة إعاشتك فستحظى بثياب على بدنك وطعامٍ في بطنك. قد تكون الثِّياب خشنةً والطَّعامُ لحمًا مملَّحًا وسمَكًا مملَّحًا، وربَّما قليلًا من لحم الغزلان من حينٍ إلى آخَر حيث لا يُوجَد في الجوار حرَّاجون، لكنك لن تجوع. وأعدُ ألَّا أضربك إلَّا عن استحقاق».

ابتسمَ إج قائلًا: «نعم يا سيِّدي».

صحَّح دنك: «أيُّها السِّير. إنني مجرَّد فارس جوَّال». تساءلَ هل يُشاهِده العجوز الآن من السَّماء. *سأُعلِّمه فنُون القتال، تمامًا كما علَّمتني أيُّها السِّير. يبدو ولدًا واعدًا، وقد يغدو فارسًا يومًا ما.*

وجدَ السَّمكة نيئةً بعض الشَّيء من الدَّاخل حينما أكلاها، والغُلام لم يُزِل الشَّوك كلَّه، ومع ذلك فالفرق بين طعمها وطعم اللَّحم المملَّح القاسي فرق السَّماء من الأرض.

سرعان ما راحَ إج في النَّوم بجوار النَّار الميِّتة، وعلى مقربةٍ استلقى دنك على ظهره واضعًا يديْه الكبيرتيْن خلف رأسه ورانيًا ببصره إلى سماء اللَّيل، وقد ترامَت إلى مسامعه موسيقى سحيقة من أرض المباريات البعيدة بنصف ميل. النُّجوم في كلِّ مكان، ألوفٌ وألوفٌ منها، وبينما يتفرَّج هوى أحدها في شريطٍ أخضر يانع ومضَ في السَّواد ثم اختفى.

فكَّر دنك: *النَّجم الهاوي يجلب الحظَّ لمَن يراه، لكن بقيَّتهم داخل سُرادقاتهم الآن، يرفعون أعيُنهم إلى الحرير بدلًا من السَّماء. الحظُّ لي وحدي إذًا.*

***

استيقظَ في الصَّباح على صياح ديك، وإج بعدُ في مكانه متكوِّر على نفسه تحت ثاني أفضل معطفٍ امتلكه العجوز. حسن، *الغُلام لم يَهرُب ليلًا، إنَّما هذه بدايةٌ.* أيقظَه بنخسةٍ من قدمه قائلًا: «انهض. أمامنا عمل»، فقامَ الغُلام بسرعةٍ كافية فاركًا عينيْه، ليُخبِره دنك: «ساعِدني على تسريج سويتفُت».

ـ «والفطور؟».

ـ «لدينا لحمٌ مملَّح، بعد فروغنا لا قبله».

قال إج: «أوثرُ أن آكل الحصان... أيُّها السيْر».

ـ «ستأكل قبضتي إذا لم تفعل كما يُقال لك. أحضِر الفُرش. إنها في جوال السَّرج. نعم، هذا».

معًا مشَّطا شعر الرَّهوانة الكُميت، ثم رفعا أفضل سروج السيْر

آرلان فوق ظهرها وأوثَقا أحزمته. رأى دنك أنَّ إج عاملٌ مجتهد ما إن يصبَّ اهتمامه وجهده على العمل.

أخبرَ الغُلام وهو يركب: «أتوقَّعُ أني سأغيبُ معظم النَّهار. ستبقى هنا وتُنظِّم المخيَّم. احرص ألّا يأتي لصوصٌ غيرك ليتطفَّلوا».

سألَه إج: «ألي بسيفٍ لأطردهم به؟». للغُلام عينان زرقاوان كما رأى دنك، داكنتان جدًّا، تُقارِب درجتهما الأرجواني، وبطريقةٍ ما أبداهما رأسه الأصلع ضخمتيْن.

- «لا. يكفيك سكِّين. والأفضل أن تكون هنا حينما أرجعُ، هل تسمعني؟ اسرقني واهرب وسأطاردك، أقسمُ أني سأفعل، وبالكلاب».

أشارَ إج: «لست تملك كلابًا».

ردَّ دنك: «سأشتري بعضها من أجلك فحسب»، ووجَّه رأس سويتفُت صوب المرج وانطلقَ يخبُّ بنشاطٍ آملًا أن يكفي التَّهديد لأن يلزم الغُلام الأمانة. باستثناء الملابس على بدنه والحصان من تحته، كلُّ ما يملكه دنك في العالم في ذلك المخيَّم. قال لنفسه متأمِّلًا: *حماقةٌ كُبرى مني أن أثق بالغُلام إلى هذه الدَّرجة، لكن هذا ليس بأقل ممَّا فعلَ العجوز من أجلي. لا بُدَّ أنَّ الأم أرسلَته إليَّ لكي أسدِّد ديني.*

فيما عبرَ الحقل سمعَ رنين المطارق من عند ضفَّة النَّهر، حيث يعمل النجَّارون على تسمير حواجز المُثاقفة ونصب مدرَّجات مشاهدة منيفة. في تلك الأثناء كان بعض السُّرادقات الجديدة

يُرفَع أيضًا، فيما نامَ الفُرسان الذين وصلوا قبلًا ليتخلَّصوا من آثار عربدة البارحة، أو جلسوا يتناوَلون فطورهم.

شمَّ دنك دُخان الحطب، ورائحة لحم مقدَّد أيضًا.

شمال المرج يجري نهر (مجرى الصَّدف)، وهو رافدٌ لـ(الماندر) العظيم، وبعد المخاضة الضَّحلة تقع البلدة والقلعة. رأى دنك كثيرًا من بلدات الأسواق في رحلاته مع العجوز، وهذه أجمل من الغالبيَّة، فلمنازلها المطليَّة بالجير والمسقوفة بالقشِّ مظهرٌ جذَّاب. وهو بعدُ أصغر، اعتادَ أن يتساءَل كيف قد تكون الحياة في مكانٍ كهذا؛ أن تنام كلَّ ليلةٍ وفوق رأسك سقفٌ وتصحو كلَّ صباحٍ ملتحفًا بالجُدران أنفُسها. *قد أعرفُ قريبًا. أجل، وإج أيضًا*. واردٌ أن يَحدُث هذا. أشياء أغرب تَحدُث يوميًّا.



(قلعة آشفرد) بناءٌ حجريٌّ مشيَّد بشكل مثلَّث، ترتفع من زواياه أبراجٌ دائريَّة طولها ثلاثون قدمًا بينها أسوارٌ مفرَّجة، وفي الشُّرفات تُرفرِف رايات برتقاليَّة عارضةً رمز سيِّدها المكوَّن من

شـمس وشِـفرونة[٥] بيضاوِيْـن، فيمـا يقـف رجـالٌ مسـلَّحون يرتـدون بـِززًا برتقاليَّـةً وبيضـاء خـارج البوَّابـة حامليـن المَطـارد، يُشـاهِدون النَّـاس يروحـون ويجيـؤون، وعـلى مـا يبـدو منهمكـون في المـزاح مع حلَّابـةٍ حسـناء أكثـر مـن منع أيِّ أحـدٍ مـن الدُّخـول. توقَّـف دنـك أمـام الرَّجـل الملتـحي القصيـر الَّـذي قـدَّر أنـه قائدهـم، وسـألَ عـن قيِّـم المباريـات.

ـ «پلمَر مَن تُريد. إنه الوكيل هنا. سأريك».

داخـل السَّاحة أخـذَ منـه صبـيُّ إسـطبلٍ سـويتفُت. علَّـق دنـك تُـرس السـيْر آرلان البـالي عـلى كتفـه وتبـعَ قائـد الحـرس مـن الإسـطبلات إلى بُريـج مبـني بزاويـةٍ في السُّـور الـواقي. تقـود درجـات مرتفعـة بحـدَّة إلى ممـشى الأسـوار، وفيمـا صعـدا سـألَه القائـد: «جئـت لتُـدرِج اسـم سـيِّدك لأجـل مضمـار النِّـزال؟».

ـ «اسمي أنا الذي سأدرجه».

ـ «حقًّـا؟». هـل تكلَّـف الرَّجـل الابتسـام؟ لـم يعـرف دنـك يقينًـا. «ذلـك البـاب هنـاك. سـأتركك لشـأنك وأعـودُ إلى موقـعي».

عندمـا دفعَ دنـك البـاب، وجـدَ الوكيـل جالسًـا إلى منضـدةٍ بحامليْـن يخـطُّ عـلى رقٍّ بريشـته. للرَّجـل شـعرٌ أشـيب خفيـف ووجـهٌ ضيِّـق ممصـوص، وقـد سـألَ رافعًـا ناظريْـه: «نعـم؟ مـاذا تُريـد يـا رجـل؟».

أغلـقَ دنـك البـاب قـائلًا: «أأنـت پلمَـر الوكيـل؟ جئـتُ مـن أجـل الـدَّورة، لأدخـل مضمـار النِّـزال».

٥ - الشِّفرونة Chevron: شعار نبالة بشكل حرف V مقلوب. (المُترجم).

زمَّ بلمَر شفتيْه، وقال: «دورة سيِّدي اللوْرد مسابقةٌ للفُرسان. أأنت فارس؟».

أومأ دنك برأسه إيجابًا وهو يتساءَل هل احمرَّت أذناه.

ـ «فارسٌ له اسمٌ ربَّما؟».

ـ «دنك». لماذا قال هذا؟! «السيِر دنكن، الطَّويل».

ـ «ومن أين أنت أيُّها السيِر دنكن الطَّويل؟».

أجابَ دنك: «من كلِّ مكان. لقد عملتُ مُرافقًا للسير آرلان ابن (شجرة البنسات) منذ كنتُ في الخامسة أو السَّادسة. هذا تُرسه»، وأراه للوكيل متابعًا: «كان في طريقه إلى الدَّورة، لكنه أصيبَ بنزلة بردٍ وماتَ، فجئتُ بدلًا منه. لقد قلَّدني الفروسيَّة قبل رحيله، واستخدمَ سيفه»، ثم سحبَ السَّيف الطَّويل ووضعَه بينهما على المنضدة الخشبيَّة المشوَّهة.

لم يُعطِ قيِّم المضمار السَّيف أكثر من نظرةٍ عابرة، وقال: «إنه سيفٌ من غير شك. على أني لم أسمع قَطُّ بذلك السير آرلان ابن (شجرة البنسات). تقول إنك كنت مُرافقه؟».

ـ «لطالما قال إنه انتوى أن أصير فارسًا كما كان. وهو يُحتضَر طلبَ سيفه الطَّويل وأمرَني بالرُّكوع. مسَّني مرَّةً على كتفي اليُمنى ومرَّةً على اليُسرى، وردَّد بعض الكلمات، ولمَّا نهضتُ قال إنني الآن فارس».

ـ «همف». فركَ الرَّجل بلمَر أنفه قائلًا: «لأيِّ فارسٍ أن يُسبغ

الفروسيَّة، صحيحٌ هذا، ولو أنَّ العُرف الأشيع أن تقف ساهرًا ويُمرِّخك سِپتوْن قبل أن تُردِّد نذورك. هل شهدَ على تقليدك أيُّ أحد؟».

- «لا أحد إلَّا طائر أبي حنَّاء فوق شجرة شوك؛ سمعته والعجوز يقول قوله. لقد كلَّفني بأن أكون فارسًا صالحًا قويمًا، وأن أطيع الآلهة السَّبعة، وأدافع عن الضُّعفاء والأبرياء، وأخدم سيِّدي بإخلاص، وأدافع عن البلاد بقوَّتي كلِّها، وأقسمتُ أن أفعل ذلك».

- «لا شكَّ». لاحظَ دنك أنَّ پلمَر لم يتفضَّل بدعوته بالسيْر. «عليَّ أن أستشير اللوْرد آشفرد. أأنت أو سيِّدك الرَّاحل معروفٌ لأيِّ من الفُرسان الكرام المجتمعين هنا؟».

فكَّر دنك لحظةً، ثم قال: «أيُوجَد سُرادق يرفع راية عائلة دُنداريوْن؟ سوداء وعليها برقٌ أرجواني؟».

- «إنه السيْر مانفرِد ابن تلك العائلة».

- «السيْر آرلانٍ خدمَ السيِّد والده في (دوْرن) قبل ثلاث سنوات. قد يتذكرني السيْر مانفرِد».

- «أنصحك بأن تتكلَّم معه. إذا قبلَ أن يكفلك فأحضِره معك إلى هنا في الموعد نفسه غدًا».

قال دنك: «كما تقول يا سِيدي»، واتَّجه نحو الباب.

ناداه الوكيل: «سيْر دنكن»، ولمَّا التفتَ إليه دنك قال: «أتُدرِك أنَّ المغلوب في المباريات يُغرَّم أسلحته ودرعه ومطيَّته

لصالح الغالب، ويجب أن يدفع فديةً ليستردَّها؟».

ـ «أعرفُ».

ـ «وهل تملك المال لتدفع فديةً كتلك؟».

الآن علمَ دنك أنَّ أذنيْه محمرَّتان، وداعيًا أن يصحَّ قوله قال: «لن أحتاج إلى مال». *يلزمني نصرٌ واحدٌ فقط. إذا فزتُ في مُثاقفتي الأولى فسأظفرُ بدرع الخاسر وحصانه، أو بذهبه، ويُمكنني أن أتحمَّل خسارةً عن نفسي.*

نزلَ الدَّرجات على مهلٍ عازفًا عن الإقدام على الخُطوة التَّالية الضَّروريَّة. في السَّاحة نادى أحد صِبيان الإسطبلات، وأخبرَه: «يجب أتكلَّم مع قيِّم خيول اللوْرد آشفرد».



ـ «سأجده لك».

الحرارة في داخل الإسطبلات فاترة والإضاءة معتمة. بينما يمرُّ دنك عضَّ فحلٌ رماديٌّ جامح الهواء في وجهه، لكن سويتفُت

أطلقَت صهيلًا خافتًا فحسب ومرَّغت أنفها في يده حين رفعَها إليه. غمغمَ: «فتاةٌ طيِّبة أنتِ، أليس كذلك؟». دائمًا قال العجوز إنه لا يجب أبدًا أن يحبَّ الفارس حصانًا، لأن أكثر من قِلَّةٍ من الخيول ستموت تحته في الغالب، لكن الرَّجل لم يعمل بنصيحة نفسه قَطُّ، فكثيرًا ما رآه دنك يُنفِق بنسه الأخير على تُفَّاحةٍ لتشستنت العجوز أو قليلٍ من الشُّوفان لسويتفُت وثندر. كانت الرَّهوانة حصان ركوب السِّير آرلان، وقد حملَته بلا كللٍ على امتداد آلاف الأميال في طول (الممالك السَّبع) وعرضها. شعرَ دنك كأنه يخون صديقًا قديمًا، ولكن ما الخيار؟ تشستنت أعجز من أن تكون له قيمة، وثندر يجب أن يحمله في المضمار.

مضى بعض الوقت قبل أن يتنازَل قيِّم الخيول ويظهر. بينما ينتظر، سمعَ دنك الأبواق النُّحاس تُدوِّي من فوق الأسوار وأصواتًا في السَّاحة، وشاعرًا بالفضول قادَ سويتفُت إلى باب الإسطبل ليرى ما يَحدُث. من البوَّابة تدفَّقت كوكبةٌ كبيرة من الفُرسان والرُّماة الرَّاكبين، مئة رجلٍ على الأقل، يمتطون بعضًا من أروعِ الخيول التي رآها دنك على الإطلاق. *أحد كبار اللوردات وصل.* قبضَ على ذراع صبيٍّ إسطبلاتٍ وهو يجري مارًّا، وسألَه: «مَن هؤلاء؟».

حدجَه الصَّبي بنظرة استغراب، وقال: «ألا ترى الرَّايات؟»، وانتزعَ ذراعه وأسرعَ مبتعدًا.

ـ *الرَّايات*... بينما أدارَ دنك رأسه رفعَت هبَّة ريحِ الرَّاية المثلَّثيَّة المفصَّلة من الحرير الأسود على قمَّة السَّاري الطَّويل، وبدا كأن تنِّين عائلة تارجاريَن الشَّرس برؤوسه الثَّلاثة يبسط

جناحيْه نافثًا نارًا قرمزيَّةً. حامل الرَّاية فارسٌ طويل القامة يرتدي درعًا مصفَّحةً بيضاء منقوشةً بالذَّهب، وينسدل من فوق كتفيْه معطفٌ أبيض ناصع، في حين يُدرِّع اثنان آخَران من الرَّاكبين نفسيْهما بالأبيض من قمَّة الرَّأس إلى أخمص القدميْن أيضًا. *فُرسان من الحرس الملكي يرفعون الرَّاية الملكيَّة.* لا عجب أنَّ اللوْرد آشفرد وابنيْه هروَلوا خارجين من باب الحصن، والعذراء الجميلة أيضًا، فتاةٌ قصيرة بشعرٍ أصفر ووجهٍ متورِّد مستدير.

فكَّر دنك: *لا تبدو لي بذلك الجمال.* محرِّكة الدُّمى أجمل.

ـ «يا ولد، اترُك ذلك الحصان الوضيع واعتنِ بجوادي».

كان أحد الرَّاكبين قد ترجَّل أمام الإسطبلات، وقال دنك لنفسه مدركًا: *إنه يُكلِّمني.* «لستُ صبيَّ إسطبلٍ يا سِيدي».

ـ «لستَ بالذَّكاء الكافي؟». يرتدي المتحدِّث معطفًا أسود محدَّدًا بالسَّاتان الأحمر السِّقلَّاتي، لكن الثِّياب من تحته بارقةٌ كاللَّهب، جميعها درجات من الأحمر والأصفر والذَّهبي. نحيلٌ هو وممشوق القوام كالخنجر، ومع أنه متوسِّط الطُّول فإنه يُناهز دنك سنًّا، وتُحدِّد خُصل من الشَّعر الذَّهبي الفضِّي وجهًا منحوتًا متأمِّرًا، بجبهةٍ عالية وعظام وجنتيْن حادَّة وأنفٍ مستقيم وبشرةٍ شاحبة ناعمة لا تشوبها شائبة، أمَّا عيناه فذاتا لونٍ أرجوانيٍّ عميق. «ما دُمت لا تستطيع التَّعامُل مع حصانٍ فأحضِر لي نبيذًا وفتاةً حسناء».

ـ «إنني... سِيدي، أنا لستُ خادمًا كذلك. يُشرِّفني أنني فارس».

قـال الأميـر الصَّغيـر: «الفروسـيَّة تدهـورَت بهـا الأيَّـام»، ولكـن عندئـذٍ هـرعَ إليـه أحـد صِبيـان الإسـطبلات، فالتفـتَ ليُناوِلـه عنـان



رهوانه ذي اللَّون الدَّموي الرَّائع. في لحظةٍ نَسِيَ دنك، وبارتياح انسلَّ إلى داخل الإسطبل من جديدٍ لينتظر قيِّم الخيول. مجرَّد وجوده في حضرة اللوردات في سُرادقاتهم يُصيبه بالاضطراب، وليس من شأنه أن يُكلِّم الأمراء.

لا شكَّ عنده أنَّ الفتى الجميل أمير. آل تارجاريَن من دم (ڤاليريا) المفقودة وراء البحار، وشعورهم الذَّهبيَّة الفضِّيَّة وعيونهم البنفسجيَّة تُفضِّلهم عن البشر العاديِّين. يعلم دنك أنَّ الأمير بيلور أكبر سنًّا، ولكن قد يكون الشَّاب أحد ابنيْه: ڤالر الذي يُدعى غالبًا بالأمير الشَّاب لتمييزه من أبيه، أو ماتارِس، الأمير الأكثر شبابًا كما سمَّاه مهرِّج اللورد سوان ذات مرَّة. ويُوجَد أمراء صغار آخَرون، أبناء عمومةٍ لڤالر وماتارِس، فللملك ديرون الصَّالح أربعة أبناءٍ بالغون، لثلاثةٍ منهم أبناء. في أيَّام أبيه كادَت سُلالة ملوك التَّنانين تنقرض، وإن شاعَ القول بأن ديرون وأبناءه أمَّنوها أبد الدَّهر.

ـ «أنت، أيُّها الرَّجل، لقد سألتَ عني». لقيِّم خيول اللورد آشفرد وجهٌ أحمر حمَّرته ثيابه البرتقاليَّة زيادةً، وأسلوبٌ فظٌّ في الكلام. «ما الأمر؟ لا وقت عندي لـ...».

أسرعَ دنك يُقاطع الرَّجل قبل أن يصرفه: «أريدُ بيع هذه الرَّهوانة. إنها فرسٌ ممتازة، واثقة الخُطى...».

أعطى الرَّجل سويتفُت نظرةً عابرةً لا أكثر، وردَّ : «أقولُ لك لا وقت عندي. سيِّدي اللورد آشفرد لا يحتاج إلى أمثالها. خُذها إلى البلدة وقد يَنقُدك هنلي قطعةً فضِّيَّةً أو ثلاثًا»، وبمنتهى السُّرعة دارَ لينصرف.

قبـل أن يُغـادِر الرَّجـل قـال دنـك: «أشكـرك يـا سِـيدي. سِـيدي، هـل جـاءَ الملـك؟».

ضحـكَ منـه قيِّـم الخيـول، وقـال: «لا والشُّكـر للآلهـة. اجتيـاح الأمـراء هـذا بلـوى بمـا فيـه الكفايـة. أيـن أجـدُ مَرابـط لهـذه الحيوانـات كلِّهـا؟ وعلفًـا؟»، وابتعـدَ بخُطـواتٍ واسـعة زاعقًـا في صِبيانـه.

لـدى مغـادرة دنـك الإسـطبلات، كان اللـوْرد آشـفرد قـد اصطحـبَ ضيوفـه الأمـراء إلى القاعـة، لكـن اثنيْـن مـن فُرسـان الحـرس المـلكي



بدرعيْهمـا البيضاويْـن ومعطفيْهمـا الثَّلجيَّيْـن مكثـا في السَّـاحة يُكلِّمـان قائـد الحـرس. توقَّـف دنـك أمامهمـا قـائلًا: «سِـيداي، أنـا السـيْر دنكـن الطَّويـل».

ردَّ أكبر الفارسيْن الأبيضيْن حجمًا: «لقاءٌ سعيد يا سيْر دنكن. أنا السيْر رؤلند كريْكهوْل، وهذا أخي المحلَّف السيْر دؤنل ابن (وادي الغسق)».

أبطال الحرس الملكي السَّبعة أعتى مُحاربين في (الممالك السَّبع) بأسرها، ربَّما باستثناء وليّ العهد، بيْلوْر كاسر الحراب ذاته. بقلقٍ سألَهما دنك: «هل جئتَما لدخول مضمار النِّزال؟».

أجابَه السيْر دؤنل أحمر الشَّعر واللِّحية: «لا يليق بنا أن نركب ضد مَن أقسمنا على حمايتهم».

وشرحَ السيْر رؤلند: «الأمير ڤالر يتشرَّف بأنه أحد أنصار الليْدي آشفرد، واثنان من أبناء عمومته ينويان التَّحدِّي. بقيَّتنا جاؤوا للمشاهدة فحسب».

متنفِّسًا الصُّعداء، شكرَ دنك الفارسيْن الأبيضيْن على لُطفهما، وركبَ خارجًا من بوَّابة القلعة قبل أن يُفكِّر أميرٌ آخَر في مبادرته بكلمةٍ خشنة. تأمَّل في سريرته وهو يُوجِّه الرَّهوانة نحو شوارع بلدة (آشفرد): *ثلاثة أمراء صغار*. ڤالر أكبر أبناء الأمير بيْلوْر، والثَّاني في تسلسُل وراثة العرش الحديدي، لكن دنك يجهل كم ورثَ من بأس أبيه الأسطوري بالرُّمح والسَّيف، أمَّا أميرا آل تارجاريَن الآخَران فمعرفته بهما أقل. *ماذا أفعلُ إذا اضطررتُ إلى الرُّكوب ضد أمير؟ هل سيُسمَح لي أصلًا بتحدِّي شخص شريف النَّسب كهذا*؟ لا يعرف الجواب. لطالما قال العجوز إنَّه غليظ العقل كسور قلعة، والآن تحديدًا يَشعُر أنه كذلك حقًّا.

***

أعجبَ هنلي شكلُ سويتفُت كفايةً حتى سمعَ أنَّ دنك يُريد بيعها، وعندئذٍ لم يَعُد يرى فيها إلَّا عيوبًا. عرضَ السَّائس ثلاثمئة قطعةٍ من الفضَّة، فقال دنك إنه يجب أن يدفع ثلاثة آلاف، وبعد كثيرٍ من الجدل والتَّلاسُن استقرَّا على سبعمئةٍ وخمسين أيَّلًا فضِّيًّا، أقرب كثيرًا إلى سعر هنلي المبدئي من سعر دنك، وهو ما أشعرَه أنه الخاسر في هذا النِّزال، لكن السَّائس أبى تمامًا أن يرفع السِّعر، وفي النِّهاية لم يملك دنك خيارًا إلَّا الإذعان. ثم بدأت مشادَّة ثانية لمَّا صرَّح دنك أنَّ السِّعر لا يشمل السَّرج، في حين أصرَّ هنلي أنه يشمله.

أخيرًا سُوِّيَ كلُّ شيء، وإذ ذهبَ هنلي ليُحضِر ماله ملَّس دنك على عُرف سويتفُت وقال لها أن تتشجَّع. «إذا فزتُ فسأرجعُ وأشتريكِ مجدَّدًا، أعدُكِ». لا شكَّ لديه أنَّ عيوب الرَّهوانة جميعًا ستختفي خلال الأيَّام الفاصلة بين البيعتيْن، وسيتضاعَف ثمنها عنه اليوم.

أعطاه السَّائس ثلاث قطع ذهبيَّة والباقي فضَّةً. عضَّ دنك على واحدةٍ من العُملات الذَّهبيَّة ثم ابتسمَ؛ إنه لم يَذُق الذَّهب من قبل قَطُّ، ولا تعاملَ به. يُسمِّي النَّاس هذه العُملات «تنانين»، بما أنَّ أحد وجهيْها مدموغٌ بتنِّين عائلة تارجاريَن ثُلاثي الرُّؤوس، فيما يحمل الوجه الآخَر صورة الملك. على اثنتيْن من العُملات التي أعطاها له هنلي وجه الملك ديْرِون، أمَّا الثَّالثة فأقدم، وبالية، وعليها رجلٌ مختلف اسمه مكتوب تحت رأسه، غير أنَّ دنك لم يستطِع قراءة الحروف. رأى أيضًا أنَّ شيئًا من الذَّهب

مبـرود عنـد الحافـات، فلفـتَ نظـر هنـلي إلى هـذا، وبصـوتٍ عـالٍ. زمجـرَ السَّـائس، لكنـه ناولَـه بـضع قـطع فضِّيَّـة أخـرى، وأضـافَ مـلءَ قبضـةٍ مـن العُـملات النُّحـاس، ليُعيـدَ إليـه دنـك بعضًـا مـن هـذه ويُشـير برأسـه إلى سـويتفُت قـائلًا: «مـن أجلهـا. احـرص أن تـأكل شـوفانًا اللَّيلـة. أجـل، وتُفَّاحـةً أيضًـا».

معلِّقًـا التُّـرس عـلى ذراعـه ومدلِّيًـا جـوال الـدِّرع القديمـة مـن فـوق كتفـه، بـدأ دنـك يقـطع شـوارع بلـدة (آشـفرد) المشمسـة سيرًا. بـثَّ فيـه ثقـل هـذه العُـملات كلِّهـا في جرابـه إحساسًـا عجيبًـا، أقـرب مـن ناحيـةٍ إلى توهـانٍ مثيـر ومـن أخـرى إلى التَّوتُّـر. العجـوز لـم يأتمِنـه قَـطُّ عـلى أكثـر مـن عُملـةٍ أو اثنتيْـن في المـرَّة، والآن باسـتطاعته أن يعيـش بهـذا المبـلغ الكبيـر عامًـا. *ومـاذا أفعـلُ حينمـا ينفـد؟ أبيـعُ ثنـدر؟* ذلـك الطَّريـق ينتـهي بالشِّـحاذة أو الإجـرام. *هـذه الفُرصـة لـن تتكـرَّر أبـدًا. لا بُـدَّ أن أخاطـر بكـلِّ شيء.*

وقـت أن عبـرَ المخاضـة إلى ضفَّـة (مجـرى الصَّـدف) الجنوبيَّـة، كان الصَّبـاح في أواخـره وأرض المباريـات دبَّـت فيهـا الحيـاة مـن جديـد؛ يعمـل باعـة الخمـور وطبَّاخـو السُّـجق بنشـاطٍ في تجارتهـم، ويجـرُّ دبٌّ راقـص قدميْـه عـلى أنغـام صاحبـه فيمـا يُغنِّي مغـنٍّ «الـدُّب، الـدُّب، والفتـاة الحسـناء»، ويحـوي الحُـواة، فيمـا يـضع محرِّكـو الـدُّمى أوزار قتـالٍ آخَـر.

توقَّـف دنـك ليُشـاهِد التِّنيـن الخشبيَّ يُقتَـل. عندمـا قـطعَ الفـارس الدُّميـة رأسـه وانسكبَـت نُشـارة الخشـب الحمـراء عـلى العُشـب، أطلـقَ دنـك ضحكـةً عاليـةً وألـقى إلى الفتـاة بقطعتيْـن نُحاسـيَّتيْن مناديًـا: «إحداهمـا لأجـل ليلـة أمـس»، فالتقَطَـت العُملتيْـن في

الهـواء وألقَـت إليـه بابتسـامةٍ مـن أعـذب مـا رأى.

ـ *ألي تبتسـم أم للنُّقـود*؟ لـم يُعاشِـر دنـك فتـاةً قَـطُّ، والفتيـات يُثِـرن اضطرابـه. في مرَّةٍ قبـل ثلاث سـنوات، وقـد امتلأ كيـس نقـود العجـوز بعـد نصـف عـام في خدمـة اللوْرد فلوْرنـت الكفيـف، قـال لدنـك إنَّ الوقـت حـانَ ليأخـذه إلى ماخـورٍ ويجعـل منـه رجلًا. علـى أنَّ العجـوز قـال ذلـك وهـو سكـران، ولمَّـا أفـاقَ لـم يتذكَّـر، وحـالَ خجـل دنـك البـالغ دون أن يُذكِّـره. ليـس متأكِّـدًا أنـه يُريـد عاهـرةً عـلى كلِّ حـال. مـا دامَ لا يُمكنـه أن يحـظى بعـذراء ذات حسـبٍ ونسـبٍ كَفـارسٍ حقيـقي، فعلى الأقـل يُريـد واحـدةً يُعجِبهـا مـا هـوَ أكثـرُ مـن فضَّتـه.

فيمـا اغترفَـت فتـاة الـدُّمى نُشـارة الـدَّم داخـل تنِّينهـا، قـال لهـا: «هـل تشـربين قرنًـا مـن المـزر؟ أعـني مـعي؟ أو سُـجقَّةً؟ أكلـتُ واحـدةً البارحـة، كانـت طيِّبـةً. يصنعونـه مـن لحـم الخنزيـر عـلى مـا أظـنُّ».

ردَّت الفتـاة: «أشكـرك يـا سِيدي، لكـن عندنـا عرضًـا آخَـرٍ»، ثـم نهضَـت وجـرَت إلى المـرأة الدوْرنيَّـة البدينـة الشَّرسـة الـتي تتحكَّـم في الفـارس الدُّميـة، فيمـا وقـفَ هـو في مكانـه شـاعرًا بالحماقـة، وإن طابَـت لـه طريقـة جريهـا. *فتـاةٌ جميلـة، وطويلـة. ليـس علـيَّ أن أركع لأقبِّلها*. يعـرف دنـك كيـف يُقبِّـل. قبـل عـام في (لانسپوْرت) أرَتـه عاملـة حانـةٍ ذات ليلـة، لكنهـا كانـت قصيـرةً إلى درجـة أنهـا جلسَـت عـلى المائـدة لتَبلُغ شـفتيْه. ألهبَـت الذِّكـرى أذنيْـه. يـا لـه مـن أحمـق كبيـر. النِّـزال مـا عليـه أن يُفكِّـر فيـه لا القُبـل.

كان نجّارو اللوْرد آشفرد يستخدمون الجير لطلاء الحواجز الخشبيَّة التي ستفصل بين المتثاقفين مرتفعةً حتى الخصر، وشاهدَهم دنك يعملون فترةً. خمس مساراتٍ مصفوفة من الشَّمال إلى الجنوب لكيلا يركب أحد المتنافسين والشَّمس في عينيْه، وقد نُصبَت مدرَّجات من ثلاثة صفوفٍ على جانب المضمار الشَّرقي، وزُوِّدَت بظُلَّةٍ برتقاليَّة لوقاية اللوْردات والليْديهات من المطر والشَّمس. سيجلس معظم المتفرِّجين على دِكك، ولكن في منتصف المدرَّجات أربعة مقاعد عاليةَ الظَّهر منصوبة من أجل اللوْرد آشفرد والعذراء الجميلة والأمراء الزَّائرين.

عند تُخم المرج الغربي أقيمَ طاووسٌ راحَت دستة من الفُرسان تتدرَّب عليه؛ يضرب كلٌّ منهم الذِّراع القائمة لتدور حول محورها كلَّما أصابَ التُّرس المتشظِّي المثبَّت إلى طرفها. شاهدَ دنك غاشم براكن يأخذ دوره، ثم اللوْرد كارون سيِّد (التُّخوم)، وبقلقٍ فكَّر: *لا أجيدُ الرُّكوب كما يُجيده أيٌّ منهم.* في أماكن أخرى يتدرَّب الرِّجال على أقدامهم، يكرُّ بعضهم على بعضٍ بسيوفٍ خشبيَّة،





فيما يقف مُرافقوهم هاتفين بإرشاداتٍ بذيئة. شاهدَ دنك شابًّا قصيرًا عريضًا يُحاوِل صدَّ فارسٍ قويِّ العضلات يبدو رشيقًا سريعًا كقطٍّ جبلي، وقد رُسِمَت على كلٍّ من تُرسَيْهما تُفَّاحة آل فوْسوِاي الحمراء، ولكن سرعان ما حُطِّمَ تُرس الرَّجل الأصغر

وصارَ شظايا. «ها هي ذي تُفَّاحة لم تَنضُج بعدُ». قالها الأكبر إذ هوى بضربةٍ على خوذة الآخَر، ولمَّا استسلمَ ولد فوسوايِ الأصغر أخيرًا كان مكدومًا داميًا، أمَّا خصمه فبالكاد اضطربَت أنفاسه. رفعَ الأكبر مقدِّمة خوذته ونظرَ حوله، وإذ رأى دنك خاطبَه: «أنت هناك. نعم، أنت، الكبير. فارس الكأس المجنَّحة. أهذا الذي تحمله سيفٌ طويل؟».

قال دنك بنبرةٍ دفاعيَّة: «ملكيَّته تحقٌّ لي. أنا السير دنكن الطَّويل».

- «وأنا السير ستفون فوسوايِ. أتودُّ أن تُجرِّبني أيُّها السير دنكن الطَّويل؟ سيروقني أن أجد أحدًا جديدًا أقارعه. ابن عمومتي لم يَنضُج بعدُ كما رأيت».

حثَّه ولد فوسوايِ المهزوم وهو يخلع خوذته: «افعلها أيُّها السير دنكن. ربَّما لم أنضج، لكن ابن عمومتي الكريم متعفِّن حتى اللُّب. اضربه حتى تُفرِغه من البذور».

هزَّ دنك رأسه. لماذا يُورِّطه هذان اللوردان الصَّغيران في عراكهما؟ لا يُريد أن يكونَ طرفًا فيه. «أشكرك أيُّها السير، لكن عندي مشاغل عليَّ أن أتولَّاها». يُزعِجه أن يحملَ هذا المبلغ الكبير، وكلَّما عجَّل بنقد بيت الفولاذي ماله وحصلَ على درعه صارَ أسعد.

رمقَه السير ستفون بسخرية، وقال: «الفارس الجوَّال عنده مشاغل»، ثم نظرَ حوله حتى وجدَ خصمًا جديرًا آخَر يتسكَّع على مقربة، فناداه: «سير جرانس، لقاءٌ سعيد. تعالَ وجرِّبني. إنني أعرفُ كلَّ حيلةٍ واهنة أتقنَها رِايمن ابن عمومتي، ويبدو

أنَّ على السيْر دنكن أن يرجع إلى التَّجوال بين الأسوجة. هلمَّ، هلمَّ».

ابتعدَ دنك بخُطوات متيبِّسة ووجهٍ محتقن. عن نفسه، لا يعرف حيلًا كثيرةً ـ واهنةً أو غيرها ـ ولا يُريد أن يراه أحدٌ يُقاتِل قبل بدء الدَّورة. دائمًا قال العجوز إنه كلَّما زدت معرفةً بخصمك باتَ تفوُّقك عليه أسهل. الفُرسان من أمثال السيْر ستفوْن يتمتَّعون بأعيُنٍ ثاقبة يَرصُدون بها نقطة ضعف المرء بمجرَّد النَّظر. دنك قويٌّ وسريع، ووزنه ونطاقه يصبَّان في صالحه، لكنه لا يعتقد ولو لحظةً أنَّ مهاراته تُكافئ هؤلاء الآخَرين. لقد علَّمه السيْر آرلان قدر ما أمكنَه، إلَّا أنَّ العجوز لم يكن أعظم الفُرسان، حتى في شبابه. الفُرسان العظام لا يقضون حياتهم في التَّجوال ولا يموتون على جانب طريقٍ موحل. تعهَّد دنك لنفسه: *لن يَحدُث ذلك لي. سأريهم أني أستطيعُ أن أكون أكثر من فارسٍ جوَّال.*

ـ «سيْر دنكن». هرعَ ولد فوْسوِاي الأصغر ليلحق به. «لم يَجدُر بي أن أحثَّك على مواجهة ابن عمومتي. كنتُ غاضبًا من غطرسته، وأنت كبير جدًّا، فخطرَ لي... على كلِّ حال، لقد أخطأتُ. إنك لا ترتدي درعًا، ولكسرَ لك يدًا لو أرادَ، أو رُكبةً. إنه يحبُّ كيل الضَّربات للرِّجال في ساحة التَّدريب ليُصيِّرهم مرضوضين خائري القُوى لاحقًا، تحسُّبًا للقائهم في المضمار».

ـ «إنه لم يكسرك».

ـ «نعم، لكنِّي من دمه، ولو أنَّ فرعه من شجرة التُّفَّاح أعلى، وهو ما لا يكفُّ عن تذكيري به أبدًا. أنا رِايمن فوْسوِاي».

ـ «لقاءٌ سعيد. هل ستركب أنت وابن عمومتك خلال

الـدَّورة؟».

ـ «هـو سيفعل بالتَّأكيـد، أمَّـا أنـا فليتـني أقـدرُ. إنـني مجـرَّد مُرافـق حـتى الآن. ابـن عمومـتي وعـدَ بتقليـدي الفروسـيَّة، لكنـه مصـرٌّ أني لـم أنـضج بعـدُ». لرايمـن وجـهٌ مربَّـع وأنـف أفطـس وشـعر قصيـر ملبَّـد كالصُّـوف، لكـن ابتسـامته جذابـة. «يبـدو لي أنَّ لـك مظهـر مُبـارٍ. تُـرس مَـن تنـوي أن تضـرب؟».

أجـابَ دنـك: «لا فـرق». هـذا هـو المفـروض أن يُقـال، ولـو أنَّ الفـرق في الحقيقـة شـاسع. «لـن أدخـل المضمـار حـتى اليـوم الثَّالـث».

قـال رايمـن: «وحينئـذٍ سيكون بعـض الأبطـال قـد سـقطَ. حسـن، عـسى أن يبتسـم لـك **المُحـارب** أيُّهـا السِّر».

ـ «ولـك». *لـو أنـه مجـرَّد مُرافـق فـأنَّى لي أن أكـون فارسًـا؟ أحدنـا أحمـق.* مع كلِّ خُطـوةٍ أخذَهـا رنَّـت الفضَّـة في كيـس نقـوده، وإن أدركَ أنـه قـد يخسـرها كلَّهـا في غمضـة عيـن. حـتى قواعـد هـذه الـدَّورة ليسـت في صالحـه، إذ تجعـل مواجهتـه خصمًـا أخضـر أو ضعيفًـا مسـتبعدةً للغايـة.

الأشكال الـتي يُمكـن أن تتَّخذهـا دورة مباريـاتٍ عديـدةٌ، وتتوقَّـف عـلى هـوى الـلورد الـذي يسـتضيفها. بعضهـا معـارك صوريَّـة بيـن فِـرق مـن الفُرسـان، وأخـرى التحامـات جماعيَّـة جامحـة يظفـر فيهـا بالشَّـرف آخِـر مُقاتـلٍ واقـف عـلى قدميْـه، وحيـث يُعمَـل بقاعـدة النِّزال الفـردي تُقـرَّر المزاوجـات بالاقتـراع أحيانًـا، وأحيانًـا يُقرِّرهـا قيِّـم المباريـات.

يُقيم اللوْرد آشفرد هذه الدَّورة احتفالًا بيوم ميلاد ابنته الثَّالث عشر. ستجلس العذراء الجميلة إلى جانب أبيها بصفتها ملكة الحُبِّ والجمال الحاكمة، وسيُدافع عنها خمسة أنصارٍ يضعون عطيَّتها على أذرُعهم، وبمقتضى هذا يجب أن يكون الآخَرون كلُّهم متحدِّين، لكن إذا غلبَ أيٌّ رجلٍ أحدًا الأنصار فسيأخذ مكانه ويُصبِح هو نفسه نصيرًا، إلى أن يتمكَّن متحدٍّ آخَر من إسقاطه عن حصانه. في نهاية ثلاثة أيَّام من المُثاقفة سيُقرِّر الخمسة المتبقُّون هل تحتفظ العذراء الجميلة بتاج الحُبِّ والجمال أم تعتمره واحدةٌ أخرى بدلًا منها.

حدَّق دنك إلى المضمار العُشبي والمقاعد الخالية فوق مدرَّجات المشاهدة، وتفكَّر في فُرصه. نصرٌ واحدٌ هو كلُّ ما يلزمه، وبعدها بإمكانه أن يُسمِّي نفسه واحدًا من أبطال (مرج آشفرد) ولو لساعةٍ واحدة. العجوز عاشَ قُرابة السِّتِّين عامًا ولم يُصبِح بطلًا قَطُّ. *ليس أملًا أكبر من أن يتحقَّق، إذا شاءَت الآلهة.* استعادَ في ذاكرته الأغاني التي سمعَها، أغانيَ عن سيموْن ذي العينيْن النَّجمتيْن، والنَّبيل سروِن صاحب التُّرس المرآة، والأمير إيْموْن الفارس التِّنِّين، والسيْر ريام ردواين، وفلوْريَن المهرِّج. كلُّهم انتصرَ على خصوم أفظع بكثير من أيِّ ممَّن سيُواجِه. *لكنهم كانوا أبطالًا عظامًا، رجالًا شُجعانًا نبيلي المولد، باستثناء فلوْريَن. وماذا أكونُ أنا؟ دنك ابن (سفح البراغيث) أم السيْر دنكن الطَّويل؟*

قدَّر أنه سيتبيَّن الحقيقة عمَّا قريب، ورفعَ جوال الدِّرع ووجَّه قدميْه ناحية أكشاك التُّجَّار سعيًا إلى بيْت الفولاذي.

***

عمـلَ إج باجتهـادٍ في مـوقع المخيَّـم، وهـو مـا سـرَّ دنـك الـذي خـشيَ إلى حـدٍّ مـا أن يَهـرُب مُرافقـه ثانيـةً. سـألَه الـغُلام: «هـل حصلـت عـلى ثمـنٍ وافٍ لقـاء رهوانتـك؟».

ـ «كيف عرفت أني بعتها؟».

ـ «ذهبـتَ ركوبًـا ورجعـتَ مشـيًا، ولـو سـرقَها لصـوصٌ لكنـت أشـدَّ غضبًـا».

قـال دنـك: «حصلـتُ عـلى مـا يكـفي لأشـتري هـذه»، وأخـرجَ درعـه الجديـدة ليُـري الـغُلام. «إذا كنـت سـتُصبِح فارسًـا يومًـا فعليـك أن تُميِّـز الفـولاذ الجيِّـد مـن الـرَّديء. انظُـر هنـا، إنـه عمـلٌ متقـن. هـذه الحلقـات مزدوجـة السِّلسـلة، كلُّ حلقـةٍ مربوطـة باثنتيْـن أخريَيْـن، أتـرى؟ تُـزوِّدك بحمايـةٍ أفضـل مـن السَّلاسـل المفـردة. والخـوذة، پيْـت دوَّر قمَّتهـا. أتـرى كيـف تتحـدَّب؟ السيـف أو الفأس ينزلقـان عليهـا، في حيـن أنهمـا يخترقـان الخُـوذ مسـطَّحة القمَّـة». ثـم أنـزلَ دنـك الخـوذة العظيمـة عـلى رأسـه سـائلًا: «كيـف تبـدو؟».

علَّق إج: «لا تُوجَد مقدِّمة».

ـ «بهـا فتحـات تهويـة. مقدِّمـات الخُـوذ نقـاط ضعـف». هكـذا قـال پيْـت الفـولاذي، وأخبـرَ دنـك: «لـو علمـت كـم فارسًـا انغـرزَ في عينـه سـهمٌ حيـن رفعَ مقدِّمـة خوذتـه لأجـل عبَّـةٍ مـن الهـواء البـارد لمـا أردت واحـدةً أبـدًا».

قال إج: «لا تُوجَد ريشةٌ كذلك. إنها بلا أيِّ زينة».

رفعَ دنـك الخـوذة قـائلًا: «لا بـأس بغيـاب الزِّينـة عنـد أمثـالي. أتـرى كيـف يلـمع الفـولاذ؟ مهمَّتـك أن تُحافِـظ عليـه. هـل تعـرف



كيـف تجلـو المعـدن؟».

قـال الـغُلام: «في برميـلٍ مـن الرَّمـل، لكنـك لا تملـك برميلًا. هـل اشـتريت سُـرادقًا أيضًـا أيُّهَـا السـيِّر؟».

ـ «لـم أحصـل علـى ثمـنٍ وافٍ إلى تلـك الدَّرجـة». *جـرأة الـغُلام هـذه كفيلـة بإيقاعـه فـي متاعـب. جديـرٌ بـي أن أضربـه حتـى ينبذهـا.* لكنـه علـمَ أنـه لـن يفعـل. تُعجِبـه هـذه الجـرأة، ويلزمـه أن يكـون أجـرأ عـن نفسـه. *مُرافقـي أشـجع منـي، وأذكـى.* أخبـرَه دنـك: «أبليـت بلاءً حسـنًا هنـا يـا إج. غـدًا سـتأتي مـعـي. ألـقِ نظـرةً عـلـى أرض المباريـات. سـنبتاع شـوفانًا للحصانيْـن وخُبـزًا طازجًـا لنـا، وربَّمـا قلـيلًا مـن الجُبنـة أيضًـا. يبيعـون جُبنـةً طيِّبـةً فـي أحـد الأكشـاك».

- «لن أضطرَّ إلى دخول القلعة، أليس كذلك؟».

- «ولِمَ لا؟ يومًا ما أنوي أن أعيش في قلعة. آملُ أن أظفر بموضعٍ أعلى الملح[٦] قبل خاتمتي».

لم يردَّ الغُلام، ففكَّر دنك: *لعلَّه يخاف دخول قاعة لورد. ليس ذلك أكثر من المتوقَّع. سيتخلَّص من خوفه هذا مع الوقت*، ثم عادَ يتطلَّع إلى درعه معجبًا ويتساءَل كم من الزَّمن سيرتديها.

***

السِّير مانفرِد رجلٌ نحيل، على وجهه نظرةٌ شكِسة، ويرتدي معطفًا أسود مشرَّطًا ببرق عائلة دُنداريوِن الأرجواني، لكن دنك كان سيَذكُره على كلِّ حالٍ من شعره الذَّهبي الأحمر الشَّعث. قال دنك وهو راكعٌ على رُكبةٍ واحدة: «السِّير آرلان خدمَ السيِّد والدك عندما دحرَ هو واللورد كارون الملك النَّسر من (الجبال الحمراء) بالنَّار. كنتُ غُلامًا لا أكثر آنذاك، لكنني عملتُ عنده مُرافقًا، السِّير آرلان ابن (شجرة البنسات)».

عبسَ السِّير مانفرِد، وردَّ: «لا، لا أعرفه، ولا أعرفك يا ولد».

أراه دنك تُرس العجوز قائلًا: «هذا رمزه، الكأس المجنَّحة».

- «السيِّد والدي دخلَ الجبال بثمانمئة فارس ونحو أربعة آلاف من المُشاة. لا يُمكن أن يتوقَّع مني أحدٌ أن أذكرهم واحدًا واحدًا، أو أذكر التِّراس التي حملوها. ربَّما كنتما معنا،

٦- أعلى الملح وأسفله: في العصور الوُسطى في أوروبا عُدَّ الملح تابلًا نفيسًا، وعادةً وُضعَ في منتصف المائدة، وعليه فمَن يجلسون أعلى الملح -أي في اتِّجاه رأس المائدة- أرفع مقامًا ممَّن يجلسون أسفله. (المُترجم).

ولكــن...»، وهــزَّ السـِر مانفـرِد كتفيْـه.

أصابَ الخرس دنـك وهلةً. *العجـوز جُـرِحَ في خدمة أبيك. كيـف* نسيته؟ «لـن يسمحوا لي بخوض المباريـات ما لـم يكفلني فارسٌ أو لوْرد».

قـال السـِر مانفـرِد: «وفيـمَ يعنيـني ذلـك؟ لقـد منحتـك ما يكـفي مـن وقـتي أيُّهـا السـِر».

إذا عـادَ إلى القلعـة مـن غيـر السـِر مانفـرِد فهـو ضـائع. رمـقَ دنـك البـرق الأرجـوانيَّ المطـرَّز عـلى صـوف معطـف الرَّجـل الأسـود، وقـال: «أذكـرُ حيـن حكـى والـدك للمعسكـر قصَّـة حصـول عائلتـك عـلى رمزهـا. ذات ليلـة عاصفـة، فيمـا حملَ سلفكم الأوَّل رسـالةً عبر (التُّخـوم الدوْرنيَّـة)، أردى سـهمٌ حصانـه مـن تحتـه وطرحَـه أرضًـا، وخـرجَ رجلان دوْرنيَّـان مـن الـظَّلام مرتديَيْـن الحلقـات المعدنيَّـة ومعتمريْـن خوذتيْـن مريَّشـتيْن. عندمـا سـقطَ انكسـرَ سـيفه تحتـه، ولمَّـا رأى المشـهد حسـبَ أنـه هالـك، ولكـن بينمـا دنـا الدوْرنيَّـان ليفتـكا بـه، طقطـقَ البـرق مـن السَّـماء. كان برقًـا أرجوانيًّـا سـاطعًا، وانشـقَّ ليصعـق الدوْرنيَّيْـن في فولاذهمـا ويَقتُلهمـا حيـث وقفـا. الرِّسـالة أعطَـت ملـك العواصـف النَّصـر عـلى الدوْرنيِّيـن، وإعرابًـا عـن شُكـره رفعَ الرَّسـول إلى اللوْرديَّـة. كان أوَّل لوْرد دُنـداريوْن، فاتَّخـذ رمـزًا لـه صاعقـة بـرقٍ متشـعِّبةً عـلى خلفيَّـةٍ سـوداء منثـورةً فيهـا النُّجـوم».

إن خـالَ دنـك أنَّ الحكايـةٍ سـتُؤثِّر في السـِر مانفـرِد فقـد أخطـأ تمامًـا، إذ قـال الرَّجـل: «كلُّ سـاقٍ في حانـة وسـائس في إسـطبل خـدمَ والـدي يسـمع تلـك القصَّـة عـاجلًا أو آجلًا. معرفتـك بهـا لا

تجعلـك فارسًـا. ارحـل أيُّهـا السـِّر».

***

بقلـبٍ مثقـل عـادَ دنـك إلى (قلعـة آشـفرد) متسـائلًا مـاذا يقـول ليمنحـهُ يلمَـر حـقَّ خـوض المباريـات. عـلى أنـه لـم يجـد الوكِيـل في غُرفـة بُريجـه، وأخبـرَ حـارسٌ دنـك أنـه قـد يجـده في القاعـة الكُبـرى، فسـألَه: «هـل أنتظـرُ هنـا؟ كـم سـيغيب؟».

ـ «وما أدراني؟ افعل ما تُريد».

القاعـة الكُبـرى ليسـت كُبـرى حقًّـا مقارنـةً بغيرهـا، لكـن (آشـفرد) قلعـة صغيـرة. دخـلَ دنـك مـن بـابٍ جانبـي ولـمحَ الوكيـل في الحـال، واقفًـا مع الـلورد آشـفرد ودسـتةٍ رجـالٍ آخَريـن عنـد رأس القاعـة، فتقـدَّم إليهـم أسـفل جـدارٍ معلَّقـة عليـه طنافـس مـن الصُّـوف تُصـوِّر فواكـه وأزهـارًا.

ـ «... مزيـدًا مـن الاهتمـام لـو أنهمـا ابنـاك أنـت، أراهـنُ». كان رجـلٌ غاضـب يقولهـا فيمـا أقبـلَ دنـك، لـون شـعره المفـرود ولحيتـه المربَّعـة باهـتٌ إلى درجـة أنـه بـدا أبيـض في عتمـة القاعـة، ولكـن إذ اقتـربَ دنـك رأى أن اللَّـون في الحقيقـة فِضِّيٌّ شـاحب بـه مسـحةٌ مـن الذَّهبـي.

ردَّ آخَـر: «سـبقَ أن فعـلَ ديـرون هـذا». حجبَـت وقفة يلمَـر المتكلِّم عـن بصـر دنـك. «لـم يجـب قَـطُّ أن تأمـره بخـوض المباريـات. إنَّ مكانـه ليـس مضمـار مُثاقفـةٍ أكثـر مـن إيـرس أو ريجـل».

قـال الرَّجـل الأوَّل: «وهـو مـا تعـني بـه أنـه يُؤثِـر ركـوب العاهـرات عـلى الخيـول». الأميـر ـ مؤكِّـد أنـه أميـر ـ غليـظ البنيـان قـويٌّ،

يرتـدي قميصًـا جلديًـا مـزرودًا تُغطِّيـه رصـائع فضِّيَّـة تحـت معطـفٍ ثقيـل مـوشًّى بفـرو القاقـوم، وتسِـم وجنتيْـه نـدوب الجُـدري الـتي تُخفيهـا جزئيًـا لحيتـه المائلـة إلى الفـضِّي. «لا يلزمـني أن أذكِّـر بإخفاقـات ابـني يـا أخي. إنَّ عنـده ثمانيـة عشر عامًـا لا أكثـر. يُمكنـه أن يتغيَّـر، بـل سـيتغيَّر حتمًـا واللَّعنـة عـلى الآلهـة، وإلَّا فأقسـمُ أن يمـوت لا محالـة».

ـ «لا تكـنِ أحمـق خالصًـا. إنهـا طبيعـة ديْـروْن، لكنه مـا زالَ دمك ودمي. لا شـكَّ لـديَّ أنَّ السـيْر روْلنـد سـيَعثُر عليه، ومعـه إيْجوْن».

ـ «بعد أن تنتهي الدَّورة ربَّما».

ـ «إيْـريوْن هنـا. إنـه أبـرع بالـرُّمح مـن ديْـروْن عـلى كلِّ حـال، لو أنَّ الـدَّورة مـا يهمُّـك». الآن يـرى دنـك المتكلِّـم الجالـس عـلى المقعـد العـالي، في يـده رزمـةٌ مـن الرُّقـوق وعنـد كتفـه يحـوم اللوْرد آشـفرد. حـتى وهـو جالـسٌ يبـدو أطـول مقـدار رأسٍ مـن الآخَـر، حسـبما قـدَّر دنـك مـن السَّـاقيْن الطَّويلتيْـن المسـتقيمتيْن الممدودتيْـن أمامـه. شـعره القصيـر المشـذَّب داكـنٌ ومرقَّـط بالرَّمـادي، وفكُّـه القـويُّ حليـق، ويبـدو أنفـه كأنَّمـا كُسِـرَ أكثـر مـن مـرَّة، ومع أنَّ ملبسـه في غايـة البسـاطة ـ دبليَّـة خضـراء وشـملة بنِّيَّـة وحـذاء متـآكل ـ فـإن للرَّجـل ثـقلًا، سـمتًا مـن السُّـلطة واليقيـن.

خطـرَ لدنـك أنـه دخـلَ عـلى شيءٍ لـم يجـب أن يسـمعه إطلاقًـا. قـرَّر محدِّثًـا نفسـه: *الأفضـل أن أذهـب وأرجع لاحقًـا عندمـا يَفرُغـون*، لكـن الأوان فـاتَ، ففجـأةً لحظَـه الأميـر ذو اللِّحيـة المائلـة إلى الفـضِّي، وبخشـونةٍ سـألَه: «مَـن أنـت ومـا غرضـك مـن اقتحامـك الـمكان علينـا؟».

ـ «إنه الفارس الذي ينتظره وكيلنا الكريم». قالها الجالس مبتسمًا لدنك بطريقة أوحَت أنه يعي وجوده من البداية. «أنا وأنت الدَّخيلان هنا يا أخي. اقترب أيُّها السيْر».

تقدَّم دنك ببُطء حائرًا في ما هو متوقَّع منه. نظرَ إلى پلمَر، لكنه لم ينَل منه عونًا، فالوكيل ذو الوجه الممصوص الذي كان شديد البأس أمس يقف الآن صامتًا يتفحَّص أحجار الأرضيَّة. قال دنك: «أيُّها السَّادة، لقد سألتُ السيْر مانفرِد دُنداريوْن أن يكفلني كي أدخل مضمار النِّزال، لكنه يأبى. يقول إنه لا يعرفني. لكن السيْر آرلان خدمَه، أقسمُ لكم. إنَّ معي سيفه وتُرسه، وأنا...».

أعلنَ اللوْرد آشفرد، وهو رجلٌ كبير أصلع بوجهٍ أحمر مستدير: «التُّرس والسَّيف لا يصنعان فارسًا. پلمَر حدَّثني عنك. حتى إن سلَّمنا بأنهما كانا ملك السيْر آرلان ابن (شجرة البنسات)، فواردٌ جدًّا أنك وجدته ميتًا وسرقتهما. لو أنك لا تملك دليلًا أفضل على ما تقوله، شيء مكتوب أو...».

ـ «إنني أذكرُ السيْر آرلان ابن (شجرة البنسات)». قالها بهدوءٍ الرَّجل الجالس على المقعد العالي. «لم يَفُز قَطُّ بدورة مبارياتٍ على حدِّ علمي، لكنه لم يُخزِ نفسه قَطُّ. في (كينجز لاندنج) قبل ستَّة عشر عامًا غلبَ اللوْرد ستوْكوُرث ونغل (هارنهال) في الالتحام الجماعي، وقبل ذلك بأعوام عدَّة في (لانسپوْرت) أسقطَ الأسد الأشيب نفسه عن حصانه. آنذاك لم يكن الأسد أشيب كما هو الآن بطبيعة الحال».

قال دنك: «لقد حكى لي عن ذلك مرارًا».

تفرَّس فيه الرَّجل الطَّويل، وقال: «ستتذكَّر إذًا اسم الأسد

الأشيب الحقيقي لا ريب».

للحظةٍ فرغَ عقل دنك تمامًا. *ألف مرَّةٍ حكى العجوز تلك الحكاية، ألف مرَّة، الأسد، الأسد، اسمه، اسمه، اسمه*... وهو على وشك أن ييأس خطرَ الجواب على باله فجأةً، فصاحَ: «السِير ديْمن لانستر! الأسد الأشيب! إنه سيِّد (كاسترلي رُك) الآن».

قال الطَّويل ببشاشة: «إيْ نعم، وسيَدخُل المضمار غدًا»، وهزَّ رزمة الأوراق في يده.

سألَه الأمير ذو اللِّحية الفضِّيَّة مقطِّبًا جبينه: «كيف تَذكُر فارسًا جوَّالًا تافهًا تصادفَ أنه أسقطَ ديْمن لانستر عن حصانه قبل ستَّة عشر عامًا؟».

- «إنني أحرصُ على عادة تعلُّم كلِّ ما أستطيعُ عن خصومي».

- «ولِمَ تتنازَل وتُثاقِف فارسًا جوَّالًا؟».

- «حدثَ ذلك قبل تسعة أعوام في (ستوْرمز إند). اللوْرد باراثيوْن استضافَ مبارياتٍ قتاليَّةً احتفالًا بمولد حفيده. الاقتراع وضعَ السِير آرلان في مواجهتي في النِّزال الأوَّل. كسرنا أربعة رماحٍ قبل أن أُسقِطه أخيرًا».

بإصرارٍ قال دنك: «بل سبعة، وكان ذلك ضد أمير (دراجنستوْن)!»، وما إن خرجَت الكلمات من فمه حتى أرادَ استعادتها، وسمعَ العجوز يُوبِّخه: *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة.*

بابتسامةٍ لطيفة قال الأمير ذو الأنف المكسور: «صحيح.

الحكايـات تنمـو في الـحكي، أعـرفُ. لا تُـسئ الظَّـنَّ بسـيّدِك القديـم، لكنهـا أربعـة رمـاحٍ فقـط للأسـف».

شـعرَ دنـك بالامتنـان لعتمـة القاعـة عالمًـا أنَّ أذنيْـه احمرَّتـا. «سيِّدي». *لا، هذا أيضًا خطأ.* «سموَّ الأميـر». خرَّ علـى رُكبتيْـه وطأطأ رأسـه قـائلًا: «كمـا تقـول، أربعـة. لا أقصـدُ... إنـني لـم... العجوز، السيْر آرلان اعتـادَ أن يقـول إنـني غليـظ العقـل كسـور قلعةٍ وبليـد كثـورٍ بـرِّي».

علَّق بيْلوْر كاسِـر الحـراب: «وقـويٌّ كثـورٍ بـرِّي أيضًـا كمـا يـدلُّ مظهـرك. لـم يـقَع ضـررٌ أيُّهـا السيْر. انهـض».

قـامَ دنـك متسـائلًا هـل عليـه أن يظـلَّ مطأطئًـا رأسـه أم إنـه مسـموحٌ لـه بالنَّظـر إلى أميـرٍ في وجهـه. *إنـني أكلِّـمُ بيْلوْر تارجاريَـن، أميـر (دراجنستوْن)، يـد الملـك، والوريـث الظَّاهـر لعـرش إيْجوْن الفاتِح الحديـدي.* مـا الـذي قـد يجـرؤ فـارسٌ جـوَّال عـلى قولـه لشـخصٍ كهـذا؟ قـال دنـك متلعثمًـا: «لـلقد أعـدت إليـه حصانـه ودرعـه ولـم تأخـذ فديـةً، أذكـرُ هـذا. العجـ... السـيْر آرلان قـال لي إنـك روح الفروسـيَّة مجسَّـدةً، ويومًـا مـا سـتأمن (الممالـك السَّـبع) بيـن يديْـك».

ردَّ الأمير بيْلوْر: «أدعو ألَّا يَحدُث ذلك قبل سنواتٍ كُثار».

مذعـورًا قـال دنـك: «لا»، وكادَ يقـول: *لا أعـني أن يمـوت الملـك،* لكنـه منعَ نفسه في الوقـت المناسـب. «آسـفٌ يـا سِـيدي. أقصـدُ يـا سـموَّ الأميـر».

متأخِـرًا تذكَّـر أنَّ القصيـر العريـض صاحـب اللِّحيـة الفضِّيَّـة دعـا

الأمير بيلور بأخيه. *هو أيضًا من دم التنين. يا ليَّ من أحمق.* لا يُمكن أن يكون هذا غير الأمير ميكار، أصغر أبناء الملك ديرون الأربعة. الأمير إيرس مولعٌ بالكتب، والأمير ريجل مجنونٌ وخانع وسقيم، ولا يُرجَّح أن يقطع أيُّهما نصف البلاد ليحضر دورة مباريات، أمَّا ميكار فيُقال إنه مُحارب مهيب في حدِّ ذاته، ولو أنه قابعٌ دومًا في ظلِّ أخيه الأكبر.

قال الأمير بيلور: «ترغب في دخول المضمار، أليس كذلك؟ ذلك القرار من اختصاص قيِّم المباريات، لكنني لا أرى سببًا لرفضك».

حنى الوكيل رأسه قائلًا: «كما تقول يا سيِّدي».

حاولَ دنك أن يتلعثم بشُكرانه، إلَّا أنَّ الأمير ميكار قاطعَه: «ليكن أيُّها السير، أنت ممتنٌّ، والآن ارحل».

قال الأمير بيلور: «عليك أن تُسامِح أخي النَّبيل أيُّها السير. لقد ضلَّ اثنان من أبنائه الطَّريق إلى هنا، ويخشى عليهما».

قال دنك: «أمطار الرَّبيع أطفحَت كثيرًا من المجاري المائيَّة. ربَّما تعطَّل الأميران فحسب».

أعلنَ الأمير ميكار لأخيه: «لم أحضر هنا لأستشير فارسًا جوَّالًا».

ـ «يُمكنك الانصراف أيُّها السير». قالها الأمير بيلور لدنك، وليس دونما لُطف.

قال دنك: «نعم يا سيِّدي»، وانحنى ودارَ.

ولكن قبل أن يَخرُج ناداه الأمير: «أيُّها السِيْر، شيء آخَر، أنت لست من دم السِيْر آرلان؟».

ـ «بلى يا سِيدي. أعني نعم، لستُ من دمه».

أشارَ الأمير برأسه إلى التُّرس المشقَّق الذي يحمله دنك والكأس المجنَّحة على وجهه، وقال: «بحُكم القانون، يحقُّ للابن الشَّرعي فقط أن يرث رمز فارس. عليك أن تجد شعارًا جديدًا أيُّها السِيْر، صورةً تخصُّك».

قال دنك: «سأفعلُ. شُكرًا ثانيةً يا سموَّ الأمير. سأقاتلُ بشجاعة، سترى». *بشجاعةِ كبيلوُر كاسِر الحراب*، كما اعتادَ العجوز أن يُردِّد.



***

زاولَ باعة الخمور وطبَّاخو السُّجق تجارتهم بنشاط، وجالَت العاهرات دون حياءٍ بين الأكشاك والسُّرادقات، بعضهن على قدرٍ كافٍ من الجمال، واحدةٌ حمراء الشَّعر على وجه التَّحديد. لم يستطِع دنك منع نفسه من الحملقة إلى نهديْها، والطَّريقةِ التي تحرَّكا بها تحت فُستانها الفضفاض إذ مرَّت تتهادى. فكَّر في الفضَّة في صُرَّته. *يُمكنني أن أنالها إذا وددتُ. سيروقها رنين نقودي كفايةً، ويُمكنني أن آخذها إلى مخيَّمي وأحظى بها طوال اللَّيل إذا أردتُ.* لم يُجامع دنك امرأةً قَطُّ، وعلى حدِّ علمه قد يموت في مُثاقفته الأولى. إنَّ في المباريات خطورةً... لكن في العاهرات خطورةً أيضًا، وهو ما حذَّره منه العجوز. *قد تسرقني وأنا نائم، وما العمل حينئذٍ*؟ حين ألقَت إليه ذات الشَّعر الأحمر بنظرةٍ من فوق كتفها، هزَّ دنك رأسه وابتعدَ.

وجدَ إج عند عرض العرائس، يجلس مربِّعًا ساقيْه على الأرض وقد سحبَ قلنسوة معطفه إلى آخِرها ليُخبِّئ صلعته. لقد خشيَ الغُلام دخول القلعة، وعزا دنك هذا بالتَّساوي إلى الخجل والخزي. *لا يحسب نفسه جديرًا بالاختلاط باللوردات والليديهات، ناهيه بالأمراء العظام.* هكذا كان هو أيضًا في صِغره، لمَّا بدا العالم خارج حدود (سفح البراغيث) مخيفًا بقدر ما بدا مثيرًا. *إج محتاجٌ إلى وقت، هذا كل شيء.* أمَّا حاليًّا فيبدو ألطف أن يُعطي الصَّبي بضع قطع نُحاسيَّة ويدعه يستمتع بوقته بين الأكشاك من أن يجرَّه معه إلى القلعة رغمًا عنه.

هذا الصَّباح يُقدِّم محرِّكو الدُّمى حكاية فلوريَن وچونكول. حرَّكت المرأة الدورنيَّة البدينة فلوريَن في درعه متنافرة الألوان، فيما أمسكَت الفتاة الطَّويلة بخيوط چونكول قائلةً وهي تُحرِّك

فـم الدُّميـة إلى أعـلى وأسـفل: «لسـتَ فارسًـا. إنـني أعرفـك. أنـت فلوْريَـن المهـرِّج».

أجابَـت الدُّميـة الأخـرى راكعـةً: «أنـا كذلـك يـا سيِّدتي. مـن أعظم المهرِّجيـن الذيـن عاشـوا يومًـا، ومـن أعظـم الفُرسـان أيضًـا».

قالـت چوْنكـوِل: «مهـرِّجٌ وفـارسٌ في آنٍ واحـد؟ لـم أسـمع قَـطُّ بـشيءٍ كهـذا».

قـال فلوْريَـن: «سيِّدتي الحُلـوة، الرِّجـال جميعًـا مهرِّجـون والرِّجـال جميعًـا فُرسـان حينمـا يمـتُّ الأمـر بصلـةٍ للنِّسـاء».

كان عرضًـا جيِّـدًا، حزينًـا وعذبًـا في آنٍ واحـد، في نهايتـه مبـارزةٌ مفعمـة بالحيويَّـة وعـملاقٌ حسـن الطِّلاء. حيـن تـمَّ العـرض تحرَّكت البدينـة بيـن المتفرِّجيـن لتجـمع العُملـة فيمـا حزمَـت الفتـاة الـدُّمى.

أخذَ دنك إج وذهبَ إليها.

بنظـرةٍ بذنـب عينهـا ونصـف ابتسـامةٍ قالـت: «سِـيدي؟». الفتـاة أقصـر منـه بمقـدار رأس، ومع ذلـك فإنهـا أطـول فتـاةٍ رآهـا عـلى الإطلاق.

خاطبَهـا إج بحماسـة: «عـرضٌ جيِّـد. تُعجِبـني الطَّريقـة الـتي تُحرِّكينهـا بهـا، چوْنكـوِل والتنِّيـن والـدُّمى الأخـرى. شـاهدتُ عـرض عرائـس العـام المـاضي، وكانـت حركاتهـا متشـنِّجةً جـدًّا. تحـريككِ أنـتِ أسـلس».

ردَّت على الغُلام بتهذيب: «أشكرك».

قـال دنـك: «مجسَّـماتكِ منحوتـةٌ بمهـارةٍ أيضًـا. التنِّيـن خصوصًـا.

وحشٌ مخيف. أتصنعينها بنفسكِ؟».

أومأت برأسها قائلةً: «خالي يتولَّى النَّحت. أنا أطليها».

قال: «أيُمكنكِ أن تطلي لي شيئًا؟ معي مالٌ لأدفع لكِ»، وأنزلَ التُّرس عن كتفه وأراها إيَّاه. «أريدُ أن أرسم شيئًا فوق الكأس».

نظرَت الفتاة إلى التُّرس ثم إليه، وقالت: «ما الذي تُريد رسمه؟».

لم يُفكِّر دنك في ذلك. إن لم تكن كأس العجوز المجنَّحة فماذا؟ رأسه خاوٍ تمامًا. *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة.* «لا... لستُ متأكِّدًا». ببؤس أدركَ أن أذنيْه تحتقنان بالحُمرة. «لا بُدَّ أنك تظنِّينني مهرِّجًا كبيرًا».

ابتسمَت قائلةً: «الرِّجال جميعًا مهرِّجون والرِّجال جميعًا فُرسان».

سألَها آملًا أن يُعطيه الجواب فكرةً: «ما لون الطِّلاء الذي لديكِ؟».

- «يُمكنني خلط طلاءات مختلفة لعمل أيِّ لونٍ تُريد».

لطالما بدا لون العجوز البنِّي بائخًا لدنك. فجأةً قال: «لا بُدَّ أن تحمل الخلفيَّة لون الغروب. العجوز أحبَّ الغروب. والرَّمز...».

قال إج: «شجرة دردار، شجرة دردار كبيرة كالتي عند البِركة، جذعها بنِّي وفروعها خضراء».

قال دنك: «نعم. سيَصلُح هذا. شجرة دردار... ولكن أعلاها شهاب. أيُمكنك أن ترسمي ذلك؟».

أومأت الفتاة برأسها إيجابًا، وقالت: «أعطِني التُّرس. سأرسمه اللَّيلة بلا إبطاء وأعيده إليك غدًا».

ناولَها دنك إيَّاه قائلًا: «أدعى بالسيْر دنكن الطَّويل».

ردَّت: «أنا تانسل»، وضحكَت مضيفةً: «تانسل مديدة القامة كما اعتادَ الصِّبية تسميتي».

اندفعَ دنك يقول: «لستِ مديدة القامة. إنكِ مناسبةٌ تمامًا لـ...»، ثم أدركَ ما أوشكَ على قوله، وتورَّد وجهه بشدَّة.

حنَت تانسل رأسها إلى الجانب وردَّدت بفضول: «لـ...؟».

أنهى عبارته بخيبة: «الدُّمى».

***



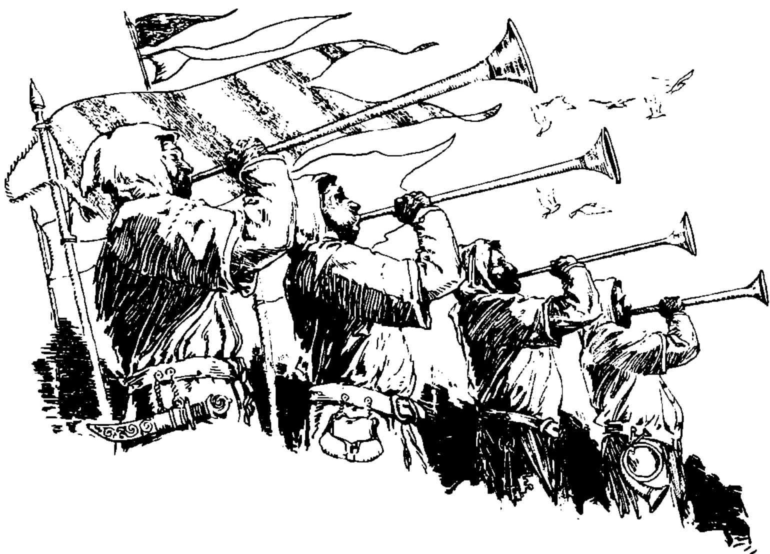


بـزغَ فجر اليـوم الأوَّل مـن المباريـات مُشمسًـا صحـوًا. ابتـاعَ دنـك مـلء جـوالٍ مـن المأكـولات ليُفطِـر هـو وإج بيـض إوزٍ وخُبـزًا محمَّرًا ولحمًـا مقـدَّدًا، ولكـن حيـن طُبِـخَ الطَّعـام وجـدَ أنـه فاقـد الشَّـهية. أحـسَّ ببطنـه صُلبًا كصخـرةٍ رغـم علمـه أنـه لـن يركـب اليـوم، فحـقُّ التَّبـاري الأوَّل سـيذهب إلى فُرسـان أعـلى نسـبًا وأذيـع صيتًـا، إلى الـلوردات وأبنائهـم وأبطـال دوراتٍ أخـرى.

لـم يكـفَّ إج عـن الثَّرثـرة طِـوال إفطارهمـا، يتكلَّـم عن هـذا الرَّجل أو ذاك وكيـف قـد يُبـلي. فكَّـر دنـك بأسـفٍ سـاخر: *لـم يُمازحـني حين قـال إنـه يعـرف كلَّ فـارس بـارع في (الممالـك السَّـبع)*. أحـسَّ بالضَّآلـة لاسـتماعه بكلِّ انتبـاهٍ لكلام غُلام يتيـم هزيـل، ولكـن لعـلَّ معرفـة إج تنفعـه إذا واجـهَ أحـد هـؤلاء الرِّجـال في مُثاقفـة.

تحـوَّل المـرج إلى كُتلـةٍ مخضخضـة مـن النَّـاس، يُحاوِلـون جميعًـا شـقَّ طريقهـم دفعًـا لأجـل مشـاهدةٍ أفضـل. يُجيـد دنـك الـدَّفع كأيِّ منهـم، كمـا أنـه أكبـر حجمًـا مـن أكثرهـم، وهكـذا تلـوَّى متقدِّمًـا ليقـوم أخيـرًا عـلى بُعـد سـتِّ ياردات مـن السِّـياج، ولمَّـا اشـتكى إج أنـه لا يـرى إلَّا مؤخِّـرات، رفعَ دنـك الـغُلام وأجلسَـه عـلى كتفيْـه.

عبـر الحقـل بـدأت المدرَّجـات تمتـلئ بالأعيـان مـن لوردات وليْديهـات وبعـض أهـل البلـدة الأثريـاء ونحـو عشـرين مـن الفُرسـان الذيـن قـرَّروا ألَّا يتسـابَقوا اليـوم. لـم يـرَ دنـك أثـرًا للأميـر ميْكار، وإن تعـرَّف عـلى الأميـر بيْلور بجانـب الـلورد آشـفرد، يُومِـض ضـوء الشَّـمس ذهبيًّـا عـلى مشـبك الكتـف الـذي يُثبِّـت معطفـه وعـلى



التُّويج الرَّفيع حول فوديْه، لكن ملبسه فيما عدا ذلك أبسط كثيرًا من معظم اللوْردات الآخَرين. قال دنك لنفسه: *لا يبدو من آل تارجاريَن في الحقيقة بذلك الشَّعر الدَّاكن*، وذكرَ هذا لإج.

ذكَّره الغُلام: «يُقال إنه يُشبِه أمَّه. كانت أميرةً دوْرنيَّةً».

نصبَ الأنصار الخمسة سُرادقاتهم عند طرف المضمار الشَّمالي واضعين النَّهر وراءهم. أصغر اثنيْن برتقاليَّان، وعلى التُّرسيْن المعلَّقيْن خارج بابيْهما الشَّمس والشِّفرونة البيضاوان. لا بُدَّ أنَّ هذيْن ابنا اللوْرد آشفرد، آندرو وروبرت شقيقا العذراء الجميلة. لم يسمع دنك قَطُّ فُرسانًا آخَرين يتكلَّمون عن بأسهما، أي إنهما على الأرجح أوَّل الذين سيَسقُطون.

بجوار السُّرادقيْن البرتقاليَّيْن يرتفع واحدٌ مصبوغ بأخضر يانع، وأكبر حجمًا بكثير. أعلاه تُرفرِف وردة (هايجاردن) الذَّهبيَّة،

ويُزيِّن الشِّعار نفسه التُّرس الأخضر العظيم خارج الباب. قال إج: «هذا ليوْ تايرل، سيِّد (هايجاردن)».

ردَّ دنك بضيق: «أعرفُ هذا. أنا والعجوز خدمنا في (هايجاردن) قبل أن تُولَد أصلًا». بالكاد يتذكَّر تلك السَّنة عن نفسه، لكن السيْر آرلان ذكرَ في أوقاتٍ عدَّة ليوْ الشَّوكة الطَّويلة



ـ كما يُدعى أحيانًا ـ المُثاقف منقطع النَّظير على الرغم من كلِّ ما يصبغ شعره من فضَّة. «مؤكَّد أنَّ هذا الواقف بجانب الخيمة هو اللوْرد ليؤ، الشَّيخ النَّحيف الذي يرتدي الأخضر والذَّهبي».

ـ «نعم. رأيته مرَّةً في (كينجز لاندنج). ليس واحدًا تُريد أن تتحدَّاه أيُّها السيْر».

ـ «لا أتطلَّبُ نصيحتك بشأن مَن أتحدَّى يا ولد».

السُّرادق الرَّابع مخيط من قطع قُماش ألماسيَّة الشَّكل، يتناوَب فيها الأحمر والأبيض. لم يتعرَّف دنك على اللَّونيْن، لكن إج أخبرَه أنهما يخصَّان فارسًا من (وادي آرن) اسمه السيْر همفري هاردنج. «لقد انتصرَ في التحام جماعيّ عظيم بـ(بِركة العذارى) العام الماضي أيُّها السيْر، وفي مضمار النِّزال أسقطَ السيْر دوْنل ابن (وادي الغسق) واللوْرديْن آرن ورويس».

وأمَّا السُّرادق الأخير فللأمير ڤالر. من الحرير الأسود هو، ومن سقفه يتدلَّى صفٌّ من رايات مثلَّثيَّة مدبَّبة ذات لونٍ سقلَّاتي تبدو كألسنة لهب حمراء طويلةٍ. التُّرس على حامله أسود صقيل، ويُزيِّنه تنِّين عائلة تارجاريَن ثُلاثي الرُّؤوس، ويقف بجواره أحد فُرسان الحرس الملكي، درعه البيضاء النَّاصعة صارخةٌ أمام سواد قُماش الخيمة. إذ رآه دنك هناك، تساءلَ هل سيجرؤ أيٌّ من المتحدِّين أن يمسَّ تُرس التنِّين، فڤالر حفيد الملك رغم كلِّ شيء، ونجل بيْلوْر كاسِر الحراب.

ولم يكن لقلقه داعٍ، فعندما دوَّت الأبواق لاستدعاء المتحدِّين، نُوديَ أنصار العذراء الخمسة جميعًا للدِّفاع عنها. سمعَ دنك لغط الجمهور المتحمِّس إذ ظهرَ المتحدُّون واحدًا تلو واحدٍ

عند طرف المضمار الجنوبي وجهرَ الحُجَّاب باسم كلِّ فارسٍ بدوره. توقَّفوا أمام المدرَّجات ليخفضوا رماحهم تحيَّةً للوْرد آشفرد والأمير بيلوْر والعذراء الجميلة، ثم داروا إلى طرف الحقل الشَّمالي ليختاروا منافسيهم. قرعَ أسد (كاسترلي رُك) الأشيب تُرس اللوْرد تايرل، فيما تحدَّى وريثه ذهبيُّ الشَّعر، السيْر تايبوْلت لانستر، ابن اللوْرد آشفرد الكبير، ونقرَ اللوْرد تَلي سيِّد (ريڤرَّن) على تُرس السيْر همفري هاردنج ألماسي النَّقش، ودقَّ السيْر إيْبلر هايتاور تُرس ڤالر، ودُعِيَ ابن آشفرد الصَّغير لنزال السيْر لايُنل باراثيوْن، الفارس الملقَّب بالعاصفة الضَّاحكة.

خبَّ المتحدُّون إلى طرف المضمار الجنوبي لينتظروا خصومهم: السيْر إيْبلر بلونَي الفضَّة والدُّخان وعلى تُرسه بُرج حراسةٍ مكلَّل بالنَّار، وولدا لانستر المتَّشحان بالقرمزي ويحملان أسد (كاسترلي رُك) الذَّهبي، والعاصفة الضَّاحكة المتألِّق في قُماش الذَّهب وعلى صدره وتُرسه وعلٌ أسود وفوق خوذته قرون من الحديد، واللوْرد تَلي مرتديًا معطفًا مخطَّطًا بالأزرق والأحمر يُثبِّته إلى كلِّ كتفٍ مشبكٌ بشكل سمكة تروتة فضِّيَّة. إلى السَّماء صوَّب المتحدُّون رماحهم التي يَبلُغ طول الواحد منها اثني عشر قدمًا، وقد هبَّت الرِّيح قويَّةً تهزُّ الرَّايات وتشدُّها.

عند طرف الحقل الشَّمالي أمسكَ المُرافقون براذين برَّاقة الدُّروع ليمتطيها الأنصار الذين اعتمرَ كلٌّ منهم خوذته والتقطَ رُمحه وتُرسه بجلالٍ يُضارِع خصومهم: حرير الأخويْن آشفرد المتموِّج، وألماس السيْر همفري الأحمر والأبيض، واللوْرد ليوْ فوق حصانه الكرَّار[٧] الأبيض ذي الكُسوة السَّاتان الخضراء

٧- الكرّار Charger: نوعٌ من الجياد الحربيّة يُستخدَم بالأساس في هجمات الفُرسان. (المترجم).

المنقوشة بالورد الذَّهبي، وطبعًا ڤالر تارجاريَن. حصان الأمير الشَّاب أسود كاللَّيل، يتناغَم لونه مع درع الأمير ورُمحه وتُرسه وكسائه، وفوق خوذته تنِين ثلاثي الرُّؤوس يلتمع معدنه المطليُّ بمينا أحمر غني ويبسط جناحيْه، توأمه مرسومٌ على سطح التُّرس الأسود الصَّقيل. مع كلٍّ من المدافعين ربطةٌ من الحرير البرتقالي معقودة حول ذراعه؛ عطايا وهبَتها لهم العذراء الجميلة.

خيَّم سكونٌ شبه تام على (مرج آشفرد) إذ خبَّ الأنصار إلى مواقعهم، ثم دوَّى بوقٌ وتحوَّل السُّكون إلى جلبةٍ في غضون نصف نبضة قلب. عشرون زوجًا من المهاميز انغرزَت في أجناب عشرة جيادٍ حربيَّة عظيمة، وضجَّ ألف صوت بالصُّراخ والزَّعيق، ودقَّ أربعون حافرًا مزوَّدًا بحدوةٍ حديديَّة الأرض ليتمزَّق العُشب، وانخفضَت عشرة رماح وثبتَت، وبدا الحقل كأنَّما يرتجُّ، والتقى الأنصار والمتحدُّون في صدام عاتٍ بين الخشب والفولاذ، وخلال لحظةٍ تجاوزَ بعض الرَّاكبين بعضًا وداروا من أجل جولةٍ أخرى. ترنَّح اللؤرد تَلي فوق سرجه، لكنه استطاعَ الحفاظ على جلسته، ولمَّا أدركَ العوام أنَّ الرِّماح العشرة انكسرَت ارتفعَ هدير استحسانٍ هائل. إنه بشيرٌ رائع بنجاح الدَّورة، وبُرهان على براعة المتنافسين.

ناولَ المُرافقون المُتثاقفين رماحًا جديدةً عوضًا عن المكسورة التي رموها، ومرَّةً أخرى انغرزَت المهاميز بعُمق. أحسَّ دنك بالأرض تترجرَج تحت أخمص قدميْه، وفوق كتفيْه هتفَ إج بسعادةٍ ولوَّح بذراعيْه الرَّفيعتيْن. أقرب مَن مرَّ إليهما الأمير الشَّاب، ورأى دنك سنان رُمحه الأسود يُقبِّل بُرج الحراسة على تُرس خصمه وينزلق ليرتطم بصدره في اللَّحظة التي تفجَّر فيها

رُمح السِير إيْبلر إلى شظايا على صدريَّة الأمير ڤالر. شبَّ الفحل الرَّمادي ذو كُسوة الفضَّة والدُّخان تحت وطأة الصَّدمة، ورُفِعَت قدما السِير إيْبلر هايتاور من رِكابيْه وانكبَّ بعُنف أرضًا.

وسقطَ اللورد تَلي أيضًا، أطاحَ به من فوق حصانه السِير همفري هاردنج، إلَّا أنه هبَّ واقفًا في الحال واستلَّ سيفه الطَّويل، وطرحَ السِير همفري رُمحه -الذي لم ينكسِر- جانبًا، وترجَّل ليُواصِل قتالهما على الأقدام. أمَّا السِير إيْبلر فلم يتمتَّع بحيويَّةٍ مشابهة، إذ هرعَ مُرافقه وحلَّ خوذته، ثم رفعَ عقيرته طالبًا المساعدة، ليسند خادمان الفارس الدَّائخ من ذراعيْه ويُعيناه على العودة إلى سُرادقه. في أماكن أخرى من الحقل ركبَ الفُرسان السِتَّة الباقون فوق خيولهم في جولتهم الثَّالثة، وتحطَّم مزيدٌ من الرِّماح، وهذه المرَّة سدَّد اللورد ليو تايرل سنان رُمحه بحذقٍ انتزعَ خوذة الأسد الأشيب من فوق رأسه، وبوجهٍ مكشوف رفعَ سيِّد (كاسترلي رُك) يده محيِّيًا وترجَّل مستسلمًا. في تلك الأثناء كان السِير همفري قد أجبرَ اللورد تَلي على الاستسلام بعدما أبرزَ أنه بارع بالسَّيف مثلما هو بالرُّمح.

ركبَ تايبولت لانستر وآندرو آشفرد متواجهيْن ثلاث مرَّاتٍ إضافيَّة قبل أن يخسر السِير آندرو تُرسه وتوازُنه والمباراة في وقتٍ واحد، وصمدَ ابن آشفرد الصَّغير وقتًا أطول وكسرَ ما لم يقلَّ عن تسعة رماح ضد السِير لاينل باراثيون، العاصفة الضَّاحكة، ثم سقطَ كلا النَّصير والمتحدِّي من فوق سرجه في الجولة العاشرة، فقط ليقوما معًا ليُتابِعا القتال سيفًا ضد مقمعة. في النِّهاية أقرَّ السِير روبرت آشفرد المرضوض بالهزيمة، لكن فوق مدرَّجات المشاهدة بدا أبوه بعيدًا كلَّ البُعد عن الاغتمام،

فصحيحٌ أنَّ ابنَي اللوْرد آشفرد كليْهما اصطُحِبَ إلى خارج صفوف الأنصار، إلَّا أنهما أبليا بلاءً نبيلًا ضد اثنيْن من أمهر الفُرسان في (الممالك السَّبع).

شاهدَ دنك الغالب والمغلوب يتعانَقان ويَخرُجان معًا من الحقل، وفكَّر: يجب *أن أبلي بلاءً أحسن وأحسن رغم ذلك. لا يكفيني أن أجيد القتال وأخسر. يجب على الأقل أن أفوز بالتَّحدِّي الأوَّل وإلَّا فسأخسرُ كلَّ شيء.*

الآن سيأخذ السِير تايبوْلت لانستر والعاصفة الضَّاحكة مكانيْهما بين الأنصار ليحلَّا محلَّي الرَّجليْن اللذيْن هزماهما، وقد بدأ السُّرادقان البرتقاليَّان يُزالان بالفعل. على بُعد أقدام قليلة جلسَ الأمير الشَّاب مسترخيًا على كُرسي معسكرات أمام خَيمته السَّوداء العظيمة، وقد خلعَ خوذته ليلوح شعره الدَّاكن كشعر أبيه، وإن تخلَّلته خُصلة فاتحة. جلبَ له خادمٌ كأسًا فضِّيَّةً، ورشفَ منها الأمير، ففكَّر دنك: *ماءٌ لو أنه حكيم، نبيذٌ لو أنه ليس كذلك.* وجدَ نفسه يتساءَل هل ورثَ ڤالر حقًّا قدرًا من بأس أبيه، أم إنَّ حظَّه في الاقتراع وقعَ ضد أضعف منافسٍ ليس إلَّا.

أعلنَت جوقةٌ من الأبواق دخول ثلاثة متحدِّين جُدد المضمار، ورفعَ الحُجَّاب عقائرهم بأسمائهم. «*السِير پيرس سليل عائلة كارُون، سيِّد (التُّخوم)*». تُزيِّن قيثارةٌ فضِّيَّة تُرس الرَّجل، ولو أنَّ معطفه منقوش بالعنادل. «*السِير چوْزث سليل عائلة مالستر، من (سيجارد)*». يعتمر السِير چوْزث قبَّعةً مجنَّحةً، وعلى تُرسه يطير عُقاب فضِّي في سماءٍ نيلجيَّة. «*السِير جاون سليل عائلة سوان، سيِّد (الخوذة الحجريَّة) في (رأس الغضب)*». رمز اللوْرد



جاون طائرا تمّ، أحدهما أسود والآخَر أبيض، ويتقاتَلان بضراوة، كما أنَّ درعه ومعطفه وكُسوة حصانه مزيجٌ صارخ من الأبيض والأسود أيضًا، بما في ذلك خطوط غِمده ورُمحه.

مسَّ اللوْرد كارون -عازف القيثارة والمغنِّي والفارس بعيد الصِّيت- بحدِّ رُمحه وردة اللوْرد تايرل، ودقَّ السيْر چوْرْث ألماسات السيْر همفري هاردنج، وتحدَّى الفارس الأبيض والأسود، اللوْرد جاون سوان، الأمير الأسود ذا الحارس الأبيض. فركَ دنك ذقنه. اللوْرد جاون أكبر سنًّا من العجوز، والعجوز ماتَ. بما أنَّ الغُلام فوق كتفيْه يعرف كثيرًا عن هؤلاء الفُرسان على ما يبدو، فقد سألَه: «إج، مَن أقلُّ هؤلاء المتحدِّين خطورةً؟».

أجابَ الغُلام من فوره: «اللوْرد جاون، خصم ڤالر».

قال دنك مصحِّحًا: «اسمه الأمير ڤالر. على المُرافق أن يتحلَّى بلسانٍ مهذَّب يا ولد».

أخذَ ثلاثة المتحدِّين مواقعهم فيما اعتلى ثلاثة الأنصار خيولهم. في كلِّ مكانٍ حولهم ما برحَ النَّاس يتراهَنون ويهتفون مشجِّعين مَن اختاروا، لكن عينَي دنك ظلَّتا على الأمير وحده. في الجولة الأولى ضربَ ڤالر تُرس اللوْرد جاون ضربةً عابرةً، لينزلق رأس الرُّمح المثلَّم جانبًا كما حدثَ مع السيْر إيْبلر هايتاور، وإن انحرفَ هذه المرَّة في الاتِّجاه الآخَر مصيبًا الهواء، في حين انكسرَ رُمح اللوْرد جاون على صدر الأمير، وللحظةٍ بدا ڤالر على حافة السُّقوط قبل أن يستعيد توازُنه.

في المرَّة الثَّانية عبر المضمار وجَّه ڤالر رُمحه يسارًا مستهدفًا

صدر خصمه، وبدلًا من ذلك أصابَ الكتف، بيد أنَّ القوَّة التي حملَتها الضَّربة كفَت ليفقد الفارس الأكبر سنًّا رُمحه. لوَّحت ذراعٌ في الهواء بُغية التَّوازُن وسقطَ اللوْرد جاون، ونزلَ الأمير الشَّاب من فوق سرجه وسحبَ سيفه، لكن الرَّجل السَّاقط أشارَ له بالامتناع ورفعَ مقدِّمة خوذته صائحًا: «أستسلمُ يا سموَّ الأمير. أحسنت القتال»، فردَّد اللوْردات فوق المدرَّجات: «*أحسنت القتال! أحسنت القتال!*»، فيما جثا ڤالر ليُساعِد اللوْرد الشَّائب على النُّهوض.

قال إج متذمِّرًا: «غير صحيح».

- «الزم الصَّمت أو عُد إلى المخيَّم».

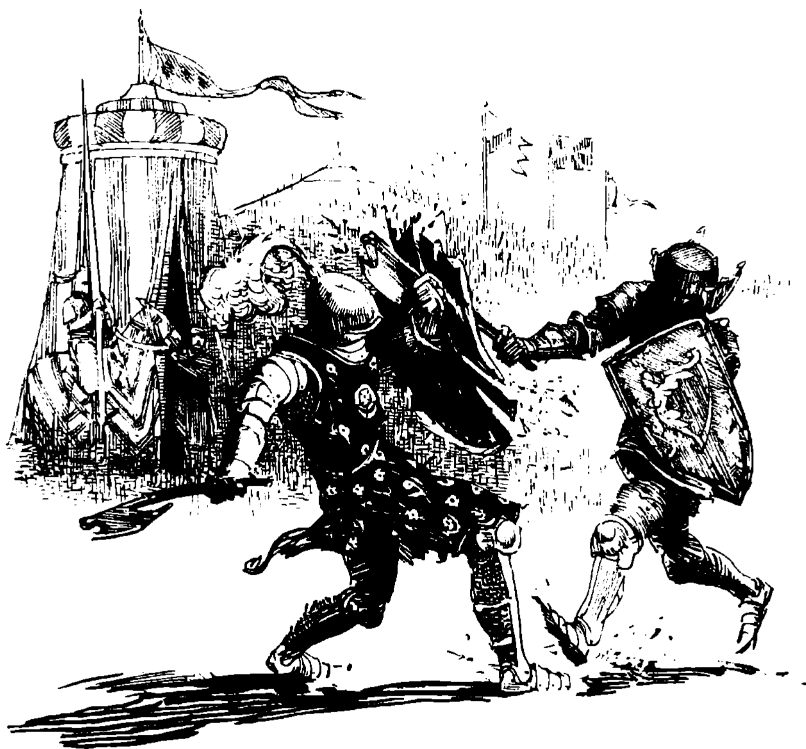
على مسافةٍ أبعد حملَ الرِّجال السِّير چوْزث مالستر المغمى عليه من الحقل، فيما كرَّ بفأسٍ مثلَمة كلٌّ من سيِّد القيثارة وسيِّد الوردة على الآخَر بشهوةٍ في مشهدٍ أبهجَ الجمهور الهادر. على أنَّ دنك وضعَ تركيزه كلَّه على ڤالر تارجاريَن حتى إنه رآهما بالكاد، ووجدَ نفسه يُفكِّر: *فارسٌ لا بأس به، لكنه لا يعدو ذلك. سأتمتَّع بفُرصةٍ ضده، وإذا شاءَت الآلهة فقد أُسقِطه أيضًا، وبمجرَّد أن يبدأ القتال على الأقدام سيُبرِز وزني وطولي الفرق.*

في غمرة حماسته عدَّل إج جلسته فوق كتفَي دنك هاتفًا: «عليك به! اضربه! نعم! إنه أمامك مباشرةً، أمامك مباشرةً!». بدا أنَّ اللوْرد كاروْن مقصد تشجيعه، والآن يعزف عازف القيثارة نوعًا آخَر من الموسيقى، يدفع اللوْرد ليوْ ليتقهقَر فيتقهقَر فيما يُغنِّي الفولاذ على الفولاذ. والظَّاهر أنَّ المتفرِّجون انقسَموا بشبه تساوٍ بينهما، فامتزجَت هتافات التَّشجيع بالشَّتائم في هواء الصَّباح.

تطايـرَت شُـدف الخشـب والـطِّلاء مـنٍ تُـرس الـلوْرد لـيْ إذ قطفَـت فـأس الـلوْرد پيـرس بـتلات وردتـه الذّهبيَّـة واحـدةً واحـدةً، إلى أن تحطَّـم تُرسـه أخيـرًا وانقصـمَ، ولكـن بينمـا حـدثَ هـذا علـقَ رأس الفـأس لحظـةً في الخشـب... وهـوَت فـأس الـلوْرد لـيْ عـلى مقبـض سلاح خصمـه لتكسـره على بُعد أقـل مـن قـدم مـن يـده. ألـقى تايـرل تُرسـه المحطَّـم، وفجـأةً أصبـحَ هـو المهاجِـمً، وخلال لحظـاتٍ ركعَ الفـارس عـازف القيثـارة عـلى رُكبتـه مُنشـدًا اسـتسلامه.

طـوال مـا تبـقَّى مـن الصَّبـاح وبعـد توغُّـل الأصيـل تكـرَّر مزيـدٌ ممَّـا أنـفَ ذِكـره إذ نـزلَ المتحـدُّون إلى المضمـار مثـانيَ وثلاثـات، وأحيانًـا خمسـات معًـا. دوَّت الأبـواق، وأعلـنَ الحُجَّـاب الأسـماء، وانقضَّـت الجيـاد الحربيَّـة، وهلَّلـت الجماهيـر، وانكسـرَت الرِّمـاح كغُصينـات الشَّجر، ورنَّـت السُّيوف عـلى الخُـوذ والـزُّرود. عـلى حـدِّ سـواءٍ اتَّفـق العامَّـة الصِّغـار والـلوْردات الكبـار أنـه يـومٌ رائـع للمُثاقفة. تواجـهَ السـيْر همفـري هـاردنج والسـيْر همفـري بيزبـري ـ وهـو فـارسٌ شـابٌّ مقـدام يرتـدي معطفًـا مخطَّطًـا بالأصفـر والأسـود، وعـلى تُرسـه ثلاث خلايـا نحـل ـ وكسـرَ كلٌّ منهمـا مـا لـم يقـلَّ عـن دسـتةٍ مـن الرِّمـاح في صـراعٍ ملحمـيّ سـرعان مـا بـدأ العـوام يُسـمُّونه «معركـة همفـري»، وسـقطَ السـيْر تايبولـت لانسـتر عـن حصانـه أمـام السـيْر چوْن پنـروْز وكسـرَت سـقطته سـيفه، لكنـه قـاومَ مقـاتلًا بتُرسـه فقـط ليفـوز بالمبـاراة ويبـقى نصيـرًا، أمَّـا السـيْر روْبـن ريزلـنج ذو العيـن الواحـدة ـ وهـو فـارسٌ عجـوز يخـط الشَّـيب شـعره ولـه لحيـةٌ بلـونَي الملـح والفلفـل ـ ففقـدَ خوذتـه عـلى إثـر ضربـةٍ مـن رُمح الـلوْرد لـيْ في جولتهمـا الأولى، لكنـه أبـى الاسـتسلام، وثلاث

مرَّاتٍ ركبا متواجهيْن والرِّيح تعصف بشعر السِّير رؤبن وشظايا الرِّماح المكسورة تتطايَر حول وجهه المكشوف كسكاكين من خشب، وهو ما أثارَ في دنك عجبًا أكثر حين أخبرَه إج أنَّ السِّير رؤبن فقدَ عينه بسبب شظيَّة رُمح مكسور قبل أقل من خمس سنوات. حالَت شهامة اللورد ليؤ دون تسديده رُمحًا آخَر إلى رأس السِّير رؤبن غير المحمي، ومع ذلك أذهلَت شجاعة ريزلنج العنيدة (أم إنها حماقته؟) دنك. أخيرًا أصابَ سيِّد (هايجاردن) صدريَّة السِّير رؤبن بضربةٍ وطيدة فوق القلب مباشرةً، ليدور في





الهـواء في طريقـه إلى السُّـقوط أرضًـا.

خـاضَ السِـر لائِنـل باراثـيوِن أيضًـا عـدَّة مباريـاتٍ لافتـة للنَّظـر. ضـد خصـوم أدنى شـأنًا، عـادةً ينفجـر الرَّجـل في ضَحـكٍ جهـوريٍّ لحظـة أن يلمِّسـوا تُرسـه، ولا ينفـكُّ يضحـك وهـو يركـب وينقـض عليهـم ويخـلع أقدامهـم مـن ركائبهـم، وإذا اعتمـرَ متحدِّيـه خـوذةً ذات ريشـةٍ مـن أيِّ نـوع، يكسـرها السِـر لائِنـل ويرميهـا إلى المتفرِّجيـن. هـذه الرِّيَـش زخارف منمَّقة من الخشب المنحوت أو الجلدِ المشكَّل، وأحيانًـا مموَّهـة بالذَّهـب أو المينـا أو حتى مطرَّقة مـن الفضَّـة الخالصـة، ولـذا لا يُقـدِّر مَـن يغلبهـم هـذه العـادة، ولـو أنهـا جعلَـت تفضيلـه عنـد العـوام عظيمًـا.



سرعان ما اقتصرَ مَن اختاروه على رجالٍ غير مريَّشين، ولكن مهما لعلعَ ضحك السيْر لايُنل استهزاءً بمَنْ تحدَّوه، ارتأى دنك أنَّ شرف اليوم ينبغي أن يكون من نصيب السيْر همفري هاردنج الذي قهرَ أربعة عشر فارسًا لا تَنقُص أحدهم المهابة.

في تلك الأثناء جلسَ الأمير الشَّاب خارج سُرادقه الأسود، يشرب من كأسه الفضِّيَّة وينهض من حينٍ إلى آخَر ليركب حصانه ويغلب خصمًا مغمورًا آخَر. حقَّق ڤالر تسعة انتصارات، وإن بدا لدنك أنَّ كلَّ واحدٍ منها أجوف. *يهزم رجالًا مسنِّين ومُرافقين متسلِّقين وبضع لوُرداتٍ نبيلي المولد وضيعي المهارة. الرِّجال الخطرون بحقٍّ يتجاوَزون تُرسه كأنهم لا يرونه.*

في ساعةٍ متأخِّرة من النَّهار أعلنَت جوقة أبواق نُحاسيَّة نزول متحدٍّ جديد إلى المضمار. دخلَ الرَّجل راكبًا كرَّارًا أحمر عظيمًا،

درعه مشرَّطة لتلوح من تحتها لمحات من الأصفر والقرمزي والبرتقالي، وإذ دنا من مدرَّجات المشاهدة ليُؤدِّي التَّحيَّة، رأى دنك الوجه تحت مقدِّمة الخوذة المرفوعة، وتعرَّف على الأمير الذي قابلَه في إسطبلات اللورد آشفرد.

تقلَّصت ساقا إج حول رقبته، فزعقَ دنك مباعدًا بينهما بحدَّة: «كُفَّ عن هذا. أتُريد أن تَخنُقني؟!».

نادى حاجبٌ: «الأمير إيريون اللَّهب السَّاطع من قلعة (كينجز لاندنج) الحمراء، ابن ميكار سيِّد (بهو الصَّيف) سليل عائلة تارجاريَن، حفيد ديرون الصَّالح، الثَّاني من اسمه، ملك الأنداليِّين والرويْنار والبشر الأوائل، وسيِّد (الممالك السَّبع)».

يحمل إيريون على تُرسه التنِّين ثُلاثي الرُّؤوس، إلَّا أنه مصوَّر بألوانٍ أزهى كثيرًا من تنِّين ڤالر؛ أحد رؤوسه برتقالي، والثَّاني أصفر، والثَّالث أحمر، وللَّهب الذي تنفثه لمعة رقائق الذَّهب. معطفه دوَّامةٌ من الدُّخان والنَّار المحبوكيْن معًا، وخوذته المسوَّدة متوَّجة بريشةٍ من ألسنة لهبٍ حمراء من المينا.

بعد وقفةٍ خفضَ خلالها رُمحه للأمير بيلور، وقفة وجيزة للغاية بدَت كأنَّما تعوزها الهمَّة، هرولَ إيريون إلى طرف الحقل الشَّمالي متخطِّيًا سُرادقَي اللورد ليو والعاصفة الضَّاحكة، ولم يُبطئ حركته إلَّا حين اقتربَ من خيمة الأمير ڤالر. قامَ الأمير



الصَّغير ووقفَ متيبِّسًا بجوار تُرسه، وللحظةٍ وجدَ دنك نفسه واثقًا بأن إيْريوْن سيضرب التُّرس... غير أنه ضَحكَ وخبَّ مبتعدًا ليَطرُق بقوَّةٍ على ألماسات السيْر همفري هاردنج، وبصوتٍ عالٍ واضح تغنَّى: «اخرُج أيُّها الفارس الصَّغير، اخرُج. حانَ الوقتُ لتُواجِه التنِّين».

حنى السيْر همفري رأسه بجمودٍ لخصمه فيما جلبَ مُرافقه بِرذونه،[8] ثم تجاهلَه وهو يمتطي الحصان ويعقد أربطة خوذته ويلتقط رُمحه وتُرسه. لاذَ المشاهدون بالصَّمت فيما اتَّخذ

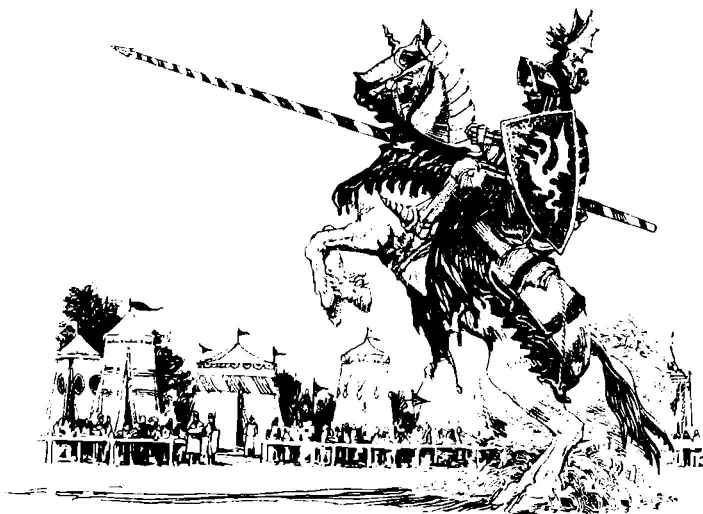
٨- البِرذون Destrier: جواد حربي عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء، قويُّ الأرجُل، عظيم الحوافر. (المترجم).

الفارسـان موضعيْهمـا، وسـمعَ دنـك رنيـن مقدِّمـة خـوذة الأميـر إيْـريوْن إذ أنزلَهـا. ثـم دوَّى البـوق.

انطلـقَ السـيْر همفـري بتـؤدة مُزيـدًا سرعته شيـئًا فشيـئًا، في حيـن سـحجَ خصمـه جنبَـي كـرَّاره الأحمـر بكلا مِهمازيْـه لينقـضَّ بقـوَّة. مجدَّدًا تقلَّصت ساقا إج، وصاحَ فجأةً: «اقتُله! اقتُله، إنـه أمامك مباشرةً، اقتُلـه، اقتُلـه، اقتُلـه!»، ولـم يـدرِ دنك لأيِّ الفارسـيْن يصيـح الـغُلام.

سنان رُمح الأمير إيْـريوْن مطليٌّ بالذَّهـب، وقصبتـه مطليَّـة بشـرائط مـن الأحمـر والبرتقـالي والأصفـر، ومـا إن تحـرَّك مجتـازًا الحاجـز حـتى فكَّـر دنـك: *منخفـض، منخفـض جـدًّا. سـيُخطئ الـرَّاكـب*





ويُصيب حصان السِّير همفري. عليه أن يرفعه. ثم بدأ يشكّ بذَعرٍ ينجلي أنَّ إيْريوْن لا ينوي ذلك بالمرَّة. *لا يُمكن أنه يقصد...*

في آخِر لحظةٍ ممكنة شبَّ فحل السِّير همفري مبتعدًا عن حدِّ الرُّمح الموجَّه إليه وقد زاغَت عيناه رُعبًا، ولكن فاتَ الأوان، وأصابَ رُمح إيْريوْن الحيوان مباشرةً فوق قطعة الدِّرع التي تحمي عظمة القصّ، وانبثقَ من مؤخِّرة عُنقه في سيلٍ من الدَّم اللَّامع. صارخًا ارتمى الحصان جانبًا محطِّمًا الحاجزَ الخشبيَّ تحطيمًا وهو يَسقُط. حاولَ السِّير همفري أن يثب مبتعدًا، لكن إحدى قدميْه علقَت بركابها، وسمعَ النَّاس صرخته إذ سُحقَت ساقه بين الحاجز المفتَّت والحصان السَّاقط.

اجتاحَ الصِّياح (مرج آشفرد) بأكمله. هرعَ بعض الرِّجال إلى الحقل لتخليص السِّير همفري، لكن الفحل المحتضر ألمًا

رفسَ الهواء في وجوههم إذ اقترَبوا. كان إيْريوْن قد عدا بابتهاجٍ دائرًا حول الفوضى إلى طرف المضمار، ثم دارَ بحصانه وهرولَ عائدًا، يصيح بدوره ولو أنَّ دنك لم يُميِّز الكلام من شدَّة صريخ الحصان الميِّت شبه البشري. قفزَ إيْريوْن من فوق سرجه وامتشقَ سيفه متقدِّمًا إلى خصمه السَّاقط، واضطرَّ مُرافقوه وأحد مُرافقي السِيْر همفري إلى شدِّه إلى الخلف. تلوَّى إج فوق كتفَي دنك قائلًا: «أنزِلني. الحصان المسكين. أنزِلني!».

شعرَ دنك نفسه بالغثيان. *ماذا أفعلُ إذا حلَّ مصيرٌ مشابه بثندر؟* أجهزَ رجلٌ مسلَّح بفأسٍ حربيَّة على فحل السِيْر همفري واضعًا نهايةً للصَّرخات الشَّنيعة، ودارَ دنك شاقًّا طريقه قسرًا بين المحتشدين، ولمَّا بلغَ أرضًا مفتوحةً أنزلَ إج من فوق كتفيْه.



كانت قلنسوة الغُلام قد سقطَت عن رأسه، وعيناه محمرَّتيْن. قال دنك للولد: «مشهدٌ مريع، أجل، ولكن على المُرافق أن يتمتَّع بالقوَّة. للأسف سترى حوادث أسوأ في مبارياتٍ أخرى».

ردَّ إج بفمٍ راجف: «ليست حادثةً. إيْريوْن قصدَ أن يفعلها. لقد رأيته بنفسك».

قطَّب دنك

وجهه. هكذا بدا له أيضًا، ولكن يَصعُب عليه أن يقبل أنَّ فارسًا قد يتصرَّف دونما شهامةٍ إلى تلك الدَّرجة، بخاصَّةٍ فارس من دم التنِّينِ. قال بعناد: «رأيتُ فارسًا أخضر كعُشب الصَّيف يفقد التَّحكم في رُمحه، ولن أسمع مزيدًا عن هذا الأمر. مُثاقفات اليوم انتهَت على ما أظنُّ. هلمَّ أيُّها الصَّبي».

***

صحَّ ما قاله دنك عن انتهاء مسابقات اليوم. في الوقت الذي استتبَّت فيه الأمور كانت الشَّمس قد انخفضَت في الغرب وأمرَ اللوْرد آشفرد بالتَّوقُّف.

مع زحف ظلال المساء على المرج أُوقِدَت مئة من المشاعل على طول صفِّ التُّجَّار. اشترى دنك قرنًا من المزر لنفسه ونصف قرنٍ للغُلام ليُروِّح عنه، وتجوَّلا وقتًا مصغيَيْن إلى لحنٍ حماسيٍّ على المزامير والطُّبول، ثم تفرَّجا على عرض عرائس عن نايِّميريا، الملكة المُحاربة صاحبة العشرة آلاف سفينة. لم يملك محرِّكو الدُّمى إلَّا سفينتيْن، لكنهم قدَّموا معركةً بحريَّةً حاميةً رغم ذلك. أرادَ دنك أن يسأل الفتاة تانسل هل فرغَت من رسم تُرسه، وإن رأى أنها مشغولة، وعليه قال لنفسه مقرِّرًا: *سأنتظرُ حتى تُنهي عملها اللَّيلة. قد تكون عطشانةً عندئذٍ.*

نادى صوتٌ من خلفه: «سِير دنكن»، ومرَّةً أخرى: «سِير دنكن». فجأةً تذكَّر دنك أنَّ هذا اسمه، وقال رايمن فوْسوِاي وهو يُقبِل مبتسمًا: «رأيتك بين العامَّة اليوم والغُلام على كتفيْك. كان عسيرًا حقًّا ألَّا يلحظكما أحد».

ـ «الغُلام مُرافقي. إج، هذا رِايمن فوسوُواي». اضطرَّ دنك إلى سحب الغُلام إلى الأمام، ورغم ذلك طأطأ إج رأسه وحدَّق إلى حذاء رِايمن مُهمهمًا بتحيَّة.

قال رِايمن ببساطة: «لقاءٌ سعيد أيُّها الصَّبي. سيُر دنكن، لِمَ لم تتفرَّج من شُرفة المشاهدة؟ جميع الفُرسان مرحَّب بهم هناك».

يستريح دنك بين العامَّة والخدم، أمَّا فكرة أن يتَّخذ موضعًا بين اللوُردات والليْديهات والفُرسان مُلَّاك الأراضي فتُزعِجه. «لم أكن لأريد رؤية ذلك النِّزال الأخير من بُقعةٍ أقرب».

لوى رِايمن قسمات وجهه قائلًا: «ولا أنا. اللوُرد آشفرد أعلنَ أنَّ السيُر همفري المنتصر وكافأه بحصان الأمير إيْريوُن العدَّاء،[9] لكنه لن يستطيع الاستمرار رغم ذلك. لقد كُسرَت ساقه في موضعيْن. الأمير بيْلوُر أرسلَ إليه ميْستره الخاص ليُعالِجه».

ـ «هل سيحلُّ نصيرٌ آخَر محلَّ السيُر همفري؟».

ـ «اللوُرد آشفرد مالَ إلى أن يهب موقعه للوُرد كاروُن، أو ربَّما السيُر همفري الآخَر الذي أبدعَ في مباراة هاردنج، لكن الأمير بيْلوُر قال له إنه لن يليق أن يُزال تُرس السيُر همفري وسُرادقه

في هذه الظُّروف. أعتقدُ أنهم سيُواصِلون بأربعة أنصارٍ بدلًا من خمسة».

فكَّر دنك: *أربعة أنصار. ليوُ تايرل، لايْنل باراثيوُن، تايبوُلت لانستر، والأمير ڤالر.* لقد رأى ما يكفي في هذا اليوم الأوَّل

٩ ـ الحصان العدَّاء Courser: حصانٌ يُفضَّل ركوبه لسرعته، خصوصًا في المعارك والسِّباقات. (المترجم).

لِيُدرِك ضآلة فُرصته أمام أوَّل ثلاثة، وهكذا يتبقَّى فقط...

- لا يُمكن أن يتحدَّى فارسٌ جوَّال أميرًا. قال الثَّاني في تسلسُل وراثة العرش الحديدي. إنه ابن بيلور كاسِر الحراب، ودمه دم إيجون الفاتِح والتنِّين الصَّغير والأمير إيمون الفارس التنِّين، وأنا مجرَّد صبيٍّ وجدَه العجوز وراء محلِّ أكلٍ في (سفح البراغيث).

أوجعَه رأسه من مجرَّد التَّفكير في الأمر. «مَن ينوي ابن عمومتك أن يتحدَّى؟».

- «السِّير تايبولت إذا جرى كلُّ شيءٍ حسب المتوقَّع. إنهما متكافئان. على أنَّ ابن عمومتي يُراقِب كلَّ مُثاقفةٍ بعينٍ حادَّة. إذا جُرِحَ أيُّ رجلٍ غدًا أو أبدى أمارة إرهاقٍ أو ضعفٍ فسيُسارِع ستفون إلى الدَّقِّ على تُرسه، لك أن تثق بذلك. لا أحد اتَّهمه قَطُّ بالإفراط في الشَّهامة»، وضحكَ رايمن كأنَّما لينزع من كلامه لذعته، ثم قال: «سير دنكن، هلَّا انضممت إليَّ لنشرب كوبًا من النَّبيذ؟».

- «عندي شأنٌ يجب أن أتولَّاه». قالها دنك منزعجًا من فكرة أن يقبل حفاوةً لا يقدر على ردِّها.

قال إج: «يُمكنني أن أنتظر هنا وأجلب تُرسك عندما ينتهي العرض أيُّها السير. سيُقدِّمون سيمون ذا العينيْن النَّجمتيْن لاحقًا، وسيجعلون التنِّين يُقاتِل ثانيةً أيضًا».

قال رايمن: «هكذا إذًا، كما ترى، لشأنك مَن يتولَّاه، والنَّبيذ ينتظرنا. إنه صنفٌ معتَّق من (الكرمة) أيضًا. كيف يُمكنك أن

تَرفُض دعوتي؟».

هكذا وقد انعدمَت أعذاره، لم يملك دنك خيارًا إلَّا أن يتبعه تاركًا إج عند عرض العرائس. فوق السُّرادق الملوَّن بالذَّهبي حيث يُعني رِايمن بابن عمومته خفقَت تُفَّاحة عائلة فوسْواي، ووراءه سقَّى خادمان ماعزًا بالعسل والأعشاب فوق نار طهو صغيرة. قال رِايمن بلا مبالاة وهو يرفع السَّديلة لدنك: «عندنا طعامٌ أيضًا لو أنك جائع». تُضيء داخل الخيمة مجمرة فحم تُدفِئ الهواء على نحو سار. ملأ رِايمن كوبيْن بالنَّبيذ، وفيما يصبُّ علَّق: «يقولون إنَّ إيْريوْن يتميَّز غيظًا من اللوْرد آشفرد لإنعامه على السيْر همفري بكرَّاره، لكنني أراهنُ أنَّ عمَّه هو مَن أشارَ بهذا»، ثم ناولَ دنك كوبًا.

- «الأمير بيْلوْر رجلٌ شريف».

ضحكَ رِايمن، وقال: «والأمير السَّاطع ليس كذلك؟ لا يبدونَّ عليك القلق هكذا يا سيْر دنكن، لا أحد هنا إلَّانا. ليس سرًّا أنَّ إيْريوْن فيه شتَّى العلل. الشُّكر للآلهة أنه متدنٍ جدًّا في تسلسُل الوراثة».

- «أتعتقد حقًّا أنه تعمَّد قتل الحصان؟».

- «وهل من شك؟ لو أنَّ الأمير ميْكار هنا لاختلفَ مسار الأحداث، أؤكِّدُ لك. إيْريوْن كلُّه ابتسامات وشهامة ما دامَ أبوه يُشاهِد، إذا صحَّت الحكايات، ولكن في غيابه...».

- «رأيتُ مقعد الأمير ميْكار شاغرًا».

- «لأنه تركَ (آشفرد) ليبحث عن ابنيْه، ومعه روْلند كريْكهوْل

رجل الحرس الملكي. ثمَّة حكاية مبالغ فيها متداولة عن فُرسانٍ لصوص، لكنني أراهنُ أنَّ الأمير سكران في مكانٍ ما لا أكثر».

وجدَ دنك النَّبيذ ممتازًا ذا مذاقٍ فاكهي، من أجود الأكواب التي شربَها على الإطلاق. دوَّره في فمه ثم ابتلعَه، وقال: «أيُّ أميرٍ هذا؟».

ـ «وريث ميْكار. اسمه ديْروْن تيمُّنًا بالملك. يدعونه بديْروْن السكِّير، ولكن ليس على مسمع من أبيه. الصَّبي الأصغر كان معه أيضًا؛ غادَرا (بهو الصَّيف) معًا، وإن لم يصلا إلى (آشفرد) قَطُّ». أفرغَ رِايمن كوبه في جوفه، ثم وضعَه جانبًا قائلًا: «مسكين ميْكار».

ردَّ دنك مبهوتًا: «مسكين؟ ابن الملك؟».

قال رِايمن: «ابن الملك الرَّابع، وليس بجرأة الأمير بيْلوْر، ولا بذكاء الأمير إيْرس، ولا بوداعة الأمير ريْجل، والآن يُعاني مرغمًا رؤية ابنَي أخيه يرجحان على أبنائه. ديْروْن عربيد، وإيْريوْن مغرور وقاس، والابن الثَّالث لم يعِد بأيِّ نجاحٍ حتى إنهم أعطوه لـ(القلعة) لتجعل منه ميْسترًا، والأصغر...».

ـ «سيْرا سيْر دنكن!». اقتحمَ إج المكان لاهثًا وقد سقطَت قلنسوته عن رأسه والتمعَ ضوء المجمرة في عينيْه الدَّاكنتيْن الكبيرتيْن. «يجب أن تُسرِع. إنه يُؤذيها!».

بحيرةٍ هبَّ دنك واقفًا، وسألَه: «يُؤذيها؟ مَن؟».

صاحَ الغُلام: «إيْريوْن! إنه يُؤذيها! فتاة الدُّمى! أسرِع!»، ودارَ على عقبيْه واندفعَ عائدًا إلى الليل.

تحـرَّك دنـك ليتبعـه، لكـن رِايمـن أمسـكَ ذراعـه قـائلًا: «سـيْر دنكـن. لقـد قـال إيْـريوْن، أميـر مـن الـدَّم المـلكي. احـذر».

علـمَ أنهـا نصيحـة سـديدة. العجـوز كان سيقول المثـل، إلَّا أنَّ دنك لـم يسـتطع الإصغـاء، وانتـزعَ ذراعـه مـن يـد رِايمـن ودفعَ سـديلة السُّـرادق بكتفـه خارجًـا، ليتنـاهى إلى أذنيْـه زعيـقٌ مـن جهـة صـفِّ التُّجَّـار. كادَ إِج يغيـب عـن نظـره، وهـرعَ دنـك خلفـه، ولأن سـاقيْه طويلتـان وسـاقَي الـغُلام قصيرتـان فسرعان مـا قصَّـر المسافة بينهمـا.

سـورٌ مـن المتفرِّجيـن المحتشـدين ارتـفعَ حـول محـرِّكي الـدُّمى، وشـقَّ دنـك طريقـه بينهـم عنـوةً متجـاهلًا شـتائمهم. تقـدَّم رجـلٌ مسـلَّح يرتـدي البِـزَّة العسكريَّـة الملكيَّـة ليعتـرض طريقـه، فـوضعَ دنـك يـدًا كبيـرةً عـلى صـدره ودفعَـه، ليَسـقُط الرَّجـل إلى الخلـف وينطـرح عـلى مؤخِّرتـه في التُّـراب.

رأى دنـك كُشـك محـرِّكي الـدُّمى مقلوبًـا عـلى جنبـه، والدوْرنيَّـة البدينـة عـلى الأرض تـبكي، ورجلًا مسـلَّحًا يُـدلِّي دُميـتَي فلوْريَـن وچوْنكـولِ مـن يديْـه فيمـا يُضـرِم فيهمـا آخَر النَّار بمشعل، في حيـن يفـتح ثلاثـة رجـالٍ آخَـرون الصَّناديـق ويرمـون مزيدًا من الدُّمى أرضًا ويدعسونها، وفي كلِّ مكانٍ حولهم



تتناثَـر أشلاء دُميـة التنِّيـن؛ جنـاحٌ مكسـور هنـا، رأسـه هنـاك، ذيلـه ممـزَّق إلى ثلاث قـطع. وفي وسـط كلِّ هـذا يقف الأمير إيْـريوْن متألِّقًا في دبليَّـةٍ مخمليَّـة حمـراء ذات كُمَّيْـن مشـرَّطيْن، يلـوي بكلتـا يديْـه ذراع تانسـل، والفتـاة عـلى رُكبتيْهـا تتوسَّـل إليـه، وإيْـريوْن يتجاهَلهـا.



قسـرَها الأميـر عـلى فـتح يدهـا وقبـضَ عـلى إحـدى أصابعهـا، ودنـك واقـفٌ في مكانـه بغبـاء، يكاد لا يُصدِّق مـا يـراه. ثـم سـمعَ قضقضـةً، وصرخَـت تانسـل.

حـاولَ أحـد رجـال إيْـريوْن الإمسـاك بـه، وبضربـةٍ طـارَ. ثلاث خُطـواتٍ واسـعة، ثـم أطبـقَ دنـك عـلى كتـف الأميـر وأدارَه بجذبـةٍ

عنيفـة. نُـسِيَ سـيفه وخنجـره، ومعهمـا كلُّ مـا علَّمـه إيَّـاه العجـوز. طرحَـت قبضتـه إيْـريوْن أرضًـا، وانغـرزَ سُـنبك حذائـه في بطنـه، وحيـن حـاولَ الأمير استلال سكِّينه داسَ دنـك معصمـه وركلـه ثانيةً، هـذه المـرَّة في فمـه مباشـرةً. لربَّمـا ظـلَّ يَركُله حتى المـوت في التَّـوِّ واللَّحظـة، لكـن رجـال الأميـر الصَّغيـر تكاثَـروا عليـه، فأمسـكَ واحـدٌ منهـم بكلٍّ مـن ذراعيْـه وهـوى آخَـر عـلى ظهـره بالضَّـرب، ومـا كادَ يتملَّـص مِـن أحدهـم حـتى انقـضَّ عليـه اثنـان آخَـران.



وأخيـرًا دفعـوه إلى الأرض وثبَّتـوا ذراعيْـه وسـاقيْه. مـن جديـدٍ نهـضَ إيْـريوْن بفـم دام، ودسَّ فيـه الأميـر إصبعًـا وقـال متذمِّـرًا: «خلخلـتَ إحـدى أسـناني، ولـذا سـنبدأ بتكسـير أسـنانك جميعًـا»، ثـم أزاحَ شـعره عـن عينيْـه قـائلًا: «تبـدو مألوفًـا».

ـ «حسبتَني صبيَّ إسطبل».

ابتسمَ إيْريون ابتسامةً حمراء، وقال: «أذكرُ. وأنت رفضت أن تأخذ حصاني. لماذا فرَّطت في حياتك؟ من أجل هذه العاهرة؟». كانت تانسل متكوِّرةً على نفسها أرضًا، تحتضن يدها المشوَّهة،



فنهزَها بسُنبك حذائه متابعًا: «إنها لا تستحقُّ. خائنة. يجب ألَّا يخسر التنّين أبدًا».

فكَّر دنك: *إنه مجنون، لكنه ما زالَ ابن أمير، وينوي قتلي.*

لربَّما صلَّى لحظتها لو أنه يعرف أيَّ صلاةٍ إلى آخِرها، لكنه لم يملك وقتًا، بل إنه بالكاد ملكَ وقتًا ليخاف.

قال إيْريوْن: «ليس لديك شيء آخَر تقوله؟ كم تُثير مللي أيُّها السيْر»، وعادَ يُنقِّب في فمه الدَّامي، ثم قال آمرًا: «أحضِر مطرقةً وكسِّر أسنانه كلَّها يا ويْت، وبعد ذلك فلنفتح بطنه ونُريه لون أمعائه».

وقال صوت غُلام: «لا! لا تُؤذوه!».

ـ *بحقِّ الآلهة، الولد، الولد الأحمق الشُّجاع*. جاهدَ دنك ليتخلَّص من الأذرُع التي تُكبِّله، ولكن بلا جدوى. «أمسِك لسانك أيُّها الصَّبي الأحمق. اهرب. سيُؤذونك!».

اقتربَ إج قائلًا: «لا، لن يفعلوا. إذا فعلوا فعليهم أن يُبرِّروا ذلك لأبي، ولعمِّي أيضًا. قلتُ اترُكوه. ويْت، يوْركل، أنتما تعرفانني. افعلا كما أقولُ».

وارتفعَت اليدان اللتان تُثبِّتان ذراعه، ثم الأخريان. لم يفهم دنك ما يَحدُث. الرِّجال المسلَّحون يتراجَعون، وأحدهم ركعَ، ثم انشقَّ المتجمهرون ليمرَّ رِايمن فوْسوْواي الذي وضعَ زرده وخوذته وأمسكَ مقبض سيفه، في حين جرَّد ابن عمومته السيْر ستفوْن الآتي خلفه مباشرةً فولاذه، وقد حضرَ معهما نصف دستةٍ من الرِّجال المسلَّحين الذين خيطَت شارة التُّفَّاحة الحمراء على صدورهم.

لم يُعِرهم الأمير إيْريوْن انتباهًا، بل قال لإج: «أيُّها التَّعس الصَّغير الصَّفيق»، وبصقَ ملء فمه من الدَّم عند قدمَي الغُلام،

وسـألَه: «مـاذا جـرى لشـعرك؟».

أجابَ إج: «حلقته يا أخي. لم أُرِد أن أشبهك».

***



طلعَ نهار اليوم الثَّاني من المباريات غائمًا، ومن الغرب هبَّت ريحٌ مضطربة. فكر دنك: *المفترَض أن تقلَّ أعداد المتفرِّجين في يوم كهذا.* كان سيَسهُل عليهما أكثر أن يجدا بُقعةً قُربَ السِّياج ليُشاهدا المُثاقفات من كثب. *لربَّما جلسَ إج فوق الحاجز ووقفتُ أنا خلفه.*

بدلًا من ذلك سيجلس إج في مقصورة المشاهدة مرتديًا الحرائر والفراء، في حين ستنحصِر رؤية دنك في جُدران أربعة لزنزانة البُرج التي احتجزَه فيها رجال اللورد آشفرد. للغُرفة نافذة، لكنها في الجهة الخطأ، ومع ذلك حشرَ دنك نفسه في المقعد المجاور للنَّافذة فيما ذرَّت الشَّمس، وحدَّق ببالٍ كاسف عبر البلدة والحقول والغابة. لقد أخذوا حزامه القنَّبي، ومعه سيفه وخنجره، وأخذوا فضَّته أيضًا. يأمل أن يتذكَّر إج أو رِايمن تشستنت وثندر.

غمغمَ بصوتٍ هامس: «إج». مُرافقه، صبيٌّ مسكين اقتُلعَ من شوارع (كينجز لاندنج). هل غُفِلَ فارسٌ يومًا مثلما غُفِلَ؟ *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعةٍ وبليد كثورٍ برِّي.*

لم يُسمَح له بالكلام مع إج منذ أخذَهم جنود اللورد آشفرد جميعًا عند عرض العرائس، ولا مع رِايمن ولا تانسل ولا غيرهما، بمَن في ذلك اللورد آشفرد نفسه. تساءلَ هل سيرى أيًّا منهم ثانيةً. على حدّ علمه، سيحبسونه هنا في هذه الغُرفة الصَّغيرة إلى أن يموت. سأَلَ نفسه بمرارة: *ما الذي حسبته سيَحدُث؟ لقد جندلتُ ابن أميرٍ وركلته في وجهه.*



تحت هذه السَّماوات الرَّماديَّة لن تبدو الثِّياب الفاخرة الهفهافة التي يرتديها اللوردات كرام المحتد والأبطال العظام بالرَّوعة التي بدَت بها في اليوم السَّابق، ولن تمس الشَّمس الحبيسة خلف أسوار السَّحاب خُوذهم الفولاذيَّة ببهائها أو تجعل زخارفهم الذَّهبيَّة والفضِّيَّة تتلألأ وتَبرُق، ورغم ذلك تمنَّى دنك لو أنه وسط الجمهور ليتفرَّج على المُثاقفات. سيكون يومًا طيِّبًا للفُرسان الجوَّالة، لرجالٍ يرتدون زرودًا بلا زينةٍ ويركبون خيولًا بلا دروع.

لكنه سمعَهم على الأقل، فقد انتقلَ إليه صوت أبواق الحُجَّاب بوضوح، وبين حينٍ وآخَر أخبرَه صخب المتفرِّجين أنَّ أحدًا سقطَ أو قامَ أو أقدمَ على فعلٍ متفرِّد في الجرأة. سمعَ وقع حوافر خافتًا أيضًا، ومرَّةً كلَّ فترةٍ طويلةٍ مقارعةً بين سيفيْن أو رُمحًا ينكسِر. جفلَ دنك كلَّما بلغَ أذنيْه هذا الصَّوت الأخير، إذ ذكَّره بصوت إصبع تانسل عندما كسرَها إيريون. وسمعَ أصواتًا

أخـرى كذلـك، لكنهـا أقـرب: خُطـوات أقـدام في الطُّرقـة خـارج بابـه، وطقطقـة حوافـر في السَّـاحة بالأسـفل، وَزعيقًـا وكلامًـا مـن فـوق أسـوار القلعـة. أحيانًـا طغَـت هـذه الأصـوات عـلى أصـوات المباريـات، واحتسـبَ دنـك أنَّ لا بـأس بذلـك.

قبـل زمـنٍ طويـل جـدًّا أخبـرَه العجـوز: «الفـارس الجـوَّال أنـقى أنـواع الفُرسَـان يـا دنـك. الفُرسـان الآخَـرون يخدمـون الـلوُردات الذيـن يعولونهـم أو الذيـن يسـتمدُّون منهـم سُـلطتهم عـلى أراضيهـم، أمَّـا نحـن فنخـدم حيثمـا نشـاء عنـد رجـالٍ نُؤمِـن بقضاياهـم. كلُّ فـارس يُقسِـم عـلى حمايـة الضُّعفـاء والأبريـاء، لكننـا في ظنِّي أفضـل مَـن يُحافِـظ عـلى يمينـه». عجيـبٌ إلى أيِّ حـدٍّ تبـدو هـذه الذِّكـرى قويَّـةً. لقـد نـسيَ دنـك هـذا الكلام تمامًـا، وربَّمـا نسـيَه العجـوز أيضًـا قُـرب النِّهايـة.

اسـتحالَ الصَّبـاح أصـيلًا، وأخـذَت أصـوات المباريـات البعيـدة تَخفُـت وتَهمُـد. بـدأ الغسـق يتسـرَّب إلى الزِّنزانـة، لكـن دنـك ظـلَّ جالسًـا عـلى مقعـد النَّافـذة، يتطـلَّع إلى الـظَّلام المتزايـد ويُحـاوِل تجاهُـل معدتـه الفارغـة.



ثـم إنـه سـمعَ خُطواتٍ وخشخشـة مفاتيـحٍ حديديَّة، فحلَّ نفسـه من المقعد ونهـضَ فيمـا انفتحَ البـاب. دخـلَ حارسـان يحمـل أحدهمـا مصبـاح زيـت، وتبعهمـا خـادمٌ يحمـل صحفـة طعـام، وخلفهـم أتى إج. قـال لهـم الغُلام: «اترُكـوا المصبـاح والطَّعـام واخرُجـوا».

نفَّـذ الرِّجـال أمـره، وإن لحـظَ دنـك أنهـم تركـوا البـاب الخشـبيَّ الثَّقيـل مواربًـا. نبَّهتـه رائحـة الطَّعـام لمبـلغِ جوعـه. عـلى الصَّحفـة خُبـز سـاخنٍ وعسـل، ووعـاء مـن ثريـد البـازلَّاء، وسـيخ مـن البصـل المشـوي واللَّحـم المفحَّـم. جلسَ دنـك بجـوار الطَّعـام ومزَّق الخُبـز بكلتـا يديْـه ودسَّ قطعـةً في فمـه، ثـم علَّـق: «لا يُوجَـد سكِّيـن.

أحسبوا أني سأطعنك يا ولد؟».

- «لم يُبلِغوني بما حسبوه». يرتدي إج دبليَّةً من الصُّوف الأسود ملاصقةً لبدنه، بخصرٍ مكسَّر وكُمَّين طويليْن مخطَّطيْن بالسَّاتان الأحمر، وعلى صدره تنِّين عائلة تارجاريَن ثُلاثي الرُّؤوس. «عمِّي يقول إنَّ عليَّ أن أتوسَّل مغفرتك لأني خدعتك».

قال دنك: «عمُّك، أي الأمير بيْلوْر».

لاحَ البؤس على الغُلام إذ قال: «لم أقصد إطلاقًا أن أكذب».



ـ «لكنك كذبت، وبشأن كلِّ شيء، بدايةً باسمك. لم أسمع قَطُّ عن أميرٍ اسمه إج».

ـ «هذا اختصار لإيـجوْن. أخي إيـموْن سمَّاني إج. إنه في (القلعة) الآن، يتعلَّم أن يكون ميْسترًا. وديْروْن أيضًا يدعوني بإج أحيانًا، وكذا أختاي».

رفعَ دنك السِّيخ وقضمَ قطعةً من اللَّحم. لحم معاز هذا، منكَّه ببهارٍ مقصور على علية القوم لم يَذُقه من قبل. سالَ الدُّهن على ذقنه وهو يقول: «إيـجوْن. طبعًا إيـجوْن، مثل إيـجوْن التنِّين. كم إيـجوْن كان ملكًا؟».

أجابَ الغُلام: «أربعة، أربعة إيـجوْن».

مضغَ دنك وازدردَ، ثم مزَّق مزيدًا من الخُبز قائلًا: «لماذا فعلتها؟ أهي مجرَّد دُعابة لتُغفِّل الفارس الجوَّال الأحمق؟».

ـ «لا». امتلأت عينا الغُلام بالدُّموع، لكنه وقفَ في مكانه بشجاعة. «كان يُفترَض أن أعملَ مُرافقًا لديْروْن. إنه أخي الأكبر. لقد تعلَّمتُ كلَّ ما وجبَ أن أتعلَّمه لأصبح مُرافقًا صالحًا، لكن ديْروْن ليس فارسًا بارعًا إلى ذلك الحدِّ. لم يُرِد أن يركبَ في دورة المباريات، وهكذا بعد أن غادرنا (بِهو الصَّيف) تسلَّل من فرقة الحراسة التي صاحبَتنا، ولكنْ بدلًا من العودة أدراجه واصلَ الطَّريق رأسًا إلى (آشفرد) مفكِّرًا أنهم لن يبحثوا عنا أبدًا في ذلك الاتِّجاه. هو الذي حلقَ رأسي، فقد علمَ أنَّ أبي سيُرسِل رجالًا في أعقابنا. شعر ديْروْن تقليدي، بنِّي باهت نوعًا، لا يُميِّزه شيء، لكن شعري مثل إيْريوْن وأبي».

قال دنك: «دمُ التنِّين. شعرٌ ذهبيٌّ فضِّيٌّ وأعيُن أرجوانيَّة،

الجميع يعلمون هذا». *غليظ العقل كسور قلعةٍ يا دنك.*

ـ «نعم. لذا حلقَه ديرؤن. لقد انتوى أن نختبئ حتى نهاية الدَّورة، لكنك حسبتني صبيَّ إسطبلٍ و...». خفضَ الغُلام ناظريْه مواصلًا: «لم أبالِ هل سيُقاتِل دَيرؤن أم لا، لكنني أردتُ أن أكون مُرافق أحد، أيِّ أحد. آسفٌ أيُّها السيْر، آسفٌ حقًّا».

رمقَه دنك مفكِّرًا. إنه يعرف معنى أن يرغب المرء في شيءٍ إلى درجة أن ينطقَ كذبةً وحشيَّةً لمجرَّد أن يقترب منه. «ظننتك مثلي. لعلَّك كذلك، ولكن ليس بالطَّريقة التي ظننتها».

بأملٍ قال الغُلام: «إنَّ كلَيْنا من (كينجز لاندنج)».

ضحكَ دنك رغمًا عنه قائلًا: «نعم، أنت من قمَّة (تل إيجون) وأنا من سفحه».

ـ «ليست مسافةً بعيدةً أيُّها السيْر».

أخذَ دنك قضمةً من بصلة، ثم سألَه: «أعليَّ أن أدعوك بـ«سِيدي» أو «سمو الأمير» أو ما شابهَ؟».

ـ «في البلاط، ولكن في باقي الأوقات لك أن تظلَّ تدعوني بإج إذا أردت... أيُّها السيْر».

ـ «ماذا سيفعلون بي يا إج؟».

ـ «عمِّي يُريد رؤيتك، بعد أن تَفرُغ من الأكل أيُّها السيْر».

أزاحَ دنك الصَّحفة جانبًا ونهضَ. «ها قد فرغتُ إذًا. لقد ركلتُ أميرًا في فمه، ولا أريدُ أن أُبقي آخَر منتظرًا».

***

سلَّم اللوْرد آشفرد مسكنه إلى الأمير بيْلوْر خلال مُدَّة إقامته، وهكذا أخذَه إج ـ لا، بل إنه إيْجوْن، عليه أن يعتاد هذا ـ إلى غُرفة اللوْرد الشَّمسيَّة، حيث جلسَ بيْلوْر يقرأ على ضوء شمعةٍ من شمع النَّحل. ركعَ دنك أمامه، وقال له الأمير: «انهض. هل ترغب في نبيذ؟».



ـ «كما يُرضيك يا سموَّ الأمير».

أمرَ الأمير: «صُبَّ للسيِّر دنكن كوبًا من الأحمر الدوْرني الحُلو يا إيْجوْن. حاوِل ألَّا تَسكبه عليه، فقد ألحقت به ضررًا يكفي فعلًا».

قال دنك: «لن يَسكُبه الغُلام يا سموَّ الأمير. إنه غُلام صالح، مُرافق صالح. ولم يتعمَّد أن يُؤذيني، أعرفُ هذا».

ـ «ليس شرطًا أن يتعمَّد المرء الأذى ليُسبِّبه. لقد وجبَ أن يأتيني إيْجوْن حين رأى ما يفعله أخوه بمحرِّكي الدُّمى هؤلاء،

وبدلًا من ذلك هرعَ إليك. لم يكن ذلك لُطفًا. ما فعلته أيُّها السِير... لربَّما فعلتُ المثل لو أني في مكانك، لكنني من أمراء البلاد لا فارسٌ جوَّال. ليس من الحكمة أبدًا أن تضرب حفيد الملك في نوبة غضب مهما كان السَّبب».

أومأ دنك برأسه بتجهُّم. قدَّم له إج كأسًا ذهبيَّةً مترعةً بالنَّبيذ، فقبلَها وأخذَ جرعةً طويلةً.

قال إج بحرارة: «إنني أكرهُ إيريون! وقد اضطررتُ أن أهرع إلى السِير دنكن يا عمَّاه. القلعة كانت بعيدة جدًّا».

قال الأمير بحزم: «إيريون أخوك، والسِّپتونات يقولون إنه يجب أن نحبَّ إخوتنا. إيجون، اترُكنا الآن. أريدُ أن أتكلَّم مع السِير دنكن على انفراد».

وضعَ الغُلام إبريق النَّبيذ وانحنى بجمودٍ قائلًا: «كما ترغب يا سموَّ الأمير»، واتَّجه إلى باب الغُرفة الشَّمسيَّة وأغلقَه وراءه بهدوء.

تفرَّس بيلور كاسِر الحراب في عينَي دنكن لحظةً طويلةً قبل أن يقول: «سير دنكن، دعني أسألك: إلى أيِّ مدى تبرع في الفروسيَّة حقًّا؟ ما مبلغ مهارتك بالسِّلاح؟».

لم يدرِ دنك ماذا يقول. «السير آرلان علَّمني السَّيف والتُّرس، والنِّزال على الحلقات والطَّواويس».

بدا أنَّ الإجابة أزعجَت الأمير بيلور. «أخي ميكار عادَ إلى القلعة قبل ساعاتٍ قليلة. لقد عثرَ على وريثه مخمورًا في خانٍ يَبعُد يومًا من الرُّكوب جنوبًا. ميكار لن يقرَّ بذلك أبدًا، لكنني

أعتقدُ أنه أملَ سرًّا أن يمتاز ابناه عن ابنيَّ في هذه الدَّورة. بدلًا من ذلك أخزاه كلاهما، ولكن ماذا يفعل؟ إنهما دم دمه. مێكار غاضب، ويجب أن يجد هدفًا ليُنفِّس فيه عن غضبه هذا، وقد اختارَك أنت».

قال دنك بتعاسة: «أنا؟».

- «إيْريوْن وسوسَ لأبيه فعلًا، وديْروْن لم يُساعِدك كذلك. ليُبرِّر جُبنه، قال لأخي إنَّ فارسًا لصًّا ضخمًا قابلَه مصادفةً على الطَّريق اختطفَ إيْجوْن. يُؤسِفني أنك وُضِعت في دور هذا الفارس اللِّص أيُّها السيْر. حسب حكايته، قضى ديْروْن هذه الأيَّام كلَّها في تتبُّعك من مكانٍ إلى آخَر ليستعيد أخاه».

- «لكن إج سيُخبِره بالحقيقة. أعني إيْجوْن».

قال الأمير بيْلوْر: «إج سيُخبره، لا شكَّ عندي، لكن الولد معروفٌ بالكذب أيضًا، وهو ما تَذكُره أنت ولسبب وجيه. أيُّ ابنٍ سيُصدِّقه أخي؟ وفيما يخصُّ محرِّكي الدُّمى فعندً فروغ إيْريوْن من تحريف الحكاية سيكون الأمر قد أصبحَ خيانةً عُظمى. التنِّين رمز العائلة الملكيَّة، فأن يُصوِّر مقتل واحدٍ وانهمار نُشارة الدَّم من عُنقه... لا ريب أنها حركة بريئة، لكنها بعيدةٌ تمامًا عن الحكمة. إيْريوْن وصفَها بهجوم مستتر على عائلة تارجاريَن، بتحريض على التَّمرُّد، ومێكار سيُوافِقه غالبًا. أخي شائك الطِّباع، وقد علَّق أعرض آماله على إيْريوْن منذ خيَّبها ديْروْن أيَّما خيبة». أخذَ الأمير رشفةً من النَّبيذ، ثم وضعَ الكأس جانبًا متابعًا: «أيًّا كان ما يُصدِّقه أخي أو يعجز عن تصديقه فحقيقةٌ واحدة مفروغٌ منها. أنت وضعت يدك على دم التنِّين، ولقاء ذلك الجُرم يجب

أن تُحاكَم ويُحكَم عليك وتُعاقَب».

ـ «أُعاقَب؟». لم يُعجِب دنك وقع الكلمة.

ـ «إيْريون يُريد رأسك، بأسنانٍ أو دونها. لن يناله، أعدُك، لكنني لا أستطيعُ أن آبى عليه المحاكمة. بما أنَّ والدي الملوكي يَبعُد مئات الفراسخ فلا بُدَّ أن أجلس وأخي للحُكم عليك، ومعنا اللوْرد آشفرد الحاكم في هذه الأنحاء، واللوْرد تايرل سيِّد (هايجاردن) وسيِّده الأعلى. آخِر مرَّةٍ أدينَ رجلٌ بضرب أحدٍ من الدَّم الملكي، قُضِيَ بفقدانه اليد المسيئة».

ردَّ دنك مذعورًا: «يدي؟!».

ـ «وقدمك. لقد ركلته أيضًا، أليس كذلك؟».

وعجزَ دنك عن النُّطق.

ـ «بطبيعة الحال سأحثُّ زُملائي القُضاة على الرَّحمة. إنني يد الملك ووريث العرش، ولكلمتي إلى حدٍّ ما وزن. لكن لكلمة أخي وزنًا أيضًا. المخاطرة واردة».

قال دنك: «أنا... أنا... سموَّ الأمير، أنا...». أرادَ أن يقول: *إنهم لم يتعمَّدوا أيَّ خيانة. كان مجرَّد تنِّين خشبيّ ولم يُقصَد أن يُمثِّل أميرًا ملكيًّا*، إلَّا أنَّ كلماته هجرَته تمامًا، وهو لم يبرع قَطُّ في صياغة الكلمات.

بهدوءٍ قال الأمير بيْلوْر: «لديك خيارٌ آخَر مع ذلك. سواء أهو خيارٌ أفضل أم أسوأ فلا يُمكنني الجزم، لكنني أذكِّرك بأن أيَّ فارس يُتَّهم بجريمةٍ تحقُّ له المطالبة بمحاكمةٍ بالنِّزال. لذا أسألك ثانيةً أيُّها السيِّر دنكن الطَّويل... إلى أيِّ مدى تبرع في

الفروسـيَّة حقًّـا؟».

***

قـال الأميـر إيْـريوْن مبتسـمًا: «محاكمـة بالسَّـبعة. هـذا حـقِّي أنـا علـى مـا أعتقـدُ».

نقـرَ الأميـر بيْـلوْر علـى الطَّاولـة عاقـدًا حاجبيْـه، وعـن يسـاره أومأ الـلوْرد آشـفرد ببُـطء مؤيِّـدًا، أمَّـا الأميـر مـيْكار فسـألَ مـائلًا إلى الأمـام نحـو ابنـه: «لمـاذا؟ أتخشى أن تُواجِـه هـذا الفـارس الجـوَّال بمفـردك وتـدع الآلهـة تُقـرِّر حقيقـة اتِّهاماتـك؟».

ردَّ إيْـريوْن: «أخشى؟ أحـدًا مثـل هـذا؟ لا تكـن سـخيفًا يـا أبـي. إنَّ تفكيـري لهـو في أخي الحبيـب. ديْـروْن أيضًـا تعـرَّض لاعتـداء هـذا السيْر دنكـن، ولـه الحـقُّ الأوَّل في دمـه. المحاكمـة بالسَّـبعة تُتيـح لكليْنـا مواجهتـه».

غمغـمَ ديْـروْن تارجاريَـن: «لا تُسـدِ إليَّ معروفًـا يـا أخي». يبـدو ابن الأميـر مـيْكار الأكبـر أسـوأ ممَّـا بـدا عندمـا لاقـاه دنـك في الخـان، ومع أنَّ الظَّاهـر أنـه مفيـق هـذه المـرَّة، ولا يُلـوِّث النَّبيـذ دبليَّتـه الحمـراء والسَّـوداء، فعينـاه محتقنتـان بالـدَّم وجبهتـه مغطَّـاة بلمعـة العـرق. «أنـا راضٍ بتشـجيعك فيمـا تفتـك بالمـارق».

قـال الأميـر إيْـريوْن مبتسـمًا باتِّسـاع: «إنـك في غايـة اللُّطـف يـا أخي الجميـل، لكنهـا أنانيـةٌ مـني أن آبـى عليـك حـقَّ إثبـات صحَّـة كلامـك بتعريـض جسـدك للخطـر. يجـب أن أصـرَّ عـلى محاكمـةٍ بالسَّـبعة».

تملَّكت دنك الحيرة، وقد خاطبَ المنصَّة قائلًا: «سموَّ الأمير، أيُّها السَّادة، إنني لا أفهمُ. ماذا تعني المحاكمة بالسَّبعة؟».

اعتدلَ الأمير بيْلوْر بغير راحةٍ في جلسته، وأجابَ: «إنها صنف آخَر من المحاكمة بالنِّزال. تقليدٌ عتيق، نادرًا ما يتَّكل عليه أحد. لقد وصلَ إلينا عبر (البحر الضيّق) مع الأنداليّين وآلهتهم السَّبعة. في أيِّ محاكمةٍ بالنِّزال يسأل المتَّهم والمتَّهَم الآلهة أن تبتَّ في المسألة بينهما. الأنداليُّون اعتقدوا أنه إذا قاتلَ سبعة أنصارٍ على كلِّ جانبٍ فسيرجح أن تتدخَّل الآلهة وقد نالَت تكريمها وتضمن التَّوصُّل إلى عاقبةٍ عادلة».

علَّق اللوْرد ليوْ تايرل الذي مسَّت ابتسامةٌ مستهزئة شفتيْه: «أو إنهم ببساطةٍ مالوا إلى المسايفة»، ثم أردفَ: «بغضِّ النَّظر، السيْر إيْريوْن في نطاق حقوقه. لا بُدَّ أن تُعقَد محاكمة بالسَّبعة».

يائسًا سألَ دنك: «أيجب أن أقاتل سبعة رجالٍ دُفعةً واحدةً؟».

أجابَه الأمير ميْكار بصبرٍ يكاد ينفد: «ليس بمفردك أيُّها السيْر. لا تُمثِّل الحماقة، فلن ينفعك هذا. يجب أن يُقاتِل سبعة ضد سبعة. عليك أن تَعثُر على ستَّة فُرسانٍ آخَرين ليُقاتِلوا بجانبك».

- *ستَّة فُرسان.* كأنهم يقولون له أن يَعثُر على ستَّة آلاف. إنه بلا إخوة، ولا أبناء عمومة، ولا رفاق قُدامى وقفوا إلى جواره في المعارك. لماذا يُجازِف ستَّة غُرباء بحيواتهم ليُدافعوا عن فارسٍ جوَّال ضد أميريْن من العائلة الملكيَّة؟ «سموَّ الأمير، أيُّها السَّادة، ماذا إذا رفضَ أيُّ أحدٍ الانضمام إليَّ؟».

نظرَ إليه ميْكار تارجاريَن من أعلى ببرودٍ قائلًا: «لو أنَّ

القضيَّـة عادلـةٌ فسـيُقاتِل الرِّجـال الصَّالحـون في سـبيلها. إذا لـم تستطِع العثـور علـى أيِّ أنصـارٍ أيُّهـا السـيِّر فذلـك لأنـك مذنـب. هـل مـن شيءٍ أوضح؟».

***

لـم يَشعُر دنك قَـطُّ بمثـل هـذه الوحـدة التي استبدَّت بـه إذ خـرجَ مـن بوَّابـة (قلعـة آشـفرد) وسـمعَ قعقعـة الشَّـبكة الحديديَّـة وهـي تنـزل مـن خلفـه. كان الطَّـلُّ يَسـقُط خفيفًـا كالنَّـدى عـلى جلده، ومع ذلـك ارتجـفَ للمسـته. عـلى ضفَّـة النَّهـر الأخـرى طوَّقـت هـالات مـن الألـوان السُّـرادقات المعـدودة التي لا تـزال في داخلها نـار، فخمَّـن أنَّ نصـف اللَّيـل انقـضى، وسيطلع عليـه الفجر خلال ساعاتٍ قليلة.

ومع الفجر يأتي الموت.



لقـد أعـادوا إليـه سـيفه وفضَّتـه، ورغـم ذلـك وهـو يتوغَّـل في ميـاه المخاضـة غلَّفـت أفـكارَه الكآبـةُ. تسـاءلَ هـل يتوقَّعـون منـه

أن يُسرِّج حصانًا ويفرَّ. يستطيع إذا أرادَ. طبعًا سيعني ذلك نهاية فروسيَّته، ومن ذلك الحين لن يعود إلَّا خارجًا عن القانون إلى أن يقبض عليه أحد اللوردات ويقطع رأسه. قال لنفسه بعناد: خيرٌ *لي أن أموت فارسًا من أعيش تلك الحياة.* مبتلًّا حتى الرُّكبتيْن، مشى بتثاقُلٍ مرورًا بمضمار المُثاقفات الخالي. معظم السُّرادقات مظلم وقد نامَ أصحابها منذ مُدَّةٍ طويلة، لكنه رأى هنا وهناك شموعًا قليلةً لا تزال مشتعلةً، ومن داخل إحدى الخيام سمعَ آهاتٍ ناعمةً وصيحاتٍ لذَّة، وحدا به هذا إلى التَّساؤل هل سيموت دون أن يعرف فتاةً يومًا.

ثم سمعَ حصانًا ينخر، وبوسيلةٍ ما علمَ أنه نخير ثندر. دارَ دنك على عقبيْه وجرى، وها هو ذا ثندر مقيَّد مع تشستنت خارج سُرادقٍ مستدير يُنيره من الدَّاخل وهجٌ ذهبيٌّ مبهم، وفوق قائمته المركزيَّة رايةٌ مخضَّلة، لكن دنك استطاعَ تمييز انحناءة تُفَّاحة فوسوواي الدَّاكنة، وبدا المشهد كبصيص أمل.

ـ «محاكمة بالنِّزال». قالها رايمن بنبرةٍ ثقيلة. «بحقِّ الآلهة يا دنكن، معنى هذا رماح حربيَّة، كُرات شائكة، فؤوس معارك... السُّيوف لن تكون مثلَمةً، هل تفهم؟».

قال ابن عمومته السير ستفون ساخرًا: «رايمن المتردِّد». تُثبِّت تُفَّاحة من الذَّهب والعقيق الأحمر معطفه الصُّوف الأصفر. «لا داعي للخوف يا ابن العمّ، إنه نزالٌ للفُرسان. بما أنك لست فارسًا فلا خطر عليك. سيرَ دنكن، إنَّ معك فوسووايِ واحدًا على الأقل، النَّاضج. لقد رأيتُ ما فعلَه إيريون بمحرِّكي الدُّمى. إنني في صفِّك».

مغضبًا قال رِايمن: «وأنا كذلك. قصدتُ فقط...».

قاطعَه ابن عمومته: «مَن أيضًا سيُقاتِل معنا أيُّها السيْر دنكن؟».

بسطَ دنك يديْه بقنوطٍ مجيبًا: «لا أعرفُ أحدًا آخَر، لا أحد باستثناء السيْر مانفرِد دُنداريوْن. لقد رفضَ أن يشهد بأني فارس، فلن يُخاطِر بحياته من أجلي أبدًا».

لاحَ شيء من الاضطراب على السيْر ستفوْن إذ قال: «نحتاج إذًا إلى خمسة رجالٍ صالحين. لحُسن الحظِّ أنَّ لي أكثر من خمسة أصدقاء. ليوْ الشَّوكة الطَّويلة، العاصفة الضَّاحكة، اللوْرد كاروْن، ولدا لانستر، السيْر أوْثوْ براكن... أجل، وأولاد بلاكوود أيضًا، ولو أنك لن تُفلح أبدًا في جعل بلاكوود وبراكن يُقاتِلان في صفٍّ واحد في التحامٍ جماعي».



اعترضَ ابن عمومته: «لن يُفرِحهم أن يُوقَظوا في هذه السَّاعة».

قال السيْر ستفوْن: «ممتاز. إذا غضبوا فسيُقاتِلون بمزيدٍ من الشَّراسة. يُمكنك الاعتماد عليَّ أيُّها السيْر دنكن. اسمع يا ابن العمِّ، إذا لم أرجع قبل الفجر فاجلب درعي

واحرص على تسريجِ راث وتدريعه من أجلي. سأقابلكما في حلبة المتحدِّين»، وأضافَ ضاحكًا: «سيُذكَر هذا اليوم طويلًا على ما أظنُّ». حين غادرَ الخيمة بخُطواتٍ واسعة بدا أقرب إلى السَّعادة.

أمَّا رِايمن فلا، فبعد رحيل ابن عمومته قال بجهامة: «خمسة فُرسان. دنكن، أكرهُ أن أحطِّم آمالك، ولكن...».

- «إذا استطاعَ ابن عمومتك جلب الرِّجال الذين ذكرَهم...».

قال رِايمن: «ليؤ الشَّوكة الطَّويلة؟ غاشم براكن؟ العاصفة الضَّاحكة؟»، ونهضَ مواصلًا: «إنه يعرفهم جميعًا، لا شكَّ عندي، لكن ثقتي أقلُّ بمعرفتهم هُم به. ستفوُن يراها فُرصةً للمجد، لكنها تعني حياتك. حريٌّ بك أن تجد رجالك بنفسك. سأساعدك. أفضلُ أن يزيد أنصارك على اللَّازم من أن يقلُّوا عنه». في تلك اللَّحظة أدارَ رِايمن رأسه على إثر ضوضاء من الخارج، وإذ سألَ: «مَن هناك؟»، دخلَ غُلام من سديلة الخيمة منحنيًا، يتبعه رجلٌ نحيل في معطفٍ أسود مشبَّع بماء المطر.

قامَ دنك قائلًا: «إج؟ ماذا تفعل هنا؟».

أجابَه الغُلام: «إنني مُرافقك. سيلزمك مَن يُلبِسك درعك أيُّها السيِر».

- «هل يعرف السيِّد والدك أنك غادرت القلعة؟».

- «بحقِّ الآلهة، لا آملُ ذلك». قالها ديرُون تارجاريَن وهو يحلُّ مشبك معطفه ويَترُكه ينزلق عن كتفيْه النَّحيلتيْن.

صاحَ دنك: «أنت؟! أمجنونٌ أنت لكي تأتي إلى هنا؟»، وسحبَ

سكِّينه من غِمده مُردفًا: «جديرٌ بي أن أغرزه في بطنك».

قال الأمير ديْرون: «على الأرجح، لكنني أوثرُ أن تصبَّ لي كأس نبيذ. انظُر إلى يديَّ»، ورفعَ إحداهما ليروا جميعًا رعشتها.

تقدَّم إليه دنك بنظرةٍ عابسة، وقال: «لا أبالي بيديْك. لقد تكلَّمت عني كذبًا».

ردَّ الأمير: «كان عليَّ أن أقول شيئًا، أيَّ شيء، حين طالبَ أبي بأن يعرفِ أين ذهبَ أخي الصَّغير»، وتابعَ وهو يجلس متجاهلًا دنك وسكِّينه: «الحقُّ يُقال، لم ألحظ أصلًا أنَّ إج اختفى. لم يكن في قعر كأس نبيذي، ولم أنظر في مكانٍ آخَر، فـ...»، وصمتَ متنهِّدًا.

تدخَّل إج قائلًا: «سيْر، أبي سينضمُّ إلى المتَّهمين السَّبعة. توسَّلتُ إليه ألَّا يفعل، لكنه يأبى الإصغاء. يقول إنها الطَّريقة الوحيدة لاسترداد شرف إيْريون، وديْرون أيضًا».

قال الأمير ديْرون بنبرةٍ لاذعة: «مع أني لم أطلب قَطُّ استرداد شرفي. على حدِّ اهتمامي، فليحتفظ به من أخذَه أيًّا كان. ولكن ها نحن أولاء. في رأيي المتواضع أيُّها السيْر دنكن، لا يُوجَد ما تخشاه مني. الشَّيء الوحيد الذي أحبُّه أقل من الخيل هو السُّيوف. أشياء ثقيلة، وحدَّتها فظيعة. سأبذلُ قصارى جهدي لأبدو باسلًا خلال الهجمة الأولى، أمَّا بعد ذلك... قد يُمكنك أن تُصيبني بضربةٍ موفَّقة على جنب الخوذة. اجعلها ترنُّ، ولكن ليس أعلى من اللَّازم لو أنك تفهم ما أعنيه. إخوتي يتفوَّقون عليَّ حين يتعلَّق الأمر بالقتال والرَّقص والتَّفكير وقراءة الكُتب، لكن أحدًا منهم لا يَبلُغ نصف براعتي في الارتماء فاقد الحسِّ

في الوحـل».

لـم يسـتطِع دنـك إلَّا أن يُحـدِّق إليـه ويتسـاءَل هـل يُحـاوِل الأميـر الصَّغيـر اسـتغفاله. «لمـاذا أتيـت؟».

ـ «لأحـذِّرك ممَّـا تُواجِهـه. لقـد أمـرَ أبـي الحـرس المـلكي بالقتـال معه».

ردَّد دنك مفزوعًا: «الحرس الملكي؟».

ـ «الثَّلاثـة الموجـودون هنـا. الشُّكـر للآلهـة أنَّ العـمَّ بيْـلوْر تـركَ الأربعـة الآخَريـن في (كينجـز لانـدنج) مع جدِّنـا الملـوكي».

زوَّده إج بأسـمائهم: «السـيْر روْلنـد كريْكـهوْل، والسـيْر دوْنـل ابـن (وادي الغسـق)، والسـيْر وِلـم وايلـد».

أضـافَ ديْـروْن: «خيارهـم في الأمـر محـدود. لقـد أقسَـموا عـلى حمايـة حيـاة الملـك والعائلـة الملكيَّـة، وإخـوتي وأنـا مـن دم التنِّيـن، ولتُعيننـا الآلهـة».

عـدَّ دنـك عـلى أصابعـه، وقـال: «أي إنَّ لديكـم سـتَّةً. مَـن الرَّجـل السَّـابع؟».

هـزَّ الأميـر ديْـروْن كتفيْـه مجيبًـا: «إيْـريوْن سـيجد أحـدًا. سيشـتري نصيـرًا إذا لـزمَ الأمـر. إنـه لا يفتقـر إلى الذَّهـب».

سألَ إج: «مَن لديك؟».

ـ «ابن عمومة رِايمن، السيْر ستفوْن».

جفلَ ديْروْن قائلًا: «واحد فقط؟».

ـ «السيْر ستفوْن ذهبَ إلى بعض أصدقائه».

قال إج: «أستطيعُ أن أجلب أناسًا، فُرسانًا، أستطيعُ».

قال له دنك: «إج، إنني سأقاتلُ أخويْك».

ـ «لكنك لن تُؤذي ديْرون. لقد أكَّد لك أنه سيَسقُط. وإيْريون... أذكرُ أنه اعتادَ وأنا صغير أن يَدخُل غُرفة نومي ليلًا ليضع سكِّينه بين ساقيَّ ويقول إن له إخوةً أكثر من اللَّازم، وذات ليلةٍ قد يجعلني أخته، وعندئذٍ يُمكنه أن يتزوَّجني. لقد رمى قطَّتي في البئر أيضًا. يقول إنه لم يفعل، لكنه يكذب دومًا».

بتعبٍ هزَّ الأمير ديْرون كتفيْه، وقال: «إج يقول الحقيقة. إيْريونُ وحشٌ شنيع. إنه يخال نفسه تنِّينًا في هيئةٍ بشريَّة. لهذا أغضبَه بشدَّةٍ عرض العرائس. مؤسفٌ أنه لم يُولَد من آل فوْسوْواي ليخال نفسه تُفَّاحةً ونُمسي جميعًا آمَن بكثير، ولكن هي ذي حالنا»، ثم نهضَ ملتقطًا معطفه السَّاقط ونفضَ عنه ماء المطر مواصلًا: «يجب أن أتسلَّل إلى القلعة من جديدٍ قبل أن يتساءَل أبي لماذا يستغرق شحذ سيفي كلَّ هذا الوقت، ولكن قبل أن أذهب، أرغبُ في كلمةٍ على انفرادٍ أيُّها السيْر دنكن. هلَّا مشيت معي؟».

رمقَ دنك الأمير الصَّغير بريبةٍ لحظةً، ثم أغمدَ خنجره قائلًا: «كما تشاء يا سموَّ الأمير. عليَّ أن أحضر تُرسي أيضًا».

وعدَه رِايمن: «إج وأنا سنبحث عن فُرسان».

عقدَ الأمير ديْرون معطفه حول عُنقه ورفعَ القلنسوة، وتبعَه دنك إلى المطر الخفيف بالخارج، ليمشيا صوب عربات التُّجَّار.

قال الأمير: «لقد حلمتُ بك».

ـ «هكذا قلت في الخان».

ـ «حقًّا؟ حسن، إنها الحقيقة. أحلامي ليست كأحلامك أيُّها السيْر دنكن. أحلامي أنا صحيحة. إنها تُخيفني. أنت شخصيًّا تُخيفني. لقد حلمتُ بك وبتنِّينٍ ميت، وحش عظيم، هائل، جناحاه كبيران إلى درجة تغطية هذا المرج. سقطَ التنِّين فوقك، لكنك ظللت حيًّا وماتَ التنِّين».

ـ «هل قتلته؟».

ـ «هذا ما لا أعلمه، لكنك كنت هناك، وكذلك التنِّين. لقد كنا سادة التَّنانين ذات يوم، نحن آل تارجاريَن، والآن انقرضَت التَّنانين جميعًا ونحن باقون. لا أريدُ أن أموت اليوم. وحدها الآلهة تعلم السَّبب، لكنني لا أريدُ، فأسدِ إليَّ صنيعًا إذا قدرت واحرص أن يكون أخي إيْريوْن مَن تَقتُله».

قال دنك: «أنا أيضًا لا أريدُ أن أموت».

قال الأمير: «لن أقتلك أنا أيُّها السيْر، وسأسحبُ اتِّهامي أيضًا، لكن ذلك لن يُفيد ما لم يسحب إيْريوْن اتِّهامه»، وزفرَ مُتبعًا: «ربَّما قتلتك بكذبتي. إذا صحَّ ذلك فأنا آسفٌ. إنَّ مصيري جحيمٌ ما، أعلمُ. غالبًا جحيم بلا نبيذ». ارتعدَ ديْروْن، وعلى هذه الحال افترَقا، هناك في الظِّلِّ البارد.

***

يصفُّ التُّجّار عرباتهم عند حدِّ المرج الغربي تحت أجمةٍ من شجر القَضبان والمُرَّان. وقفَ دنك تحت الأشجار ونظرَ بعجزٍ إلى المساحة الخالية التي احتلَّتها من قبلُ عربة محرّكي الدُّمى. رحلوا. هكذا خشيَ. *كنتُ سأهربُ أيضًا لو أني لستُ غليظ العقل كسور قلعة.* تساءلَ ماذا سيفعل الآن ليَحصُل على تُرس. قدَّر أنه يملك الفضَّة لشراء واحد، هذا لو وجدَ واحدًا للبيع...

ناداه صوتٌ من الظُّلمة: «سِر دنكن»، فالتفتَ ليُلفي پيْت الفولاذي خلفه حاملًا فانوسًا من الحديد. تحت معطفٍ جلديّ قصير وقفَ صانع السِّلاح عاري الجذع، يُغطِّي صدره العريضَ وذراعيْه السَّميكتيْن شعرٌ أسود خشن. بادرَه پيْت: «إذا أتيت من أجل تُرسك فقد تركتُه معي»، وتطلَّع إلى دنك من أعلى إلى أسفل قائلًا: «يدان وقدمان حسب عدِّي. هي محاكمةٌ بالنِّزال إذًا، صح؟».

- «محاكمة بالسَّبعة. كيف عرفت؟».

- «لربَّما قبَّلوك وجعلوك لوْردًا، وإن لم يبدُ ذلك واردًا، ولو مضى الأمر في الاتِّجاه الآخَر لنقصَتك بضعة أطراف. والآن اتبعني».

سهلَ تمييز عربة پيْت من السَّيف والسَّندان المرسوميْن على جنبها. تبعَه دنك إلى الدَّاخل، حيث علَّق صانع السِّلاح الفانوس على خُطَّافٍ وخلعَ معطفه المبتلَّ وارتدى غلالةً من الخيش. من أحد الجُدران ينزل لوحٌ معلَّق بمفصلات ليعمل بمثابة طاولة، وقد قال پيْت لدنك دافعًا نحوه كرسيًّا واطئًا: «اجلس».

سألَه دنك وهو يجلس: «أين ذهبَت؟».

أجابَ پِيْت: «إنهم متَّجهون إلى (دوْرن). خال الفتاة، إنه رجلٌ حكيمٍ. البعيد عن العين بعيد عن العقل؛ ابقَ منظورًا وغالبًا سيتذكرك التنِّين. علاوةً على ذلك، الرَّجل لم يحسب أنَّ على الفتاة أن تراك تموت»، ثم ذهبَ إلى طرف العربة القصيّ وفتَّش في الظِّلال لحظاتٍ قبل أن يعود بالتُّرس. «حافتك كانتَ قديمةً، فولاذ رخيص، هشٌّ وصدئ. صنعتُ لك واحدةً جديدةً بضِعف السُّمك، ووضعتُ بعض الشَّرائط المثبّتة على الظَّهر. ستجده أثقل الآن، لكنه أقوى أيضًا. الفتاة تولَّت الرَّسم».

ولقد أدَّت عملًا أجود ممَّا كان يُمكن أن يأمل. حتى على ضوء الفانوس بدَت ألوان الغروب غنيَّةً زاهيةً، والشَّجرة طويلةً وقويَّةً ونبيلةً، والنَّجم الهاوي شقًّا برَّاقًا من الطِّلاء في السَّماء السِّنديانيَّة. ومع ذلك، الآن وقد أمسكها بيده، بدَت الصُّورة خطأ تمامًا. النَّجم يهوي، فأيُّ نوعٍ من الرُّموز هذا؟ هل سيهوي



بدوره بالسُّرعة نفسها؟ والغروب يُؤذِن بحلول اللَّيل. قال دنك ببؤس: «كان عليَّ أن أحتفظَ بالكأس. على الأقل كان لها جناحان للطَّيران، والسِيْر آرلان قال إنَّ الكوب مليء بالإيمان والمودَّة والمشاريب الطيِّبة. التُّرس مرسومٌ كأنه الموت».

أشارَ پيْت: «الدَّردارة حيَّة. أترى خُضرة الأوراق اليانعة؟ أوراق صيفيَّة دون ريب. ثم إنني رأيتُ تراسًا مزيَّنةً بجماجم وذئابٍ وغِدفان، بل وبرجالٍ مشنوقين ورؤوسٍ دامية، ولقد أدَّت المطلوب منها، وكذا سيفعلُ هذا. هل تعرفُ أسجوعة التِّراس القديمة؟ *السِّنديان والحديد يقيانني خير وقاء*...».

- «... *وإلَّا فأنا ميِّتٌ وإلى الجحيم الانتهاء*». منذ سنين لم يُفكِّر دنك في تلك الأسجوعة التي لقَّنها له العجوز قبل زمنٍ طويل. «كم تُريد لقاء الحافة الجديدة والبقيَّة؟».

قال پيْت: «منك؟»، وحكَّ لحيته مجيبًا: «قطعة نُحاسيَّة واحدة».

***

انقطعَ المطر تقريبًا وأوَّل خيوط الفجر الباهتة يُضرِّج سماء الشَّرق، ولكن بعدما آتى مفعوله. أزالَ رجال اللورد آشفرد الحواجز، واستحالَ حقل المباريات إلى مستنقع واحد عظيم من الوحل البنِّي الرَّمادي والعُشب الممزَّع، وراحَت محالق من الضَّباب تتلوَّى على الأرض كثعابين بيضاء شاحبة فيما شقَّ دنك طريقه عودةً إلى المضمار ومعه پيْت الفولاذي.

بدأت مدرَّجات المشاهدة تمتلئ بالفعل، وفوقها ضمَّ اللوْردات والليْديهات معاطفهم على أبدانهم بإحكام اتِّقاءً لبرودة الصُّبح. وكان العوام أيضًا ينساقون نحو الحقل، ووقف مئات منهم على طول السِّياج. فكر دنك بمرارة: *كثيرون جدًّا أتوا ليروني أموتُ*. غير أنه ظلَمَهم، فبعد خُطواتٍ قليلة صاحَت امرأة: «حظًا طيِّبًا لك»، وتقدَّم عجوزٌ ليُمسِك يده ويقول: «عسى أن تمنحك الآلهة القوَّة أيُّها السيْر»، ثم ردَّد أخٌ شحَّاذ في رداء بنِّي مهترئ صلاة بركةٍ على سيفه، وقبَّلته فتاةٌ على خدِّه. *إنهم في صفِّي*. سألَ دنك پيْت: «لماذا؟ ماذا أعني لهم؟».

أجابَ الحدَّاد: «فارسًا تذكَّر نذوره».



وجدا رايمن خارج حلبة المتحدِّين عند طرف المضمار الجنوبي، ينتظر بحصان ابن عمومته وحصان دنك، ثندر الذي انتفضَ بضيقٍ تحت وزن واقي القذال وواقي الرَّأس وكُسوة الحلقات المعدنيَّة الثَّقيلة. فحصَ پيْت الدِّرع وأعلنَ أنها متقنة الصُّنع مع أنَّ شخصًا آخَر صاغَها، وأيًّا كان المكان الذي أتَت منه فقد شعرَ دنك بالامتنان.

ثم رأى الآخَرين: الرَّجل الأعور بلحيته ذات لونَي الملح والفلفل، والفارس الشَّاب بمعطفه المخطَّط بالأصفر والأسود وخلايا النَّحل على تُرسه. فكَّر مندهشًا: *رؤبن ريزلنج وهمفري بيزبري، والسِّير همفري هاردنج أيضًا.* امتطى هاردنج كرَّار إيْريوْن الأحمر، المدرَّع الآن بالألماس الأحمر والأبيض.

ذهبَ إليهم قائلًا: «أيُّها الفُرسان، إنني مدينٌ لكم».

ردَّ همفري هاردنج: «الدَّين على إيْريوْن، وننوي أن نستوفيه».

ـ «سمعتُ أنَّ ساقك انكسرَت».

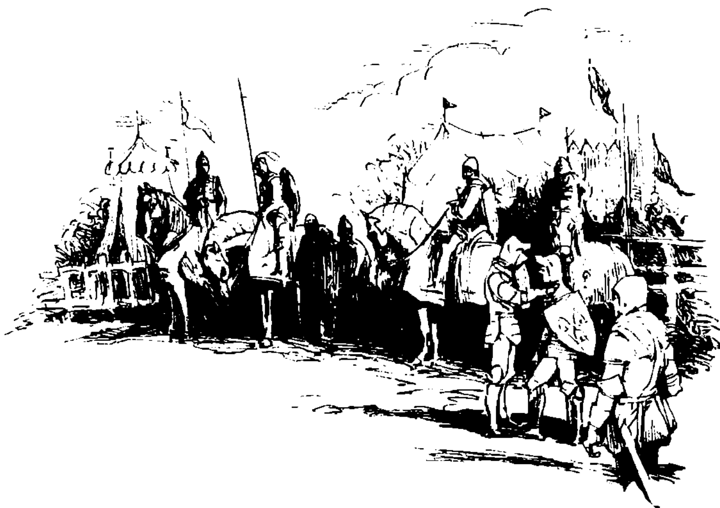
قال هاردنج: «سمعت الحقيقة. لا يُمكنني المشي، ولكن ما دامَ بإمكاني ركوب حصانٍ فبإمكاني القتال».

انتحى رايمن بدنك جانبًا، وقال له: «أملتُ أن يرغب هاردنج في فُرصةٍ أخرى لقتال إيْريوْن، وقد كان. يتصادَف أنَّ همفري الآخَر أخوه بالمصاهرة. إج المسؤول عن إحضار السِّير رؤبن الذي يعرفه من دورةٍ أخرى. أنتم خمسة إذًا».

بعجبٍ قال دنك مشيرًا: «ستَّة». كان فارسٌ يَدخُل الحلبة، ويقود مُرافقه كرَّاره وراءه. «العاصفة الضَّاحكة». يعلو السِّير

لائِنـل رِايمـن بِمقـدار رأس ويُناهِـز دنـك طـولًا، وقـد ارتـدى معطفًـا مـن قُمـاش الذَّهـب يحمـل وعـل عائلـة باراثـيؤن المتـوَّج، ووضعَ خوذتـه ذات القـرون تحـت إبطـه. مـدَّ دنـك يـده إليـه قـائلًا: «سـيْر لائِنـل، إنـني عاجـزٌ عـن شُـكـرك كفايـةً لمجيئـك، أو شُـكـر السـيْر ستفؤن لأنـه أحضـرَك».

حدجَـه السـيْر لائِنـل بنظـرةٍ حائـرة، وقـال: «السـيْر سـتفؤن؟



مُرافقـك هـو الـذي أتـاني، الصَّبـي إيْـجون. الفـتى مُرافـقي حـاولَ أن يَطـرُده، لكنـه جـرى مـن بيـن سـاقيْه وسكـبَ إبريـق نبيـذٍ عـلى رأسي»، وضحـكَ متابعًـا: «لـم تُعقَـد محاكمـةٌ بالسَّـبعة منـذ مئـة عـام وزيـادة، أتـدري ذلـك؟ مـا كنـتُ لأفـوِّت فُرصـةً لقتـال فُرسـان الحَـرس المـلكي وقـرص أذن الأمـير مـيْكار فـوق البيعـة».



فيما انضمَّ السِير لايْنل إلى الآخَرين، قال دنك لِرايمن فوسْوِاي بأمل: «ستَّة. مؤكّد أنَّ ابن عمومتك سيجلب الرَّجلَ الأخير».

ارتفعَ هتافٌ مدوٍّ من المتفرّجين، فعند طرف المرج الشَّمالي خبَّ طابورٌ من الفُرسان منبثقًا من ضباب النَّهر. تقدَّم رجال الحرس الملكي الثَّلاثة أوَّلًا مثل أشباح في دروعهم المينا البيضاء البرَّاقة ومعاطفهم البيضاء الطَّويلة الممتدَّة خلفهم. حتى تراسهم بيضاء، مصمتة ونظيفة كحقلٍ من الثَّلج السَّاقط لتوّه. وراءهم ركبَ الأمير ميْكار وابناه، يمتطي إيْريوْن حصانًا رماديًّا أرقش، ويُومِض البرتقالي والأحمر عبر الشُّقوق في كُسوة الحصان مع كلِّ خُطوة، أمَّا بِرذون أخيه فكُميت أصغر حجمًا، مدرَّع بصفائح سوداء وذهبيَّة متداخلة، ومن خوذة ديْروْن تمتدُّ ريشةٌ من الحرير الأخضر. على أنَّ هيئة أبيهما هي الأكثر مهابةً، إذ تمتدُّ أسنان تنّين سوداء مقوَّسة على كتفيْه وقمَّة خوذته وظهره، والمِقمعة الشَّائكة الضَّخمة المثبَّتة إلى سرجه تبدو من أشد الأسلحة التي رآها دنك فتكًا.

صاحَ رِايمن فجأةً: «ستَّة. إنهم ستَّة فقط».

رأى دنك صحَّة كلامه. *ثلاثة فُرسان سُود وثلاثة بِيض. يَنقُصهم رجلٌ أيضًا.* أممكنٌ أنَّ إيْريوْن لم يستطع العثور على رجلٍ سابع؟ ما الذي سيعنيه ذلك؟ هل سيُقاتِلون ستَّةً ضد ستَّةٍ إذا لَم يجد أيُّ الفريقيْن سابعًا؟

انسلَّ إج ليقف بجواره وهو يُحاوِل الاستيعاب، وقال: «سِير، حانَ الوقت لترتدي درعك».

ـ «شُكرًا أيُّها المُرافق. هلَّا ساعدتني إذا سمحت؟».

عـاونَ پيْـت الفـولاذي الصَّبـي. الـزَّرد والعُنقيَّـة، والكلسـة والقُفَّـاز، والمِغفـر وواقي الصَّفـن، هكـذا حـوَّلاه إلى فـولاذٍ مسـتوثقيْن مـن كلِّ إبزيـمٍ وكلِّ مشـبكٍ ثلاثًـا. جلسَ السـيْر لاينَـل يسـنُّ سـيفه عـلى مشـحذ، فيمـا تكلَّـم الثُّنـائي همفـري بهـدوء، وصـلَّى السـيْر روْبـن، وتحـرَّك رِايمـن فوْسوْوِاي جيئـةً وذهوبًـا يتسـاءَل أيـن ابـن عمومتـه.

كان دنـك قـد دُرِّعَ بالكامـل عندمـا ظهـرَ السـيْر سـتفوْن أخيـرًا ونـادى: «رِايمـن، زردي مـن فضلـك». بـدَّل فوْسوْوِاي بثوبـه دبليَّـةً مبطَّنـةً ليرتديهـا تحـت الفـولاذ.

قـال دنـك: «سـيْر سـتفوْن، مـاذا عـن أصدقائـك؟ يلزمنـا فـارسٌ آخَـر ليُكمِـل سـبعتنا».

ردَّ السـيْر سـتفوْن: «يلزمكـم اثنـان للأسـف»، فيمـا عقـدَ رِايمـن الأربطـة عـلى ظهـر زرده.

لم يفهم دنك. «سِيدي؟ اثنان؟».

التقـطَ السـيْر سـتفوْن قُفَّـازًا مـن الفـولاذ المشـبَّك الممتـاز ودسَّ فيـه يُسـراه ليثني أصابعه ويبسـطها، وقـال فيمـا منطقَـه رِايمـن بنِجـاد سـيفه: «أرى خمسـةً هنـا. بيزبـري، ريزلـنج، هـاردنج، باراثـيوْن، وأنـت».

ـ «وأنت. أنت السَّادس».

قـال السـيْر سـتفوْن مبتسـمًا: «أنـا السَّـابع، ولكـن عـلى الجانـب الآخَـر. سـأقاتلُ مع الأميـر إيْـريوْن والمتَّهِميـن».

كان رِايمـن عـلى وشـك مناولـة ابـن عمومتـه خوذتـه، لكنـه توقَّـف كأنَّمـا صُعِقَ، وقـال: «لا».

هزَّ السِير ستفوْن كتفيْه قائلًا: «نعم. السِير دنكن يتفهَّم، أنا واثق. إنَّ عليَّ واجبًا لأميري».

قال رايمن الذي امتقعَ وجهه: «قلتَ له أن يعتمد عليك».

قال فوْسوْواي: «حقًّا؟»، وأخذَ الخوذة من يدَي ابن عمومته مُردفًا: «لا شكَّ أني قلتها صادقًا. أحضِر حصاني».

ردَّ رايمن مغضبًا: «أحضِره بنفسك. إذا حسبت أني أريدُ أن ألعب أيَّ دورٍ في هذا فإنك غبيٌّ مثلما أنت وضيع».



ردَّد السِير ستفوْن: «وضيع؟»، وطقطقَ بلسانه قائلًا: «صُن لسانك يا رايمن. كلانا تُفَّاحة من الشَّجرة نفسها، وأنت مُرافقي، أم نسيت نذورك؟».

ـ «كلَّا. هل نسيت أنت نذورك؟ لقد أقسمت أن تكون فارسًا».

ـ «سأكونُ أكثر من فارسٍ قبل نهاية اليوم. اللوْرد فوْسوْواي. يُعجِبني وقعها». مبتسمًا، وضعَ السِير ستفوْن فردة قُفَّازه الأخرى ودارَ على عقبيْه قاطعًا الحلبة نحو حصانه، ومع أنَّ المدافعين الآخَرين رشقوه بنظرات الاحتقار فإن أحدًا منهم لم يتحرَّك

ليُوقِفه.

شاهدَ دنك السِّر ستفوْن يقود بِرذونه عبر الحقل، وقد انضمَّت قبضتاه بقوَّةٍ وإن أحسَّ أنَّ حلقه أضعف من أن يتكلَّم. *لا كلام يُمكن أن يُؤثِّر في أمثاله على كلِّ حال.*

وضعَ رايمن يده على كتف دنك وأدارَه قائلًا: «نصِّبني فارسًا. سأحلُّ محلَّ ابن عمومتي. سِر دنكن، نصِّبني فارسًا»، ثم ركعَ على رُكبةٍ واحدة.

بوجهٍ مقطَّب مدَّ دنك يده إلى مقبض سيفه الطَّويل، ثم تردَّد. «رايمن، إنني... لا يَجدُر بي».

ـ «يجب أن تفعلها. من غيري عددكم خمسة فقط».

قال السِّر لايْنل باراثيوْن: «الفتى يقول الحقَّ. افعلها يا سِر دنكن. لأيِّ فارسٍ أن يُسبِغ الفروسيَّة».

سألَه رايمن: «ألديك شكٌّ في شجاعتي؟».

ـ «لا، ليس ذلك، ولكن...». ظلَّ دنك على تردُّده.

شقَّت جوقةٌ من الأبواق هواء الصَّباح الضَّبابي، وهرعَ إليهم إج قائلًا لدنك: «اللوْرد آشفرد يستدعيك».

هزَّ العاصفة الضَّاحكة رأسه بصبرٍ شحيح، وقال: «اذهب إليه يا سِر دنكن. سأمنحُ أنا المُرافقَ رايمن فروسيَّته»، ثم دفعَ دنك جانبًا بكتفه، وامتشقَ سيفه ومسَّ به كتف المُرافق اليُمنى مستهلًّا بوقار: «رايمن سليل عائلة فوْسوْواي، باسم **المُحارب** أنيطُ بك أن تتحلَّى بالشَّجاعة». ثم انتقلَ السَّيف من الكتف

اليُمنى إلى اليُسرى. «باسم **الأب** أنيطُ بك أن تتحلَّى بالعدل». عودةً إلى اليُمنى. «باسم **الأم** أنيطُ بك أن تُدافع عن الصِّغار والأبرياء». اليُسرى. «باسم **العذراء** أنيطُ بك أن تحمي النِّساء جميعًا...».

تركَهم دنك شاعرًا بالارتياح بقدر شعوره بالذَّنب، وبينما أمسكَ إج بشندر من أجله فكر: *ما زالَ يَنقُصنا واحد. أين سأجدُ رجلًا آخَر؟* دارَ بالحصان واتَّجه بتؤدةٍ إلى مدرَّجات المشاهدة حيث يقف اللورد آشفرد منتظرًا. من طرف المضمار الشَّمالي أقبلَ الأمير إيريون ليلقاه ويقول بمرح: «سِير دنكن، يبدو أنكم خمسة أنصارٍ لا أكثر».

ـ «ستَّة. السِير لايْنل يُنصِّب رايمن فوسواي فارسًا. سنُقاتِلكم ستَّة ضد سبعة». يعلم دنك أَنَّ رجالًا آخَرين انتصَروا رغم مواجهتهم احتمالاتٍ أسوأ مرارًا.

بيد أنَّ اللورد آشفرد هزَّ رأسه قائلًا: «ليس مسموحًا بذلك أيُّها السِير. إذا لم تستطع العثور على فارسٍ آخَر ينحاز إليك فلا مناص من أن تُعلِن مذنبًا بالجرائم التي اتُّهِمت بها».

ـ *مذنبًا، مذنبًا بخلخلة سنٍّ، ولأجل ذلك يجب أن أموت.* «سِيدي، أرجو لحظةً».

ـ «لك هذا».

تحرَّك دنك ببُطء بمحاذاة السِّياج أمام المدرَّجات المزدحمة بالفُرسان، وناداهم: «أيُّها السَّادة، أما من أحدٍ منكم يَذكُر السِير آرلان ابن (شجرة البنسات)؟ كنتُ مُرافقه. لقد خدمنا كثيرين

منكـم، أكلنـا عـلى موائدكـم ونمنـا في أبهائكـم». رأى مانفـرِد دُنـداريوْن جالسًـا في الصَّـفِ الأعـلى، فخاطبَـه: «السيْر آرلان أصيبَ بجـرحٍ في خدمـة السـيِّد والـدك»، ليقـول الفـارس شـيئًا مـا لليْـدي جارتـه دونمـا انتبـاه، ويُجبَـر دنـك عـلى تجـاوُزه. «لوْرد لانسـتر، السيْر آرلان أسـقطَك عـن حصانـك مرَّةً في دورة مباريـات». تفرَّس الأسـد الأشـيب في يديْـه المقفَّزتيْـن رافضًـا بكلِّ تصميـم أن يـرفع ناظريْـه. «كان رجلًا صالحًـا، وعلَّمـني الفروسـيَّة. ليـسَ السَّـيف والـرُّمح فحسـب، بـل الشَّـرف. قـال إنَّ الفـارس يُـدافع عـن الأبريـاء، وهـذا كلُّ مـا فعلتُ. أحتـاجُ إلى فـارسٍ واحـد آخَـر ليُقاتِـل بجانبـي، واحـد ليـس إلَّا. لوْرد كاروْن؟ لوْرد سـوان؟». ضحـكَ الـلوْرد سـوان بخفـوتٍ فيمـا همـسَ الـلوْرد كاروْن في أذنـه.

كبـحَ دنـك حصانـه أمـام السيْر أوْتوْ براكـن، وقـال خافضًـا صوتـه: «سيْر أوْتوْ، كلُّنـا يعلـم عنـك أنـك بطـلٌ عظيـم. انضـمَّ إلينـا، أتوسَّـلُ إليـك بأسـماء الآلهـة القديمـة والجديـدة. إنَّ قضيَّـتي عادلـة».

عـلى الأقـل تمـتَّع غاشـم براكـن بالكياسـة ليـردَّ: «قـد يكـون ذلـك صحيحًـا، لكنهـا قضيَّـتك أنـت لا قضيَّـتي. لسـتُ أعرفـك يـا ولـد».

بخاطـرٍ مكسـور دارَ دنـك بشنـدر وانطلـقَ جيئـةً وذهابًـا أمـام صفـوف الرِّجـال الشَّـاحبين الباردين، ودفعَـه اليـأس إلى أن يزعـق: «**أمـا مـن فُرسـان حقيقيّيـن بينكم؟**».

ولم يُجاوِبه إلَّا السُّكوت.

عبـر المضمـار ضحـكَ الأمير إيْـريوْن مناديًـا: «لا يسـخرنَّ أحـدٌ مـن التنِّيـن».

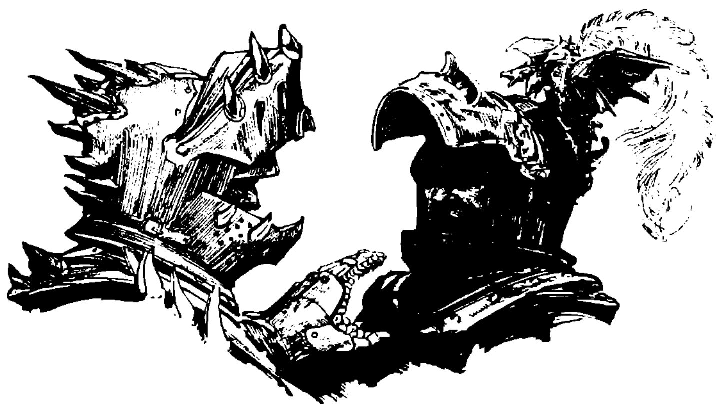
ثم أتى صوتٌ يقول: «سأنضمُّ إلى جانب السيْر دنكن».

ومن غيوم النَّهر بزغَ فحلٌ أسود على صهوته فارسٌ أسود. رأى دنك تُرس التنِّين والرِّيشة المينا الحمراء فوق خوذته برؤوسها الهادرة الثَّلاثة. *الأمير الشَّاب. بحقِ الآلهة، أهذا هو فعلًا؟*

ووقعَ اللوْرد آشفرد في الخطأ ذاته. «الأمير ڤالر؟».

رفعَ الفارس الأسود مقدِّمة خوذته مجيبًا: «لا. إنني لم أفكِّر في خوض المباريات في (آشفرد) يا سيِّدي، ولذا لم أجلب معي درعًا. ابني تكرَّم وأعارَني درعه»، وابتسمَ الأمير بيْلوْر ابتسامةً إلى الحُزن أقرب.

ارتمى المتَّهمون في حالةٍ من الارتباك، وهو ما رآه دنك بوضوح. همزَ الأمير ميْكار مطيَّته متقدِّمًا بها ليقول: «أخي، هل فقدت عقلك؟»، وأشارَ إلى دنك بإصبعٍ مقفَّزة بالمعدن مضيفًا: «هذا الرَّجل هاجمَ ابني».



ردَّ الأميـر بيْـلوْر: «هـذا الرَّجـل حـمى الضُّعفـاء كمـا يجـب أن يفعـل كلُّ فـارسٍ حـق. فلتُقـرّر الآلهـة هـل أصـابَ أم أخطـأ»، وشـدَّ زمامـه ودارَ ببِـرْذون ڤالـر الأَسـود الضَّخـم ليخـبَّ صـوب طـرف الحقـل الجنوبـي.

حـثَّ دنـك ثنـدر ليلحـق بـه، وتحلَّـق المدافعـون الآخَـرون حولهما، روْبِـن ريزلـنج والسـيْر لائِنـل، والثُّنـائي همفـري. *رجـالٌ صالحـون كلُّهـم، ولكـن أهُـم صالحـون بمـا فيـه الكفايـة؟* «أيـن رِايمـن؟».

ـ «السـيْر رِايمـن إذا سـمحت». قالهـا فوْسوْواي وهـو يخـبُّ متقدِّمًـا وقـد أضـاءَت ابتسـامةٌ كئيبـة وجهـه تحـت خوذتـه المريَّشـة. «معـذرةً أيُّهـا السـيْر، لزمَـني أن أجـري تعـديلًا صغيـرًا عـلى رمـزي خشـية أن أُحسَـب بالخطـأ ابـن عمومـتي عديـم الشَّـرف»، ثـم أراهـم جميعًـا تُرسـه، حيـث بقيَـت الخلفيَّـة الذَّهبيَّـة المصقولـة كمـا هي، وكـذا تُفَّاحـة فوْسوْواي، غيـر أنَّ هـذه التُّفَّاحـة خضـراء لا حمـراء. «أخـشى أني لـم أنـضج بعـدُ... لكـن تُفَّاحـةً خضـراء أفضـل مـن واحـدةٍ يَنخُرهـا الـدُّود، إه؟».

ضحـكَ السـيْر لائِنـل، وابتسـمَ دنـك ابتسـامةً عريضـةً رغمًـا عنـه، وحـتى الأميـر بيْـلوْر بـدا أنـه استحسـنَ الأمـر.

كان سِـپتوْن الـلوْرد آشـفرد قـد جـاءَ إلى واجهـة المدرَّجـات ورفعَ بلَّورتـه ليدعـو المحتشـدين إلى الـصَّلاة.

قـال بيْـلوْر بهـدوء: «استـمِعوا لي جميعًـا. المتَّهـمون سيتسـلَّحون برمـاح حربيَّـة ثقيلـة في الهجمـة الأولى، رمـاح مـن خشـب المُـرَّان طولهـا ثمانيـة أقـدام، مـزوَّدة بدعامـاتٍ لحمايتهـا مـن الكسـر ومكلَّلـة بـرأسٍ فـولاذي حـاد بمـا يكـفي لاختـراق صفـائح المعـدن إذا وُضِـعَ

خلفها ثقل جوادٍ حربي».

قال السِير همفري بيزبري: «سنستخدم السِّلاح نفسه». وراءه أخذَ السِپتون يستجدي السَّبعة أن يَنظُروا من عليائهم ويبتُّوا في هذا النِّزاع ويهبوا النَّصر لأصحاب القضيَّة العادلة.

ردَّ بيلور: «لا، سنُسلِّح أنفُسنا بدلًا من ذلك برماح مباريات».

احتجَّ رِايمن: «رماح المباريات مصنوعة لتنكسِر».

- «ومصنوعةٌ أيضًا بطول اثني عشر قدمًا. إذا أصابَت أسنَّتنا أهدافها فلن يُمكنهم أن يلمسونا. صوِّبوا على الخوذة أو الصَّدر. في المباريات من الشَّهامة أن تكسر رُمحك على تُرس الخصم، أمَّا هنا فقد يعني ذلك الموت. إذا استطعنا إسقاطهم وبقينا نحن فوق سروجنا فالأفضليَّة لنا». ثم رمقَ الأمير دنك قائلًا: «إذا قُتِلَ السِير دنكن فسيُعتبَر أنَّ الآلهة حكمَت بذنبه وتنتهي المسابقة. إذا قُتِلَ متَّهِماه كلاهما أو سحبا اتِّهاماتهما فالشَّيء نفسه ينطبق عليهما. خلاف ذلك، يجب أن يهلك سبعة هذا الفريق أو ذاك أو يستسلموا لكي تنتهي المحاكمة».

قال دنك: «الأمير ديرون لن يُقاتِل».

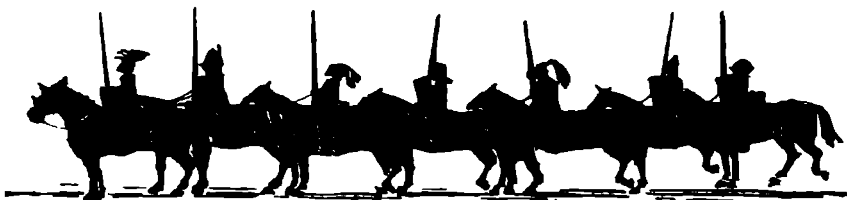
ضحكَ السِير لاينل قائلًا: «ليس بإجادةٍ على كلِّ حال. مقابل ذلك أمامنا ثلاثةٌ من السُّيوف البيضاء علينا مواجهتهم».

تلقَّى بيلور التَّعليق برزانة، وقال: «لقد أخطأ أخي حين طالبَ بقتال رجال الحرس الملكي من أجل ابنه. يمينهم تُحرِّج عليهم إيذاء أميرٍ من الدَّم الملكي. لحُسن الحظِّ أني كذلك»، وأعطاهم ابتسامةً خافتةً مكملًا: «أبعِدوا الآخَرين عني وقتًا يكفي

وسأتعاملُ مع الحرس الملكي».

سألَه السيِر لايُنل باراثيوْن فيما ختمَ السِّپتوْن ابتهاله: «أهذا تصرُّف شهم يا أميري؟».

أجابَ بيْلوْر كاسِر الحراب: «الآلهة ستُعلِمنا».



***

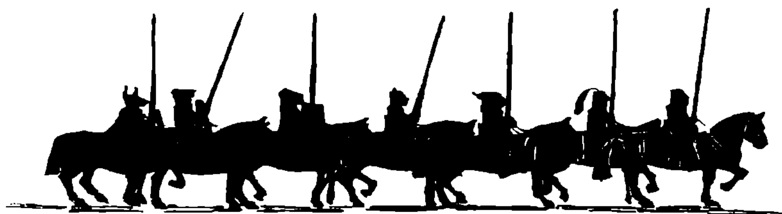
رانَ صمتٌ عميق مفعم بالتَّرقُّب على (مرج آشفرد).

على بُعد ثمانين ياردةً أطلقَ فحل إيْريوْن الرَّمادي صهيلًا لجِبًا ينمُّ عن نفاد الصَّبر، وراحَ يحكُّ الأرض الموحلة بحوافره. أمَّا ثندر فتحلَّى بثباتٍ بالغ بالمقارنة، فهو حصانٌ أكبر سنًّا مرَّسه نصفمئةٍ من المعارك، ويعرف المتوقَّع منه. ناولَ إج دنك تُرسه، وقال الغُلام: «الآلهة معك أيُّها السيِر».

شجَّعه مرأى الدَّردارة والشِّهاب، ودسَّ ذراعه اليُسرى من تحت الحزام وأحكمَ أصابعه حول المقبض. *السِّنديان والحديد يقيانني خير وقاء، وإلَّا فأنا ميِّتٌ وإلى الجحيم الانتهاء.* جلبَ له پيْت

الفـولاذي رُمحـه، إلَّا أنَّ إج أصـرَّ أن يضعـه بنفسـه في يـد دنـك.

عـن جانبيْـه التقـطَ رفاقـه رماحهـم وانتشَـروا في صـفٍّ طويـل. إلى يمينـه الأمـيـر بيْـلوْر، وإلى يسـاره السـيْر لايُنـل، لكـن فتحـة الرُّؤيـة الضيِّقـة في الخـوذة العظيمـة قصـرَت رؤيتـه عـلى مـا أمامـه مباشـرةً، فاختفَـت المدرَّجـات، وبالمثـل العمـوم المتزاحمـون عنـد السِّـياج،



ولـم يتبـقَّ إلَّا الحقـل الموحـل، والضَّبـاب الشَّـاحب المدفـوع بالهـواء، والنَّهـر والبلـدة، والقلعـة إلى الشَّـمال، والأمـير الصَّغـير فـوق كـرَّاره الرَّمـادي، عـلى خوذتـه ألسـنة اللَّهـب وعـلى تُرسـه التنِّيـن. شـاهدَ دنـك مُرافـق إيْـريوْن يُناوِلـه رُمحًـا حربيًّـا طولـه ثمانيـة أقـدامٍ ولونـه أسـود كاللَّيـل. *سيغرسـه في قلبـي إذا اسـتطاعَ.*

ثـم دوَّى بوق.

لمُـدَّة نبضـة قلـب ظـلَّ دنـك بلا حـراكٍ كذُبابـةٍ حبيسـة الكهرمـان، مع أنَّ الخيـول كلَّهـا بـدأت تتحـرَّك. طعنَـه الهلع طعنًـا، وبهيـاجٍ فكَّـر: *لقـد نسـيتُ، نسـيتُ كلَّ مـا أعرفـه، سـأهينُ نفسـي، سـأفقدُ كلَّ شـيء.*

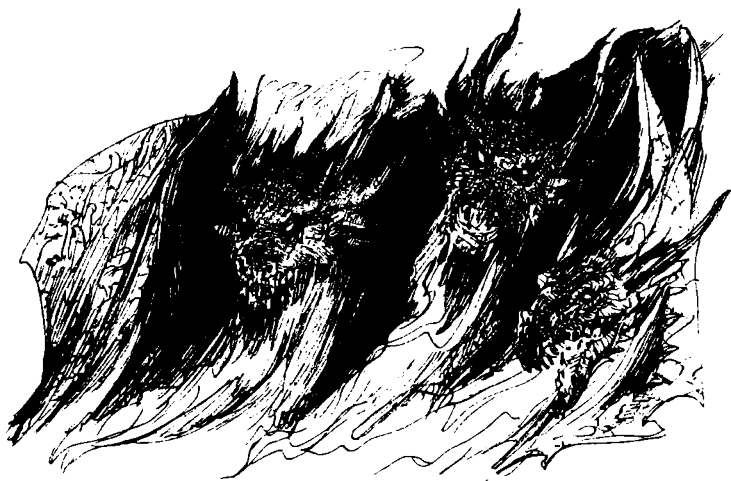
وأنقذَه ثندر. الفحل البنِّي الكبير يعرف ما عليه أن يفعله ولو لم يعرفه راكبه، وهكذا انطلقَ في خبب بطيءٍ. عندئذٍ تولَّى تدريب دنك القيادة، فمسَّ الجواد الحربيَّ مسَّةً خفيفةً بالمِهماز وسدَّد رُمحه، وفي الوقت نفسه حرَّك تُرسه حتى غطَّى معظم جنبه الأيسر، ممسكًا به بزاويةٍ ليُزيغ عن نفسه الضَّربات. *السِّنديان والحديد يقيانني خير وقاء، وإلَّا فأنا ميِّتٌ وإلى الجحيم الانتهاء.*

لم يزِد لغط الجمهور على مور أمواج تتلاطَم بعيدًا. بسلاسةٍ انتقلَ ثندر إلى الهرولة، واصطكَّت أسنانُ دنك من عُنف الخُطوة. ضغطَ بكعبيْه مُحكمًا ساقيْه بكلِّ قوَّته وتاركًا جسده يُصبح جزءًا من حركة الحصان من تحته. *أنا ثندر وثندر أنا، إننا كائنٌ واحد، إننا ضميمان، إننا واحد.* بمنتهى السُّرعة سخنَ الهواء داخل خوذته حتى إنه بالكاد استطاعَ التَّنفُّس.

في مُثاقفةٍ بدورة مبارياتٍ تقليديَّة، المفترَض أن يقع خصمه إلى يساره وراء الحاجز، وعليه أن يُوجِّه ضربته بالعرض من فوق عُنق ثندر، فهذه الزَّاوية تُرجِّح انكسار الخشب من الصَّدمة، لكن ما يلعبونها اليوم لُعبة أَشدُّ فتكًا، فدون حواجز تفصل بينهم انقضَّ بعض البراذين على بعضٍ مباشرةً. حصان الأمير بيْلؤر الأسود الضَّخم أسرع كثيرًا من ثندر، ولمحَه دنك من رُكن فتحة الرُّؤية يعدو ويسبقه، أمَّا الآخَرون فأحسَّ بهم أكثر ممَّا رآهم. *لا يهمُّون، إيْريؤن وحده المهمُّ، هو وحده.*

شاهدَ التنِّين يأتي. نثرَت حوافر فحل الأمير إيْريؤن الرَّماديِّ لُطخ الوحل، ورأى دنك منخرَي الحصان يتَّسعان، في حين ظلَّ الرُّمح الأسود موجَّهًا إلى أعلى. الفارس الذي يُمسِك رُمحه

مرفوعًا ويخفضه باستقامة في اللَّحظة الأخيرة يُجازِف دائمًا بخفضه أبعد من اللَّازم. هكذا قال له العجوز، وهكذا حرَّك دنك حدَّ رُمحه ليُصوِّبه إلى صدر الأمير الصَّغير قائلًا لنفسه: *رُمحي جزء من ذراعي. إنه إصبعي، إصبعٌ خشبيَّة. ما عليَّ إلَّا أن ألمس غريمي بإصبعي الخشبيَّة الطَّويلة.*



حاولَ ألَّا يرى الحدَّ الحديديَّ الحادَّ في طرف رُمح إيْريوْن الأسود يَكبُر ويَكبُر مع كلِّ خُطوة. *التنِّين، انظُر إلى التنِّين.* يُغطِّي الوحش العظيم ذو الرُّؤوس الثَّلاثة تُرس الأمير بجناحيْن أحمريْن ونارٍ ذهبيَّة. *لا، انظُر إلى وجهة ضربتك فقط.* هكذا تذكَّر فجأةً، إلَّا أنَّ رُمحه بدأ ينحرف بالفعل، وحاولَ دنك أن يُصحِّح وضعه، ولكن متأخِّرًا جدًّا. رأى سنان رُمحه يضرب تُرس إيْريوْن

فيُصيب التنِّين بين اثنيْن من رؤوسه ويحفر اللَّهب المرسوم، ومع الطَّقطقة المكتومة أحسَّ بثندر يَنكص من تحته مرتجفًا من بأس الصَّدمة، وبعد نصف نبضة قلب ارتطمَ شيء ما بجنبه بقوَّة عاتية. بعُنف تصادمَ الحصانان، ومع التَّصادُم رنَّت دروعهما إذ تعثَّر ثندر وسقطَ رُمح دنك من يده. ثم تجاوزَ خصمه وهو يتشبَّث بسرجه بجهد مستميت لكيلا يقع. بحدَّةٍ مالَ ثندر جانبًا في الوحل الزَّلق، وأحسَّ دنك بقائمتيْه الخلفيَّتيْن تزلَّان من تحته. كانا ينزلقان، يدوران، ثم ارتطمَت مؤخِرة الفحل بالأرض بقوَّة. هدرَ دنك ضاربًا جنبَي الحصان بمِهمازيْه بشدَّة: «قُم! قُم يا ثندر!»، وبوسيلةٍ ما استطاعَ الجواد الحربيُّ العجوز النُّهوض من جديد.

شعرَ دنك بألم ممض تحت ضلعه، وبذراعه اليُسرى مجذوبةً إلى أسفل. لقد أنفَذَ إيْريون رُمحه في السِّنديان والصُّوف والفولاذ، والآن تنتأ من جنب دنك ثلاثة أقدام من المُرَّان والحديد الماضي. مدَّ يُسراه وقبضَ على الرُّمح تحت الرَّأس مباشرةً، وكزَّ على أسنانه وأخرجَه من بدنه بانتزاعةٍ واحدة ضارية، وتبعَ ذلك الدَّم الذي تسرَّب من بين حلقات المعدن ليُضرِّج معطفه بالحُمرة. مادَ به العالم وكادَ يَسقُط، وبخفوتٍ في خضمِّ الألم سمعَ أصواتًا مرتفعةً باسمه. تُرسه الجميل غدا بلا جدوى، فألقاه جانبًا بالدَّردارة والشِّهاب والرُّمح المكسور وكلِّ شيء، وشهرَ سيفه، لكن ألمه البليغ جعلَه لا يحسب أنه يقوى على القتال به.

مدوِّرًا ثندر في دائرةٍ مُحكمة، حاولَ دنك أن يستشعِر ما يَحدُث في أمكنةٍ أخرى من الحقل. السِّير همفري هاردنج يتمسَّك بعُنق مطيَّته وواضحٌ أنه جريح، والسِّير همفري الآخَر راقدٌ بجمودٍ في

بُحيرةٍ من الوحل الملطَّخ بالدِّماء ومن مغبنه يَبرُز رُمح مكسور، ورأى دنك الأمير بيلور يمرُّ مهرولًا برُمحه السَّليم ويدفع أحد رجال الحرس الملكي إلى الأرض، وقد سقطَ واحدٌ آخَر من الفُرسان البِيضِ بالفعل، وكذا ميكار، أمَّا ثالث ثلاثة الحرس الملكي فانهمكَ في صدِّ السير روبن ريزلنج.

- *إيريون، أين إيريون؟* دفعَه صوت حوافر تدقُّ الأرض خلفه إلى الالتفات برأسه بحدَّة، وصاتَ ثندر وشبَّ ضاربًا بحافريْه الأماميَّيْن عبثًا إذ ارتطمَ به فحل إيريون الرَّمادي بكامل سرعته.

هذه المرَّة غابَ تمامًا الأمل في التَّعافي من الصَّدمة. طارَ سيفه الطَّويل من قبضته، وارتفعَت الأرض لتلقاه، وحطَّ دنك بوقع ساحق زلزلَه حتى العظم وأفرغَ رئتيْه من الهواء. طعنَه الألمُ بحدَّةٍ دفعَته إلى الانتحاب، وللحظةٍ استطاعَ بصعوبةٍ شديدة أن يستلقي في مكانه. *دنك الأنوَك، تصوَّر أنه يَصلُح فارسًا.* علمَ أنَّ عليه أن ينهض مجدَّدًا وإلَّا ماتَ، وبآهةٍ أجبرَ نفسه على الاعتدال على يديْه ورُكبتيْه. عجزَ دنك عن التَّنفُّس، وعجزَ عن الرُّؤية إذ اكتظَّت فتحة الرُّؤية في خوذته بالطَّمي. معميًّا، نهضَ بحدَّةٍ وكشطَ الطَّمي بإصبعٍ مغلَّفة بالمعدن. *هكذا، هذا...*

من بين أصابعه لمحَ تنِّينًا يطير وكُرةً شائكةً تلفُّ وتدور في طرف سلسلة، ثم بدا كأن رأسه انفجرَ إلى أشلاء.



ولمَّا انفتحَت عيناه كان على الأرض مرَّةً أخرى، منطرحًا على ظهره. الطَّمي كلُّه سقطَ من خوذته، لكن إحدى عينيْه يُغلِقها



الآن الـدَّم، ومـن فوقـه لا شيء إلَّا سـماء غائمـة معتمـة. راحَ وجهـه ينبـض مـن الألـم، وأحـسَّ بمعـدنٍ بـارد مبتـل منضغِـط علـى وجنتـه وصُدغـه. *لقـد حطَّـم رأسي. إنـني أمـوتُ.* الأدهى هـو الآخَـرون الذيـن يُمكـن أن يموتـوا معـه، رايمـن والأميـر بيلور والباقـون. *لقـد خذلتهـم. لسـتُ بطـلًا. لسـتُ فارسًـا جوَّالًا حتـى. إنـني نكـرة.* تذكَّـر تبـاهي الأميـر ديرون بـأن أحـدًا لا يَبـلُغ نصـف براعتـه في الارتمـاء فاقـد الحـسّ في الوحـل. *لكنـه لـم يـرَ دنـك الأنـوَك قَـطّ، أليـس كذلـك؟* فـاقَ شـعوره بالعـار ألمـه.

ثم ظهرَ التنِّين فوقه.

للتنِّيـن رؤوس ثلاثـة، وجناحـان وهَّاجـان كاللَّهـب، أحمـر وأصفـر وبرتقـالي، والتنِّيـن يضحـك ويقـول: «هـل مُـتَّ بعـدُ أيُّهـا الفـارس الجوَّال؟ توسَّـل الهـوادة وأقـرِر بذنبـك وقـد آخـذُ يـدًا وقدمًا فحسـب.

أوه، وهذه الأسنان، ولكن ما قيمة قليلٍ من الأسنان؟ رجلٌ مثلك يستطيع أن يعيش أعوامًا على ثريد البازلاء»، وضحكَ التنّين ثانيةً وتابعَ: «لا؟ كُل هذه إذًا»، ودارَت الكُرة الشّائكة ودارَت في السَّماء، وهوَت نحو رأسه بسرعةِ الشِّهاب.

وتدحرجَ دنك.

أين وجدَ القوَّة لا يدري، لكنه وجدَها. تدحرجَ مصطدمًا بساقَي إيْريون، وبذراعٍ مكسوَّة بالفولاذ طوَّق فخذه وجرَّه لاعنًا إلى الوحل، وعادَ يتدحرَج ممتطيًا إيَّاه. *فليُلوِّح بكُرته اللَّعينة الآن.* حاولَ الأمير أن يدفع حرف تُرسه إلى أعلى ليضرب به رأس دنك، لكن خوذته المنبعجة تلقَّت وطأة الصَّدمة. إيْريون قويٌّ، لكن دنك أقوى، وأضخم وأثقل أيضًا. هكذا قبضَ على التُّرس بكلتا يديْه وراحَ يلوي حتى انشقَّت الأحزمة، ثم هوى به على خوذة الأمير الصَّغير، هوى وهوى وهوى محطِّمًا ألسنة اللَّهب المطليَّة بالمينا على ريشة الخوذة. هذا التُّرس أغلظ من تُرس دنك، مصنوع من السِّنديان المصمت المدعَّم بالحديد. انكسرَ لسان، ثم آخَر، ونفدَ لهب الأمير قبل أن تنفد ضربات دنك.

أخيرًا أفلتَ إيْريون مقبض كُرته الشّائكة عديمة الفائدة، وبصعوبةٍ مدَّ يده إلى الخنجر الرَّفيع على وركه. نجحَ في تخليصه من غِمده، ولكن عندما قرعَ دنك يده بالتُّرس طارَ الخنجر ليَسقُط في الوحل.



ـ *يُمكنه أن يقهر السير دنكن الطّويل، ولكن ليس دنك ابن* (*سفح البراغيث*). العجوز علَّمه المُثاقفة والمُبارزة، أمَّا ضرب القتال هذا فقد تعلَّمه أوَّلًا في أزقَّة ظليلة وحارات متعرّجة وراء خمَّارات المدينة. ألقى دنك بالتُّرس المهشَّم بعيدًا، وبعُنف رفعَ مقدِّمة خوذة إيريون متذكِّرًا ما قاله پيت الفولاذي: *مقدِّمة الخوذة نُقطة ضعف*. كفَّ الأمير تقريبًا عن المقاومة، عيناه أرجوانيَّتان مفعمتان بالرُّعب، وانتابَت دنك رغبةٌ مفاجئة في أن يُمسِك إحداهما ويُفرقعها كحبَّةٍ من العنب بين إصبعيْن من الفولاذ. غير أنَّ ذلك لا يليق بفارس، وهكذا صاحَ: «**استسلِم!**».

وبشفتيْن شاحبتيْن تحرَّكتا بالكاد همسَ التِّنين: «أستسلمُ».

حدَّق إليه دنك وهلةً عاجزًا عن تصديق ما سمعَته أذناه. *انتهى الأمر إذًا*؟ نقلَ رأسه ببطءٍ من جانبٍ إلى جانبٍ محاولًا

أن يـرى، وقـد انغلقَت فتحـة الرُّؤيـة بعـض الـشَّيء عـلى إثـر الضَّربـة الـتي هـوَت عـلى جنـب وجهـه الأيـسر، فـرأى الأمـير مـيْكار بمِقمعتـه في يـده يُحـاوِل شـقَّ طريقـه قتـالًا إلى ابنـه، ويصـدُّه بيْـلوْر كاسِـر الحـراب.

هــبَّ دنـك واقفًـا وسـحبَ الأمـير إيْـريوْن وراءه، ثـم تحسَّـس أربطـة خوذتـه وانتزعَهـا ورماهـا، وفي الحـال غـرقَ في مـرأى العالـم ومسـمعه؛ الأنيـن والشَّـتائم، وهتافـات المتفرِّجيـن، وصريـخ فحـلٍ فيمـا ينطلـق آخَـر عبـر الحقـل بلا راكـب. في كلِّ مكانٍ يـرنُّ الفـولاذُ عـلى الفـولاذ. أمـام مدرَّجـات المشـاهدة يُوجِّـه كلٌّ مـن رِايمـن وابـن عمومتـه إلى الآخَـر ضربـات سـيفه، كلاهمـا عـلى قدميـه وتُرسـاهما حُطـام، التُّفَّاحـة الخضـراء والتُّفَّاحـة الحمـراء كلتاهمـا شـظايا، وأحـد فُرسـان الحـرس المـلكي يحمـل أخًـا جريحًـا إلى خـارج الحقـل والاثنـان باديـان سـواءً في درعيْهمـا البيضاويْـن ومعطفيْهمـا الأبيضيْـن، في حيـن سـقطَ ثالـث ثلاثـة الفُرسـان البيـض، وانضـمَّ العاصفـة الضَّاحكـة إلى الأمـير بيْـلوْر في مواجهـة الأمـير مـيْكار. تصادمَـت المِقمعـة والفـأس الحربيَّـة والسَّـيف الطَّويـل وجلجلَـت عـلى الخُـوذ والتِّـراس. ضـد كلِّ ضربـةٍ نـجحَ مـيْكار في تسـديدها تلـقَّى ثلاثًـا، ورأى دنـك أنَّ القتـال سـينتهي قريبًـا. يجـب *أن أنهيـه قبـل أن يمـوت مزيـدٌ منـا.*

بغتـةً انـدفعَ الأمـير إيْـريوْن نحـو كُرتـه الشَّـائكة، لكـن دنـك ركلَـه في ظهـره وطرحَـه عـلى وجهـه، ثـم أطبـقَ عـلى إحـدى سـاقيْه وجـرَّه عبـر الحقـل، ولـدى وصولـه إلى المدرَّجـات حيـث يجلـس الـلوْرد آشـفرد كان الأمـير السَّـاطع قـد بـاتَ بنِّيًـا كمرحـاض. شـدَّه دنـك حتى وقـفَ وهـزَّه نافضًـا قليـلًا مـن الطَّـمي عـلى الـلوْرد آشـفرد والعـذراء

الجميلة، وزعقَ: «أخبِره!».

وبصقَ إيْريوْن اللَّهب السَّاطع ملء فمه من العُشب والتُّراب، وقال: «أسحبُ اتِّهامي».

***

بعدها لم يدرِ دنك هل مشى إلى خارج الحقل من تلقاء نفسه أم استلزمَ عونًا. الألم في كلِّ موضع من جسده، وأسوأ في بعضها من بعض. تذكَّر أنه تساءَلَ في أعماقه: *أأنا الآن فارسٌ حقًّا؟ أأنا بطل؟*

ساعدَه إج على خلع الكلسة والعُنقيَّة، ورايمن أيضًا، وحتى پيْت الفولاذي. حالَت دوخته الشَّديدة دون أن يُميِّز بينهم؛ كانوا مجرَّد أصابع وأباهيم وأصوات، وإن علمَ دنك أنَّ پيْت هو الذي راحَ يشتكي. «انظُروا ما فعلَه بدرعي، كلُّها انبعاجات وخبطات وخدوش. أجل، دعوني أسألكم، لماذا أكلِّفُ نفسي الجهد؟ عليَّ أن أقصَّ هذا الزَّرد للأسف».

سألَ دنك باستعجالٍ وهو يُحاوِل القبض على يدَي صديقه: «رايمن، الآخَرون، كيف أبلوا؟». يجب أن يعرف. «هل ماتَ أحد؟».



أجابَـه رِايمــن: «بيزبــري. قتلَـه دوْنــل ابــن (وادي الغســق) في

الهجمة الأولى. السير همفري مصاب بجرح بليغ أيضًا. بقيَّتنا مكدومون مدمَّون لا أكثر، باستثنائك أنتَ».

ـ «وهُم؟ المتَّهِمون؟».

ـ «السير وِلم وايلد رجل الحرس الملكي حُمِلَ من الحقل فاقد الوعي، وأظنُّني كسرتُ لابن عمومتي بضعة ضلوع. ذلك ما آمله على الأقل».

اندفعَ دنك يسأل: «والأمير ديرون؟ هل نجا؟».

ـ «حالما أسقطَه السير رون عن حصانه استلقى حيث سقطَ. ربَّما كُسرَت قدمه. حصانه داسَه وهو يجري طليقًا في الحقل».

على الرغم من دُواره وارتباكه شعرَ دنك بارتياح عظيم. «أخطأ حُلمه إذًا. التنِّين الميت. إلَّا إذا ماتَ إيريون. لكنه لم يَمُت، أليس كذلك؟».

قال إج: «نعم. لقد أبقيتَ على حياته، ألا تَذكُر؟».

ـ «على ما أظنُّ». بهذه السُّرعة بدأت ذكرياته عن القتال يُغلِّفها الارتباك والإبهام. «في لحظةٍ أحسُّ أني سكران، وفي التَّالية يجعلني الألم الرَّهيب أعرفُ أني أموتُ».

أرقَدوه على ظهره وتكلَّموا فوقه فيما حدَّق هو إلى السَّماء الغائمة العكرة. بدا له أنَّ الصَّباح لم ينقضِ بعدُ، وتساءلَ كم استغرقَ القتال.

سمعَ رايمن يقول: «بحقِّ الآلهة، رأس الرُّمح غرسَ الحلقات في عُمق لحمه. سيتعفَّن ما لم...».

اقترحَ أحدهم: «أسكِروه وصُبُّوا زيتًا مغليًّا داخل الجرح. هذا ما يفعله المِيسترات».

- «بل نبيذ». حملَ الصَّوت رنينًا معدنيًّا أجوف. «ليس زيتًا لأن ذلك سيَقتُله، بل نبيذٌ مغلي. سأرسلُ المِيستر يوْرمول ليُلقي عليه نظرةً بعدما يَفرُغ من علاج أخي».



فوقه وقفَ فارسٌ طويل في درع سوداء بعجَتها وجرَّحتها ضربات عديدة. *الأمير بيلور*. فقدَ التِّنين السِّقلَّاتي فوق خوذته

رأسًـا وكلا جناحيْـه ومعظـم ذيلـه.

قال دنك: «سموَّ الأمير. أنا رجلك. أرجوك. رجلك».

قـال الفـارس الأسـود: «رجـلي»، ووضعَ يـده عـلى كتـف رِايمـن ليُثبِّـت نفسـه متابعًـا: «إنـني محتـاجٌ إلى رجـالٍ صالحيـن أيُّهـا السِّر دنكـن. الـبلاد...». خـرجَ صوتـه مشوَّشًـا عـلى نحـوٍ غريـب. ربَّمـا عـضَّ لسـانه.

كان دنـك في غايـة التَّعـب، والبقـاء مسـتيقظًا عسيرًا. مـرَّةً أخـرى تمتـمَ: «رجلـك».

حـرَّك الأميـر رأسـه ببُـطء مـن جانـب إلى جانـب قـائلًا: «سِـر رِايمـن... خـوذتي إذا تلطَّفـت. المقدِّمـة... المقدِّمـة متصدِّعـة، وأصابـعي... أصابـعي كأنهـا خشـب...».

ردَّ رِايمـن: «حـالًا يـا صاحـب السُّـمو»، وأمسـكَ خـوذة الأميـر بكلتـا يديْـه وأطلـقَ أنينًـا، ثـم قـال: «پِيْـت أيُّهـا الرَّجـل الصَّـالح، سـاعِدني».

جرَّ پِيْت الفـولاذي كُـرسي صعـود، ثـم قـال: «إنهـا مسـحوقة عنـد الظَّهـر يـا سـموَّ الأمـير، نحـو الجنـب الأيسـر، ملتحمـة بالعُنقيَّـة. فـولاذٌ ممتـاز هـذا الـذي يصـدُّ مثـل هـذه الضَّربـة».

قـال بيْـلوْر بنبـرةٍ ثقيلـة: «مِقمعـة أخي عـلى الأرجح. إنـه قـوي»، وجفـلَ قـائلًا: «هـذا... إحسـاسٌ غريـب، إنـني...».

ـ «هـا هي ذي تنخلـع». رفعَ پِيْـت الخـوذة المليئـة بالانبعاجـات. «بحـقِ الآلهـة! يـا آلهـتي يـا آلهـتي يـا آلهـتي احفظيـ...».

رأى دنك شيئًا أحمر مبتلًّا يَسقُط من الخوذة. كان أحدهم يُدوِّي بصُراخ فظيع، وقُبالة السَّماء الغائمة الموحشة ترنَّح في درع سوداء أميَرٌ طويل طويل بنصف جمجمةٍ ليس إلَّا، ولمحَ دنك دمًا قانيًا وعظمًا أبيض وشيئًا آخَر، شيئًا رماديًّا مزرقًّا شبيهًا بالعجين. مرَّت نظرة انزعاج غريبة على وجه بيْلوْر كاسِر الحراب كسحابةٍ عابرة أمام شمسٍ، ورفعَ يده ومسَّ مؤخِّرة رأسه بإصبعيْن بمنتهى الخفَّة. ثم سقطَ.

أمسكَه دنك، ويقولون إنه قال له كما قال لثندر في الالتحام الجماعي: «قُم، قُم، قُم»، غير أنه لم يتذكَّر ذلك بعدها، والأمير لم يَقُم.



***

دخـلَ بيْـلوْر تارجاريَــن ـ أميــر (دراجنســتوْن)، ويــد الملــك، وحـامي البـلاد، والوريـث الظَّاهـر لعـرش ممالـك (وسـتروْس) السَّبع الحديـدي ـ النَّـار في سـاحة (قلعـة آشـفرد) عـلى ضفَّـة نهـر (مجـرى الصَّـدف) الشَّـماليَّة. قـد تختـار عـائلات عُظـمى أخـرى أن تدفـن موتاهـا في ظُلمـة الأرض أو تُغرِقهـم في البحـر الأخضـر البـارد، بيـد أنَّ آل تارجاريَـن مـن دم التنِّيـن، وخواتيمهـم مسـطورة باللَّهـب.

كان أرفع فـارسٍ في عصـره، وقـد حـاجَّ البعـض بوجـوب ذهابـه لمواجهـة الـظَّلامٍ مسـربلًا بحلقـات المعـدن وصفائحـه وفي يـده سـيفه، ولكـن في النِّهايـة رجحَـت رغبـة أبيـه الملـوكي، ولديْـروْن الثَّـاني طبيعـةٌ مسـالمة. حينمـا مرَّ دنـك جـارًّا قدميْـه بنعـش بيْـلوْر، رأى الأميـر يرتـدي غلالـةً مخمليَّـةً سـوداء، وعـلى صـدره طُـرِّزَ التنِّيـن ثُلاثي الـرُّؤوس بخيـطٍ سـقلَّاتي، وحـول عُنـه سلسـلة ذهبيَّـة ثقيلـة، ومع أنَّ سـيفه وُضِعَ مُغمـدًا بجـواره فقـد اعتمـرَ خـوذةً، خـوذةً ذهبيَّـةً رفيعـةً مقدِّمتهـا مفتوحـة ليـرى النَّـاس وجهـه.

وقـفَ الأميـر الشَّـاب ڤالـر سـاهرًا عنـد قـدم النَّعـش فيمـا رقـدَ أبـوه مسـجًّى. إنـه صـورةٌ أقصـر وأنحـف وأوسـم مـن والـده، مـن غيـر الأنـف المكسـور مرَّتيْـن الـذي جعـلَ بيْـلوْر يبـدو أدنى إلى الإنسـانيَّة مــن الملكيَّــة. شـعرُ ڤالـر بـنِّي، لكـن خُصلـةً بارقـةً مـن الذَّهبـي الفـضِّي تتخلَّلـه، خُصلـةً ذكَّـر منظرهـا دنـك بإيْـريوْن، وإن أدركَ أنَّ ذلـك ليـس عـدلًا، فشـعر إج ينمـو مـن جديـدٍ بارقًـا كشـعر أخيـه، وإج صبـيٌّ لطيـف بمـا فيـه الكفايـة بالنِّسـبة إلى أميـر.

عندمـا توقَّـف ليُقـدِّم تعازيـه الخرقـاء المتخمـة بالشُّـكران، حـدَّق إليـه الأميـر ڤالـر بعينيْـن زرقاويْـن فاترتيْـن، وقـال: «أبـي كان في



التَّاسعة والثَّلاثين لا أكثر. لقد امتلكَ مقوِّمات ملكٍ عظيم، الأعظم منذ إيجوْن التنِّين. لماذا تأخذه الآلهة وتَترُككَ أنت؟»، وهزَّ رأسه مُتبعًا: «ارحل أيُّها السيْر دنكن، ارحل».

بلا كلام خرجَ دنك يعرج من القلعة إلى المخيَّم عند البِركة الخضراءِ. لم يملك عن سؤال ڤالر جوابًا، ولا عن الأسئلة التي طرحَها هو نفسه. لقد قامَ الميْسترات والنَّبيذ المغلي بالواجب، وجرحه يندمل بنظافةٍ رغم أنَّ ندبةً متغضِّنةً عميقةً ستبقى بين ذراعه اليُسرى وحلمته. لا يُمكنه أن يرى الجرح دون التَّفكير في بيْلوْر. *أنقذَني مرَّةً بحُسامه ومرَّةً بكلامه مع أنه كان ميتًا حيث وقفَ.* العالم لا يُعقَل حين يموت أميرٌ عظيم ليعيش فارسٌ جوَّال.

جلسَ دنك تحت دردارته وحملقَ بجهامةٍ إلى قدمه.

***

حيـن ظهـرَ أربعـة حُـرَّاس يرتـدون البِـزَّة العسكريَّـة الملكيَّـة في مخيَّمـه في سـاعةٍ متأخِّـرة مـن أحـد الأيَّـام، أيقـنَ بأنهـم أتـوا ليَقتُلـوه رغـم كلِّ شيء، ولأنـه أضعـف وأشـدُّ إرهاقًـا مـن أن يمـدَّ يـده إلى سـيفه، ظَـلَّ دنـك جالسًـا وظهـره إلى الشَّـجرة وانتظـرَ.

ـ «أميرنا يستأذنك في كلمةٍ على انفراد».

سألَ دنك بحذر: «أيُّ أمير؟».

ـ «هـذا الأميـر». قالهـا صـوتٌ فـظٌّ قبـل أن يُجيـب قائـد الحـرس، وخـرجَ مـيْكار تارجاريَـن من وراء الـدَّردارة.

نهضَ دنك ببُطء. *ماذا يُريد مني الآن؟*

أشـارَ مـيْكار، فاختـفى الحُـرَّاس بسـرعةٍ كمـا ظهـروا. أمعـنَ الأميـر النَّظـر إليـه لحظـةً طالَـت، ثـم دارَ وابتعـدَ عنـه ليقـف بجـوار البِركـة رامقًـا انعكاسـه في المـاء، ثـم أعلـنَ فجـأةً: «لقـد أرسـلتُ إيْـريوْن إلى (لِيـس). قـد تُغيِّـره بضعـة أعـوامٍ في (المُـدن الحُـرَّة) إلى الأفضـل».

لـم يَـزُر دنـك (المُـدن الحُـرَّة) قَـطُّ، وعليـه لـم يـدرِ بِـمَ يـردُّ. سـرَّه أنَّ إيْـريوْن اغتـربَ عـن (الممالـك السَّـبع)، وأمـلَ ألَّا يـرجع أبـدًا، لكـن ذلـك ليـس شـيئًا يُقـال لأبٍ عـن ابنـه، وهكـذا وقـفَ صامتًـا.

التفـتَ الأميـر مـيْكار ليُواجهـه قـائلًا: «بعـض النَّـاس سـيقول إنـني تعمَّـدتُ أن أقتـل أخي. الآلهـة تعلـم أنهـا كذبـة، لكنـني سـأظلُّ أسـمعُ تلـك الهمسـات حـتى يـوم ممـاتي. ومِقمعـتي هي الـتي أصابَتـه بالضَّربـة القاتلـة، لا شـكَّ عنـدي. الخصـوم الآخَـرون الوحيـدون الذيـن واجهَهـم في الالتحـام الجمـاعي ثلاثـة مـن الحـرس المـلكي، تُحـرِّم عليهـم نذورهـم أن يفعلـوا أكثـر مـن الدِّفـاع عـن أنفُسـهم. إنـه

أنـا إذًا. الغريـب أني لا أذكـرُ الضَّربـة الـتي حطَّمـت جمجمتـه. أهـذه نعمـة أم نقمـة؟ شيء مـن هـذه وشيء مـن تلـك عـلى مـا أظـنُّ».

مـن طريقـة نظـره إلى دنـك، بـدا أنَّ الأمـير يُريـد إجابـةً. «لا أدري يـا سـموَّ الأمـير». ربَّمـا وجـبَ أن يكـره مـيْكار، لكنـه شـعرَ بـدلًا مـن ذلـك بتعاطـفٍ عجيـب مع الرَّجـل. «أنـت ضربـت بالمِقمعـة يـا سِيدي، لكـن مـن أجـلي أنـا مـاتَ الأمـير بيْلوْر، أي إنـني قتلتُـه أيضًـا بقـدر مـا قتلتَـه».

قـال الأمـير: «أجـل. أنـت أيضًـا ستسـمع الهمسـات. الملـك عجوز. حينمـا يمـوت سـيرتقي ڤالـر العـرش الحديـدي عوضًـا عـن أبيـه. كلَّمـا انتهَـت معركـةٌ بالهزيمـة أو فشـلَ محصـولٌ سـيقول الحمـقى: *مـا كـان بيْلوْر ليسـمح بحـدوث هـذا، لكـن الفـارس الجـوَّال قتلَـه*».

رأى دنـك مـا في قولـه مـن حـق. «لـو لـم أقاتـل لبتـرتَ يـدي، وقـدمي كذلـك. أحيانًـا أجلـسُ تحـت تلـك الشَّـجرة هنـاك وأنظـرُ إلي قـدميَّ وأسـألُ لـو كان باسـتطاعتي أن أسـتغنيَ عـن واحـدة. كيـف تسـتحقُّ قـدمي حيـاة أمـير؟ والآخَـران أيضًـا، الثُّنـائي همفـري، كانـا رجليْـن صالحيْـن أيضًـا». البارحـة فقـط استسـلمَ السـيْر همفـري هـاردنج لجراحـه.

ـ «وما الإجابة التي تُعطيها لك شجرتك؟».

ـ «لا إجابـة يُمكنـني أن أسـمعها. لكـن العجـوز، السـيْر آرلان، كلَّ ليلـةٍ عنـد حلـول المسـاء اعتـادَ أن يقـول: *تُـرى مـاذا سـيجلب لنـا الغـد؟* ولـم يعـرف قَـطُّ، مثلمـا لا نعـرف نحـن. طيِّـب، لعـلَّ غـدًا سـيأتي وأحتـاجُ فيـه إلى تلـك القـدم؟ تحتـاج فيـه الـبلاد إلى تلـك القـدم أكثـر مـن حيـاة أمـير؟».

أعملَ ميْكار التَّفكير في ردِّه وقتًا وقد كبسَ فمه تحت اللِّحية الفضِّيَّة الشَّاحبة التي تجعل وجهه يبدو مربَّعًا، ثم قال بخشونة: «غير وارد بالمرَّة. في البلاد فُرسان جوَّالة بعدد الأسوجة التي يجولون بينها، ولهم جميعًا سيقان».

ـ «لو أنَّ عند صاحب السُّمو إجابةً أفضل فأودُّ أن أسمعها».

قبَّض ميْكار وجهه قائلًا: «محتملٌ أنَّ الآلهة تتلذَّذ بالدُّعابات القاسية، أو قد لا تُوجَد آلهةٌ أصلًا. ربَّما لم يكن لشيءٍ من هذا معنى. يُمكنني أن أسأل السِّپتوْن الأعلى، ولكن عندما ذهبتُ إليه آخِر مرَّةٍ قال لي إنَّ أيَّ إنسانٍ يعجز عن فهم تصاريف الآلهة حقَّ الفهم. قد يكون عليه أن يُجرِّب النَّوم تحت شجرة»، ولوى قسماته مُردفًا: «يبدو أنَّ ابني الأصغر صارَ مولعًا بك أيُّها السيْر. حانَ الوقت ليُصبح مُرافقًا، لكنه يقول لي إنه لن يخدم أيَّ فارسٍ غيرك. إنه ولدٌ منفلت كما لاحظتَ. هل تقبله؟».

ـ «أنا؟». انفتحَ فم دنك وانغلقَ وانفتحَ. «إج... أعني إيْجوْن... إنه صبيٌّ طيِّب، ولكن، سموَّ الأمير، أعرفُ أنك تُشرِّفني، ولكن... إنني مجرَّد فارسٍ جوَّال».

قال ميْكار: «من الممكن تغيير ذلك. إيْجوْن سيرجع إلى قلعتي في (بهو الصَّيف). إنَّ لك مكانًا هناك إذا رغبت. فارسٌ من أهل بيتي. ستُعهِدني سيفك، ولإيْجوْن أن يُرافِقك، وفيما تُدرِّبه سيُكمِل قيِّم سلاحي تدريبك»، وحدجَه الأمير بنظرة البصير مضيفًا: «سيِّدك السيْر آرلان فعلَ كلَّ ما بوسعه من أجلك، لا شكَّ عندي، ولكن ما زالَ أمامك كثيرٌ يجب أن تتعلَّمه».

ـ «أعرفُ يا سِيدي». نظرَ دنك حوله، إلى العُشب الأخضر

والبوص، والدَّردارة الباسقة، والتَّموُّجات المتراقصة على صفحة البِركة المضاءة بالشَّمس. كانت ذُبابة تِنّين أخرى تتحرَّك فوق الماء، أو لعلَّها الذُّبابة ذاتها. سألَ نفسه: *ما قرارك يا دنك؟ الذُّباب أم التَّنانين؟* لربَّما أجابَ من فوره قبل أيَّام معدودة. إنه لم يَحلُم إلَّا بهذا، لكن الآن والإمكانيَّة في متناوَل اليد فإنها تُخيفه. «قُبيل موت بيلوْر أقسمتُ أن أكون رجله».

ـ «اجتراء منك. ماذا قال؟».

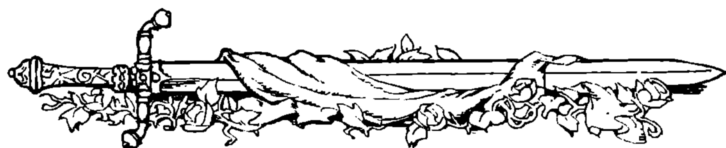
ـ «إنَّ البلاد محتاجةٌ إلى رجالٍ صالحين».

ـ «صحيحٌ كفايةً. وماذا في هذا؟».

ـ «سأتَّخذُ ابنك مُرافقًا يا سموَّ الأمير، ولكن ليس في (بهو الصَّيف)، ليس قبل سنةٍ أو اثنتيْن. لقد رأى ما يكفي من القلاع في تقديري. سأقبله بشرطٍ أن آخذه معي على الطَّريق»، وأشارَ إلى تشستنت العجوز متابعًا: «سيركب حصاني المعيب، ويرتدي معطفي القديم، ويشحذ سيفي ويجلو زردي. سننام في خاناتٍ وإسطبلات،



وبيـن حيـنٍ وآخَـر في قاعـة فـارس مالـك أراضٍ أو أحـد صغـار الـلوردات، وربَّمـا تحـت الأشـجارِ إذا اضطررنـا».



رمقَه الأمير ميكار غير مصدِّق، وقال: «هل أتلفَت المحاكمة عقلك يا رجل؟ إيجوُن أميرٌ من أمراء البلاد، دم التنِّين. الأمراء لا يُخلَقون للنَّوم في الخنادق وأكل اللَّحم المملَّح القاسي»، ولمَّا رأى دنك يتردَّد قال: «ما الذي تخشى قوله لي؟ قُل ما تُريد أيُّها السير».

بمنتهى الهدوء قال دنك: «أراهنُ أنَّ ديرون لم ينَم في خندقٍ قَط، وكلُّ اللَّحم الذي أكلَه إيريون يومًا كان ثخينًا وطريًّا وداميًا على الأرجح».

تطلَّع ميكار تارجاريَن سيِّد (بهو الصَّيف) إلى دنك ابن (سفح البراغيث) وقتًا طويلًا وفكه يتحرَّك بصمتٍ تحت لحيته الفضِّيَّة، وأخيرًا دارَ على عقبيْه وانصرفَ دونما كلمة. سمعَه دنك يبتعد راكبًا مع رجاله، وعندما رحلوا خلا المكان من أيِّ صوتٍ إلَّا طنين جناحَي ذُبابة تنِّين منطلقة فوق الماء.

***

أتى الـغُلام في الصَّبـاح التَّـالي فيمـا أشرقَت الشَّـمس، ينتعـل حذاءً قديمًـا ويلبـس بنطـالًا بنِّيًـا وغلالـةً مـن الصُّـوف البنِّي ومعطـف سـفرٍ قديمًـا. «السيِّد والـدي يقول أني سـأخدمك».

ـ «أخدمـك أيُّهـا السـيْر. يُمكنـك البـدء بتسـريج الحصانيْـن. تشسـتنت لـك. عامِله برفـق. لا أريـدُ أن أجـدك عـلى متـن ثنـدر مـا لـم أضعـك هنـاك بنفـسي».

سـألَه إج وهـو ذاهـبٌ ليُحضِـر السَّـرجين: «أيـن سـنذهب أيُّهـا السـيْر؟».

فكَّـر دنك لحظـةً قبـل أن يُجيـب: «لـم أجتَـز (الجبـال الحمـراء) قَـطُّ. أتـودُّ أن تُلـقي نظـرةً عـلى (دوْرن)؟».

ارتسـمَت عـلى فـم إجٍ ابتسـامةٌ واسـعة، وقـال: «أسـمعُ أنَّ عندهـم عـروض عرائـس مسـلِّيةٌ».



السَّيف المحلَّف







في قفص حديديّ عند تقاطع الطَّرق كان رجلان ميتان يتعفّنان في شمسً الصَّيفً. توقَّف إج أسفلهما ليُلقي نظرةً، وسألَ: «مَن تحسبهما كانا أيُّها السيِر؟». ممتنًّا لمُهلة الرَّاحة هذه، شرعَ بغله ميْستر يجزُّ العُشب الشَّيطاني البنِّي الجاف النَّابت بحذاء حافة الطَّريق، غافلًا عن برميلَي النَّبيذ الضَّخميْن على ظهره.

أجابَ دنك: «لصَّيْن». يُقرِّبه اعتلاؤه صهوة ثندر أكثر من

الرَّجليْـن الميتيْـن. «مغتصبيْـن. قاتليْـن». تُلوِّث دوائـر غامقـة غلالته الخضـراء القديمـة تحـت إبطيْـه، فالسَّـماء زرقـاء وحـرارة الشَّـمس مسـتعرة، ومنـذ حـلِّ المخيَّـم هـذا الصَّبـاح سـالَت منـه جالونـات مـن العـرق.

خـلعَ إج قبَّعتـه القـش المرنـة عريضـة الحافـة ليلـوحِ مـن تحتهـا رأسـه الأصـلع اللَّامع، واسـتخدمَها كمروحـةٍ ليـذبَّ الذُّبـاب. عـلى الرَّجليْـن الميتيْـن تزحـف مئـات الذُّبابات، ويهيـم مزيـدٌ منهـا بكسـلٍ في الهـواء السَّـاخن السَّـاكن. «مؤكَّـد أنهمـا فـعلا فعلـةً سـيِّئةً لكيْ يُتـرَكا للمـوت في قفـص غِربـان».

أحيانًـا يتمـتَّع إج بحكمـة الميْسـترات، لكنـه مـا زالَ في أحيـانٍ أخـرى غُلامًـا في العاشرِة. قـال دنـك: «الـلوْردات أنـواع. بعضهـم لا يلزمـه سـببٌ قـويٌّ ليَحكـم عـلى رجـلٍ بالمـوت».

يتَّسع القفـص الحديـديُّ بـالكاد لرجـلٍ واحـد، ورغـم ذلـك أُقحِـمَ فيـه اثنـان معًـا، فوقفـا وجهًـا إلى وجـه، تتشـابَك أذرُعهمـا وأرجُلهمـا ويلتصـق ظهراهمـا بحديـد القضبـان الأسـود السَّـاخن. أحدهمـا حـاولَ أن يـأكل الآخَـر؛ قضـمَ مـن عُنقـه وكتفـه، والغِربـان نالَـت مـن كليْهمـا نصيبًـا. عندمـا ظهـرَ دنـك وإج دائريْـن مـن حـول التَّـل ارتفعَـت الطُّيـور في السَّـماء كسـحابةٍ سـوداء أفزعَـت كثافتهـا الشَّـديدة ميْسـتر.

قـال دنـك: «أيًّـا كانـا فكلاهمـا يبـدو أعجـف». *هـيكلان عظميَّـان مغلَّفـان بالجلـد، والجلـد أخضـر يتعفَّـن.* «ربَّمـا سـرقا بضعـة أرغفـةٍ مـن الخُبـز، أو صـادا غـزالًا في غابـة لوْرد مـا». مع دخـول الجفـاف عامـه الثَّـاني، أصبـحَ معظـم الـلوْردات أقـلَّ تسـامُحًا مع الصَّيـد غيـر

المشروع، ولم يكونوا متسامحين جدًّا من الأصل.

ـ «يُحتمَل أنهما من جماعةٍ من الخارجين عن القانون». في (دوْسك) سمعا عازف قيثارةٍ يُغنِّي «يوم شنقوا روْبن الأسود»، ومنذ ذلك الحين يرى إج خارجين عن القانون شِهامًا وراء كلِّ شُجيرة.

لاقى دنك عددًا من الخارجين عن القانون في أثناء مُرافقته العجوز، ولا يستعجل لقاء مزيدٍ منهم، فلا يبدو أن أحدًا ممَّن عرفَهم تحلَّى بشهامةٍ خاصَّة. يَذكُر واحدًا اشتركَ السيْر آرلان في شنقه، كان مغرمًا بسرقة الخواتم، واعتادَ أن يقطع أصابع الرِّجال ليظفر بها، أمَّا مع النِّسوة ففضَّل القضم، وعلى حدِّ علم دنك لا تُوجَد عنه أغانٍ. *خارجون عن القانون أو صيَّادون دون إذن، لا فرق. الموتى صُحبة رديئة.* دارَ بثندر على مهلٍ حول القفص، وبدا كأن محاجر العيون الفارغة تتبعه. أحد الميتَيْن رأسه مطأطأ وفوه مفغور، وقد قال دنك لنفسه إذ لاحظَ: *إنه بلا لسان.* قدَّر أن الغِربان ربَّما أكلَته. لقد سمعَ أنَّ الغِربان تَنقُر أعيُن الجُثث أوَّلًا، ولكن يجوز أنَّ اللِّسان يُؤكَل ثانيًا. *أو جائزٌ أنَّ أحد اللوردات أمرَ باقتلاعه بسبب شيءٍ قاله.*

دفعَ دنك أصابعه عبر خُصلات شعره الذي فتَّحت لونه الشَّمس. إنه عاجزٌ عن مساعدة الموتى، وعليه وإج أن يُوصِلا برميلَي النَّبيذ إلى (ستاندفاست). قال ناظرًا من طريقٍ إلى آخَر: «من أيِّ اتِّجاهٍ أتينا؟ إنني تائه».

أشارَ إج مجيبًا: «(ستاندفاست) في ذلك الاتِّجاه أيُّها السيْر».

قال دنك: «هو طريقنا إذًا. يُمكننا العودة بحلول المساء،

ولكن ليس إذا بقينا هنا طول النَّهار نعدُّ الذُّباب»، ومسَّ ثندر بكعبيْه ودارَ بالبِرذون الكبير نحو الفرع الأيسر.

عادَ إج يضع قبَّعته المرنة وشدَّ مقود ميْستر بحدَّة، فتخلَّى البغل عن جزِّ العُشب الشَّيطاني وتحرَّك من غير معارضةٍ على غير المعتاد. فكَّر دنك: *هو أيضًا حرَّان، ومؤكَّد أنَّ هذيْن البرميلَيْن ثقيلان.*

خبزَت شمس الصَّيف الطَّريق حتى أضحى بصلابة القرميد، وفي الطَّريق أخاديد عميقة بما يكفي لكسر ساق حصان، ولذا حرصَ دنك على قيادة ثندر على الأرض الأعلى بينها. يوم غادَرا (دوْسك) لوى كاحله وهو ماشٍ في سواد اللَّيل والحرارة أفتر. اعتادَ العجوز أن يقول إنَّ على الفارس أن يتعلَّم التَّعايُش مع الآلام والأوجاع. *أجل يا فتى، ومع العظام المكسورة والنُّدوب. إنها جزء من فروسيَّتك مثلها مثل سيوفك وتراسك.* ولكن إذا حدثَ أن كُسرَت لثندر ساق... الفارس دونما حصانٍ ليس بفارسٍ على الإطلاق.

تبعَه إج من بُعد خمس ياردات بميْستر وبرميلَي النَّبيذ، يمشي الغُلام بقدم حافية في أخدودٍ وبالأخرى خارجه ليرتفع وينخفض مع كلِّ خُطوَة. على إحدى وركيْه يضع خنجره المغمد، وحذاؤه معلَّق فوق حقيبة ظهره، وغلالته البنِّيَّة الرثَّة مطويَّة ومعقودة حول خصره. تحت قبَّعته القش عريضة الحافة وجهه متَّسخ ملطَّخ، وعيناه واسعتان داكنتان. إنه في العاشرة، لم يَبلُغ بعدُ الأقدام الخمسة طولًا. في الآونة الأخيرة بدأ ينمو سريعًا، ولو أنَّ أمامه طريقًا طويلًا طويلًا من النُّمو قبل أن يلحق بدنك. يُشبِه الولد

تمامًا شخصيَّة صبيِّ الإسطبل التي ينتحلها، ولا يُشبِه بالمرَّة شخصيَّته الحقيقيَّة.

سرعان ما اختفى الميتان وراءهما، إلَّا أنَّ دنك وجدَ نفسه يُفكِّر فيهما. البلاد حافلةٌ بمخالفي القانون هذه الأيَّام. الجفاف لا يُبدي أيَّ أمارات على الانتهاء، والعامَّة لجؤوا بالألوف إلى الطُّرق بحثًا عن مكانٍ ما حيث لا تزال الأمطار تَسقُط. اللوْرد غُداف الدَّم أمرَهم بالعودة إلى أراضيهم وسادتهم، لكن قلائل أطاعوا. يلوم كثيرون غُداف الدَّم والملك إيْرس على الجفاف، ويقولون إنه قضاء من الآلهة، ذلك أنَّ قاتِل الأقربين ملعون. على أنهم لا يقولون ذلك جهرًا لو أنهم حُكماء. تقول الأحجية التي سمعَها إج في (البلدة القديمة): *كم عينًا للوْرد غُداف الدَّم؟ ألف عينٍ وعين.*

قبل ستِّ سنواتٍ في (كينجز لاندنج) رآه دنك بأمِّ عينيْه على متن حصانٍ شاحب في (شارع الفولاذ)، يتبعه خمسون من حرسه الملقَّبين بأسنان الغُداف. حدثَ ذلك قبل أن يرتقي الملك إيْرس العرش الحديدي ويُعيِّنه يدًا، ومع ذلك لفتَ الأنظار وهو متَّشح باللَّونيْن الدُّخاني والسِّقلَّاتي ويتدلَّى السَّيف «الأخت المظلمة» على وركه. جعلته بشرته الممتقعة وشعره الأبيض بياض العظم يبدو كجثَّة حيَّة، وعلى وجنته ورقبته امتدَّت وحمةٌ خمريَّة يُفترَض أنها تُشاكِل غُدافًا أحمر، لكن دنك لم يرَ إلَّا لطخةً غريبة الشَّكل من الجلد حائل اللَّون. شخصَ دنك ببصره إلى غُداف الدَّم حتى إنه أحسَّ بالنَّظرة، والتفتَ مشعوذ الملك ليَرمُقه بإمعانٍ وهو يمرُّ. للرَّجل عينٌ واحدة، وهذه العين الواحدة حمراء، أمَّا الأخرى فمحجرٌ فارغ، الهديَّة التي أعطاها

لـه الفـولاذ الأليـم في (حقـل العُشـب الأحمـر)، وإن بـدا لدنـك أنَّ العينيْـن كلتيْهمـا اخترقَتـا جلـده ونفذَتـا إلى روحـه ذاتهـا.

عـلى الرغـم مـن الحـرّ بثَّـت فيـه الذِّكـرى رجفـةً، حـتى إنَّ إج نـاداه: «سـيْر؟ هـل مـن خطـب؟».

قـال دنـك: «لا. إنـني حـرَّان وعطشـان مثلهـا»، وأشـارَ إلى الحقـل بعـد الطَّريـق، حيـث تَذبُـل صفـوفٌ مـن الشـمَّام عـلى الفـروع المعترشـة. عـلى طـول الحافـات لا تـزال زهـور رأس الكبـش والأعشـاب الشَّـيطانيَّة مستمسكةً بالحيـاة، لكـن حـال المحاصيـل أسـوأ كثيـرًا، وقـد أدركَ دنـك مـا تَشـعُر بـه ثمـار الشـمَّام بالضَّبـط. تعوَّد السـيْر آرلان أن يقـول إنـه لا داعي لأن يعطـش الفـارس الجـوَّال أبـدًا، «مـا دامَ يملـك خـوذةً يلتقـط فيهـا المطـر. مـاء المطـر أفضـل شـرابٍ في الدُّنيـا يـا فـتى»، لكـن العجـوز لـم يشـهد قَـطُّ صيفًـا كهذا. تـركَ دنـك خوذتـه في (ستاندفاسـت)، فـهي أسـخن وأثقـل مـن أن يعتمرهـا، والمطـر الـذي يُمكـن أن يلتقطـه فيهـا شـحيحٌ للغايـة. *ماذا يفعـل الفـارس الجـوَّال وأماكـن تجوالـه نفسـها بنِيَّـة ظمآنـة تمـوت؟*

قـد يغطـس في الجـدول حينمـا يـصلان إليـه. ابتسـمَ مفكّـرًا في حلاوة ذلـك الشُّـعور؛ أن يقفـز في المـاء مباشـرةً ويَخـرُج مبـتلًّا عـن آخِـره مبتسـمًا مـلء فمـه، ينهمـر المـاء كشلّالٍ عـلى خدَّيـه ويتخلَّـل شـعره الملبَّـد وغلالتـه المخضَّلـة الملتصقـة بجلـده. قـد يرغـب إج أيضًـا في غطسـة، ولـو أنـه يبـدو فاتـر الحـرارة جافًّـا، مغبَّـرًا أكثـر منـه متعـرّق. في (دوْرن) سـعى الـغُلام هنـا وهنـاك عـاري الصَّـدر حتى صـارَ بنّيًّـا كالدوْرنيّيـن. قـال دنـك لنفسـه: *إنـه دم التنّيـن الـذي في عروقـه. مَـن سـمعَ مـن قبـل بتنّيـنٍ يعـرق؟* كان سيسـرُّه أن يخلـع

غلالتـه، غيـر أنَّ ذلـك لا يليـق. للفـارس الجـوَّال أن يركـب عاريًـا تمامًـا إذا اختـارَ، فليـس لـه أحـدٌ يُخزيـه إلَّا نفسـه، لكـن المسـألة تختلـف حيـن يتعهَّـد المـرء بسـيفه. تعـوَّد السِـيْر آرلان أن يقـول: *عندما تقبـل مـن أحـد اللـوردات طعامـه وشـرابه، ينعكـس مـا تفعلـه كلُّـه عليـه. افعـل دومًـا أكثـر ممَّـا يتوقَّعـه منـك، لا أقـلَّ أبـدًا. لا تَنكُـص مـن أيِّ مهمَّـةٍ أو مشـقَّة. وفـوق كلِّ شيء، إيَّـاك أن تُخـزي اللـورد الـذي تخدمـه.* في (ستاندفاسـت) يعـني «الطَّعـام والشَّـراب» الدَّجـاج والمـزر، لكـن السِـيْر يوسـتس نفسـه يـأكل الطَّعـام البسـيط عينـه.

ظلَّ دنك لابسًا غلالته ويتصبَّب عرقًا.

***

كان السِـيْر بِنِـس صاحـب التُّـرس البـنِّي منتظـرًا عنـد الجسـر الخشبيّ القديـم، ونـادى: «عُدتمـا إذًا. غيابكمـا طـالَ إلى درجة أنني حسـبتكُما هربتمـا بفضَّـة الشَّـيخ». يمتـطي بِنِـس غرُّونه[١٠] الأشـعث ويلـوك لفافـةً مـن التَّبـغ المُـرِّ أبـدَت فمـه كأنـه ممتـلئ بالـدَّم.

أخبـرَه دنـك: «اضطررنـا إلى قـطع الطَّريـق كلِّـه إلى (دوْسـك) لنجد قليلًا مـن النَّبيـذ. الكَراكـن أغـاروا عـلى (دوْسـك الصُّغـرى) وسـرقوا الثَّـروات والنِّسـاء وأحرَقـوا نصـف مـا لـم يأخذوه».

قـال بِنِـس: «داجوْن جرايـچوْي هـذا يعـوزه أن يُشـنَق. أجـل،

١٠ـ الغرُّون Garron: نوعٌ متين صغير الحجم من الخيول. (المُترجم).

ولكـن مَـن سيَشـنُقه؟ هـل رأيـت العجـوز پيْـت قـرَّاص الأرداف؟».

ـ «أخبَرونـا أنـه مـاتَ. الحديديُّـون قتلـوه حيـن حـاولَ منعهـم مـن اختطـاف ابنتـه».



ـ «بحقِّ الجحائم السَّبع اللَّعينـة!». أشـاحَ بنس بوجهه ليَبصُق، وقـال: «رأيـتُ تلك الابنـة مرَّةً. لا تستأهِل الموت من أجلهـا إذا طلبـت رأيـي. ذلـك الأحمـق پيْـت كان مدينًـا لي بنصـف قطعـةٍ فضِّيَّة». يبـدو الفـارس البنِّي تمامًـا كمـا بـدا لمَّـا غـادَرا، والأسـوأ أنَّ رائحتـه لـم تتحسَّـن. يرتـدي الرَّجـل الثِّيـاب ذاتهـا كلَّ يـوم: بنطـالًا بنِّيًـا، وغلالـةً مـن الخيـش بلا شكلٍ معيَّـن، وينتعـل حـذاءً من جلـد الخيـل، وعندمـا يتـدرَّع يلبـس معطفًـا بنِّيًـا فضفاضًـا فـوق قميـصٍ مـن الحلقـات المعدنيَّـة الصَّدئـة.

نِجـاد سـيفه عبـارةٌ عـن شـريطٍ مـن الجلـد المغـلي، الـذي يبـدو وجهـه المتغضِّـن كأنَّمـا شُكِّلَ منـه أيضًـا. *رأسـه يُشـبِه ثمـار الشـمَّام*

الذَّابلة التي مررنا بها. حتى أسنانه بنِّيَّة تحت البُقع الحمراء التي يُخلِّفها التَّبغ المُرُّ الذي يحبُّ مضغه. وسط كلِّ هذا البنِّي تَبرُز عيناه الصَّغيرتان بخُضرتهما الباهتة وضيقهما وتقارُبهما والتماعهما بالغلِّ. علَّق الرَّجل: «برميلان فقط. السيْر متعوس أرادَ أربعةً».

ردَّ دنك: «من حُسن حظِّنا أننا وجدنا اثنيْن. الجفاف بلغَ (الكرمة) أيضًا. سمعنا أَنَّ العنب يتحوَّل إلى زبيبٍ على الأغصان، والحديديُّون يُقرصِنون...».

قاطعَه إج: «سيْر؟ الماء اختفى».

حالَ تركيز دنك على بِنِس دون أن يلحظ. تحت ألواح الجسر الخشبيَّة المعوجَّة لم يتبقَّ إلَّا الرَّمل والحجارة. *غريبٌ هذا. منسوب الجدول كان منخفضًا حين ذهبنا، لكنه ظلَّ يجري.*

ضحكَ بِنِس. للرَّجل نوعان من الضَّحك: أحيانًا يقيق كالدَّجاج، وأحيانًا يُصدِر نهيقًا أعلى من بغل إج. هذه الضَّحكة ضحكة الدَّجاجة. «جفَّ في غيابكما على ما أظنُّ. إنه شيء يفعله القحط».

أفعمَت دنك خيبة الأمل. *طيِّب، لن أغطس إذًا*. ترجَّل من فوق حصانه متسائلًا: *ماذا سيَحدُث للمحاصيل*؟ نصف الآبار في (المرعى) جفَّ، والأنهار كلُّها منخفضة المنسوب، بما في ذلك (النَّهر الأسود) و(الماندر) العظيم.

قال بِنِس: «شيء كريه الماء. شربتُ قليلًا منه مرَّةً فمرضتُ كالكلاب. النَّبيذ أفضل».

ـ «ليس للشُّوفان. ليس للشَّعير. ليس للجزر والبصل والكرنب. حتى العنب يحتاج إلى ماء»، وهزَّ دنك رأسه سائلًا: «كيف يجفُّ بهذه السُّرعة؟ إننا لم نغِب إلَّا ستَّة أيَّام».

ـ «لم يكن ماؤه غزيرًا أصلًا يا دنك. في الماضي اعتدتُ أن أتبوَّل جداول أكبر من هذا».

قال دنك: «لستُ دنك. لقد أخبرتك من قبل». تساءلَ لِمَ يُزعِج نفسه. بِنِس رجلٌ سليط اللِّسان، ويسرُّه أن يتهكَّم على الآخَرين. «أُدعى بالسِّير دنكن الطَّويل».

ردَّ بِنِس: «ومَن يدعوك بهذا؟ جروك الأصلع؟»، ونظرَ إلى إج ضاحكًا ضحكة الدَّجاجة، وقال: «إنك أطول ممَّا كنت وأنت تخدم شجرة البنسات، لكنك ما زلت تبدو دنك خالصًا لي».

فركَ دنك قفاه وحدَّق إلى الصُّخور بالأسفل. «ماذا نفعل؟».

ـ «أوصِلا الخمور وأخبِرا السِّير متعوس أنَّ جدوله جفَّ. ما زالَ في بئر (ستاندفاست) ماء، فلن يعطش».

ـ «لا تَدُعه بالسِّير متعوس». دنك مولعٌ بالفارس الشَّيخ. «إنك تنام تحت سقفه، فأولِه شيئًا من الاحترام».

ـ «أنت تُوليه نصيبيْنا معًا من الاحترام يا دنك. سأدعوه أنا بما أريدُ».

صدرَ من الألواح الرَّماديَّة المائلة إلى الفضِّي صريرٌ ثقيل إذ تحرَّك دنك فوق الجسر ليُلقي نظرةً عابسةً على الرِّمال والأحجار تحته. رأى بين الصَّخر قِلَّةً من البِرك الصَّغيرة تلمع، ولا واحدة منها أكبر من يده. «سمك ميت، هناك وهناك، أترى؟». ذكَّرته

رائحته بالرَّجليْن الميتيْن عند تقاطُع الطُّرق.

قال إج: «أراها أيُّها السيْر».

وثبَ دنك إلى قاع المجرى وأقعى على كعبيْه وقلبَ حجرًا. *جافٌّ ودافئ من أعلى، ورطبٌ ومطيَّن من أسفل.* قال: «لا يُمكن أنَّ مُدَّةً طويلةً مرَّت منذ اختفى الماء»، ونهضَ راميًا الحجر جانبًا إلى الضفَّة، حيث سقطَ مخترقًا بروزًا متفتِّتًا في سحابةٍ من التُّراب البنِّي الجاف. «التُّربة مشقَّقة على طول الضفَّتيْن، لكنها طريَّة وموحلة في المنتصف. هذه الأسماك كانت حيَّةً أمس».

علَّق السيْر بِنس: «دنك الأنوَك، هكذا اعتادَ شجرة البنسات أن يدعوك، ما زلتُ أذكرُ»، وبصقَ لفافة التَّبغ المُرِّ على صخرة، لتلتمع حمراء لزجةً في ضوء الشَّمس. «لا يَجدُر بالنُّوك أن يُحاوِلوا التَّفكير، فعقولهم أغلظ كثيرًا من أن تُفكِّر».

ـ *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة.* من فم السيْر آرلان حملَت العبارة وُدًّا، فقد كان رجلًا طيِّبًا حتى في التَّوبيخ، أمَّا من السيْر بِنس صاحب التُّرس البنِّي فوقعها مختلف. «السيْر آرلان ماتَ منذ عاميْن، وأنا أُدعى بالسيْر دنكن الطَّويل». أغرَته بشدَّةٍ فكرة أن يهوي بقبضته على وجه الفارس البنِّي ويُهشِّم هذه الأسنان الحمراء النَّخرة تهشيمًا. قد يكون بِنس صاحب التُّرس البنِّي بغيضًا خبيثًا، لكن دنك يفوقه طولًا بما لا يقلُّ عن قدم ونصف، ووزنًا بأربعة أحجار.[11] محتمَلٌ أنه أنوَك، لكنه كبيرٌ. أحيانًا يُخيَّل إليه أنه خبطَ برأسه نصف أبواب (وستروس)، ناهيه بكلِّ عارضة سقفٍ في كلِّ خانٍ من (دوْرن) إلى (العُنق).

١١ ـ الحجر Stone: وحدة وزن عتيقة تُعادِل حاليًّا أربعة عشر رطلًا. (المُترجم).

في (البلدة القديمة) أخذَ إيْمؤن أخو إج قياساته، فوجدَ أنَّ بوصةً تَنقُصه ليَبلُغ سبعة أقدام طولًا، إلَّا أنَّ ذلك حدثَ قبل نصف عام، وربَّما نما منذ ذلكَ الحين. النُّمو هو الشَّيء الوحيد الذي يُجيده دنك حقًّا، كما اعتادَ العجوز القول.

عادَ إلى ثندر واعتلاه مجدَّدًا، وقال: «إج، واصِل الطَّريق إلى (ستاندفاست) بالنَّبيذ. سأذهبُ لأرى ماذا جرى للماء».

قال بِنِس: «الجداول تجفُّ طول الوقت».

ـ «أريدُ أن ألقي نظرةً فقط...».

ـ «مثلما نظرت تحت الصَّخرة؟ لا يَجدُر بك أن تقلب الصُّخور أيُّها الأنوَك، فلست تدري أبدًا ما قد يزحف من تحتها. إنَّ عندنا حشايا قش لطيفةً في (ستاندفاست)، وبيضًا في معظم الأيَّام، وليس علينا أن نفعلَ كثيرًا غير الاستماع للسِيْر متعوس يُثرثِر عن عظمته التي كانت. دعك من هذا الأمر، أقولُ لك. الجدول جفَّ، هذا كل شيء».



على أنَّ أكثر ما يتَّسم به دنك هو العناد، وهكذا قال لإج: «السِر يوستس ينتظر نبيذه. أخبِره أين ذهبتُ».

قال إج: «حاضر أيُّها السِر»، وشدَّ مقود مِيستر مرَّةً، فأرعش البغل أذنيْه، وإن عادَ يتحرَّك في الحال. *يُريد الخلاص من هذيْن البرميليْن على ظهره.* ولا يستطيع دنك أن يلومه.

تدفَّق الجدول شمالًا وشرقًا حينما تدفَّق، فوجَّه دنك ثندر جنوبًا وغربًا. لم يمضِ أكثر من دستة من الياردات قبل أن يلحق به بِنس قائلًا: «الأفضل أن آتي لأضمن ألَّا تُشنَق»، ودسَّ لفافةً جديدةً من التَّبغ المُرِّ في فمه مردفًا: «بعد ذلك الدَّغل من الصَّفصاف الرَّملي تنتمي الضفَّة اليُمنى بأكملها إلى أرض العناكب».

ـ «سأبقى على جانبنا». لا يُريد دنك متاعبٍ مع سيِّدة (الخندق البارد)، ففي (ستاندفاست) لا يُسمَع عنها إلَّا المساوئ. يُلقِّبها النَّاس بالأرملة الحمراء، نسبةً إلى الأزواج الذين دفنَتهم، ويقول سام المحنيُّ العجوز إنها ساحرةٌ ومُسمِّمة وأسوأ. قبل سنتيْن أرسلَت فُرسانها عبر الجدول للقبض على أحد رجال أوزجري لسرقته خرافًا، وهو ما قال عنه سام: «عندما ركبَ سِيدي إلى (الخندق البارد) ليُطالِب بعودته، قيل له أن يبحث عنه في قاع الخندق. لقد وضعَت ذلك المسكين في جوالٍ مليء بالصَّخر وخيَّطته عليه وأغرقَته. بعد ذلك ضمَّ السِر يوستس السِر بِنس إلى خدمته، ليُبعِد تلك العناكب عن أراضيه».

حافظَ ثندر على مشيةٍ بطيئة ثابتة تحت الشَّمس الحامية.

السَّماء زرقاء قاسية، لا يُرى فيها أثرٌ للسُّحب. يلتوي مجرى

الجدول حول مرتفعاتٍ صخريَّة وصفصافٍ بائس، عبر تلالٍ بنِيَّة جرداء وحقولٍ من الحبوب الميْتة والميِّتة. بعد ساعةٍ من الجسر في اتِّجاه المنبع وجدا نفسيْهما راكبيْن على حافة غابة أوْزجري الصَّغيرة المسمَّاة (خميلة وات). من بعيدٍ لاحَت الخُضرة جذَّابةً وملأت رأس دنك بأفكارٍ عن وِهادٍ ظليلة ونُهيرات يتعالى خريرها، ولكن حين وصلا إلى الأشجار ألفَياها ناحلةً مهزولةً مرتخية الفروع. بعض السّنديانات العظيمة تتساقَط أوراقه، والصَّنوبرات نصفها استحالَ بنِّيًّا كالسيْر بنِس وتُطوِّق جذوعها حلقات من الإبرِ الميتة. فكَّر دنك: *أسوأ وأسوأ. شرارةٌ واحدة وسيشتعل كلُّ هذا كالصُّوفان.*

أمَّا في الوقت الرَّاهن فالحراج المتشابكة على طول (ماء المربَّعات) لا تزال زاخرةً بالكروم الشَّائكة والقُرَّاص والورد البرِّي الأبيض والصَّفصاف الشَّاب، وبدلًا من شقِّ طريقهما عبرها عنوةً عبرا قاع الجدول الجاف إلى جانب (الخندق البارد)، حيث أزيلَت الأشجار لتأكل الماشية الكلأ. بين الأعشاب البنِّيَّة الظَّمأى والزَّهر البرِّي الباهت راحَت بضعة خرافٍ سوداء الأنوف ترعى، وهو ما علَّق عليه السيْر بنِس بقوله: «لم أعرف قَطُّ حيوانًا غبيًّا كالخراف. أتظنُّها قريبتك أيُّها الأنوَك؟»، ولمَّا لم يردَّ دنك عادَ يُطلِق ضحكة الدَّجاجة.

بعد نصف فرسخٍ من التَّوغُّل جنوبًا قابَلا السَّد.

ليس كبيرًا قياسًا إلى السُّدود عمومًا، لكنه يبدو قويًّا. بعرض الجدول أقيمَ من الضفَّة إلى الضفَّة متراسان خشبيَّان مصنوعان من جذوع أشجارٍ لا يزال لحاؤها عليها، ومُلِئَ الفراغ بينهما

بالصَّخر والتُّراب المكبوسيْن بصلابة، ووراء السَّد يرتفع السَّيل زاحفًا إلى الضفَّتيْن ويتسرَّب إلى أخدودٍ شُقَّ عبر حقول الليْدي وِبَر. وقفَ دنك على رِكابيْه ليُلقي نظرةً أفضل، فرأى لمعة الشَّمس على المياه تشي بنحو عشرين قناةٍ أصغر تجري في كلِّ اتِّجاهٍ كشبكة عنكبوت. *إنهم يسرقون جدولنا*. أفعمَه المشهد بالحنق، بخاصَّةٍ حين أدركَ أنَّ الأشجار أُخذَت ولا شك من (خميلة وات).

قال بِنِس: «انظُر ماذا فعلت أيُّها الأنوَك. لم ترضَ بأن الجدول جفَّ وحسب، لا. قد يبدأ هذا بالماء، لكنه سينتهي بالدَّم. دمك ودمي غالبًا»، واستلَّ الفارس البنِّي سيفه متابعًا: «حسن، لا مجال للتَّراجُع الآن. ها هُم أولاء حفَّاروك الملعونون ثلاثًا. الأفضل أن نبثَّ فيهم شيئًا من الخوف»، وكشطَ جنبَي غرُّونه بمِهمازيْه وهرولَ فوق العُشب.

لم يجد دنك خيارًا إلَّا أن يتبعه وقد اعتلى سيف السيْر آرلان الطَّويل وركه، قطعة مستقيمة ممتازة من الفولاذ. *لو أنَّ حفَّارو الأخاديد هؤلاء يتمتَّعون بذرَّةٍ من العقل فسيُولُّون الأدبار*. انطلقَ ثندر مثيرًا بحوافره النَّقع كُتلًا.

أسقطَ أحد الرِّجال رفشه عند مرأى الفارسيْن المقبليْن، وإن لم يَحدُث ما هو أكثر. ثمَّة عشرون من الحفَّارين، قصارٍ وطوال، ومسنُّون وشُبَّان، كلُّهم حمَّصته الشَّمس، وقد شكَّلوا صفًّا غير منتظم إذ أبطأ بِنِس حركته، قابضين جميعًا على مجارفهم ومعاولهم. صاحَ أحدهم: «هذه أرض (الخندق البارد)».

أشارَ بِنِس بسيفه الطَّويل قائلًا: «وهذا جدول أوْزجري. مَن

أقـامَ هـذا السَّـد اللَّعيـن؟».

أجابَ حفَّار شاب: «الميْستر كِرك بناه».

قـال رجـلٌ أكبـر سـنًّا بإصـرار: «لا. الجـرو الرَّمـادي أشـارَ قلـيلًا وقـال افعلـوا هـذا وافعلـوا ذاك، لكـن نحـن الذيـن بنينـاه».

ـ «يُمكنكم إذًا أن تغوروا وتهدموه».

لاحَ في أعيُـن الحفَّاريـن العبـوس والتَّحـدِّي. مـسحَ واحـدٌ منهـم العـرق عـن جبهتـه بظهـر يـده، ولـم يتكلَّـم أحـد.

قـال بِنِـس: «ضعـاف السَّـمع أنتـم. أيجب أن أقـطع أذنًـا أو اثنتيْن؟ مَن الأوَّل؟».

ـ «هـذه أرضٍ وبَـر». الحفَّـار العجـوز هزيـل، محـنيُّ الظَّهـر وعنيد. «ليـس لـك حـقٌّ في القـدوم إلى هنـا. اقـطع أيَّـة آذان وستُغرِقك ستِّي في جوال».

اقتـربَ بِنِـس قـائلًا: «لا أرى سـتَّاتٍ هنـا، بـل مجـرَّد فلَّاح متبـجِّح»، ونخـزَ صـدر الحفَّـار البنِّي العـاري بـرأس سـيفه بقـوَّةٍ كفَـت لأن يُريـق قطـرةً مـن الـدَّم.

ـ *إنـه يتمـادى*. حـذَّره دنـك: «أغمِـد فـولاذك. ليـس هـذا مـن صُنعـه. الميْسـتر كلَّفهـم بهـذا العمـل».

خاطبَـه حفَّـار بأذنيْـن كبيرتيْـن بارزتيْـن: «إنـه مـن أجـل المحاصيـل أيُّهـا السيْر. الميْسـتر قـال إنَّ القـمح يمـوت، والإجَّـاص أيضًـا».

قال بِنِس:«طيِّب، قد يموت الإجَّاص، وقد تموتون أنتم».

ردَّ العجوز: «كلامك لا يُخيفنا».

ـ «حقًّا؟». جعلَ بِنِس سيفه الطَّويل يصفر إذ هوى ليشقَّ وجنة العجوز من الأذن إلى الفكِّ. «قلتُ إمَّا أن يموت الإجَّاص وإمَّا تموتون».

سالَ دم الحفَّار أحمر على جنب وجهه.



ـ *لم يجب أن يفعل هذا*. ابتلعَ دنك ثورته مرغمًا، فبِنِس في صفِّه في هذه المسألة، وزعقَ في الحفَّارين: «ارحلوا من هنا. عودوا إلى قلعة سيِّدتكم».

واستحثَّهم السِّير بِنِس: «اجروا!».

أفلتَ ثلاثةٌ منهم أدواتهم وفعلوا هذا بالضَّبط راكضين وسط العُشب، إلَّا أنَّ رجلًا آخَر مسفوع البشرة متين البنيان رفعَ معولًا قائلًا: «إنهما اثنان فقط».

قال العجوز واضعًا يده على وجهه ليتقاطَر الدَّم من بين أصابعه: «المجارف ضد السُّيوف قتالٌ للحمقى يا يوْرجن. ليست هذه النِّهاية. إيَّاك أن تحسب ذلك».

ـ «كلمةٌ واحدة زيادة وقد تكون نهايتك أنت».

ـ «لم نقصد أن نُؤذيكم». قالها دنك لوجه الرَّجل الدَّامي. «لا نُريد إلَّا ماءنا. أخبِروا سيِّدتكم بذلك».

قابضًا على معوله ما زالَ، وعدَه متين البنيان: «أوْه، سنُخبِرها أيُّها السيْر، سنُخبِرها لا محالة».

***

في طريق العودة شقَّا قلب (خميلة وات) ممتنَّيْن للقدر القليل من الظِّل الذي زوَّدهما به الشَّجر، ورغم ذلك طبخَتهما الحرارة طبخًا. المفترَض أنَّ في الغابة غزلانًا، لكنهما لم يرَيا أيَّ كائناتٍ حيَّة إلَّا الذُّباب الذي أخذَ يطنُّ حول وجه دنك وهو راكب، ويزحف حول عينَي ثندر مزعجًا الجواد الحربيَّ الكبير أيَّما إزعاج. الهواء ساكن خانق. *على الأقل في (دوْرن) كان النَّهار جافًّا، وليلًا اشتدَّ البرد حتى إنني كنتُ أرتجفُ تحت معطفي.* في (المرعى) اللَّيالي بالكاد أبرد من الأنهُر ولو على هذه المسافة شمالًا.

حين خفضَ رأسه تحت فرعٍ متدلٍ، قطفَ ورقةً وسحقَها بين أصابعه، فتفتَّتت في يده كرقٍّ عَمره ألف عام. قال لبِنس: «لم يُوجَد داعٍ لجرح ذلك الرَّجل».

ـ «كانت دغدغةً للخدِّ ليس إلَّا، لتُعلِّمه أن يحفظ لسانه. لقد وجبَ أن أشقَّ له حلقه اللَّعين، ولكن عندئذٍ كان الآخَرون سيجرون كالأرانب ونضطرُّ إلى دعسهم جميعًا».

سألَه دنك مبهوتًا: «كنت ستَقتُل عشرين رجلًا؟».

ـ «اثنان وعشرون. اثنان فوق مجموع أصابع يديْك وقدميْك أيُّها الأنوَك. يجب أن تَقتُلهم جميعًا وإلَّا لانطلقوا يَنشُرون الحكايات». دارا من حول عددٍ من الأشجار السَّاقطة. «كان يجب أن نقول للسيْر متعوس إنَّ القحط جفَّف الجدول الصَّغير التَّافه».

ـ «اسمه السيْر يوستس. كنت ستكذب عليه إذًا».

أجابَه بِنس: «أجل، ولِمَ لا؟ ومَن سيُخبِره بغير ذلك؟ الذُّباب؟»، وابتسمَ ابتسامةً حمراء مبتلَّةً مضيفًا: «السيْر متعوس



لا يُبـارِح البُـرج أبـدًا إلَّا ليـرى الفِتيـة وسـط التُّـوت الأسـود».

ـ «السَّيف المحلَّف مدينٌ لسيِّده بالحقيقة».

ردَّ بِنِـس: «الحقائـق أنـواع أيُّهـا الأنـوَك»، وبصـقَ وواصـلَ: «الآلهـة تُسـبِّب الجفـاف، ومـا بيـد أيِّ إنسـانٍ حيلـة لعينـة حيـال الآلهـة. لكـن الأرملة الحمـراء... إذا أخبَرنـا السِّير متعوس بـأن تلـك الكلبـة الحقيـرة أخـذَت مـاءه فسيَشـعُر أنَّ شـرفه يُلزِمـه باسـتعادته. انتظِـر وسـترى. سيحسـب أنَّ عليـه أن يفعـل شـيئًا».

ـ «وهـو الواجب.عامَّتنـا محتاجـون إلى ذلـك المـاء لأجـل محاصيلهـم».

أطلـقَ السـِّير بِنِـس ضحكتـه النَّاهقـة قـائلًا: «عامَّتنـا؟! أكنـتُ غائبًـا أتغـوَّطُ في مكانٍ مـا حيـن جعلَـك السـِّير متعـوس وريثـه؟ كـم مـن العامَّـة لديـك في ظنِّـك؟ عشـرة؟ بمَـن في ذلـك ابـن چِيْـن الشَّـزراء المعتـوه الـذي يجهـل أيَّ طـرفَي الفـأس يُمسِـك. اذهـب وأسبِغ الفروسيَّة عليهـم جميعًـا وسيُصبح عندنـا نصـف عـدد فُرسـان الأرملـة، ناهيـك بمُرافقيهـا ورُماتهـا والبقيَّـة. سـتلزمك كلتـا يديْـك وكلتـا قدميْـك لتعدَّهـم، وأصابـع يـدَي وقـدمَي غُلامـك الأصلع كلِّهـا أيضًـا».

ـ «لا تلزمـني أصابـع أقـدام لأعـدَّ». سـئمَ دنـك الحـرَّ والذُّبـاب ورفقـة الفـارس البنِّي. *ربَّمـا ركِـبَ مع السـِّير آرلان ذات يـوم، لكـن ذلـك حـدثَ قبـل سـنواتٍ وسـنوات. الرَّجـل بـاتَ رذيلًا وخدَّاعًـا وجبانًـا.* همـزَ دنـك حصانـه وخـبَّ متقدِّمًـا لكي يـضع الرَّائحـة الكريهـة وراءه.

***

(ستاندفاست) قلعةٌ مجاملةً فقط. على الرغم من أنها ترتفع بشجاعةٍ فوق تلٍّ صخريّ وتُمكن رؤيتها من بُعد فراسخ حولها، فهي ليستْ أكثر من منزلٍ مبرَّج. استدعى انهيارٌ جزئيٌّ قبل بضعة قرونٍ قليلًا من إعادة البناء، ومن ثمَّ ففوق نوافذ الوجهيْن الشَّماليّ والغربي أحجارٌ رماديَّة باهتة وتحتها الأحجار السَّوداء القديمة. خلال الإصلاحات أضيفَت بُريجات إلى خطِ السَّقف، ولكن فقط على الجنبيْن اللذيْن أعيدَ بناؤهما، أمَّا في الرُّكنيْن الآخَريْن فيجثم تمثالان مغاريَّان[١٢] برَتهما الرِّيح وعوامل الطَّقس إلى درجةٍ تُصعِّب معرفة شكليْهما الأصليَّيْن. السَّقف المبنيُّ بخشب الصَّنوبر مستوٍ، لكن ألواحه ملتويةٌ بشدَّةٍ وعُرضة للتَّسريب.

يقود دربٌ متمعِّج من سفح التَّل إلى البُرج، ويمنع ضيقه البالغ قطعه ركوبًا إلَّا في طابورٍ فردي. قادَ دنك الطَّريق في أثناء الصُّعود، وبِنِس خلفه مباشرةً، وأمكنَه أن يرى إج بقبَّعته القش المرنة واقفًا أعلاهما فوق بروزٍ صخري.

كبحا حصانيْهما خارج الإسطبل الصَّغير المبني بالأغصان المجدولة والجصّ، المستقر عند سفح البُرج نصف متوارٍ تحت كومةٍ مشوَّهة من الطَّحالب الأرجوانيَّة. رأى دنك حصان الشَّيخ الرَّمادي المخصيَّ في أحد المرابط بجوار ميْستر، وبدا أنَّ إج وسام المحنيَّ أدخَلا النَّبيذ، وفي السَّاحة كانت الدَّجاجات تتسكَّع. أسرعَ إليه إج متسائلًا: «هل اكتشفت ما جرى للجدول؟».

١٢ـ الزَّخرفة المغاريَّة Grotesques: مصطلح يصف تماثيل مشوَّهة ومنحوتات قبيحة الأشكال تُزيِّن المباني، بخاصَّةٍ في المدن الأوربيَّة. (المترجم).

أجابَ دنك: «الأرملة الحمراء سدَّته»، وترجَّل وناولَ الغُلام عنان ثندر قائلًا: «لا تدعه يشرب كثيرًا دُفعةً واحدةً».

ـ «حاضر أيُّها السيْر، لن أفعل».

ناداه السيْر بِنِس: «أنت يا ولد، يُمكنك أن تأخذ حصاني أيضًا».

رمقَه إج بوقاحةٍ رادًّا: «لستُ مُرافقك».

فكَّر دنك: *لسانه هذا سيُؤدِّي إلى أذيَّته يومًا ما*. «ستأخذ حصانه أو ستنال لطمةً على الأذن».

ارتسمَ على ملامح إج العبوس، وإن لبَّى الأمر، ولكن بينما مدَّ يده إلى اللِّجام تنخَّع السيْر بِنِس وبصقَ، لتُصيب كُتلة من البلغم الأحمر اللَّامع الغُلام بين اثنتيْن من أصابع قدميْه، فرمى الفارس البنِّي بنظرةٍ جليديَّة قائلًا: «بصقت على قدمي أيُّها السيْر».

نزلَ بِنِس من فوق حصانه بجهد، وردَّ: «أجل. المرَّة القادمة سأبصقُ في وجهك. لن أسمح بسلاطة لسانك اللَّعينة».

رأى دنك الغضب في عينَي الغُلام، وقبل أن تسوء الأمور قال: «اعتنِ بالحصانيْن يا إج. علينا أن نتكلَّم مع السيْر يوستس».

المدخل الوحيد إلى (ستاندفاست) عبر باب من السِّنديان والحديد يرتفع عشرين قدمًا فوقهما. الدَّرجات السُّفلى من حجر أسود أملس، متآكلة إلى درجة أنَّ منتصفها مقعَّر، وعلى مسافةٍ أعلى تُفسِح الطَّريق لسُلَّم خشبيّ شديد الانحدار، يُمكن رفعه كجسرٍ متحرِّك في أوقاتِ المتاعِب. طردَ دنك الدَّجاجات إلى الجانب، وصعدَ درجتيْن درجتيْن.

(ستاندفاست) أكبر مما تبدو؛ تحتلُّ سراديبها وأقبيتها العميقة مساحةً كبيرةً من التَّل الذي تربض فوقه، أمَّا فوق الأرض فيمتاز البُرج بأربعة طوابق، في أعلى اثنيْن منها نوافذ وشُرفات، وفي الآخَريْن الأدنى فتحات رمايةٍ فقط. الحرارة أفتر في الدَّاخل، لكن الإضاءة معتمة جدًّا، حتى إنَّ دنك اضطرَّ إلى ترك عينيْه تتكيَّفان عليها. وجدَ زوجة سام المحنيّ على رُكبتيْها عند المستوقد تكنس الرَّماد، فسألَها: «السيْر يوستس فوق أم تحت؟».

- «فوق أيُّها السيْر». العجوز حدباء إلى درجة أنَّ رأسها منخفض عن كتفيْها. «لقد عادَ لتوِّه من زيارة الفِتية تحت، وسط التُّوت الأسود».

الفِتية هُم أبناء يوستس أوزجري: إدون وهارولد وأدام. إدون وهارولد كانا فارسيْن، وأدام مُرافقًا شابًّا، وقد ماتوا في معركة (حقل العُشب الأحمر) قبل خمس عشرة سنةً في نهاية تمرُّد بلاكفاير. أخبرَ السيْر يوستس دنك: «ماتوا ميتاتٍ طيِّبةً وهُم يُحارِبون بشجاعةٍ في سبيل الملك، وقد جلبتهم إلى الدِّيار ودفنتهم وسط التُّوت الأسود». زوجته أيضًا مدفونةٌ هناك، ومتى يفتح الشَّيخ برميل نبيذٍ جديدًا ينزل إلى سفح التَّل ليصبَّ لكلٍّ من الفِتية سكيبةً، وقُبيل أن يشرب يهتف: «نخب الملك!».

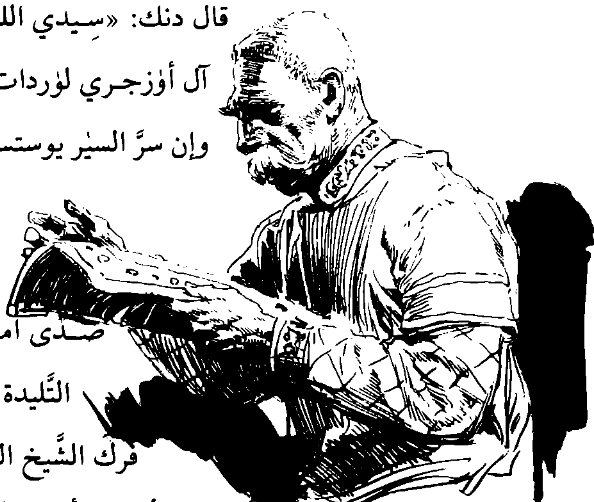
تحتلُّ غُرفة نوم السيْر يوستس الطَّابق الرَّابع من البُرج، وتحتها مباشرةً تقع غُرفته الشَّمسيَّة. هناك علمَ دنك أنه سيجده يعبث بين الصَّناديق والبراميل. على جُدران الغُرفة الرَّماديَّة السَّميكة عُلِّقَت أسلحةٌ صدئة ورايات مستولى عليها، غنائم من معارك

دارَت رحاها قبل قرونٍ طويلة ولا يَذكُرها الآن إلَّا السِّير يوستس. في نصف الرَّايات عفونة فطريَّة، وجميعها باهت للغاية ومغطًّى بالغُبار، وألوانها الزَّاهية سابقًا حالَت إلى الرَّمادي والأخضر.

كان السِّير يوستس يجلو الوسخ عن تُرس خرب بخرقةٍ عندما دخلَ دنك وفي أعقابه بِنِس بعطره الفوَّاح. بدا أنَّ عينَي الفارس الشَّيخ تألَّقتا قليلًا لمرأى دنك، وأعلنَ: «عملاقي الطيِّب، والسِّير بِنِس الشُّجاع. تعالَيا وألقيا نظرةً. عثرتُ عليه في قاع ذلك الصُّندوق. إنه كنز، ولو أنه أُهمِلَ إلى حدٍّ مخيف».

تُرس هو، أو ما تبقَّى من تُرس، وهذا المتبقِّي زهيد. نحو نصفه مكسور، والبقيَّة رماديَّة ومتشظِّية، والحافة الحديديَّة صدئة عن آخِرها، والخشب مليء بثقوب الدِّيدان. لا تزال قُشارة قليلة من الطِّلاء عالقةً به، لكنها أقلُّ من أن تُلمِّح إلى رمزٍ معيَّن.

قال دنك: «سِيدي اللوْرد». لم يَعُد آل أوْزجري لوْردات منذ قرون، وإن سرَّ السِّير يوستس أن يُخاطَب بهذا اللَّقب الذي يُردِّد صدى أمجاد عائلته التَّليدة. «ما هذا؟». فرك الشَّيخ الحافة لتَسقُط منها بضع قشورٍ من الصَّدأ، وأجابَ: «تُرس الأسد الصَّغير.



السيْر ويلبرت أوْزجري حملَه في المعركة التي ماتَ فيها. أنا واثقٌ بأنكما تعرفان الحكاية».

قال بِنس: «لا يا سِيدي، لا نعرفه في الواقع. تقول الأسد الصَّغير؟ أكان قزمًا أو ما شابهَ؟».

ـ «طبعًا لا». ارتعشَ شارب الفارس الشَّيخ إذ قال: «السيْر ويلبرت كان رجلًا طويلًا قويًّا، وفارسًا عظيمًا. الاسم أُطلقَ عليه في طفولته، بصفته الأصغر بين خمسة إخوة. في أيَّامه كان لا يزال في (الممالك السَّبع) سبعة ملوك، وكثيرًا ما اشتبكَت (هايجاردن) و(الصَّخرة) في الحرب. آنذاك حكمَنا الملوك الخُضرِ، آل جاردنر الذين تحدَّروا من دم جارث ذي اليد الخضراء، وشكلت يدٌ خضراء على خلفيَّةٍ بيضاء رايتهم الملكيَّة. أخذَ جايلز الثَّالث راياته شرقًا ليخوض حربًا ضد ملك العواصف، وذهبَ إخوة ويلبرت كلُّهم معه، ففي تلك الأيَّام خفقَ أسد المربَّعات دومًا بجوار اليد الخضراء عند ذهاب ملوك (المرعى) إلى القتال.

«ولكن حدثَ في غياب الملك جايلز أن رأى ملك (الصَّخرة) فُرصته ليقضم لُقمةً من (المرعى)، وهكذا حشدَ جيشًا من

الغربيِّين وزحفَ ليُهاجِمنا. كان آل أوْزجري مُشيري (التُّخم الشَّمالي)، وهكذا وقعَت على الأسد الصَّغير مسؤوليَّة لقاء المعتدين. الملك لانسل الرَّابع هو مَن قادَ رجال لانستر على ما يبدو لي، أو ربَّما الخامس. سدَّ السِّير ويلبرت طريق الملك لانسل وأمرَه بالتَّوقُّف قائلًا: *إيَّاكم أن تتقدَّموا. ليس مرغوبًا فيكم هنا. أمنعكم من أن تطؤوا (المرعى) بأقدامكم.* لكن ابن لانستر أمرَ راياته كلَّها بالمضيِّ قُدمًا.

«تقاتَلا نصف يوم، الأسد الذَّهبي وأسد المربَّعات. كان لانستر مسلَّحًا بسيفٍ ڤاليري لا يُناظِره أيُّ فولاذ تقليدي، ولذا وجدَ الأسد الصَّغير نفسه في وضع حرج وقد حُطِّمَ تُرسه. في النِّهاية، وهو ينزف من دستةٍ من الجروح البليغة وسيفه مكسورٌ في يده، ألقى بنفسه على غريمه مباشرةً، ويقول المغنُّون إنَّ الملك لانسل شقَّه نصفيْن تقريبًا، ولكن فيما حضرَه الموت عثرَ الأسد الصَّغير على الثَّغرة في درع الملك تحت ذراعه وطعنَه بخنجره طعنةً نافذةً. عندما ماتَ ملكهم عادَ الغربيُّون أدراجهم، وأُنقذَ (المرعى)». ملَّس الشَّيخ على التُّرس المكسور بحنانٍ كما لو أنه طفل.

نعبَ بِنس: «أجل يا سِيدي، نحتاج إلى رجلٍ كهذا اليوم. أنا ودنك ألقينا نظرةً على جدولك يا سِيدي. جافٌّ كالعظم، وليس من الجدب».

وضعَ الشَّيخ التُّرس جانبًا قائلًا: «أخبِرني»، وأخذَ مقعدًا مشيرًا لهما بفعل المثل، وفيما باشرَ الفارس البنِّي الحكي جلسَ الشَّيخ مصغيًا بانتباه، ذقنه مرفوعٌ وكتفاه إلى الوراء؛ استقامته كالرُّمح.

لا ريب أنَّ السِّر يوستس أوزجري كان في شبابه مضربًا للمثل في الشَّهامة، طويلًا وعريضًا ووسيمًا. الزَّمن والأسى أنفَذا فيه إرادتهما، لكنه لم ينحنِ، وما زالَ رجلًا كبير العظام عريض الكتفيْن برميليَّ الصَّدر ذا ملامح قويَّة حادَّة كعُقاب عجوز. شعره قصير القَصَّة ابيضَّ كالحليب، لكن الشَّارب الكثَّ الذي يُغطِّي فمه يبقى بلون الرَّماد، ولحاجبيْه اللَّون نفسه، والعينان أسفلهما درجتهما من الرَّمادي أفتح ويُترِعهما الحُزن.

وبدا حُزنهما في ازديادٍ حين تطرَّق بِنس إلى السَّد. قال الفارس الشَّيخ: «ذلك الجدول معروف باسم (ماء المربَّعات) منذ ألف عام أو أكثر. لقد اصطدتُ فيه السَّمك في صِباي، وكذا أبنائي كلُّهم. آليسان أحبَّت العوم في المياه الضَّحلة في أيَّام الصَّيف الحَّارة كهذه الأيَّام». آليسان هي ابنته التي ماتَت في الرَّبيع. «على ضفاف (ماء المربَّعات) قبَّلتُ فتاةً أوَّل مرَّة. كانت ابنة عمومة، أصغر بنات عمِّي المنتمي إلى آل أوزجري سادة (البُحيرة المورقة). كلُّهم رحلَ، حتى هي». ارتعشَ فم الرَّجل إذ أردفَ: «لا يُمكن تحمُّل هذا أيُّها الفارسان. لن تنال المرأة مائي، لن تنال مائي المربَّع».

نبَّهه السِّر بِنس: «السَّد قويُّ البناء يا سِيدي، أقوى من أن أهدمه أنا والسِّر دنك خلال ساعة، حتى إن ساعدَنا الغُلام الأصلع. ستلزمنا حبال ومعاول وفؤوس، ودستةٌ من الرِّجال. وهذا لأجل العمل فقط، لا القتال».

حدَّق السِّر يوستس إلى تُرس الأسد الصَّغير، وتنحنحَ دنك وقال: «سِيدي، بخصوص ذلك، عندما لاقينا الحفَّارين...».

قاطعَه بنِس: «دنك، لا تُزعِجِ سِيدي بالتَّفاهات. لقد علَّمتُ أحمق واحدًا درسًا، وهذا كلُّ شيء».

رمقَه السِّير يوستس بحدَّةٍ سائلًا: «درسًا من أيِّ نوع؟».

ـ «بسيفي إذا جازَ التَّعبير. قطرة دامية صغيرة على الخد، هذا كلُّ ما في الأمر يا سِيدي».

نظرَ إليه الفارس الشَّيخ طويلًا قبل أن يقول: «تصرُّف... تصرُّف أهوج أيُّها السِّير. إنَّ للمرأة قلب عنكبوت. لقد قتلَت ثلاثةً من أزواجها، وإخوتها جميعًا ماتوا وهُم ما زالوا في القِماط. خمسةً كانوا، أو ربَّما ستَّةً، لا أذكرُ، لكنهم وقفوا بينها وبين القلعة. يُمكنها أن تُجرِّد أيَّ فلَّاحٍ يُغضِبها من جلده جَلدًا،



لا شكَّ عندي، ولكن أن تجرح أنت واحدًا... لا، إنها لن تسمح بإهانةٍ كهذه. تأكَّد أنها ستأتي من أجلك كما أتَت من أجل لِم».

قال السير بنِس: «ديك يا سِيدي. أستميحُ من جنابك العُذر، أنت عرفته وأنا لا، لكن اسمه كان ديك».

قال دنك: «إذا سمحَ سِيدي، يُمكنني أن أذهب إلى (البُستان الذَّهبي) وأخبر اللورد رُوان بأمر هذا السَّد». رُوان سيِّد الفارس الشَّيخ الأعلى، والأرملة الحمراء أيضًا تحوز أراضيها منه.

ـ «رُوان؟ لا، لا تبحث عن مساعدةٍ هناك. أخت اللورد رُوان تزوَّجت وِندل ابن عمومة اللورد وايمان، أي إنه قريب الأرملة الحمراء. ثم إنه لا يحبُّني. سِير دنكن، عليك غدًا أن تذهب في جولةٍ حول قُراي كلِّها وتستنهِض كلَّ رجل سليم البدن في سنّ القتال. أنا عجوز، لكني لم أمُت. قريبًا ستكتشف المرأة أنه ما زالَت لأسد المربَّعات مخالب».

فكَّر دنك بكآبة: *مخلبان، وأنا أحدهما*.

***

تكفل أراضي السِير يوستس ثلاث قُرى صغيرةً لا يتألَّف أيُّها من أكثر من مجموعةٍ صغيرة من الأكواخ وزرائب الغنم والخنازير. أكبرها تمتاز بسِبت من حُجرةٍ واحدة مسقوفة بالقشِّ، خُربشَت على جُدرانه بالفحم صُور بدائيَّة تُمثِّل **السَّبعة**. هناك يقود مَدچ ـ وهو راعي خنازير عجوز أحدب زارَ (البلدة

القديمـة) مـرَّةً- الصَّلوات كلَّ سـبعة أيَّـام، ومرَّتيْـن في السَّـنة يـأتي سِـپتؤن حقيـقيٌّ ليغفـر الخطايـا باسـم **الأم**. يُسَـرُّ العـوام بالغُفـران، وإن كرهـوا زيـارات السِّـپتؤن رغـم ذلـك بمـا أنهـم ملزمـون بإطعامـه.

ولا يبـدو أنَّ منظـر دنـك وإج سـرَّهم أكثـر. دنـك معـروفٌ في القُـرى، ولـو بمجـرَّد أنـه فـارس السِـيْر يوسـتس الجديـد فحسـب، ومع ذلـك لـم يُقـدَّم لـه ولـو كـوبٌ مـن المـاء. كان معظـم الرِّجـال في الحقـول، ولـذا فأغلـب مـن زحفـوا خارجيـن مـن الأكـواخ عنـد وصولهمـا نسـاء وأطفـال، وبعـض الجـدود الأوهـن مـن أن يعملـوا. حمـلَ إج رايـة أوْزجـري، الأسـد المكـوَّن مـن مربَّعـاتٍ خضـراء وذهبيَّـة، الواقـف منتصبًـا عـلى قـدم واحـدة عـلى خلفيَّـةٍ بيضـاء. أخبـرَ دنـك القروِيِّـين: «أتينـا مـن (ستَّاندفاسـت) باسـتدعاءٍ مـن السِـيْر يوسـتس. كلُّ رجـلٍ سـليم البـدن بيـن الخامسـة عشـرة والخمسـين مأمـورٌ بالتَّجـمُّع عنـد البُـرج غـدًا».

سـألَته امـرأةٌ نحيفـة يختبـئ طـفلان وراء تنُّورتهـا ويـرضع ثالـث مـن ثديهـا: «أهي الحـرب؟ أجـاءَ التنِّيـن الأسـود مـن جديد؟».

ردَّ عليهـا دنـك: «لا تنانيـن في هـذه المسـألة، سـوداء أو حمـراء. هـذه المسـألة بيـن أسـد المربَّعـات والعناكـب. الأرملـة الحمـراء أخـذَت ماءكـم».

أومـأت المـرأة برأسـها، وإن لاحَ عليهـا الارتيـاب حيـن خـلعَ إج قبَّعتـه ليُهـوِّي وجهـه، وقالـت: «الـغُلام بلا شـعر. أهـو مريـض؟».

قـال إج: «إنـه محلـوق!»، وعـادَ يـضع القبَّعـة، وأدارَ رأس ميْسـتر، وابتعـدَ عـلى مهـل.



- *الغُلام متعكِّر المزاج اليوم*. بالكاد نطقَ إج كلمةً منذ تحرَّكا. مسَّ دنك ثندر بالمِهماز، وسرعان ما لحقَ بالبغل ليقول لمُرافقه الواجم وهما متَّجهان إلى القرية التَّالية: «أأنت غاضب لأني لم أنحَز إليك ضد السِّير بِنِس أمس؟ أنا لا أحبُّ الرَّجل أكثر ممَّا تحبُّه، لكنه رغم ذلك فارس. المفروض أن تُكلِّمه بكياسة».

قال الغُلام: «أنا مُرافقك أنت لا مُرافقه. إنه قذر وبذيء، ويَقرُصني».

- *لو أنَّ لديه فكرةً عن هُويَّتك الحقيقيَّة لبالَ على نفسه قبل أن يمسسك بإصبع*. «اعتادَ أن يَقرُصني أيضًا». نسيَ دنك ذلك تمامًا حتى ذكَّره كلام إج. كان السِّير بِنِس والسِّير آرلان ضمن فريقٍ فُرسان استأجرَهم تاجرٌ دوْرني ليصحبوه بأمانٍ من (لانسپوْرت) إلى (ممر الأمير). لم يتعدَّ دنك آنذاك سنَّ إج، وإن جاوزَه طولًا. *اعتادَ أن يَقرُصني تحت ذراعي بقوَّةٍ تُخلِّف كدمةً. أحسستُ بأصابعه كأنها كمَّاشة حديد، لكني لم أخبر السِّير آرلان قَطُّ*. اختفى أحد الفُرسان الآخَرين قُرب (السِّپت الحجري)، وأشيعَ أنَّ بِنِس بقرَ بطنه في شجار. «إذا قرصَك ثانيةً فأخبِرني وسأضعُ لذلك حدًّا. حتى ذلك الحين، العناية بحصانه لا تُكلِّفك كثيرًا».

- «على أحدهم أن يعتني به. بِنِس لا يُمشِّطه أبدًا، ولا يُنظِّف مربطه، بل ولم يُسمِّه حتى!».

أخبرَه دنك: «بعض الفُرسان لا يُسمِّي خيوله أبدًا، فبهذه الطَّريقة، عندما تموت، لا يفوق حُزنهم عليها الاحتمال. يُوجَد مزيدٌ من الخيول دومًا، لكن خسارة صديقٍ مخلص صعبة». *أو*

هكذا قال العجوز، لكنه لم يأخذ بنصيحة نفسه قَطُّ. لقد سمَّى كلَّ حصانٍ امتلكه. وكذلك دنك. «سنرى كم رجلًا سيَحضُر عند البُرج... ولَكن سواء أكانوا خمسةً أم خمسين فعليك أن تُعنى بهم أيضًا».

لاحَ على إج الامتعاض، وقال: «عليَّ أن أخدم عوامًّا؟!».

ـ «لن تخدمهم، ستُساعِدهم. يجب أن نُحوِّلهم إلى مُقاتلين». *إن أمهلَتنا الأرملة وقتًا يكفي.* «إذا شاءَت الآلهة، سنجد أنَّ لبعضهم شيئًا من الخبرة السَّابقة في الجُنديَّة، لكن أغلبهم سيكون أخضر كعُشب الصَّيف، اعتادَ استخدام المعزقة أكثر من الحربة، ومع ذلك قد يأتي يومٌ تعتمد فيه حياتنا عليهم. كم كانت سنُّك حين حملت سيفًا للمرَّة الأولى؟».

ـ «كنتُ صغيرًا أيُّها السِّير، والسَّيف من الخشب».

ـ «صِبية العامَّة أيضًا يُقاتِلون بسيوفٍ خشبيَّة، مع فرق أنَّ سيوفهم عِصي وفروع مكسورة. إج، قد يبدو هؤلاء الرِّجال حمقى في نظرك. سيجهلون الأسماء الصَّحيحة لقِطع الدِّرع، أو رموز العائلات الكُبرى، أو الملك الذي أبطلَ حقَّ اللورد في اللَّيلة الأولى... ولكن عامِلهم باحترام. أنت مُرافق مولودٌ من دم نبيل، لكنك لا تزال صغيرًا. أكثرهم سيكونون رجالًا بالغين، وللرَّجل كبرياؤه مهما تواضعَ مولده. في قُراهم ستبدو أنت أيضًا تائهًا أخرق، وإذا شككت في ذلك فاذهب واعزق خطًّا من التُّربة وجزَّ صوف خروفٍ وأخبِرني بجميع أسماء الحشائش والزُّهور البرِّيَّة في (خميلة وات)».

فكَّر الغُلام لحظةً، ثم قال: «يُمكنني أن أعلِّمهم رموز العائلات الكُبرى، وكيف أقنعَت الملكة آليسان الملك چهيْرس بإبطال اللَّيلة الأولى. ويُمكنهم أن يُعلِّموني أنواع الحشائش الأفضل لعمل السُّموم، وإن كان أكل هذا التُّوت الأخضر مأمونًا».



- «يُمكنهم ذلك، ولكن قبل أن تتطرَّق إلى الملك چهيْرس، الأفضل أن تُساعِد في تعليمهم استخدام الحربة. ولا تأكل شيئًا يَرفُض ميْستر أكله».

***

في اليوم التَّالي شقَّت دستةٌ من الرَّاغبين في أن يكونوا مُحاربين طريقها إلى (ستاندفاست) للتَّجمُّع بين الدَّجاجات. أحدهم عجوزٌ جدًّا، واثنان صغيران جدًّا، واتَّضح أنَّ غُلامًا نحيلًا في الحقيقة بنتٌ نحيلة. هؤلاء أعادَهم دنك إلى قُراهم، وهو ما ترك ثمانيةً: ثلاثةً اسمهم وات، واثنين اسمهم ويل، وواحدًا اسمه لم، وآخَر اسمه پيْت، والأبله روْب الكبير. لم يتمالَك دنك أن يُفكِّر:

مجموعـةً *بائسـة*. لا أثـر في أيِّ مكانٍ للفِتيـان الفلَّاحيـن الضِّخـام الوسـام الذيـنِ يظفـرون بأفئـدَة العـذراوات كريمـات المحتـد في الأغـاني، فـكلُّ رجـلٍ مـن هـؤلاء أقـذر مـن سـابقه. لِـم في الخمسـين مـن العُمـر عـلى أقـلِّ تقديـر، وليِـت عينـان دامعتـان، وهمـا الوحيدان اللـذان لهمـا خبـرة في الجُنديَّـة، فكلاهمـا ذهـبَ مع السـِر يوسـتس وأبنائـه للقتـال في تمـرُّد بلاكفايـر. أمَّـا السـتَّة الآخَـرون فخُضـر كمـا خـشيَ دنـك، والثَّمانيـة كلُّهـم مقمَّلـون، واثنـان ممَّـن اسـمهم وات أخـوان، وهـو مـا علَّـق عليـه بِنِـس مقوقئًـا: «أظـنُّ أنَّ أمَّكمـا لـم تعـرف اسـمًا آخَـر».

وفيمـا يخـصُّ الأسـلحة فقـد جلبـوا منجلًا وثلاث معـازق وسكِّينًـا قديمًـا وبعـض الهـراوات الخشـبيَّة المتينـة. حمـلَ لِـم عصـا مبريَّـةً قـد تَصلُح حربـةً، وصـرَّح أحـد الاثنيْـن ويـل بأنـه يُجيـد القـذف بالصُّخـور، ليقـول بِنِـس: «رائع جـدًّا، لدينـا مَنجنيـق لعيـن». بعـد ذلـك عُـرِفَ الرَّجـل باسـم «مَنج».

سألَهم دنك: «هل يبرع أيُّكم في الرِّماية بالقوس الطَّويل؟».

جرجـرَ الرِّجـال أقدامهـم في التُّـراب فيمـا التقطَـت الدَّجاجـات الحَـبَّ مـن الأرض حولهـم، وأخيـرًا أجـابَ يِـت دامع العينيْـن: «عُـذرًا أيُّهـا السـِر، لكـن سِيدي لا يسـمح لنـا بالأقـواس الطَّويلـة. غـزلان أوْزجـري لأسـود المربَّعـات لا لأمثالنـا».

أرادَ أصغر الثَّلاثـة وات أن يعـرف: «سنَحصُل عـلى سيوفٍ وخُـوذ وزرود؟».

ردَّ بِنِس: «طبعًـا، بمجـرَّد أن تَقتُلوا أحـد فُرسـان الأرملـة وتُجـرّدوا جثَّتـه الدَّاميـة. احـرص أن تـدسَّ ذراعـك في مؤخِّـرة حصانـه أيضًـا،



فهناك ستَعثُر على فضَّته»، وقرصَ وات الصَّغير تحت ذراعه حتى صرخَ الولد ألمًا، ثم ساقَهم جميعًا إلى (خميلة وات) ليُقطِّعوا خشبًا للحراب.

عادوا حاملين ثماني حرابٍ مقوَّاة بالنَّار تتبايَن أطوالها بشدَّة، وتراسًا بدائيَّةً من الغصون المجدولة. صنعَ السِّير بنِس لنفسه حربةً أيضًا، وأراهم كيف يطعنون بالسِّنان ويستخدمون القصبة للمراوغة... وأين يُوجِّهون السِّنان بُغية القتل. قال: «البطن والحلق هما الأفضل حسبما وجدتُ»، ودقَّ بقبضته على صدره متابعًا: «هنا القلب؛ هذا أيضًا سيُؤدِّي الغرض. المشكلة أنَّ الضُّلوع تعترض الطَّريق. البطن لطيف وطري؛ بقره بطيء لكنه

مضمـون. لـم أعـرف قَـطُّ رجلًا عـاشَ وأحشـاؤه تتـدلَّى منـه. والآن، إذا أولاكـم أحمـق مـا ظهـره فاغرسـوا السِّـنان بيـن لـوحَي كتفيْـه أو في كليتـه. هـذا مكانهـا. إنهـم لا يعيشـون طـويلًا مـا إن يُوخَـزوا في الكليـة».

سـبَّب وجـود ثلاثـة وات في الجماعـة ارتبـاكًا وبِنِـس يُحـاوِل أن يُملي عليهـم مـاذا يفعلـون، فاقتـرحَ إج: «علينـا أن نُسـمِّيهم بأسـماء القُـرى أيُّهـا السـيْر، مثـل السـيْر آرلان ابـن (شـجرة البنسـات)، سيِّدك القديـم». ولربَّمـا صلحَ ذلـك، لكـن قُراهـم أيضًـا بلا أسـماء، فقـال إج: «حسـن، يُمكننـا أن نُسـمِّيهم نسـبةً إلى محاصيلهـم أيُّهـا السـيْر». تسـتقرُّ إحـدى القُـرى وسـط حقـول فاصوليـا، وتـزرع الثَّانيـة الشَّـعير غالبًـا، وتفـلح الثَّالثـة صفوفًـا مـن الكرنـب والجـزر والبصـل واللِّفـت والشـمَّام. لا أحـد أرادَ أن يُسـمَّى كرنبًـا أو لفتًـا، فأصبحَـت المجموعـة الأخيـرة الشمَّام، وهكـذا انتـهى بهـم الأمـر بأربعـة شـعير واثنيْـن شـمَّام واثنيْـن فاصوليـا، ولكـن بمـا أنَّ الأخويْـن وات كليْهمـا شـعير فقـد لـزمَ مزيـدٌ مـن التَّمييـز، ولمَّـا ذكـرَ الأخ الأصغـر أنـه سـقطَ ذات مـرَّةٍ في بئـر القريـة، لقَّبـه بِنِـس بـ«وات المبلـول»، واسـتقرَّ الأمـر علـى هـذا. سـعدَ الرِّجـال أيَّمـا سـعادة لحصولهـم علـى «أسـماء لوردات»، باسـتثناء رُوب الكبيـر الـذي لـم يسـتطِع أن يتذكَّـر أهـو فاصوليـا أم شـعير.

حالمـا حصلـوا جميعًـا علـى أسـماء وحـراب، خـرجَ السـيْر يوستس مـن (ستاندفاسـت) ليُخاطِبهـم. وقـفَ الفـارس الشَّـيخ خـارج بـاب البُـرج مرتديًـا حلقـات المعـدن وصفائحـه تحـت معطـفٍ صـوف طويـل أطـغى الزَّمـن صُفرتـه علـى بياضـه، يحمـل علـى وجهـه وظهـره الأسـد المخيـط بشـكل مربَّعـاتٍ صغيـرة مـن الأخضـر والذَّهبـي. قال

السيْر يوستس: «أيُّها الفتية، كلُّكم يَذكُر ديْك. الأرملة الحمراء ألقَت به في جوالٍ وأغرقَته. لقد سلبَته حياته، والآن تُحاوِل أن تسلبنا ماءنا أيضًا، (ماء المربَّعات) الذي يُغذِّي محاصيلنا... لكنها لن تنجح!»، ورفعَ سيفه فوق رأسه هاتفًا بصوتٍ رنَّان: «لأجل أوْزجري! لأجل (ستاندفاست)!».

ردَّد دنك: «أوْزجري!»، وانضمَّ إج والمجنَّدون إلى الهتاف: «*أوْزجري! أوْزجري! لأجل (ستاندفاست)!*».

درَّب دنك وبِنس الجماعة الصَّغيرة بين الخنازير والدَّجاج فيما شاهدَ السيْر يوستس من الشُّرفة بالأعلى. كان سام المحنيُّ قد حشا بعض الأجولة القديمة بالقشِّ الوسِخ، وصارَت هذه الأجولة خصومهم. بدأ المجنَّدون يتمرَّنون على القتال بالحربة وبِنس يجأر فيهم. «اغرزوا والووا وانتزِعوا. اغرِزوا والووا وانتزِعوا، ولكن لا بُدَّ أن تُخرِجوا الحربةَ اللَّعينة! سرعان ما ستحتاجون إليها من أجل الرَّجل التَّالي. بطيء يا مَنج، بطيء للغاية. إذا لم تستطع الإسراع فارجع إلى القذف بالصُّخور. لِم، ضع وزنك وراء طعنتك. أحسنت. إلى الدَّاخل، إلى الخارج، إلى الدَّاخل، إلى الخارج. انكحوهم بها، هذه هي الطَّريقة، إلى الدَّاخل، إلى الخارج، انتزِعوها، انتزِعوها، انتزِعوها انتزاعًا!».

عندما مُزِّقَت الأجولة أشلاءً بنصف ألفٍ من طعنات الحراب وانسكبَ القشُّ كلُّه على الأرض، ارتدى دنك حلقات المعدن وصفائحه والتقطَ سيفًا خشبيًّا ليرى كيف سيُبلي الرِّجال في مواجهة خصم فيه حياة، والنَّتيجة: ليس بلاءً حسنًا. وحده مَنج تمتَّع بالسُّرعة الكافية ليتجاوَز بحربته تُرس دنك، وفعلَ

هـذا مـرَّةً واحـدةً فقـط. صـدَّ دنـك طعنـةً زائغـةً خرقـاء تلـو أخـرى ودفعَ حرابهـم جانبًـا وانقـضَّ عليهـم مـن كثـب كالثَّـور، ولـو أنَّ سـيفه مـن الفـولاذ بـدلًا مـن الصَّنوبـر لفتـكَ بكلٍّ منهـم مرارًا. نبَّههـم وهـو يهـوي بضربـاتٍ عنيفـة عـلى سـيقانهم وأذرُعهـم ليضمـن اسـتيعابهم الـدَّرس: «مـا إن أتجـاوز رؤوس حرابكـم فأنتـم مـوتى». سـرعان مـا تعلَّـم مَـنج ولِـم ووات المبلـول كيـف



يتقهقَرون على الأقل، في حين أسقطَ



رؤب الكبير حربته وجرى، ليُطارِده بِنس ويعود به مجرورًا باكيًا. حلَّ عليهم آخِر



الأصيل مكدومين مرضوضين جميعًا، وقد بدأت بثورٌ جديدة تظهر على أيديهم الثَّفنة حيث قبضوا



على الحراب. لم تظهر على دنك نفسه آثار، لكنه كان غارقًا في العرق حين ساعدَه إج على نزع درعه.



فيما غربَت الشَّمس، ساقَ دنك جماعتهم الصَّغيرة إلى القبو وغصبَهم جميعًا على الاغتسال، بمَن

فيهم الذين اغتسَلوا قريبًا في الشّتاء السَّابق، وبعدها قدَّمت زوجة سام المحنيّ للجميع أوعيةً من اليخنة المليئة بالجزر والبصل والشَّعير. بلغَ تعب الرِّجال العظم، ورغم ذلك أوحى كلامهم بأن كلَّ واحدٍ منهم سيُصبِح عمَّا قريب مميتًا كفُرسان الحرس الملكي، وبالكاد يستطيعون الانتظار ليُثبِتوا بسالتهم. حرَّضهم السِّير بِنس بإخبارهم عن مباهج حياة الجُندي... بخاصَّةٍ السَّلب والنِّساء، ووافقَه المُقاتلان السَّابقان. حسب كلامه، عادَ لِم من تمرُّد بلاكفاير بسكّينٍ وحذاءٍ ممتاز. الحذاء أصغر من أن ينتعله، لكنه علَّقه على جِداره. أمَّا پِيت فراح يحكي باستفاضةٍ عن بعض تابعات المعسكرات اللائي عرفهن وهو يتبع التِّنِّين.

زوَّدهم سام المحنيُّ بثماني حشايا من القشّ في السِّرداب، وهكذا ما إن امتلأت بطونهم حتى خلدوا إلى النَّوم، في حين مكثَ بِنس وقتًا يكفي لأن يُعطي دنك نظرة اشمئزازٍ ويقول: «كان على السِّير متعوس أن ينكح مزيدًا من الفلّاحات وهو بعدُ يملك قليلًا من المنيّ في خصيتيْه العجوزيْن. لو أنه بذرَ لنفسه محصولًا من النُّغول آنذاك فلربَّما حظينا ببعض الجنود الآن».

- «لا يبدون أسوأ من أيِّ جُند فلَّاحين آخرين». زحفَ دنك مع بعض هؤلاء وهو يُرافِقُ السِّير آرلان.

قال السِّير بِنس: «أجل. خلال أسبوعيْن قد يَصمُدون ضد ثُلَّةٍ أخرى من الفلَّاحين، ولكن ضد فُرسان؟»، وهزَّ رأسه وبصقَ.

***

تـقع بئـر (ستاندفاسـت) في القبـو التَّحـتي، في حُجرةٍ رطبـة محوَّطة بالحجـارة والتُّـراب، وهنـاك تنـقع زوجـة سـام المحـنيّ الثِّيـاب وتَفرُكهـا وتُنفِّضهـا قبـل أن تحملهـا إلى السَّـطح لتجـفَّ. يُسـتخدم حـوض الغسـيل الحجـريُّ الكبيـر للاسـتحمام أيضًـا، والاسـتحمام يسـتدعي سـحب المـاء مـن البئـر دلـوًا دلـوًا، ثـم تسـخينه فـوق المستوقد في مرجل حديـديّ كبيـر، ثـم إفـراغ المرجـل في الحـوض، ثـم بـدء العمليَّـة بكاملهـا مـن جديـد. يتطلَّـب مـلء المرجـل أربعـة دلاء، ومـلء الحـوض ثلاثـة مراجـل، ولـدى بلـوغ المرجـل الأخيـر السُّخونة يكـون مـاء الأوَّل قـد فتـرَ. سُـمعَ السـير بِنِـس يقـول إنَّ الأمر لا يسـتحقُّ كلَّ هـذا الشَّـقاء اللَّعيـن، ولهـذا يفشـو في جسـده القمـل والبراغيـث، وتفـوح منـه رائحـةٌ كالجُبنـة.

أمَّـا دنـك فعلـى الأقـل إج موجـودٌ ليُعاونـه متـى شـعرَ أنـه في أمـسِّ الحاجـة إلى غسـلةٍ مناسـبة كمـا يَشـعُر اللَّيلـة. سـحبَ الولـد المـاء بصمـتٍ عابـس، وبـالكاد تكلَّـم وهـو يُسـخِّنه. فيمـا بـدأ المرجـل الأخيـر يغـلي سـأله دنـك: «إج؟ هـل مـن خطـب؟»، فلمَّـا لـم يُجِبـه إج قـال: «سـاعِدني عـلى حمـل المرجـل».

معًـا حـملاه بجهـدٍ مـن المستوقد إلى الحـوض حارصيْـن ألَّا يُبـلِّلا نفسـيْهما، ثـم سـألَ الـغُلام: «سـيْر، مـاذا تحسـب السـيْر يوسـتس سـيفعل؟».

ـ «سـيهدم السَّـد ويـردع رجـال الأرملـة إذا حاوَلـوا منعنـا». تكلَّـم بصـوتٍ عـالٍ لكي يُسـمَع فـوق طرطشـة مـاء الحمَّـام، وقـد ارتـفعَ البُخـار في سـتارٍ أبيـض وهمـا يصبَّـان ليتـورَّد وجـه دنـك.

ـ «تراسهم خشبٌ مجدول أيُّها السِّر، يُمكن أن يخترقها رُمح مباشرةً، أو سهم نُشَّابيَّة».

ـ «قد نجد لهم بعض قطع الدُّروع حينما يستعدُّون». هذا أفضل ما يُمكنهم أن يأملوه.

ـ «قد يُقتَلون أيُّها السِّر. وات المبلول ما زالَ نصف غُلام. ويل الشَّعير سيتزوَّج عندما يأتي السِّپتوْن المرَّة القادمة. وروْب الكبير لا يعرف قدمه اليُمنى من اليُسرى».

تركَ دنك المرجل الفارغ يَسقُط بصوتٍ مكتوم على الأرض التُّرابيَّة الصُّلبة، وقال: «روْچر ابن (شجرة البنسات) كان أصغر من وات المبلول عندما ماتَ في (حقل العُشب الأحمر)، وجيش أبيك ضمَّ رجالًا تزوَّجوا لتوِّهم أيضًا، ورجالًا آخَرين لم يُقبِّلوا فتاةً قَطُّ، وضمَّ مئاتٍ لم يعرفوا أقدامهم اليُمنى من اليُسرى، وربَّما آلافًا».

ردَّ إج بإصرار: «تلك مسألة مختلفة. تلك كانت حربًا».

ـ «وهذه أيضًا، الشَّيء نفسه ولكن أصغر».

ـ «أصغر وأتفه أيضًا أيُّها السِّر».

أخبرَه دنك: «القرار في هذا ليس لك أو لي. إنَّ واجبهم أن يذهبوا ليُحارِبوا حين يستدعيهم السِّر يوستس... وأن يموتوا إذا لزمَ الأمر».

قال إج: «ما وجبَ إذًا أن نُسمِّيهم أيُّها السِّر. سيجعل ذلك حُزننا أصعب احتمالًا عندما يموتون»، ولوى قسماته مُردفًا: «إذا استخدمنا حذائي...».

ـ «لا». وقفَ دنك على قدمٍ واحدة وخلعَ فردة حذائه.

ـ «نعم، لكن أبي...».

ـ «لا». لحقَت الفردة الثَّانية بالأولى.

ـ «إننا...».

ـ «لا». خلعَ دنك غلالته الملوَّثة بالعرق وألقى بها نحو إج قائلًا: «اطلُب من زوجة سام المحنيِّ أن تغسلها لي».

ـ «سأفعلُ أيُّها السيِر، لكن...».

ـ «قلتُ لا. أتلزمك لطمةٌ على الأذن لتُحسِن السَّمع؟». حلَّ دنك أربطة بنطاله؛ تحته لا يُوجَد إلَّاه، فالطَّقس أحرُّ من أن يلبس ثيابًا داخليَّةً. «خيرٌ أنك قلقٌ على وات ووات وبقيَّتهم، لكن استخدام الحذاء يتوقَّف فقط على الحاجة الماسَّة». كم *عينًا للوِرد غُداف الدَّم؟ ألف عينٍ وعين.* «ماذا قال لك أبوك حين بعثَ بك لتُرافِقني؟».

أجابَ الغُلام بنفورٍ واضح: «أن أحرص على حلاقة شعري أو صباغته، وألَّا أخبر أحدًا باسمي الحقيقي».

خدمَ إج دنك عامًا ونصفًا، ولو أنها تبدو في بعض الأيَّام عشرين عامًا. لقد صعدا (ممر الأمير) معًا وقطعا رمال (دوْرن) العميقة، الحمراء منها والبيضاء، وأخذَهما قاربٌ يُدفَع بالعِصي عبر (الدَّم الأخضر) إلى (بلدة الأخشاب)، حيث سافَرا إلى (البلدة القديمة) على متن القاليون «الليْدي البيضاء». نامَ الاثنان في إسطبلاتٍ وخاناتٍ وأخاديد، وأكلا عيشًا مع إخوةٍ نُسَّاك وعاهراتٍ ومشخِّصين، ولاحَقا مئةً من عروض العرائس.

حافظَ إج على سياسة حصان دنك، وعلى حدَّة سيفه الطَّويل، وعلى زرده خاليًا من الصَّدأ. إنه صاحبٌ يتمنَّاه أيُّ رجل، وأصبحَ الفارس الجوَّال يعتبره بمثابة أخٍ صغير.

- *لكنه ليس كذلك*. هذه البيضة فقسَتها التَّنانين لا الدَّجاج. قد يكون إج مُرافقًا لفارسٍ جوَّال، لكن إيْجوْن سليل عائلة تارجاريَن هو رابع وأصغرُ أبناء ميْكار أمير (بهو الصَّيف)، عن نفسه الابن الرَّابع للملك الرَّاحل ديْروْن الصَّالح، الثَّاني من اسمه، الذي جلسَ على العرش الحديدي خمسةً وعشرين عامًا إلى أن أماتَه الوباء الرَّبيعي العظيم.

ذكَّر دنك الغُلام: «على حدِّ علم معظم النَّاس، إيْجوْن تارجاريَن عادَ إلى (بهو الصَّيف) مع أخيه ديْروْن بعد دورة المباريات في (مرج آشفرد). أبوك لم يُرِد أن يُعرَف أنك تجوب (الممالك السَّبع) مع فارسٍ جوَّال مجهول. دعنا إذًا لا نسمع مزيدًا من الكلام عن حذائك».

لم ينَل من جوابٍ إلَّا نظرةً. لإج عينان كبيرتان، على نحوٍ ما يجعلهما رأسه المحلوق تبدوان أكبر. في عتمة القبو المُضاء بالمصابيح بدوَتا سوداويْن، ولكن في إضاءةٍ أفضل يُرى لونهما الحقيقيُّ... عميقٌ وداكنٌ وأرجوانيٌّ.

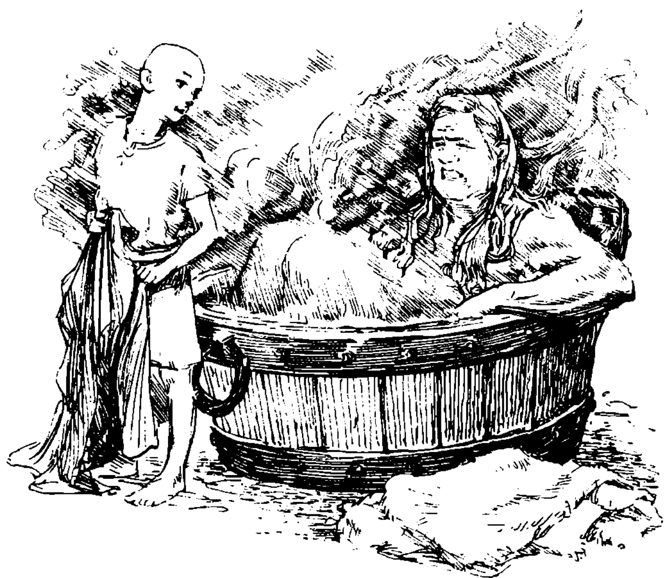
- *عينان ڤاليريَّتان*. في (وستروْس)، لقلائل من غير دم التنِّين عيون بذلك اللَّون، أو شعر يتألَّق كمزيجٍ مغزول من الذَّهب المطرَّق وخيوط الفضَّة.

وهما مبحران في (الدَّم الأخضر)، جعلَتها البنات اليتامى لُعبةً أن يَفرُكن رأس إج المحلوق طلبًا للحظِّ، ليحتقن وجه الغُلام

بدماءٍ أبدَته أشدَّ حُمرةً من رُمَّانة، ويقول: «يا لحماقة الفتيات! مَن تلمسني المرَّة التَّالية ستَسقُط في النَّهر»، وهو ما دفعَ دنك إلى الرَّد: «عندئذٍ سألمسك أنا. سألطمك على أذنك بشدَّةٍ تُسمِعك أجراسًا طيلةَ دورة قمر». على أنَّ ذلك حفَّز الغُلام على وقاحةٍ زيادة، وقال بعناد: «الأجراس أفضل من الفتيات الحمقاوات!»، لكنه لم يدفع أحدًا في النَّهر.

دخلَ دنك الحوض وأنزلَ نفسه بهدوءٍ إلى أن غطَّاه الماء حتى الذَّقن. لم يزَل الماء ساخنًا حدَّ الحرق من أعلى، ولو أنه أبرد من أسفل. كزَّ دنك على أسنانه لكيلا يَصرُخ، فلو فعلَ لضحكَ الغُلام. الحقيقة أنَّ إج يحبُّ ماء استحمامه ساخنًا حدَّ الحرق.

ـ «أتُريد مزيدًا من الماء المغليِّ أيُّها السيِر؟».



ـ «لا بأس بهذا». فركَ دنك ذراعيْه وشاهدَ الوسخ ينجلي في سحابات رماديَّة طويلة. «أحضِر لي الصَّابون. أوْه، والفُرشة طويلة اليد أيضًا». ذكَّره التَّفكير في شعر إج بأن شعره هو متَّسخ، فأخذَ نفسًا عميقًا وانزلقَ تحت مستوى الماء لينقعه جيِّدًا، ولمَّا عادَ يَخرُج ناثرًا الماء وجدَ إج واقفًا بجوار الحوض وفي يديْه الصَّابونة والفُرشة طويلة اليد المصنوعة من شعر الخيل. علَّق دنك إذ تناولَ الصَّابونة: «على خدِّك شعر. شعرتان. هناك، أسفل أذنك. احرص على إزالتهما عندما تحلق شعرك المرَّة القادمة».

ـ «سأفعلُ أيُّها السيِّر». بدا أنَّ الاكتشاف سرَّ الصَّبي.

ـ *لا شكَّ أنه يحسب أنَّ شُعيرتيْن من لحيةٍ تجعلانه رجلًا.* هكذا فكَّر دنك أيضًا حين وجدَ شيئًا من الزَّغب نابتًا فوق شفته العُليا. *حاولتُ أن أحلقه بخنجري وكدتُ أبترُ أنفي.* قال لإج: «اذهب الآن ونل قسطًا من النَّوم. لن أحتاج إليك ثانيةً قبل الصَّباح».

استغرقَ تنظيف نفسه من الوسخ والعرق وقتًا طويلًا، وبعدها وضعَ الصَّابونة جانبًا وتمدَّد قدر استطاعته وأغلقَ عينيْه. كان الماء قد فترَ، وبعد لهيب النَّهار عُدَّ هذا رفاهيةً مرحَّبًا بها. ظلَّ ناقعًا نفسه في الماء حتى تجعَّد جلد قدميْه وأصابعه وبردَ الماء واصطبغَ بالرَّمادي، وعندئذٍ فقط خرجَ من الحوض على مضض.

رغم أنه وإج أُعطِيا حشيَّتَي قشٍّ سميكتيْن في القبو، يُفضِّل دنك النَّوم فوق السَّطح، فالهواء هناك أنقى، وأحيانًا يهبُّ النَّسيم.

ليس عليه أن يخشى المطر؛ المرَّة التَّالية التي يَسقُط فيها المطر عليهما بالأعلى ستكون الأولى.

غابَ إج في النَّوم قبل أن يَبلُغ دنك السَّطح. استلقى دنك على ظهره شابكًا يديْه تحت رأسه، ورنا ببصره إلى النُّجوم. في كلِّ مكانٍ نجوم، ألوفٌ وألوفٌ منها، وقد ذكَّرته بليلةٍ في (مرج آشفرد) قبل ابتداء المباريات. ليلتها رأى نجمًا يهوي. المفترَض أن النُّجوم الهاوية تجلب الحظَّ، وهكذا طلبَ من تانسل أن ترسم على تُرسه شهابًا، لكن (آشفرد) لم تجلب له أيَّ حظٍّ على الإطلاق. قبل أن تنتهي الدَّورة كادَ يفقد يدًا وقدمًا، وخسرَ ثلاثة رجالٍ صالحين حيواتهم. *لكنني كسبتُ مُرافقًا. إج كان معي حين رحلتُ من (آشفرد)؛ الخير الوحيد الذي أتى من كلِّ ما جرى.*

أملَ ألَّا تهوي اللَّيلة نجوم.

***

من بعيدٍ جبالٌ حمراء وتحت قدميْه رمالٌ بيضاء. كان دنك يَحفُر، يُقحِم في التُّربة الجافَّة السَّاخنة رفشًا ويُطوِّح بالرَّمل النَّاعم من فوق كتفه، يَحفُر حُفرةً. *قبرًا، قبرًا للأمل.* وقفَ ثُلاثي من الفُرسان الدوْرنيِّين يتفرَّجون عليه ويسخرون منه بأصواتٍ هادئة، وعلى مسافةٍ أبعد انتظرَ التُّجَّار بما معهم من بغالٍ وعرباتٍ وزلَّاجات رمال. أرادوا أن ينطلقوا، لكنه لم يستطع الرَّحيل قبلَ

أن يدفـن تشسـتنت. لـن يَتـرُك صديقـه القديـم للثَّعابيـن والعقـارب وكلاب الرِّمـال.

نفـقَ الحصـان المعيـب خلال العبـور المعطِـش الطَّويـل بيـن (ممـر الأميـر) و(ڤيـث)، وإج راكـبٌ فـوق ظهـره. بـدا أنَّ قائمتيْـه الأماميَّتيْـن انطوَتـا تحتـه ببسـاطة، ومباشـرةً ركعَ وانقلـبَ علـى جنبـه ومـاتَ. إلى جـوار الحُفـرة افترشَـت جثَّتـه الأرض وقـد بـدأت تتيبَّـس بالفعـل، وقريبًـا سـتفوح منهـا رائحـة العفـن.

بكى دنـك وهـو يَحفُـر، وهـو مـا اسـتطرفَه الفُرسـان الدوْرنيُّـون. قـال أحدهـم: «المـاء ثميـنٌ في القفـر؛ لا يَجـدُر بـك أن تُبـدِّده أيُّهـا السـيْر»، وقهقـهَ آخَـر قـائلًا: «لمـاذا تـبكي؟ كان مجـرَّد حصـان، ورديئًـا أيضًـا».

فكَّـر دنـك وهـو يَحفُـر: *تشسـتنت، اسـمه تشسـتنت، ولقـد حملَـني فـوق ظهـره أعوامًـا ولـم يطرحـني أرضًـا قَـطُّ أو يعضَّـني.* بـدا الحصان المعيـب العجـوز بائسًـا بجـوار جيـاد الرِّمـال المطهَّمـة الـتي يمتطيهـا الدوْرنيُّـون، برؤوسـها الأنيقـة وأعناقهـا الطَّويلـة وأعرافهـا المسترسـلة، لكنـه أعـطى كلَّ مـا قـويَ عليـه.

قـال السـيْر آرلان بصوتـه صـوتِ الرَّجـل العجـوز: «تـبكي حصانًـا معيبًـا أقعـس؟ إنـك لـم تبكـني قَـطُّ يـا فتى، أنـا الـذي وضعتـك علـى ظهـره»، ثـم أطلـقَ ضحكـةً قصيـرةً ليُبـدي أنـه لا يقصـد بتأنيبـه أذًى، وأضـافَ: «هـو ذا دنـك الأنـوَك، غليـظ العقـل كسـور قلعـة».

وقـال بيْـلوْر كاسِـر الحـراب مـن القبـر: «لـم يـذرف علـيَّ دمعـةً أيضًـا مع أني كنـتُ أميـره، أمـل (وسـتروْس). الآلهـة لـم تُقـدِّر لي أن أمـوت شـابًّا».

وقال الأمير ڤالر: «أبي كان في التَّاسعة والثَّلاثين لا أكثر. لقد امتلكَ مقوّمِات ملكٍ عظيم، الأعظم منذ إيْجوْن التنِّين»، ونظرَ إلى دنك بعينيْن زرقاويْن فاترتيْن، وسألَه: «لماذا تأخذه الآلهة وتَترُكك أنت؟». للأمير الصَّغير شعر أبيه البنِّي الفاتح، لكن خُصلةً من الذَّهبي الفضِّي تتخلَّله.

أرادَ دنك أن يَصرُخ: *أنتم موتى، ثلاثتكم موتى. لِمَ لا تدعونني وشأني؟* السيْر آرلان ماتَ بنوبة برد، والأمير بيْلوْر بالضَّربة التي نالَها من أخيه يوم محاكمة دنك بالسَّبعة، وابنه ڤالر خلال الوباء الرَّبيعي العظيم. *لستُ ملومًا على ذلك. كنا في (دوْرن) ولم نعرف أصلًا.*

قال له العجوز: «أنت مجنون. لن نَحفُر لك حُفرةً عندما تَقتُل نفسك بهذه الحماقة. في الرِّمال العميقة على الرَّجل أن يكتنز ماءه».

وقال ڤالر: «ارحل أيُّها السيْر دنكن، ارحل».

ساعدَه إج على الحفر. لم يملك الغُلام رفشًا، بل يداه فقط، وقد عادَ الرَّمل يتدفَّق إلى القبر بالسُّرعة التي يُزيلانه بها، كأنهما يُحاوِلان الحفر في البحر. *يجب أن أواصل الحفر.* قالها دنك لنفسه رغم أوجاع الحفر في ظهره وكتفيْه. *يجب أن أدفنه على عُمق سحيق حيث لن تَعثُر عليه كلاب الرِّمال. يجب أن...*

ـ «... تموت؟». قالها روْب الكبير ضعيف العقل من قاع القبر، وإذ مُدِّدَ هناك هامدًا تمامًا باردًا تمامًا وفي بطنه يفغر جرحٌ أحمر محزَّز، لم يبدُ كبيرًا نهائيًّا.

توقَّـف دنـك وحـدَّق إليـه قـائلًا: «لسـتَ ميتًـا. إنـك نائـم في القبـو»، ونظرَ إلى السيْر آرلان مبتغيًا العون، وناشـدَه: «قُـل لـه أيُّهـا السـيْر، قُـل لـه أن يَخـرُج مـن القبـر».

لكـن السيْر آرلان ابـن (شـجرة البنسـات) ليـس الواقـف فوقـه على الإطلاق، بـل السيْر بِنِـس صاحـب التُّـرس البنِّي. قوقـأ الفـارس البنِّي لا أكثـر، وقـال: «دنـك الأنـوَك. بقـرُ البطـنِ بـطيء لكنـه مضمـون. لـم أعـرف قَـطُّ رجلًا عـاشَ وأحشـاؤه تـتـدلَّى منـه». بقبقَـت رغـوةٌ حمـراء عـلى شـفتيْه، فالتفـتَ وبصـقَ، وتشـرَّبت الرِّمـال البيضـاء بُصاقـه. وقـفَ مَـنج خلفـه بسـهم في عينـه، يـذرف دموعًـا حمـراء بطيئـةً، وهـا هـو ذا وات المبلـول أيضًـا، رأسـه شـبه مشـجوج نصفيْن، ومعـه لِـم العجـوز وبِيـت محمـرُّ العينيْـن والباقـون جميعًـا. في البـدء ظـنَّ دنـك أنهـم شـارَكوا بِنِـس مـضغ التَّبـغ المُـرِّ، لكنـه أدرك أنَّ مـا يسـيل مـن أفواههـم دم. فكَّـر: مـوتى، *كلهـم مـوتى*، ونهـقَ الفـارس البنِّي وقـال: «أجـل. الأفضـل إذًا أن تشـغل نفسـك بالعمـل. عنـدك قبـورٌ أكثـر عليـك أن تَحفُرهـا أيُّهـا الأنـوَك. ثمانيـة لهـم وواحـد لي وواحـد للسـيْر متعـوس الشَّـيخ، وواحـدٌ أخيـر لصبيِّـك الأصـلع».

فلـتَ الرَّفـش مـن يـدَي دنـك، وصـاحَ: «إج، اهـرُب! يجـب أن نَهرُب»، لكـن الرِّمـال بـدأت تغـور تحـت أقدامهمـا، وعندمـا حـاولَ الـغُلام أن يتسـلَّقَ إلى خـارج الحُفـرة غـارَت أجنابهـا المتداعيـة وانهـارَت، ورأى دنـك الرَّمـل يغمـر إج ويدفنـه إذ فـتحَ فمـه ليصيـح. حـاولَ أن يُقاتِـل ليَبلُغـه، لكـن الرَّمـل أخـذَ يرتـفع في كلِّ جهـةٍ حولـه، يسـحبه إلى القبـر، يـملأ فمـه، وأنفـه، وعينيْـه...



***

عند طلوع النَّهار شرعَ السِّير بِنِس في تدريب مجنَّديهم على تكوين جِدار تراس، فصفَّ ثمانيتهم كتفًا إلى كتفٍ بحيث تتلامَس تراسهم وتَبرُز رؤوس حرابهم كأسنانٍ خشبيَّة طويلة حادَّة، ثم ركبَ دنك وإج وكرًّا عليهم.

رفضَ ميْستر الدُّنو لمسافة عشرة أقدام من الحراب وتوقَّف فجأةً، إلَّا أنَّ ثندر مدرَّب على هذا، وهكذا دبدبَ الجواد الحربيُّ الكبير مندفعًا إلى الأمام مباشرةً ومكتسبًا سرعةً، لتجري الدَّجاجات صارخةً تحت أقدامه وتصفق بأجنحتها مبتعدةً. لا بُدَّ أنَّ في ذُعرها عدوى، فمرَّةً أخرى بادرَ رُوب الكبير إلى إسقاط حربته والهرب تاركًا ثغرةً في منتصف الجِدار، وبدلًا من إغلاقها انضمَّ إليه مُحاربو (ستاندفاست) الآخَرون في هربه. داسَ ثندر تراسهم الملقاة قبل أن يكبحه دنك، وصرَّت الفروع المجدولة وتشظَّت تحت حوافره ذات الحدوات الحديد. انهالَ السِّير بِنِس

بوابـلٍ مـن الشَّـتائم اللَّاذعـة فيمـا تشـتَّت الدَّجـاج والفلَّاحـون في كلِّ اتِّجـاه، وقاتـلَ إج بكـدٍّ ليكتـم ضحكـه، لكنـه في النِّهايـة خسـرَ القِتـال.

ـ «كـفى ضـحكًا». وقـفَ دنـك ثنـدر وحـلَّ خوذتـه وانتزعَهـا. «إذا فعلـوا هـذا في معركـةٍ فسـيُقتَلون عـن آخِرهـم». *وأنـت وأنـا أيضًـا غالبًـا*. أصبـحَ الصَّبـاح حـارًّا بالفعـل، وشـعرَ دنـك أنـه ملـوَّث لـزج كأنـه لـم يسـتحمَّ مطلقًـا. أخـذَ رأسـه يـدقُّ، ولـم يسـتطع نسـيان الحُلـم الـذي رآه البارحـة. حـاولَ أن يقـول لنفسـه: *ليـس ذلـك مـا حـدثَ، لـم يكـن الـواقع هكـذا*. تشسـتنت مـاتَ خلال الرُّكـوب الجـاف الطَّويـل إلى (قيْـث)، هـذا الجـزء صحيـح، وركـبَ هـو وإج معًـا حـتى أعطاهمـا أخـو إج ميْسـتر، أمَّـا البقيَّـة...

ـ *لـم أبكِ. ربَّمـا أردتُ، لكنـني لـم أفعـل*. وأرادَ أن يدفـن الحصان أيضًـا، لكـن الدوْرنيِّيـن لـم يُمكنهـم الانتظـار، وبينمـا سـاعدَه أحـد الفُرسـان علـى تجريـد الحصـان المعيـب مـن السَّـرج واللِّجـام أخبـرَه: «يجـب أن تـأكل كلاب الرِّمـال وتُطعِـم جراءهـا. لحمـه سـيُطعِم الكلاب أو يُطعِـم الرِّمـال. خلال عـامٍ سـيَنظُف عظمـه تمامًـا. هـذه هي (دوْرن) يـا صديـقي». وإذ تذكَّـر هـذا، لـم يـسع دنـك إلَّا أن يتسـاءَل مَـن سـيتغذَّى عـلى لحـم وات، ولحـم وات، ولحـم وات. *لعـلَّ تحـت (مـاء المربَّعـات) أسـماكًا مربَّعـةً*.

ركـبَ ثنـدر عائـدًا إلى البُـرج، وترجَّـل قـائلًا: «إج، سـاعِد السيْر بِنِـس علـى جمعهـم والعـودة بهـم إلى هنـا»، ودفعَ بخوذتـه إلى الـغُلام وصعـدَ السَّلالـم بخُطـواتٍ واسـعة.

قابلَـه السيْر يوسـتس في عتمـة غُرفتـه الشَّمسـيَّة، حيـث قـال لـه:

«لـم يكـن هـذا عـملًا متقنًـا».

قـال دنـك: «نعـم يـا سِـيدي. لـن يَصلُحـوا». *السَّـيف المحلَّـف مديـنٌ لسـيِّده بالخدمـة والطَّاعـة، لكـن هـذا جنـون.*

ـ «إنهـا مرَّتهـم الأولى. آباؤهـم وإخوتهـم كانـوا مثلهـم في السُّـوء أو أسـوأ حيـن بـدؤوا تدريبهـم. أبنـائي عملـوا معهـم قبـل أن نذهـب لنُعيـن الملـك، كلَّ يـومٍ طـوال أسبوعيْن كامليْـن. لقـد صنعـوا منهـم جنـودًا».

سألَه دنـك: «ولمَّـا قامَـت المعركـة يـا سِـيدي؟ كيـف أبلـوا حينئذٍ؟ كـم منهـم عـادَ إلى الدِّيـار معك؟».

نظـرَ إليـه الفـارس الشَّـيخ طـويلًا، وأخيـرًا أجـابَ: «لِـم، وپيْـت، وديْـك. ديْـك جـمعَ لنـا المـؤن. كان مـن أفضـل جامـعي المـؤن الذيـن عرفتهـم. لـم نزحـف قَـطُّ ببطـونٍ خاليـة. ثلاثـة عـادوا أيُّهـا السـيْر، ثلاثـة وأنـا»، وارتجـفَ شـاربه إذ أضـافَ: «قـد يسـتغرق الأمـر أكثـر مـن أسـبوعيْن».

قـال دنـك: «سِـيدي، المـرأة قـد تصـل غـدًا مع رجالهـا جميعًـا». *إنهـم فِتية صالحـون، لكنهـم سـيصيرون فِتيـةً مـوتى قريبًـا إذا واجَهـوا فُرسـان (الخنـدق البـارد).* «لا بُـدَّ مـن سـبيلٍ آخَـر».

ردَّد السـيْر يوسـتس: «سـبيل آخَـر»، ومـرَّر أصابعـه بخفَّـةٍ عـلى تُـرس الأسـد الصَّغيـر قـائلًا: «لـن أنـال عدالـةً مـن الـلوْرد رُوان، ولا مـن هـذا الملـك...»، ثـم أمسـكَ دنـك مـن سـاعده، وأخبـرَه: «يَخطُـر لي أنـه في سـالف الأيَّـامِ، حينمـا حكـمَ الملـوك الخُضـر، كان بإمكانـك أن تـدفع للرَّجـل كفَّـارة الـدَّم إذا قتلـت أحـد حيواناتـه

أو فلَّاحيــه».

ساورَ دنك الشَّكُّ وهو يُردِّد: «كفَّارة الدَّم؟».

ـ «سـبيل آخَـر كمـا قلـتَ. لـديَّ بعـض المـال المدَّخـر. كانـت مجـرَّد قطـرةٍ داميـة علـى الخـد حسـبما قـال السـيْر بِنـس. يُمكنـني أن أدفع للرَّجـل أيَّلًا فضِّيًّـا، وثلاثـةً للمـرأة تعويضًـا عـن الإهانـة. يُمكنـني، وسـأفعلُ... إذا وافقَـت علـى هـدم السَّـد»، وعبسَ الشَّـيخ وهــو يُـردِف: «ولكــن لا يُمكنــني الذَّهـاب إليهـا، إلى (الخنــدق البـارد)». طنَّـت ذُبابـة سـوداء سـمينة حـول رأسـه وحطَّـت عـلى ذراعـه. «القلعـة انتمَـت إلينـا مـن قبـل. أتعلـم ذلك يـا سـيْر دنكن؟».

ـ «أجل يا سيِّدي». سام المحنيُّ حكى له.

ـ «طيلـة ألـف عـام قبـل الفـتح كنـا مُشـيري (التُّخـم الشَّـمالي)، يُقـدِّم لنـا عشـرون مـن الـلوْردات الأدنى شـأنًا البيعـة، ومئـة مـن الفُرسـان مُلَّاك الأراضي. امتلكنـا أربـع قلاع في ذلـك الحيـن، وأبراج مراقبـةٍ فـوق التِّلال لتُنذِرنـا بقـدوم أعدائنـا. (الخنـدق البـارد) عُدَّت أعظـم مقرَّاتنـا. الـلوْرد پـرونِ أوْزجـري شـيَّدها، پـرونِ الأبـيُّ كمـا لقَّبـوه.

«بعـد (حقـل النِّيـران) آلَـت (هايجـاردن) مـن ملـوكٍ إلى وُكلاء، واضمحـلَّ آل أوْزجـري وتضاءَلـوا. ابـن إيْـجوْن، الملـك ميْـجوْر، هـو الـذي أخـذَ (الخنـدق البـارد) منـا حين تكلَّم الـلوْرد أوْرمنـد أوْزجري ضد قمعـه النُّجـوم والسُّـيوف، كمـا عُرفَـت جماعتـا الصَّعاليـك وأبناء المُحـارب». صـارَ صـوت الفـارس الشَّـيخ مبحوحًـا وهـو يتكلَّـم. «فـوق بوَّابـة (الخنـدق البـارد) أسـد مربَّعـاتٍ منقـوشٌ عـلى الحجـر، أراني أبـي إيَّـاه عندمـا أخـذَني معـه أوَّل مـرَّةٍ لزيـارة العجـوز رِاينـارد

وِيَر، وأريته لأبنائي بدوري. أدام... أدام خدمَ في (الخندق البارد) وصيفًا ومُرافقًا، و... ونما... نوعٌ معيَّن من الشَّغف بينه وبين ابنة اللوْرد وايمان. هكذا ذات يوم شتويّ ارتديتُ أفخم ثيابي وذهبتُ إلى اللوْرد وايمان لأعرضَ عليه زواجهما. كان كيِّسًا في رفضه، ولكن بينما غادرتُ سمعته يضحك مع السيْر لوكَس إنشفيلد. لم أرجع قَطُّ إلى (الخندق البارد) بعد ذلك، باستثناء مرَّةٍ واحدة حين تجرَّأت المرأة على اختطاف واحدٍ من قومي. لمَّا قالوا لي أن أبحث عن لِم المسكين في قاع الخندق...».

قاطعَه دنك: «ديْك. بِنس يقول إنَّ اسمه ديْك».

ـ «ديْك؟». الآن تزحف الذُّبابة على كُمِّه متوقِّفةً لتَفرُك أرجُلها معًا كديدن الذُّباب. «ديْك. هكذا قلتُ. رجلٌ وفيٌ، أذكُره جيِّدًا. لقد جمعَ لنا المؤن خلال الحرب. لم نزحف قَطُّ ببطونٍ خالية. حين أبلغَني السيْر لوكَس إنشفيلد بما جرى لرجلي المسكين ديْك، حلفتُ يمينًا مغلَّظةً أني لن أطأ القلعة بقدمي ثانيةً أبدًا إلَّا لأستحوذ عليها. كما ترى إذًا، لا يُمكنني الذَّهاب يا سيْر دنكن، لا لدفع كفَّارة الدَّم ولا لأيِّ سببٍ آخَر. لا يُمكنني نهائيًّا».

وفهمَ دنك. «يُمكنني أن أذهب يا سِيدي. لم أحلف أنا أيَّ أيمان».

ـ «أنت رجلٌ صالح يا سيْر دنكن، فارسٌ شُجاع ومخلص»، واعتصرَ السيْر يوستس ذراع دنك مردفًا: «ليت الآلهة أبقَت على ابنتي آليسان. إنك رجلٌ من النَّوع الذي أملتُ دومًا أن تتزوَّجه. فارسٌ حقٌّ يا سيْر دنكن، فارسٌ حقٌّ».

قال دنك الذي بدأ وجهه يتورَّد خجلًا: «سأبلغُ الليْدي وِيَر

بمـا قلتـه بشـأن كفَّـارة الـدَّم، ولكـن...».

ـ «ستُنقِذ السيْر بنِـس مـن مصيـر ديْـك. إنـني واثـق. لسـتُ حَكَمًا رديئًـا عـلى الرِّجـال، وأنـت الفـولاذ الحقيـقيُّ. سـتجعلهم يتـردَّدون أيُّهـا السيْر، مجـرَّد منظـرك. عندمـا تـرى المـرأة أنَّ لـ(ستاندفاسـت) نصيـرًا مثلـك قـد تهـدم السَّـد بمحـض إرادتهـا».

لـم يـدرِ دنـك بِـمَ يـردُّ، فـركعَ قـائلًا: «سِـيدي. سـأذهبُ غـدًا وأبـذلُ أقـصى ما بوسـعي».

ـ «غـدًا». عـادَت الذُّبابـة تحـوم وحطَّـت عـلى يـد السيْر يوسـتس اليُسـرى، فـرفعَ يُمنـاه وسـحقَها سـحقًا. «نعـم، غـدًا».

***

منزعجًا قال إج: «حمَّام آخَر؟! لقد استحممتَ أمس».

ـ «ثـم قضيـتُ نهـارًا أسبحُ في عـرقي داخـل الـدِّرع. أطبِق شـفتيْك واملأ المرجل».

أشـارَ إج: «اسـتحممتَ ليلـة قبلَنـا السـيْر يوسـتس في خدمتـه، والبارحـة، والآن، أي إنهـا ثلاث مـرَّاتٍ كاملـة أيُّهـا السـيْر».

ـ «علـيَّ أن أتعامـل مع سـيِّدةٍ شـريفة النَّسـب. أتُريـدني أن أمثـل أمـام مقعدهـا العـالي ورائحـتي كالسـيْر بنِـس؟».

قـال إج وهـو يـملأ المرجـل: «يجـب أن تتمـرَّغ في حـوضٍ مـن فـضلات ميْسـتر لتُصبِـح رائحتـك بذلـك السُّـوء أيُّهـا السـيْر. سـام

المحنيَّ يقول إنَّ أمين القلعة في (الخندق البارد) يُعادِلك حجمًا. اسمه لوكس إنشفيلد، لكنه يُدعى بالإنش الطَّويل بسبب حجمه. أتظنُّه كبيرًا مثلك أيُّها السير؟».

ـ «لا». مرَّت سنوات منذ قابلَ دنك أحدًا يُعادِله طولًا. التقطَ المرجل وعلَّقه فوق النَّار.

ـ «هل ستُقاتِله؟».

ـ «لا». يكاد دنك يتمنَّى لو يَحدُث العكس. قد لا يكون أعظم مُقاتلٍ في البلاد، ولكن من شأن الحجم والقوَّة أن يُعوِّضا عن نقائص عديدة. *ولكن ليس عن نقص العقل.* إنه خائبٌ في الكلام، وأشدُّ خيبةً مع النِّساء. هذا العملاق لوكس إنشفيلد لا يُرهِبه بقدر فكرةٍ مواجهة الأرملة الحمراء. «سأتكلَّمُ مع الأرملة الحمراء، هذا كلُّ شيء».

ـ «ماذا ستقول لها أيُّها السير؟».

ـ «إنَّ عليها أن تهدم السَّد». *لا بُدَّ أن تهدمي سدَّكِ يا ستِّي، وإلَّا*... «أعني أني سأسألها أن تهدم السَّد». *أرجوكِ أعيدي ماءنا المربَّع.* «إذا سمحَت». *قليلٌ من الماء يا ستِّي إذا سمحتِ.* لن يُريده السير يوستس أن يترجَّى. *كيف أقولها إذًا؟*

سرعان ما بدأ الماء يَبخُر ويُبقبِق، فقال دنك للغُلام: «ساعِدني على حمله إلى الحوض». معًا رفعا المرجل من فوق المستوقد وقطعا القبو إلى الحوض الخشبيّ الكبير، وفيما صبَّا الماء اعترفَ دنك: «لا أعرفُ كيف أتكلَّم مع شريفات النَّسب. لربَّما قُتِلَ كلانا في (دوْرن) من جرَّاء ما قلته للَيدي ڤيث».

ذكَّـره إج: «الليْـدي ڤيْـث مجنونـة، ولكـن أمكنَـك أن تتصـرَّف بمزيـدٍ مـن الشَّـهامة. إذا أنقـذت الأرملـة الحمـراء كمـا أنقـذت فتـاة الـدُّمى مـن إيْـريوْن...».

ـ «إيْـريوْن في (لِيـس)، والأرملة ليسـت محتاجةً إلى إنقـاذ». لا يُريـد أن يتكلَّـم عـن تانسـل. *تانسـل مديـدة القامـة اسـمها، لكنهـا لـم تكـن في نظـري مديـدة القامـة.*

قـال الـغُلام: «حسـن، ثمَّـة فُرسـان يُغنُّـون أغـاني شـهامةٍ لسيِّداتهم، أو يعزفـون لهـن أنغامًـا عـلى العـود».

بـدا دنـك مغتمًّـا إذ قـال: «لا أملـكُ عـودًا، وليلـة أن أسـرفت في الشُّـرب في (بلـدة الأخشـاب) قلـت لي إنـني أغـنِّي كثـورٍ في مراغـة وحـل».

ـ «نسيتُ أيُّها السيْر».

ـ «كيف نسيت؟».

أجـابَ إج بكلِّ بـراءة: «أنـت أمرتـني بالنِّسـيان أيُّهـا السـيْر. قلـت لي إنـني سـأنالُ لَطمـةً عـلى الأذن إذا ذكـرتُ الأمـر ثانيـةً».

ـ «لا غنـاء». حـتى إن تمـتَّع بصـوتٍ صـالح للغنـاء فالأغنيَّـة الوحيـدة الـتي يعرِفهـا دنـك كاملـةً هي «الـدُّب، الـدُّب، والفتـاة الحسـناء»، ويشـك في أنهـا سـتنفع لاسـتمالة الليْـدي وِيَـر. عـادَ المرجـل يَبخُـر، فحـملاه بجهـدٍ إلى الحـوض وقلَبـاه.

سـحبَ إج مـاءً ليـملأ المرجـل مـرَّةً ثالثـةً، ثـم تسـلَّق ليجلـس عـلى حافـة البئـر، وقـال: «الأفضـل ألَّا تقبـل أيَّ طعـام أو شـرابٍ في (الخنـدق البـارد) أيُّهـا السـيْر. الأرملـة الحمـراء سـمَّمت أزواجهـا

كلَّهم».

ردَّ دنك: «ليس واردًا أن أتزوَّجها. إنها سيّدة شريفة النَّسب، وأنا دنك ابن (سفح البراغيث)، أتَذكُر؟»، وقطَّب جبينه سائلًا: «كم زوجًا بالضَّبط كان لها؟ هل تعرف؟».

- «أربعة، ولكن لا أطفال. متى وضعَت أتى شيطانٌ ليلًا ليأخذ الوليد. زوجة سام المحنيّ تقول إنها باعَت صغارها الذين لم يُولَدوا بعدُ لسيِّد الجحائم السَّبع ليُعلِّمها فنونه السَّوداء».

- «شريفات النَّسب لا يتعرَّضن للفنون السَّوداء، بل يَرقُصن ويُغنِّين ويُطرِّزن».

قال إج باستمتاع: «لعلَّها تَرقُص مع الشَّياطين وتُطرِّز تعاويذ شرِّيرةً»، ثم سألَ: «وكيف تعرف ما تفعله شريفات النَّسب أيُّها السِّير؟ الليْدي ڤيث هي الوحيدة التي عرفتها يومًا».

ردٌّ وقح، لكنه صحيح. «قد لا أعرفُ أيَّ سيِّدات شريفات النَّسب، لكنني أعرفُ غلامًا يَطلُب لطمةً موجعةً على الأذن». فركَ دنك مؤخِّرة رقبته التي يُخلِّف فيها نهارٌ من ارتداء الحلقات المعدنيَّة تيبُّسًا كالخشب كلَّ مرَّة. «أنت عرفت ملكاتٍ وأميرات. هل رقصن مع الشَّياطين ومارَسن الفنون السَّوداء؟».

- «الليْدي شييرا تفعل، عشيقة اللوْرد غُداف الدَّم. إنها تغتسل بالدِّماء لتحفظ جمالها. وفي مرَّةٍ وضعَت أختي ريا جرعة حُبٍّ في شرابي لأتزوَّجها بدلًا من أختي ديْلا».

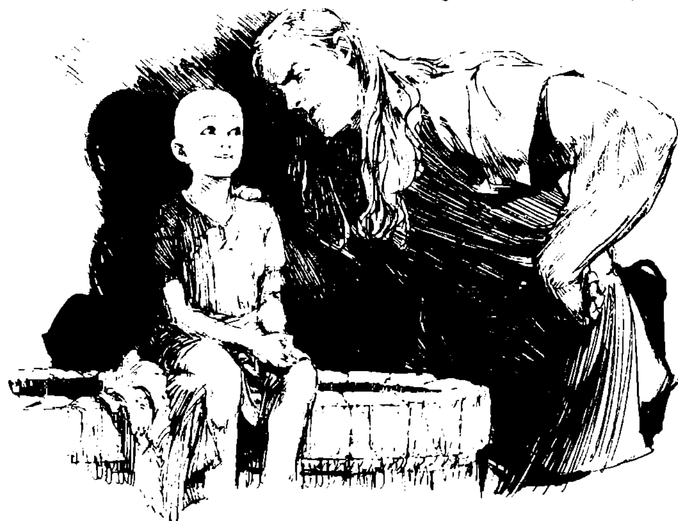
تكلَّم إج كأن زواج المحارم هذا أكثر شيءٍ طبيعي في الدُّنيا. هو *كذلك عنده*. يُزوِّج آل تارجاريَن الأخ بأخته منذ مئات السِّنين

للحفاظ على نقاء دم التنِّين، ورغم موت آخِرِ التَّنانين الفعليَّة قبل مولد دنك فقد استمرَّ ملوك التَّنانين. *لعلَّ الآلهة لا تُمانِع أنهم يتزوَّجون أخواتهم*. سألَه دنك: «وهل نجحَت الجرعة؟».

أجابَ إج: «كانت ستنجح، لكني بصقتها. لا أريدُ زوجةً، بل أريدُ أن أصبح فارسًا في الحرس الملكي وأعيش فقط في سبيل خدمة الملك والدِّفاع عنه. رجال الحرس الملكي يُقسِمون على عدم الزَّواج».

ـ «شيء نبيل، ولكن عندما تكبَر قد تكتشف أنك تُفضِّل أن تحظى بفتاةٍ على معطفٍ أبيض». كان دنك يُفكِّر في تانسل مديدة القامة، والطَّريقة التي ابتسمَت له بها في (آشفرد). «السِّير يوستس قال إنني رجلٌ من النَّوع الذي أملَ أن تتزوَّجه ابنته. كان اسمها آليسان».

ـ «إنها ميتة أيُّها السِّير».



ردَّ دنك مستاءً: «أعرفُ أنها ميتة. لو أنها حيَّة، قال. لو أنها كذلك لودَّ أن تتزوَّجني، أو أحدًا مثلي. لم يعرض لوْرد عليَّ ابنته قبلًا قَطُّ».

ـ «ابنته الميتة! وربَّما كان آل أوْزجري لوْردات في الماضي، لكن السِيْر يوستس ليس إلَّا فارسًا يملك بعض الأراضي».

ـ «أعرفُ ماهيته. أتُريد لطمةً على الأذن؟».

قال إج: «في الحقيقة أفضِّلُ لطمةً على زوجة، بخاصَّةٍ زوجة ميتة أيُّها السِيْر. المرجل يغلي».

حملا الماء إلى الحوض، وخلعَ دنك غلالته. «سأرتدي غلالتي الدوْرنيَّة إلى (الخندق البارد)». تلك الغلالة من الحرير الرَّملي، أجود ثوبٍ يمتلكه، ومرسومة عليها دردارته ونجمته الهاوية.

علَّق إج: «إذا ارتديتها خلال الرِّحلة فسيُبلِّلها العرق أيُّها السِيْر. ارتدِ التي ارتديتها اليوم. سأجلبُ الأخرى، ويُمكنك أن تُغيِّرها عندما تصل إلى القلعة».

ـ «بل قبل أن أصل إلى القلعة. سأبدو أحمق إذا غيَّرت ملابسي على الجسر المتحرِّك. ومَن قال إنك ستأتي معي؟».

ـ «الفارس أقوى تأثيرًا وفي حضرته مُرافق».

صحيحٌ هذا. الغُلام يتمتَّع بحُسن التَّمييز في تلك الأمور. *وهو الواجب. لقد عملَ وصيفًا سنتيْن في (كينجزلاندنج)*. ومع ذلك يعزف دنك عن أخذه إلى قلب الخطر، فلا فكرة لديه عن نوع الاستقبال الذي ينتظره في (الخندق البارد). لو أنَّ هذه الأرملة الحمراء خطرة حقًّا كما يقولون فقد ينتهي به الأمر في قفص

غِربـان كالرَّجليْـن اللذيْـن رأياهمـا عـلى الطَّريـق. قـال لإج: «سـتبقى هنـا وتُسـاعِد السـيْر بِنِـس عـلى تدريـب العـوام»، ثـم خـلعَ بنطالـه ركلًا ونـزلَ في حـوض المـاء الباخـر قـائلًا: «اذهـب الآن ونَـم ودعـني لحمَّـامي. لـن تذهـب، والمسـألة منتهيـة».

***

صحـا إج وذهـبَ قبـل أن يسـتيقظ دنـك وعـلى وجهـه ضـوء شـمس الصَّبـاح. بحـقِّ *الآلهـة، كيـف يُمكـن أن يحتـرَّ الطَّقـس إلى هـذه الدَّرجـة بهـذه السُّـرعة*؟ اعتـدلَ جالسًـا وتمـطَّى متثائبًـا، ثـم نهـضَ ونـزلَ يتعثَّـر ناعسًـا إلى البئـر، حيـث أشـعلَ شـمعةً سـمينةً مـن الشَّـحم ورشَّ قليـلًا مـن المـاء البـارد عـلى وجهـه وارتـدى ثيابـه.

عندمـا خـرجَ في ضـوء الشَّـمس وجـدَ ثنـدر في انتظـاره مسـرَّجًا ملجومًـا عنـد الإسـطبل، وفي انتظـاره إج أيضًـا مع بغلـه ميْسـتر.

ينتعـل الـغُلام حـذاءه، وعـلى غيـر العـادة يبـدو مُرافقًـا ملائمًـا في دبليَّـةٍ أنيقـة مـن المربَّعـات الخضـراء والذَّهبيَّـة وبنطـالٍ ضيِّـق مـن الصُّـوف الأبيـض. أعلـنَ إج: «مؤخِـرة البنطـال كانـت ممزَّقـةً، لكـن زوجـة سـام المحـنيِّ خاطتـه لي».

ـ «كانـت ثيـاب أدام». قالهـا السـيْر يوسـتس وهـو يقـود حصانـه الرَّمـاديَّ المخصـيَّ مـن الإسـطبل، وقـد زيَّـن أسـد مربَّعـاتٍ معطـف الشَّـيخ الحريـري المهتـرئ الـذي ينسـدِل مـن فـوق كتفيْـه. «في الدَّبليَّـة نـزرٌ يسـير مـن الـزَّنخ مـن الصُّـندوق، ولكـن يُفتـرَض أن

تَصلُح. الفارس أقوى تأثيرًا وفي حضرته مُرافق، ولذا قرَّرتُ أن يصحبك إج إلى (الخندق البارد)».

ـ *فاقَني حيلةَ غُلام في العاشرة*. رمقَ دنك إج، وبصمتٍ تفوَّه بعبارة «لطمة على الأذن»، ليبتسم الغُلام باتِّساع.

قال السِّير يوستس: «معي شيء لك أيضًا أيُّها السِّير دنكن»، وأخرجَ معطفًا ونفضَه بحركةٍ واحدة واثقة.

المعطف من الصُّوف الأبيض، مؤطَّر بمربَّعاتٍ من السَّاتان الأخضر وقُماش الذَّهب. آخِر ما يحتاج إليه دنك في هذا الحرِّ معطف من الصُّوف، ولكن حين أسدلَه السِّير يوستس من حول كتفيْه رأى دنك الفخر على وجهه ووجدَ نفسه عاجزًا عن الرَّفض. «أشكرك يا سِيدي».

قال الشَّيخ: «يُناسِبك جدًّا. ليتني أستطيعُ أن أعطيك أكثر»، وارتعشَ شاربه وهو يُتابِع: «لقد أرسلتُ سام المحنيَّ إلى القبو ليبحث بين أغراض أبنائي، لكن إدوِن وهارؤلد كانا أصغر حجمًا، أنحف صدرًا وسيقانهما أقصر كثيرًا. يُحزِنني أن أقول إنَّ شيئًا تركاه لن يَصلُح لك».

ـ «المعطف يكفي يا سِيدي. لن أهينه».

ـ «لا أشكُّ في ذلك». قالها الشَّيخ وربَّت على حصانه مرَّةً مردفًا: «خطرَ لي أن أركب معكما جزءًا من الطَّريق لو أنك لا تُمانع».

ـ «إطلاقًا يا سِيدي».

قادَهما إج وهُم ينزلون التَّل وقد جلسَ منتصب القامة على



ظهر ميْستر. سأل السيْر يوستس دنك: «أيجب أن يعتمر تلك القبَّعة القش المرنة؟ إنه يبدو سخيفًا قليلًا، ألا ترى هذا؟».

ـ «ليس بالسُّخف الذي سيبدو به ورأسه يتقشَّر يا سِيدي».

حتى في هذه السَّاعة والشَّمس بالكاد تعلو خطَّ الأفق، في الجوِّ سخونة. *بحلول الأصيل سيَسخُن سرجانا إلى حدِّ إصابتنا بالقروح*. قد يبدو إج أنيقًا في ثياب الغُلام الميت الفاخرة، لكنه سيُمسي إج مسلوقًا بحلول اللَّيل. على الأقل يستطيع دنك تبديل ملابسه، ففي خُرج سرجه الغلالة الفاخرة وعلى بدنه الخضراء القديمة.

أعلنَ السيْر يوستس: «سنَسلُك الطَّريق الغربي. لم يُطرَق إلَّا قليلًا خلال السَّنوات الماضية، لكنه ما زالَ أقصر طريقٍ من (ستاندفاست) إلى (قلعة الخندق البارد)». أخذَهما الدَّربُ حول مؤخِّرة التَّل، مرورًا بالقبور حيث وارى الفارس الشَّيخ زوجته وأبناءه الثَّرى في دغل من شُجيرات التُّوت الأسود. «أحبُّوا قطف التُّوت هنا، أبنائي. في صغرهم اعتادوا أن يأتوني بأوجُهٍ لزجة وأذرُعٍ مخدوشة، فأعرفُ أين كانوا»، وابتسمَ الشَّيخ بحنينٍ

مواصلًا: «مُرافقك إج يُذكِّرني بولدي أدام. صبيٌّ شُجاع قياسًا إلى سنِّه الصَّغيرة. كان أدام يُحاوِل حماية أخيه الجريح هارْولد حين اجتاحتهما المعركة. أحد رجال النَّهر بستِّ جوزات بلُّوط على تُرسه بترَ ذراعه بفأس»، ونظرَت عيناه الرَّماديَّتان الحزينتان في عينَي دنك إذ سألَه: «سيِّدك القديم هذا، فارس (شجرة البنسات)... هل قاتلَ في تمرُّد بلاكفاير؟».

- «نعم يا سِيدي، قبل أن يُشغِّلني عنده». في ذلك الحين لم يتعدَّ دنك الثَّالثة أو الرَّابعة، يجري نصف عارٍ في أزقَّة (سفح البراغيث)، أقرب إلى حيوانٍ منه إلى صبي.

- «هل قاتلَ في صفِّ التنِّين الأحمر أم الأسود؟».



«أحمر أم أسود؟» سؤالٌ محفوف بالخطر، حتى حاليًّا. منذ أيَّام إيْجوْن الفاتح حملَ رمز عائلة تارجاريَن تنِّينًا ثُلاثي الرُّؤوس، أحمر على أسود، لكن ديْموْن المدَّعي عكسَ هذيْن اللَّونيْن على راياته على غرار كثير من النُّغول. ذكَّر دنك نفسه: *السيْر يوستس سيِّدي الأعلى؛ لهُ حقٌّ في السُّؤال.* «قاتلَ تحت راية اللوْرد هِايفوْرد يا سِيدي».

ـ «شبكة خضراء على خلفيَّةٍ ذهبيَّة وشريط أخضر متموِّج؟».

ـ «ربَّما يا سِيدي. إج سيعرف». يستطيع الولد أن يعدَّ شعارات نصف فُرسان (وستروْس).

ـ «اللوْرد هِايفوْرد كان مُواليًا بارزًا. الملك ديْروْن عيَّنه يده قُبيل المعركة. بَتَروِل أبلى بلاءً في غاية السُّوء حتى إنَّ كثيرين شككوا في إخلاصه، أمَّا اللوْرد هِايفوْرد فكان راسخًا في مناصرته من البداية».

ـ «السيْر آرلان كان بجواره حين سقطَ. لوْرد ما بثلاث قلاعٍ على تُرسه أرداه».

ـ «رجالٌ صالحون كُثر سقطوا يومها، على كلا الجانبيْن. العُشب لم يكن أحمر قبل المعركة. هل حكى لك سيِّدك السيْر آرلان ذلك؟».

ـ «لم يطِب للسيْر آرلان قَطُّ أن يتحدَّث عن المعركة. مُرافقه أيضًا ماتَ فيها. روْجر ابن (شجرة البنسات) اسمه، ابن أخت السيْر آرلان». مجرَّد قولها أشعرَ دنك بقدرٍ ضئيل من الذَّنب. *لقد سرقتُ موقعه.* فقط الأمراء واللوْردات الكبار عندهم موارد

تكـفي للاحتفـاظ بمُرافقيْـن معًـا. لـو أعـطى إيْـجوْن غيـر الجديـر سـيفه لوريثـه ديْـروْن بـدلًا مـن نغلـه ديْـموْن فلربَّمـا مـا كان تمـرُّد بلاكفايـر ليقـوم، ولربَّمـا ظـلَّ روْجـر ابـن (شـجرة البنسـات) حيًّـا حتى اليـوم. *لكان فارسًا في مكانٍ ما، فارسًا أحـقَّ مني، ولانتـهى بي المطاف إلى المشنقة، أو إلى حرس اللَّيل لأذرع (الجِدار) إلى أن أموت.*

قـال الفـارس الشَّـيخ: «المعـارك الكُبـرى شيء رهيـب، لكـن في خضـمّ الدِّمـاء والتَّقتيـل جمـالًا أيضًـا أحيانًـا، جمـالًا مـن شـأنه أن يفطرَ قلبـك. لـن أنـسى أبـدًا منظـر الشَّـمس وهي تَغـرُب عـلى (حقـل العُشـب الأحمـر)... عشـرة آلاف رجـل ماتـوا، واختنـقَ الهـواء بالأنيـن والنُّـواح، لكـن فوقنـا اصطبغَـت السَّـماء بالذَّهبـي والأحمر والبرتقـالي، فاتنـة حتى إنَّ علمي أنَّ أبنـائي لـن يروهـا أبـدًا أبكاني»، وتنهَّـد متابعًـا: «الفـرق بيـن النَّصـر والهزيمـة كان أصغـر ممَّـا يُريدونـك أن تعتقـد هـذه الأيَّـام. لـولا غُـداف الـدَّم...».

قـال دنـك: «سـمعتُ دائمًـا أنَّ بيْـلوْر كاسِـر الحـراب هـو مَـن حقَّـق النَّصـر في المعركـة، هـو والأميـر ميْكار».

اختـلجَ شـارب الشَّـيخ، وقـال: «المطرقـة والسَّـندان؟ المغنُّـون يُغفِلـون كثيـرًا فأكثـر. ديْـموْن كان **المُحـارب** نفسـه في ذلـك اليـوم. لـم يسـتطع أيُّ رجـلٍ الوقـوف أمامـه. لقـد حطَّـم طليعـة اللوْرد آرن تحطيمًـا وفتـكَ بفـارس (النُّجـوم التِّسع) ووايـل ويْنـوود الجـامح قبـل أن يُواجِـه السـيْر جويْـن كوْربـراي فـارس الحـرس المـلكي. طـوال سـاعةٍ تقريبًـا رقصـا معًـا فـوق حصانيْهمـا، يحومـان ويـدوران ويهويـان بضرباتهمـا فيمـا مـاتَ الرِّجـال حولهمـا في كلِّ اتِّجـاه.

يُقال إنه عندما تقارعَ «اللَّهب الأسود» و«سيِّدة البؤس» سُمِعَ الصَّوت من بُعد فرسخ كامل. نصف أغنيَّةٍ ونصف صرخةٍ حسبما يقولون. لكن في النِّهاية عندما توانَت «السيِّدة» فلقَ «اللَّهب الأسود» خوذة السِّير جوين وتركه معميًّا ينزف.

«ترجَّل ديمون ليتأكَّد ألَّا يُداس خصمه السَّاقط، وأمرَ النَّاب الأحمر بأخذه إلى الميسترات في المؤخِّرة. وهو ذا خطؤه المميت، لأن أسنان الغُداف ظفروا بقمَّة (الحيد الباكي)، ورأى غُداف الدَّم لواء أخيه غير الشَّقيق الملكيَّ على بُعد ثلاثمئة ياردة، وديمون وابنيه تحته. أوَّلًا قتلَ غُداف الدَّم إيجون، أكبر التَّوأمين، إذ علمَ أنَّ ديمون لن يَترُك الولد أبدًا ما دامَ في جسده دفء، مع أنَّ السِّهام البيضاء تساقطَت كالمطر. ولم يَترُكه فعلًا رغم أنَّ سبعة سهام اخترقَت جسده مرميَّةً بالشَّعوذة بقدر ما رماها قوس غُداف الدَّم. التقطَ إيمون الصَّغير «اللَّهب الأسود» حين فلتَ السَّيف من أصابع أبيه المحتضر، فقتلَه غُداف الدَّم بدوره، أصغر التَّوأميْن. هكذا هلكَ التِّنين الأسود وابناه.

«وقعَ كثيرٌ فأكثر بعدها، أعرفُ. لقد شهدتُ جزءًا منه بنفسي... فرار المتمرِّدين والفولاذ الأليم يلمُّ شتاتهم ويقود هجمته المجنونة... قتاله ضد غُداف الدَّم الذي لا يبزُّه إلَّا القتال الذي خاضَه ديمون ضد جوين كوربراي... ضربة مطرقة الأمير بيلور على مؤخِّرة المتمرِّدين وصُراخ الدورنيِّين جميعًا وهُم يملؤون الهواء بالحراب... لكن شيئًا من ذلك لم يفرق في النِّهاية. الحرب انتهَت عندما ماتَ ديمون.

«فرقٌ صغير جدًّا... لو أنَّ ديمون داسَ جوين كوربراي وتركه

لمصيره فلربَّما استطاعَ تحطيم ميسرة ميْكار قبل أن يستولي غُداف الدَّم على الحيد، وعندئذٍ كان النَّصر سيُصبِح من نصيب التَّنانين السُّود وقد ماتَ اليد وانفتحَ لهم الطَّريق إلى (كينجز لاندنج). لربَّما كان ديْمون جالسًا على العرش الحديدي بالفعل عند وصول الأمير بيْلوْر مع رجاله من لوْردات العواصف ومن الدوْرنيّين.

«للمُغنّين أن يُغنُّوا ما شاؤوا عن مطرقتهم وسندانهم أيُّها السيْر، إلَّا أنَّ قاتِل الأقربين هو مَن قلبَ الوضع بسهم أبيض وتعويذةٍ سوداء. إنه يَحكمنا الآن أيضًا، تأكَّد من هذا. الملك إيْرس صنيعته. لن يُدهِشني أن أعلم بأن غُداف الدَّم سحرَ جلالته ليُخضِعه لإرادته. لا عجب أننا ملعونون».

هزَّ السيْر يوستس رأسه وغرقَ في صمتٍ عابس، وتساءلَ دنك كم سمعَ إج، ولكن لا سبيل إلى سؤاله. *كم عينًا للوْرد غُداف الدَّم؟*

حرارة النَّهار في ارتفاع بالفعل. علَّق دنك لنفسه: حتى *الذُّباب هربَ. الذُّباب أعقل من الفُرسان. إنه يبقى بعيدًا عن الشَّمس.* تساءلَ هل سيُقدَّم له ولإج واجب الضِّيافة في (الخندق البارد). سيُرحِّب جدًّا بدورقٍ من المزر البنِّي فاتر الحرارة، ولكن بينما تأمَّل دنك ذلك الاحتمال بتلذُّذ، تذكَّر ما قاله إج عن تسميم الأرملة الحمراء أزواجها، ونفرَ عطشه في الحال. ثمَّة أشياء أسوأ من الحلوق الجافَّة.

قال السيْر يوستس: «في زمنٍ ماضٍ حازَت عائلة أوْزجري جميع الأراضي على امتدادٍ فراسخَ عديدة، من (نَني) في

الشَّرق إلى (غـار الحـصى). (الخنـدق البـارد) كانـت ملكنـا، و(تلال الحـدوة)، والكهـوف في (تبـاب درنج)، وقُـرى (دؤسـك) و(دؤسـك الصُّغـرى) و(سـفح البرانـدي)، وكلا ضفَّـتي (البُحيـرة المورقـة)... وتزوَّجـت عـذراوات أوْزجـري مـن عـائلات فلوْرنـت وسـوان وتاربـك، وحـتى هايتـاور وبلاكـوود».

لاحَـت حافـة (خميلـة وات) لأنظارهـم. سـترَ دنـك عينيْـه بيـده وضيَّقهمـا رامقًـا الخُضـرة، وعلـى غيـر العـادة حسـدَ إج علـى قبَّعتـه المرنـة. *علـى الأقـل سنجد شيئًا مـن الظِّـل.*

قـال السـيْر يوسـتس: «سـابقًا امتـدَّت (خميلـة وات) حـتى (الخنـدق البـارد) نفسـها. لا أذكـرُ مَـن هـو وات، ولكـن قبـل الفـتح كان بإمكانـك أن تجـد في خميلتـه ثيرانًـا بريَّـةً وإلكات عظيمـةً طولهـا عشـرون شـبرًا أو أكثـر، وأيضًـا غـزالات حمـراء أكثـر ممَّـا يسـتطيع أيُّ رجـلٍ أن يصطـاد في عُمـره بأكملـه، إذ لـم يُسـمَح إلَّا للملـك وأسـد المربَّعـات بالصَّيـد هنـا. حـتى في أيَّـام أبـي ارتفعَـت الأشـجار علـى جانبَـي الجـدول، لكـن العنـاكب أزالوهـا لكـي يـرعى بقرهـم وخرافهـم وأحصنتهـم».

زحفَـت إصبـعٌ رفيعـة مـن العـرق علـى صـدر دنـك، ووجـدَ نفسـه يتمنَّـى مـن صميـم قلبـه لـو يَصمُـت سيِّده الأعلى. *الكلام لا يُطـاق في هـذا الحـرِّ. الرُّكـوب لا يُطـاق في هـذا الحـرِّ. لا شيء يُطـاق في هـذا الحـرِّ اللَّعيـن.*

في الخميلـة صادَفـوا جثَّـة قـطِّ أشـجارٍ بنِّـي ضخـم تفشـو فيهـا اليرقـات. قـال إج وهـو يـدور بميْسـتر مـن حولهـا: «إيـو! رائحتهـا أسـوأ مـن السـيْر بنِـس!».

كبحَ السيْر يوستس حصانه قائلًا: «قطُّ أشجار. لم أعرف أنَّ أيًّا منها تبقَّى في هذه الخميلة. تُرى ما الذي قتلَه؟»، وإذ لم يتلقَّ جوابًا قال: «سأعودُ أدراجي من هنا. واصِلا التَّقدُّم على الطَّريق الغربي وسيأخذكما إلى (الخندق البارد) مباشرةً. هل معك المال؟». أومأ دنك برأسه إيجابًا، فقال الفارس الشَّيخ: «عظيم. عُد بمائي أيُّها السيْر»، وخبَّ مبتعدًا في الاتِّجاه الذي جاؤوا منه.

لمَّا رحلَ قال إج: «فكَّرتُ في الأسلوب الذي ينبغي أن تُخاطِب به الليْدي وِبَر أيُّها السيْر. عليك أن تكسبها إلى صفِّك بالإطراء الكيِّس». يبدو الغُلام فاتر الحرارة منتعشًا في غلالته ذات المربَّعات كما بدا السيْر يوستس في معطفه.

ـ *أأنا الوحيد الذي يعرق؟* «الإطراء الكيِّس. إطراء كيِّس من أيِّ نوع؟».

ـ «كما تعرف أيُّها السيْر. قُل لها كم تبدو بهيَّةً وجميلةً».

ساورَت دنك الشُّكوك. «لقد عمَّرت أكثر من أربعة أزواج، فلا بُدَّ أنها عجوزٌ كالليْدي فَيْث. إذا قلتُ إنها بهيَّةٌ وجميلة في حين أنها عجوزٌ في وجهها ثآليل فستعدُّني كذَّابًا».

ـ «ما عليك إلَّا أن تجد شيئًا حقيقيًّا تقوله عنها. هكذا يفعل أخي ديْرون. يقول إنه واردٌ أن تتمتَّع العاهرات العجائز القبيحات أنفُسهن بشعرٍ حُلو أو آذان حسنة الشَّكل».

ـ «آذان حسنة الشَّكل؟». بدأت شكوك دنك تتنامى.

ـ «أو أعيُن جميلة. قُل لها إنَّ فُستانها يُبرِز لون عينيْها»،

وفكَّر الغُلام لحظةً ثم قال: «ما لم تكن لها عينٌ واحدة مثل اللوْرد غُداف الدَّم».

- *سيِّدتي، هذا الفُستان يُبرِز لون عينيْكِ*. سمعَ دنك فُرسانًا ولوْردات صغارًا يتفوَّهون بمجاملاتٍ شبيهة للليْديهات أخريات، وإن لم يُعبِّروا عنها قَطُّ بتلك الجرأة. *سيِّدتي الكريمة، جميلٌ هذا الفستان، يُبرِز لون عينيْك الفاتنتيْن كلتيْهما*. بعض تلك الليْديهات كان عجوزًا ومهزولًا، أو بدينًا ومتورِّد البشرة، أو نديبًا بفعل الجُدري ودميمًا، لكنهن ارتدين فساتين جميعًا وامتلكَ كلٌّ منهن عينيْن، وعلى حدِّ ذاكرة دنك سرَّتهن الكلمات المنمَّقة جدًّا. *يا له من فُستانٍ بديع يا سيِّدتي، يُبرِز الجمال البديع في عينيْكِ جميلتَي اللَّون*. قال دنك بكآبة: «حياة الفارس الجوَّال أبسط. إذا قلتُ القول الخطأ فغالبًا ستضعني في جوالٍ مليء بالصَّخر وتُخيِّطه عليَّ وتُلقي بي في خندقها».

ردَّ إج: «أشكُّ في أنَّ عندها جوالًا كبيرًا إلى تلك الدَّرجة أيُّها السيِّر. يُمكننا أن نستخدم حذائي بدلًا من ذلك».

زمجرَ دنك: «لا، لا يُمكننا».

عندما خرجا من (خميلة وات) وجدا نفسيْهما على مسافةٍ بعيدة عكس التيَّار من السَّد، وقد ارتفعَت المياه إلى منسوبٍ كافٍ لأن يأخذ الغطسة التي يَحلُم بها. *عميقة بما يكفي لإغراق رجل*. على الجانب الآخَر شُقَّت الضفَّة وحُفِرَ أخدودٌ لتحويل جزءٍ من المجرى غربًا، والأخدود يمتدُّ بمحاذاة الطَّريق ليُغذِّي عديدًا من القنوات الأصغر التي تسعى كالثَّعابين عبر الحقول. *حالما نَعبُر الجدول سنُصبِح تحت سُلطة الأرملة*. تساءلَ دنك

إلامَ يركب. إنه مجرَّد رجلٍ واحد يحمي ظهره غُلام في العاشرة.

هوَّى إج وجهه سائلًا: «سِر؟ لماذا توقَّفنا؟».

ـ «لم نتوقَّف». همزَ دنك مطيَّته بكعبيْه وخاضَ في الجدول، وتبعَه إج فوق البغل. ارتفعَت المياه حتى بطن ثندر قبل أن تُعاوِد الانخفاض، وخرجا والماء يَقطُر منهما على جانب الأرملة. أمامهما يمتدُّ الأخدود مستقيمًا كالحربة، يَبرُق بالأخضر والذَّهبي في الشَّمس.

حين أبصَرا أبراج (الخندق البارد) بعد عدَّة ساعات، توقَّف دنك ليُبدِّل بغلالته الغلالة الدوْرنيَّة الأنيقة ويُخلخِل سيفه الطَّويل في غمده، فلا يُريد أن يعلق النَّصل إذا دعَت الحاجة إلى سحبه، وهزَّ إج مقبض خنجره أيضًا وعلى وجهه نظرةٌ جادَّة تحت قبَّعته المرنة، ثم استأنَفا الرُّكوب جنبًا إلى جنب، دنك فوق برذونه الكبير والغُلام فوق بغله، وراية أوْزجري تُرفرِف بخمولٍ فوق ساريتها.



إلى حدٍّ ما خيَّبت (الخندق البارد) أمله بعد كلِّ ما قاله عنها السِّير يوستس. مقارنةً بـ(ستورمز إند) أو (هايجاردن) وغيرها من المقارِّ اللوردِيَّة التي رآها دنك فهي قلعةٌ متواضعة... غير أنها قلعةٌ حقيقيَّة لا بُرج حراسةٍ محصَّن؛ ترتفع أسوارها الخارجيَّة المفرَّجة ثلاثين قدمًا، وفي كلِّ رُكن بُرج يُعادِل ارتفاع (ستاندفاست) مرَّةً ونصفًا، ومن كلِّ بُريج وقمَّةٍ تتدلَّى رايات وِبَر السَّوداء ثقيلةً يُزخرِف كلًّا منها عنكبٌ أرقط على شبكةٍ فضِّيَّة.

قال إج: «سِير؟ الماء، انظُر أين يذهب».

ينتهي الأخدود تحت أسوار (الخندق البارد) الشَّرقيَّة منصبًّا في الخندق الذي استمدَّت منه القلعة اسمها، وجعلَت خرخرة الماء المنصب دنك يكزُّ على أسنانه. *لن تنال مائي المربَّع.* قال لإج: «تعالَ».

فوق قنطرة البوَّابة الرَّئيسيَّة يتهدَّل صفٌّ من رايات العنكب في الهواء السَّاكن، فوق الرَّمز الأقدم المنقوش بعُمق في الحجر، ورغم أنَّ قرونًا من الرِّيح وعوامل الطَّقس أبلَته فلا يزال شكله مميَّزًا: أسد من المربَّعات يقف منتصبًا على قدم واحدة. البوَّابة تحته مفتوحة، وإذ دبدَبا فوق الجسر المتحرِّك لاحَظَ دنك القدر الذي ينخفضه الخندق. *ستَّة أقدام على الأقل.*

اعترَض حرَّابان طريقهما عند الشَّبكة الحديديَّة، لأحدهما لحيةٌ سوداء وللآخَر لا. طالبَ اللِّحية بمعرفة غرضهما هنا، فأخبرَه دنك: «سيِّدي أوزجري بعثَ بي لأتعامل مع الليْدي وِبَر. اسمي السِّير دنكن الطَّويل».

قال الحارس عديم اللِّحية: «حسن، أعرفُ أنك لست بِنس. كنا سنشمُّه وهو قادم». للرَّجل سنٌّ مخلوعة وشارة عنكبٍ أرقط مخيطة فوق قلبه.

زرَّ اللِّحية عينيْه رامقًا دنك بريبة، وقال: «لا أحد يرى حضرة الليْدي إلَّا بإذن الإنش الطَّويل. تعالَ معي. لصبيِّ الإسطبل أن يبقى مع الخيول».

ردَّ إج بإصرار: «أنا مُرافق لا صبي إسطبل. أأنت أعمى أم غبيٌّ فحسب؟».

انفجرَ عديم اللِّحية ضاحكًا، أمَّا اللِّحية فصوَّب رأس حربته إلى حلق الغُلام وقال: «أعِد ما قُلت».

لطمَ دنك إج على أذنه قائلًا: «لا، اخرسِ واعتنِ بالخيول»، وترجَّل مخاطبًا الحارس: «سأرى السيْر لوكس الآن».

خفضَ اللِّحية حربته، وردَّ: «إنه في السَّاحة».

مرَّا من تحت الشَّبكة الحديديَّة مدبَّبة الرُّؤوس وكُوَّة دفاع قبل أن يَخرُجا إلى السَّاحة الخارجيَّة. كانت كلاب الصَّيد تنبحُ في الوجار، وسمعَ دنك إنشادًا من النَّوافذ الزُّجاجيَّة المطليَّة بالرَّصاص في جُدران السِّبت الخشبي سُباعي الأجناب. أمام ورشة الحدادة انهمكَ حدَّاد في تركيب حدوةٍ لجوادٍ حربيّ بمساعدة صبيِّه، وعلى مقربةٍ أطلقَ مُرافق سهامه على أهدافٍ الرِّماية، فيما بارَته فتاةٌ منمَّشة ذات ضفيرةٍ طويلة رميةً برمية، وقد راحَ الطَّاووس يدور أيضًا إذ أخذَ نصف دستةٍ من الفُرسان دورهم في ضربه.

وجدا السِير لوكَس الإنش الطَّويل بين المتفرّجين عند الطَّاووس، يتكلَّم مع سِپتوٰن بدين ضخم يتصبَّب عرقًا أكثر من دنك، رجل أبيض عجيني مستدير في مِسح رطب كأنه ارتداه وهو يغتسل. بجواره يقف إنشفيلد كالرُّمحِ، متيبِّسًا ومنتصب القامة وفارع الطُّول... ولو أنه ليس طويلًا مثل دنك. *ستَّة أقدام وسبع بوصات، وفي كلِّ بوصةٍ كبرياء أكثر من سابقتها.* مع أنه يرتدي الحرير الأسود وقُماش الفضَّة، بدا السِير لوكَس باردًا كأنَّما يمشي فوق (الجِدار).

ناداه الحارس: «سيِّدي، هذا الشَّخص أتى من بُرج الدَّجاج ليَمثُل أمام حضرة الليْدي».

التفتَ السِّپتوٰن أوَّلًا مُطلقًا صيحة ابتهاج حادَّةً جعلَت دنك يتساءَل هل هو سكران. «وما هذا؟ فارسٌ جوَّال؟ عندكم في (المرعى) أماكن كبيرة للتَّجوال»، ثم رسمَ السِّپتوٰن علامة بركةٍ وقال: «عسى أن يُقاتِل **المُحارب** في صفِّك دومًا. أنا السِّپتوٰن سِفتوٰن. اسمٌ مؤسف، لكنه اسمي. وأنت؟».

- «السِير دنكن الطَّويل».

قال السِّپتوٰن للسِير لوكَس: «شخصٌ متواضع هذا. لو أني كبيرٌ مثله لسمَّيت نفسي السِير سِفتوٰن الهائل، السِير سِفتوٰن البُرج، السِير سِفتوٰن ذا السَّحاب حول أذنيْه». وجه الرَّجل البدريِّ محتقن، وعلى ثوبه بُقع نبيذ.

تفرَّس السِير لوكَس في دنك. رجلٌ أكبر سنًّا هو، في الأربعين على الأقل، ويجوز أنه يَبلُغ الخمسين، بارز الأوتار أكثر منه قويُّ العضلات، وقبيح الوجه إلى حدٍّ لافت، فشفتاه غليظتان،

وأسنانه شبكة من الصُّفرة، وأنفه عريضٌ لحيم، وعيناه جاحظتان. *وغاضب*. هكذا استشعرَ دنك من قبل أن يقول الرَّجل: «الفُرسان الجوَّالة متسوِّلون يحملون سيوفًا في أفضل الأحوال، وخارجون عن القانون في أسوئها. ارحل. لا نُريد أحدًا على شاكلتك ها هنا».

اربدَّ وجه دنك، وقال: «السِّير يوستس أوْزجري بعثَ بي من (ستاندفاست) لأتعامل مع سيِّدة القلعة».

ردَّد السِّپتوْن: «أوْزجري؟»، ونظرَ إلى الإنش الطَّويل قائلًا: «أوْزجري صاحب أسد المربَّعات؟ ظننتُ أنَّ آل أوْزجري انقرَضوا».

ـ «قُرابة هذا بما لا يُحدَث فرقًا. الشَّيخ آخِرهم. إننا نَترُكه يحتفظ بمنزلٍ مبرَّج متهدِّم يَبعُد بضعة فراسخ شرقًا»، وقال السِّير لوكَس عابسًا في وجه دنك: «إذا أرادَ السِّير يوستس الكلام مع حضرة الليْدي فليحضر بنفسه»، وضاقَت عيناه إذ أضافَ: «أنت الذي كان مع بِنس عند السَّد. لا تُحاوِل الإنكار. حريٌّ بي أن أشنقك».

جفَّف السِّپتوْن جبهته من العرق بكُمِّه قائلًا: «ليُنقِذنا **السَّبعة**. أهو قاطع طريق؟ وكبير أيضًا. سِير، تُب عن شرورك وسترحمك **الأُم**». أوهنَت ضرطةٌ التماس السِّپتوْن المبرور. «أوْه، ويلي. سامِحني على إطلاقي الرِّيح أيُّها السِّير. إنها نتيجة الفاصوليا وخُبز الشَّعير».

قال دنك لكليْهما بكلِّ ما استطاعَ استجماعه من كرامة: «لستُ قاطع طريق».

لـم يتأثَّـر الإنـش الطَّويـل بإنـكاره، وقـال: «لا تسـتغلَّ صبـري أيُّهـا السـيْر... لـو أنـك حقًّـا سـيْر. اجـرِ إلى بُـرج الدَّجـاج وقُـل للسـيْر يوسـتس أن يُسـلِّم السـيْر بِنِـس أبـا النَّتانـة البنِّيَّـة. إذا أغنانـا عـن متاعـب اقتلاعـه مـن (ستاندفاسـت) فقـد تميـل حضـرة الليْـدي أكثـر إلى التَّسـامُح».

- «سـأتحدَّثُ مع حضـرة الليْـدي عـن السـيْر بِنِـس والمتاعـب عنـد السَّـد، وعـن سـرقة مائنـا أيضًـا».

- «سـرقة؟ قُـل هـذا لسـيِّدتنا وستسـبح في جـوالٍ قبـل أن تَغـرُب الشَّـمس. أواثـقٌ أنـت بأنـك ترغـب في رؤيتهـا؟».

الـشَّيء الوحيـد الـذي يثـق بـه دنـك أنـه يُريـد أن يهـوي بقبضتـه عـلى أسـنان لوكَـس إنشـفيلد الصَّفـراء المعوجَّـة. «لقـد أخبرتـك بمـا أريـده».

حـثَّ السِّـپتوْن الفـارس: «أوْه، دعـه يتكلَّـم معهـا. مـا الضَّـرر في ذلـك؟ السـيْر دنكـن ركـبَ طريقًـا طـويلًا تحـت هـذه الشَّـمس الفظيعـة، فـدع الرَّجـل يقـول مـا لديـه».

عـادَ السيْر لوكَـس يتفـرَّس في دنـك، ثم قال: «سِـپتوْننا رجـلٌ ورِع. تعـالَ. سـأشكرك إذا تكلَّمـت بإيجـاز»، وقـطعَ السَّـاحة بخُطـواتٍ واسـعة، وأُجبـرَ دنـك عـلى الإسـراع في أعقابـه.

كانـت أبـواب سِـپت القلعـة قـد انفتحَـت والمتعبِّـدون يتدفَّقـون نازليـن السَّلالـم، وقـد ضمُّـوا فُرسـانًا ومُرافقيـن، ودسـتةً مـن الأطفال، وعـدَّة رجـالٍ مسـنِّين، وثلاث سِـپتوات في مسـوحٍ بيضـاء مقلنسـة... وسـيِّدةً لحيمـةً غضَّـةً رفيعـة الميـلاد، ترتـدي فُسـتانًا مـن الدِّمقـس

الأزرق الغامق الموشَّى بالمخرَّمات المايريَّة، طويلًا إلى حدِّ أنَّ حواشيه مجرورة في التُّراب. قدَّر دنك أنها في الأربعين. تحت شبكةٍ من الفضَّة المغزولة شعرها الأصحر مكوَّم عاليًا، لكن أشدَّ ما فيها حُمرةً وجهها.

لمَّا وقفا أمامها هي وسِپتواتها قال السِير لوكَس: «سيِّدتي، هذا الفارس الجوَّال يَزعُم أنَّ معه رسالةً من السِير يوستس أوْزجري. هل ستسمعينها؟».

أجابَت: «إذا أردت أيُّها السِير لوكَس»، وتمعَّنت في دنك بشدَّةٍ حتى إنه لم يسعه إلَّا أن يتذكَّر كلام إج عن الشَّعوذة. *لا أظنُّ أنها تغتسل بالدِّماء لتحفظ جمالها*. الأرملة ممتلئة مربَّعة، لها رأسٌ مدبَّب على نحوٍ غريب لا يُخفيه شعرها بالكامل، وأنفها كبير جدًّا وفمها صغير جدًّا. أراحَه أن يرى أنَّ لها عينيْن، لكن كلَّ فكرةٍ عن الكياسة هجرَت دنك قبل ذلك. «السِير يوستس أمرَني بالكلام معكِ بشأن المتاعب الأخيرة عند سدِّكِ».

حملقَت إليه قائلةً: «الـ... السَّد تقول؟».

بدأ جمهورٌ يتجمَّع حولهم، وشعرَ دنك بعيونٍ عُدوانيَّة تَرمُقه. «الجدول، (ماء المربَّعات). حضرتكِ بنيتِ سدًّا عبره...».

ردَّت: «أوْه، أنا واثقةٌ تمامًا بأني لم أفعل. إنني منشغلةٌ بعباداتي منذ أوَّل الصَّباح أيُّها السِير».

سمعَ دنك السِير لوكَس يُقهقِه، وقال: «لم أعنِ أن أقول إنَّ حضرتكِ بنيتِ السَّد بنفسكِ، بل فقط أنَّ... من غير الماء ستموت محاصيلنا كلُّها... العامَّة لديهم فاصوليا وشعير في

الحقـول، وشـمَّام...».

قالـت: «حقًّـا؟ إنـني مغرمـةٌ للغايـة بالشـمَّام»، ورسـمَ فمهـا الصَّغيـر قوسًـا سـعيدًا وهي تسـأله: «أيُّ نـوعٍ مـن الشـمَّام هـو؟».

ألـقى دنـك نظـرةً عابـرةً عـلى حلقـة الوجـوه، وشـعرَ بوجهـه هـو يَسـخُن. *شيء ما عـلى غيـر ما يُـرام هنـا. الإنـش الطَّويـل يُغفِلـني.* «ستِّي، أيُمكننـا أن نُواصِـل نقاشـنا في... مكانٍ أكثـر خصوصيَّـةً؟».

قـال أحدهـم مازحًـا: «أراهـنُ بقطعـةٍ فضِّيَّـة أنَّ الأخـرق الكبيـر يهـدف إلى مضاجعتهـا!»، ليرتـفع هديـرٌ ضاحـك مـن كلِّ جهـة. نكصَـت الليْـدي شـبه مذعـورة ورفعَـت كلتـا يديْهـا لتَسـتُر وجههـا، في حيـن تحرَّكـت إحـدى سِـپتواتها بسـرعةٍ لتقـف بجانبهـا وتُحيـط كتفيْهـا بـذراعٍ حاميـة.

ـ «ومـا كلُّ هـذا المـرح؟». شـقَّ الصَّـوت الضَّحـك بـاردًا حازمًـا. «ألـن يُطلِعـني أحـدٌ عـلى الدُّعابـة؟ أيُّهـا السـيْر الفـارس، لمـاذا تُـزعِج أخـتي الصِّهرة؟».

إنهـا الفتـاة الـتي رآهـا قبـل قليـلٍ عنـد أهـداف الرِّمايـة. عـلى إحـدى وركيْهـا جعبـة سـهام، وفي يدهـا قـوسٌ يُماثِلهـا طـولًا، أي إنـه ليـس طويلًا إلى تلـك الدَّرجـة. إذا كان دنـك يَنقُـص بوصـةً عـن الأقـدام السَّـبعة فالرَّاميـة تَنقُـص بوصـةً عـن خمسـة أقـدام، وبإمكانـه أن يُطـوِّق خصرهـا بكلتـا يديْـه. شـعرها الأحمـر مربـوطٌ في ضفيـرةٍ طويلـة تمتـدُّ حـتى تمـسُّ مـا تحـت فخذيْهـا، وفي ذقنهـا غمَّـازة، ولهـا أنـفٌ أفطـس، وعـلى خدَّيْهـا نُثـارة خفيفـة مـن النَّمـش.

ـ «سـامِحينا أيَّتهـا الليْـدي روْهـان». المتكلِّـم لوْرد شـابٌّ وسـيم،

على دبليَّته تطريزٌ لقنطور عائلة كازول. «الأخرق الكبير حسبَ الليْدي هليسنت أنتِ».

نظرَ دنك من ليْدي إلى أخرى، وسمعَ نفسه يقول باندفاع: «أنتِ الأرملة الحمراء؟! لكنكِ...».

ـ «صغيرة السِّن؟». ألقَت الفتاة بالقوس الطَّويل إلى الفتى النَّحيف الذي رآه دنك يُطلِق السِّهام معها، وتابعَت: «إنني في الخامسة والعشرين في واقع الأمر. أم إنك قصدت أن تقول صغيرة الحجم؟».

ـ «... حسناء، قصدتُ حسناء». لم يدرِ من أين أتَت الكلمة، وإن سرَّه أنها أتَت. يُعجِبه أنفها، ولون شعرها ذو شُقرة الفراولة، والثَّديان الصَّغيران ولكن مكسَّمان تحت جركينتها الجلديَّة. «ظننتكِ ستكونين... أعني... قالوا إنكِ ترمَّلتِ أربع مرَّات، فـ...».

ـ «زوجي الأوَّل ماتَ وأنا في العاشرة. كان في الثَّانية عشرة، مُرافق أبي، وقد ديسَ في (حقل العُشب الأحمر). نادرًا ما يعيش أزواجي طويلًا للأسف. الأخير ماتَ في الرَّبيع».

هكذا يقولون دومًا عمَّن قضوا نحبهم خلال الوباء الرَّبيعي العظيم قبل سنتيْن: *ماتَ في الرَّبيع*. عشرات الألوف ماتوا في الرَّبيع، منهم ملكٌ عجوز حكيم وأميران شابَّان واعدان للغاية. «إنني... إنني آسفٌ لخسائركِ يا ستِّي». ***مجاملة أيُّها الأنوَك، وجِّه إليها مجاملةً***. «أريدُ أن أقول... فُستانكِ...».

ردَّدت: «فُستاني؟»، ونظرَت إلى حذائها وبنطالها وغلالتها

الكتَّان الفضفاضة وجركينتها الجلد قائلةً: «لستُ أرتدي فُستانًا».

- «قصدتُ شعركِ... إنه ناعم و...».

- «وما أدراك أيُّها السيِر؟ لو لمست شعري من قبل فأظنُّني كنتُ سأتذكَّرُ».

قال دنك ببؤس: «ليس ناعمًا. قصدتُ أن أقول إنه أحمر. شعركِ أحمر جدًّا».

ردَّت: «أحمر جدًّا؟ أوْه، آملُ أنه ليس باحمرار وجهك»، وضحكت ليضحك معها المتفرِّجون.

جميعهم باستثناء السيِر لوكَس الإنش الطَّويل، الذي تدخَّل بقوله: «سيِّدتي، هذا الرَّجل أحد مرتزِقة (ستاندفاست). لقد رافقَ بِنس صاحب التُّرس البنِّي عندما هاجمَ حفَّاريكِ عند السَّد وشقَّ وجه وِلمر. العجوز أوْزجري أرسلَه ليتعامَل معكِ».

- «صحيحٌ يا ستِّي. اسمي السيِر دنكن الطَّويل».

- «السيِر دنكن البليد بالأحرى». قالها فارسٌ ملتح يرتدي صاعقة عائلة لِايجود الثُّلاثيَّة، ليرتفع مزيدٌ من الكركرة، وحتى الليْدي هليسنت تعافَت بما يكفي لأن تُقهقِه.

- «هل ماتَت لياقة (الخندق البارد) مع أبي؟». ألقَت الفتاة السُّؤال، وفكَّر دنك: *لا، ليست فتاةً، بل امرأة بالغة.* «تُرى كيف ارتكبَ السيِر دنكن غلطةً كهذه؟».

رشقَ دنك إنشفيلد بنظرةٍ شرِّيرة، وقال: «الغلطة غلطتي».

- «حقًّا؟». تطلَّعت الأرملة الحمراء إلى دنك من قدميْه إلى

رأسه، وإن ثبتَت نظرتها أطول وقتٍ على صدره. «شجرة وشهاب. لم أرَ ذلك الشِّعار من قبل». مسَّت غلالته متحسِّسةً فرعًا من دردارته بإصبعيْن، وقالت: «ومرسومٌ لا مخيط. الدوْرنيُّون يرسمون على حرايرهم حسبما سمعتُ، لكنك تبدو أكبر من أن تكون دوْرنيًّا».

ـ «ليس كلُّ الدوْرنيِّين صغار الحجم يا ستِّي». شعرَ دنك بإصبعيْها عبر الحرير. يدها أيضًا منمَّشة. *أراهنُ أن جسدها كلَّه منمَّش*. أحسَّ بفمه جافًّا على نحوٍ غريب. «لقد قضيتُ سنةً في (دوْرن)».

سألَته وإصبعاها تتحسَّسان فرعًا من الشَّجرة حول قلبه: «أينمو السِّنديان كلُّه إلى هذا الطُّول هناك؟».

ـ «المفترَض أنها دردارةٌ يا ستِّي».

قالت: «سأتذكَّرُ»، وسحبَت يدها برزانةٍ مستطردةً: «حرُّ السَّاحة وغُبارها لا يسمحان بالحوار. أيُّها السِّپتوْن، اصحب السِّير دنكن إلى غُرفة اللِّقاءات».

ـ «من دواعي سروري العظيم يا أختي الصِّهرة».

ـ «لا بُدَّ أنَّ ضيفنا عطشان. لك أن تُرسِل في طلب إبريقٍ من النَّبيذ أيضًا».

أشرقَ وجه الرَّجل البدين، وقال: «أواجبٌ هذا؟ حسن، كما تأمرين».

قالت: «سأنضمُّ إليك حالما أبدِّلُ ثيابي»، وحلَّت حزامها وجعبتها وناولَتهما لرفيقها مضيفةً: «سأريدُ الميْستر كِرك أيضًا.



سِير لوكَس، اذهب واطلُب منه أن يَحضُرني».

قال لوكَس الإنش الطَّويل: «سأجلبه على الفور يا سيِّدتي».

النَّظرة التي حدجَت بها أمين قلعتها كانت باردةً إذ قالت: «لا داعي. أعرفُ أنَّ عندك واجباتٍ عدَّةً في أنحاء القلعة. يكفي أن تُرسِل المِيْستر كِرك إلى مسكني».

ناداها دنك: «ستِّي، لقد جعلوا مُرافقي ينتظر عند البوَّابة. أيُمكن أن ينضمَّ إلينا أيضًا؟».

ـ «مُرافقك؟». حينما تبتسم تبدو كبنتٍ في الخامسة عشر لا امرأة في الخامسة والعشرين. *بنت حسناء مفعمة بالعبث والضَّحك*. «إذا شئت فبالتَّأكيد».



***

- «لا تشرب النَّبيذ أيُّها السيْر». قالها له إج همسًا وهما منتظران مع السِّپتوْن في غُرفة لقاءات الليْدي، حيث تُغطِّي الأرض الحجريَّة حصائرُ عاطرة، وتُعلَّق على الجُدران طنافس تُصوِّر مشاهد مبارياتٍ ومعارك.

نخرَ دنك بسخرية، وردَّ هامسًا: «لا حاجة بها إلى تسميمي. إنها تحسبني جلفًا كبيرًا بين أذنيْه ثريد بازلَّاء بدلًا من المُخ».



- «يتصادَف أنَّ أختي الصِّهرة يطيب لها ثريد البازلَّاء». قالها السِّپتوْن سِفتوْن إذ عاودَ الظُّهور بإبريق نبيذٍ وإبريق ماءٍ وثلاثة أكواب. «نعم، نعم، لقد سمعتُ. إنني بدين لا أطرش». ملأ السِّپتوْن كوبيْن بالنَّبيذ وواحدًا بالماء، وأعطى الثَّالث لإج الذي رمقَ الكوب بنظرةٍ مستريبة طويلة ووضعَه جانبًا. لم يلحظ السِّپتوْن وهو يُخبِر دنك: «إنه نبيذٌ معتَّق من (الكرمة). ممتازٌ حقًّا، والسُّم يُضيف إليه حرافةً مميَّزةً»، وغمزَ لإج مضيفًا: «نادرًا ما أقربُ العنب عن نفسي، ولكن هكذا سمعتُ»، وناولَ دنك كوبًا.

النَّبيذ سائغٌ وحُلو، إلَّا أنَّ دنك رشفَ منه بحذر، وفقط بعدما عبَّ السِّپتوْن نصف كوبه على ثلاث جرعاتٍ كبيرة متلمِّظًا، أمَّا

إج فربَّع ذراعيْه على صدره وظلَّ يتجاهَل ماءه.

قال السِّپتِوْن: «يطيب لها ثريد البازلّاء، وأنت أيضًا أيُّها السيْر. إنني أعرفُ أختي الصِّهرة. حين رأيتك في السَّاحة أملتُ نوعًا أنك خاطبٌ جاءَ من (كينجز لاندنج) ليَطلُب يد سيِّدتي».

عقدَ دنك حاجبيْه، وسأله: «كيف عرفت أني من (كينجز لاندنج) أيُّها السِّپتوْن؟».

ـ «لأهل (كينجز لاندنج) طريقةٌ معيَّنة في الكلام». جرعَ السِّپتوْن من النَّبيذ ودوَّره في فمه، ثم ابتلعَ متنهِّدًا باستمتاع، وقال: «لقد خدمتُ هناك سنينَ عدَّةً، في حضرة سِپتوْننا الأعلى بـ(سِپت بيْلوْر الكبير)»، وتنهَّد مواصلًا: «لن تتعرَّف على المدينة بعد الرَّبيع. الحرائق غيَّرتها. رُبع المنازل راحَ، ورُبع آخَر خاوٍ. الجرذان اختفَت أيضًا. هذا أغرب ما في الأمر. لم يَخطُر ببالي قَطُّ أني سأرى مدينةً بلا جرذان».

دنك أيضًا سمعَ هذا. «أكنت هناك خلال الوباء الرَّبيعي العظيم؟».

ـ «أوْه، بالتَّأكيد. وقتٌ مريع أيُّها السيْر، مريع. رجالٌ أقوياء يستيقظون بكامل صحَّتهم عند مطلع الفجر ويحلُّ عليهم المساء موتى. كثيرون جدًّا ماتوا سريعًا جدًّا حتى إنَّ الوقت لم يُتح أن يُدفَنوا. بدلًا من ذلك كوَّموهم في (جُب التَّنانين)، ولمَّا صارَ عُمق الجُثث عشرة أقدام أمرَ اللوْرد ريفرز كهنة النَّار بإحراقها. سطعَ ضوء النِّيران من النَّوافذ كما حدثَ في الأيَّام الغابرة والتَّنانين الحيَّة بعدُ معشِّشة تحت القُبَّة. ليلًا أمكنَ المرء أن يرى الوهج في جميع أنحاء المدينة، وهج النَّار الشَّعواء الأخضر

الدَّاكن. ما زالَ اللَّون الأخضر لا يُفارِق عقلي حتى اليوم. يقولون إنَّ الرَّبيع كان سيِّئًا في (لانسپۏرت) وأسوأ في (البلدة القديمة)، أمَّا في (كينجز لاندنج) فأودى بأربعةٍ من كلِّ عشرة. لا الصَّغير ولا الكبير جُنِّبَ المرض، ولا الغني ولا الفقير، ولا العظيم ولا الوضيع. سِپتۏننا الأعلى الكريم راحَ في الوباء، صوت الآلهة أنفُسها على الأرض، ومعه ثُلث مجلس القانتين وجميع أخواتنا الصَّامتات تقريبًا. صاحب الجلالة الملك ديرۏن، العذب ماتارِس والجريء ڤالر، اليد... أوه، كان وقتًا مريعًا. بحلول النِّهاية كان نصف المدينة يتوجَّه بالصَّلاة إلى **الغريب**». أخذَ السِّپتۏن شربةً أخرى، ثم سألَ: «وأين كنت أنت أيُّها السِير؟».

أجابَ دنك: «في (دۏرن)».

- «الشُّكر **للأم** على رحمتها إذًا». لم يصل الوباء الرَّبيعي العظيم إلى (دۏرن) إطلاقًا، ربَّما لأن الدۏرنيِّين أغلَقوا حدودهم وموانيهم مثلما فعلَ آل آرن سادة (الوادي) الذين تجنَّبوا المرض أيضًا. «كلُّ هذا الكلام عن الموت كفيلٌ بتنفير المرء من النَّبيذ، لكن البهجة عزيزة المنال في الأوقات التي نحياها. الجفاف مستمرٌّ على الرغم من صلواتنا. (غابة الملوك) عُلبة صوفان ضخمة، والحرائق مضطرمة هناك ليل نهار. الفولاذ الأليم وأبناء ديمۏن بلاكفاير يُدبِّرون المؤامرات في (تايرۏش)، وكَراكِن داجۏن جرايچۏي يجوبون (بحر الغروب) كالذِّئاب، متوغِّلين جنوبًا حتى (الكَرمة) في غاراتهم. يُقال إنهم نهبوا نصف ثروة (الجزيرة القصيَّة)، ومئة امرأةٍ أيضًا. اللۏرد فارمان يُرمِّم دفاعاته، ولو أنَّ ذلك يبدو لي شبيهًا بالرَّجل الذي يُكبِّل ابنته الحُبلى بحزام عفَّة في حين أنَّ بطنها كبيرٌ كبطني. اللۏرد براكن يُحتضَر ببُطء على

ضفاف (الثَّالوث)، وابنه الأكبر قضى في الرَّبيع. معنى ذلك حتميَّة أن يخلفه السِيْر أوْثو. آل بلاكوود لن يهضموا أن يُجاوِرهم غاشم براكن أبدًا. سيعني ذلك الحرب».

يعرف دنك بالعداوة العتيقة بين عائلتَي بلاكوود وبراكن. «ألن يفرض عليهم سيِّدهم الأعلى السَّلام؟».



قال السِّپتون سِفتون:

«للأسف، اللوْرد تَلي غُلام

في العاشرة مُحاط بالنِّساء.

(ريفَرَّن) ستفعل قليلًا، والملك إيْرس

سيفعل أقلَّ. ما لم يَكتُب ميْستر ما كتابًا عنها فقد تفوت المسألة كلُّها ملاحظته الملكيَّة. ليس واردًا أن يسمح اللوْرد ريفرز لأيِّ براكن بالدُّخول لرؤيته. أرجو أن تتذكَّر أنَّ يدنا وُلِدَ نصف

بلاكـوود. إذا تصـرَّف عـلى الإطلاق فلـن يَحـدُث ذلـك إلَّا لمعاونـة أولاد خؤولتـه عـلى تضييـق الخنـاق عـلى الغاشـم. **الأُم** وضعَـت عـلى اللـوْرد ريڤـرز علامـةً يـوم مولـده، والفـولاذ الأليـم وضعَ عليـه علامـةً أخـرى في (حقـل العُشـب الأحمـر)».

يعـرف دنـك أنـه يقصـد غُـداف الـدَّم. برينـدن ريڤـرز اسـم يـد الملـك الحقيـقيُّ، الـذي كانـت أمُّـه مـن آل بلاكـوود وأبـوه الملـك إيْـجوْن الرَّابـع.

شـربَ الرَّجـل البديـن نبيـذه واسـتمرَّ في الثَّرثـرة: «أمَّـا إيْـرس فجلالتـه يُبـالي أكثـر بالمخطوطـات القديمـة والنُّبـوءات المغبَّـرة ممَّـا يُبـالي باللـوْردات والقوانيـن. إنـه يأبـى مجـرَّد أن يُحـرِّك لنفسـه ليُنجِـب وريثًـا. الملكـة إيْلِنـوْر تُصـلِّي يوميًّـا في (السِّـپت الكبيـر)، تتضـرَّع إلى **الأُم في الأعـالي** لتُبارِكهـا بطفـل، لكنهـا باقيـةٌ عـذراء. لإيْـرس مسكنـه الخـاص، ويُقـال إنـه يُؤثِـر أن يأخـذ إلى الفِـراش كتابًـا عـلى أيِّ امـرأة»، وملأ كوبـه ثانيـةً متابعًـا: «ثِـق بـأن اللـوْرد ريڤـرز هـو الـذَي يَحكُمنـا بتعاويـذه وجواسيسـه. لا يُوجَـد مَـن يُعارِضـه. الأميـر ميْكار يقبـع واجمًـا في (بهـو الصَّيـف)، مسـتغرقًا في التَّفكيـر في ضيـم أخيـه الملـوكي. الأميـر ريْجـل خنـوع بقـدر مـا هـو مجنـون، وأطفالـه... أطفـال. أصدقـاء اللـوْرد ريڤـرز ومفضَّلـوه يشـغلون كلَّ وظيفـة، ولوْردات المجلـس الصَّغيـر يلعقـون يـده، وهـذا الميْسـتر الأكبـر الجديـد منغمـس مثلـه في الشَّـعوذة. (القلعـة الحمـراء) حاميتهـا مـن أسـنان الغُـداف، ولا أحـد يـرى الملـك دون إذنـه».

اعتـدلَ دنـك باضطـرابٍ في جلسـته. *كـم عينًـا للـوْرد غُـداف الـدَّم؟ ألـف عيـنٍ وعيـن.* أمـلَ أنَّ يـد الملـك لا يملـك ألـف أذنٍ

وأذن أيضًا، فلبعض ما قاله السِّپتۏن سِفتۏن وقع الخيانة. ألقى بنظرةٍ عابرة على إج ليرى كيف يستقبل كلَّ هذا، ورأى الغُلام يُكافِح بكامل قوَّته ليُمسِك لسانه.

دفعَ السِّپتۏن نفسه إلى النُّهوض قائلًا: «أختي الصِّهرة ستتأخَّر قليلًا. مثل كلِّ الليْديهات العظيمات، ستجد أنَّ أوَّل عشرة فساتين تُجرِّبها لا تُوائم مزاجها. مزيدٌ من النَّبيذ؟»، ودون أن ينتظر جوابًا أعادَ ملء كلا الكوبيْن.

قال دنك تائقًا إلى الكلام في موضوعٍ آخَر: «الليْدي التي خاطبتها بالخطأ، أهي أختك؟».

أجابَ السِّپتۏن: «إننا جميعًا أطفال **السَّبعة** أيُّها السيْر، ولكن بعيدًا عن ذلك... ويحي، لا! الليْدي هليسنت أخت السيْر رۏلاند أوفرنج، زوج الليْدي رۏهان الرَّابع الذي ماتَ في الرَّبيع. أخي كان سلفه، السيْر سيمۏن ستاونتن الذي مُنِيَ بسوء حظٍّ عظيم واختنقَ بعظمة دجاجة. (الخندق البارد) تعجُّ بالأشباح، ولا بُدَّ من قول هذا. الأزواج يموتون، لكن أقرباءهم باقون ليشربوا خمور سيِّدتي ويأكلوا حلوياتها كوبالٍ من الجراد الوردي السَّمين المخلوق من الحرير والمخمل»، ومسحَ فمه مضيفًا: «وعلى الرغم من ذلك يجب أن تتزوَّج ثانيةً، وقريبًا».

ردَّد دنك: «يجب؟».

ـ «وصيَّة السيِّد والدها تتطلَّب هذا. اللۏرد وايمان أرادَ أحفادًا يُحافِظون على نسله. عندما مرضَ حاولَ تزويجها بالإنش الطَّويل ليموت عالمًا أنَّ معها رجلًا قويًّا يحميها، لكن رۏهان رفضَته. هكذا انتقمَ حضرة اللۏرد في وصيَّته. إذا ظلَّت عزباء حتى ذكرى

وفـاة أبيهـا الثَّانيـة فسـتؤول (الخنـدق البـارد) وأراضيهـا إلى ابـن عمومتـه وِنـدل. ربَّمـا لمحتـه في السَّـاحة. رجـلٌ قصيـر في عُنقـه دُراق، مـن عادتـه المسـتمرَّة إطلاق الرِّيـح، ولـو أنهـا حقـارةٌ مـني أن أقـول هـذا، فأنـا عـن نفسـي ملعـونٌ بريـح مفرطـة. أيًّـا كان. السـيْر وِنـدل طمَّـاع وغبـي، لكـن السـيِّدة زوجتُـه أخـت الـلوْرد رُوان... وخصيبـة إلى درجـةٍ فظيعـة، لا يُمكـن إنـكار ذلـك. إنهـا تلـد بقـدر مـا يضـرط. أبناؤهمـا يُماثلونـه سـوءًا، وبناتهمـا أسـوأ، وكلُّهـم بـدأ يعـدُّ الأيَّـام. الـلوْرد رُوان أَقـرَّ الوصيَّـة، أي إنَّ لـدى حضـرة الليْـدي وقتًـا حـتى القمـر الجديـد المقبـل فقـط».

تسـاءلَ دنـك بصـوتٍ عـالٍ: «لمـاذا طـالَ انتظارهـا هـذا الوقـت كلَّه؟».

هـزَّ السِّـپتوْن كتفيْـه، وقـال: «الحـقُّ يُقـال إنَّ في الخُطَّـاب شُـحًّا. أختـي الصِّهـرة ليسـت دميـة المُحيَّـا كمـا لاحظـت، والقلعـة القويَّـة والأراضي الفسـيحة تُضيـف إلى مفاتنهـا. كنـت لتحسـب أنَّ الأبنـاء الأصغـر والفُرسـان عديـمي الأراضي سيحتشـدون حولهـا كالذُّبـاب، وكنـت لتُخطـئ. الأزواج المـوتى الأربعـة جعلوهـم حذريـن، ويُوجَـد مَـن سـيقولون إنهـا عاقـرٌ أيضًـا... ولكـن ليـس عـلى مسـمعٍ منهـا أبـدًا مـا لـم يكونـوا مشـتاقين إلى رؤيـة قفـص غِربـان مـن الدَّاخـل. لقـد حملَـت طفليْـن حـتى الوضـع، ولـدًا وبنتًـا، غيـر أنَّ أحدهمـا لـم يعِـش ليشـهد يـوم مـيلاد. القلائـل الذيـن لا يُنفِّرهـم الكلام عـن التَّسـميم والشَّـعوذة لا يُريـدون التَّعامُـل مع الإنـش الطَّويـل. الـلوْرد وايمـان كلَّفـه عـلى فِـراش المـوت بحمايـة ابنتـه مـن الخُطَّـاب غيـر اللَّائقين، وهـو مـا عـدَّه الإنـش الطَّويـل جميـع الخُطَّـاب. عـلى أيِّ رجـلٍ يُريـد أن يحـظى بيدهـا أن يُواجِـه سيفه أوَّلًا». أنـهى السِّـپتوْن نبيـذه ووضـعَ

الكـوب جانبًـا قـائلًا: «لا يعـني ذلـك أنَّ أحـدًا لـم يتقـدَّم. كليْتـن كازوِل وسـيمؤن لِايجـود أشـدُّهم إصـرارًا، مع أنهمـا يبـدوان أكثـر اهتمامًـا بأراضيهـا مـن شـخصها. لـو أني أنـزعُ إلى الرِّهـان لراهنـت بذهبـي عـلى چيْرؤلـد لانسـتر. مـا زالَ لـم يظهـر بنفسـه بعـدُ، لكنهـم يقولـون إنـه ذهبـيُّ الشَّـعر وسـريع البديهـة، ويَبلُـغ أكثـر مـن سـتَّة أقـدامٍ طـولًا...».

ـ «... والليْـدي وِيَـر مفتونـةٌ برسـائله». وقفَـت الليْـدي المعنيَّـة في المدخـل بجـوار ميْسـتر شـاب قبيـح لـه أنـفٌ ضخـم معقـوف. «لخسـرت رهانـك يـا أخي الصِّهـر. چيْرؤلـد لـن يتخلَّى طواعيـةً أبـدًا عـن مسـرَّات (لانسـپؤرت) وأبَّهـة (كاسـترلي رُك) في سـبيل لؤرديَّـة صغيـرة. إنَّ نفـوذه بصفتـه شـقيق الـلؤرد تايبؤلـت ومستشـاره أشـدُّ ممَّـا يُمكـن أن يأمـل وهـو زوجي. والآخَـرون، عـلى السـيْر سـيمؤن أن يبيـع نصـف أرضي ليُسـدِّد دينـه، والسـيْر كليْتـن يرتعـش كورقـة شـجرٍ مـتى تعطَّـف الإنـش الطَّويـل ونظـرَ في اتِّجاهـه. ثـم إنـه أجمـل مـني. وأنـت أيُّهـا السِّـپتؤن صاحـب أكبـر فـمٍ في (وسـترؤس)».

دونمـا ذرَّة خجـلٍ قـال السِّـپتؤن سِـفتؤن: «البطـن الكبيـر يتطلَّـب فمًّـا كبيـرًا وإلَّا فسـرعان مـا سـيَصغُر».

سـألَها إج مندهشًـا: «أأنـتِ الأرملـة الحمـراء حقًّـا؟ إنـني أناهـزكِ طـولًا!».

ـ «صبـيٌّ آخَـر أبـدى الملاحظـة نفسـها قبـل أقـل مـن نصـف عـام، فأرسـلته إلى المِخلعـة لتجعلـه أطـول». حيـن اسـتوَت الليْـدي رؤهـان عـلى المقعـد العـالي فـوق المنصَّـة، سـحبَت مـن فـوق كتفهـا ضفيرتهـا الطَّويلـة إلى حـدِّ أنَّ طرفهـا اسـتقرَّ في حجرهـا ملتفًّـا كهـرَّةٍ نائمـة.

«سِير دنكن، لم ينبغ أن أعابثك في السَّاحة وأنت تحاول بجهدٍ أن تتكلَّم بدماثة. المشكلة أنَّ وجهك تورَّد بحُمرةٍ شديدة... ألم تُوجَد فتاةٌ تُعابِثك في القرية التي نمَوت فيها إلى هذا الطُّول؟».

ـ «القرية هي (كينجز لاندنج)». لم يَذكُر (سفح البراغيث). «كانت فيها فتيات، ولكن...». نوع المعابثة الشَّائع في (سفح البراغيث) يتضمَّن أحيانًا بتر إصبعٍ من القدم.

ملَّست الليْدي رؤهان على ضفيرتها قائلةً: «أتوقَّع أنهن خشين معابثتك. لا شكَّ أنَّ حجمك أرهبَهن. لا تُسئ الظَّن بالليْدي هليسنت، أناشدك. أختي الصِّهرة مخلوقةٌ بسيطة، لكنها خاليةٌ من الأذيَّة. على الرغم من ورعها لا تستطيع إلباس نفسها دون سِپتواتها».

ـ «إنها لم تفعل شيئًا. الغلطة غلطتي».

ـ «تكذب بمنتهى الشَّهامة. أعرفُ أنه السِير لوكَس. إنه رجلٌ قاسي المزاح، وأنت أسأت إليه بمجرَّد النَّظر».



قال دنك حائرًا:

«كيف؟ أنا لم أوذِه قَطُّ». ابتسمَت ابتسامةً جعلَته يتمنَّى لو أنها أقل جمالًا، وقالت: «لقد رأيتك واقفًا معه. إنك تفوقه طولًا بمقدار يدٍ أو نحوها. مرَّ وقتٌ طويل منذ قابلَ السِير لوكس أحدًا لا يُمكنه أن يَنظُر إليه من أعلى. كم سنُّك أيُّها السِير؟».



ـ «قُرابة العشرين، بعد إذن ستّي». راقَ دنك رنين كلمة «عشرين»، مع أنه أصغر غالبًا بعام، وربَّما باثنيْن. لا أحد يعلم يقينًا، بالذَّات هو. لا بُدَّ أنه وُلِدَ لأمّ وأبٍ ككلِّ أحدٍ آخَر، إلَّا أنه لم يعرفهما مطلقًا، ولا عرفَ اسميْهما حتى، ولا أحدٌ في (سفح البراغيث) همَّه كثيرًا متى وُلِدَ أو لمَن.

ـ «أأنت قويٌّ كما تبدو؟».



ـ «إلى أيِّ حدٍّ أبدو قويًّا يا ستِّي؟».

ـ «أوْه، إلى حدِّ مضايقة السيْر لوكَس. إنه أمين قلعتي، ولكن ليس باختياري. مثل (الخندق البارد)، هو إرثٌ من أبي. هل نلت الفروسيَّة في ميدان معركةٍ أيُّها السيْر دنكن؟ كلامك يُوحي بأنك لست وليد دماءٍ نبيلة، إذا سامحتني على قولي هذا».

ـ *إنني وليد دماء الحواري.* «فارسٌ جوَّال اسمه السيْر آرلان

ابن (شجرة البنسات) أخذَني لأعمل عنده مُرافقًا وأنا بعدُ صبيٌّ صغير. لقد علَّمني الشَّهامة وفنون الحرب».

- «وهذا السِّر آرلان ذاته هو الذي أسبغَ عليك الفروسيَّة؟».

جرجرَ دنك قدميْه، فرأى رباط إحدى فردتَي حذائه شبه محلول. «لم يكن أحدٌ آخَر سيفعلها».

- «أين السِّر آرلان الآن؟».

- «ماتَ». رفعَ دنك عينيْه. يُمكنه أن يربط حذاءه فيما بعدُ. «دفنته على جنب تلٍّ».

- «هل سقطَ بجسارةٍ في معركة؟».

- «بسبب أمطار. أصابَه برد».

- «المسنُّون واهنون، أعرفُ. تعلَّمتُ هذا من زوجي الثَّاني. كنتُ في الثَّالثة عشرة حين تزوَّجنا. كان سيَبلُغ الخامسة والخمسين في يوم ميلاده التَّالي لو عاشَ ليشهده. بعدما قضى نصف عام تحت الأرض أنجبتُ له ابنًا صغيرًا، لكن **الغريب** أتاه أيضًا. السِّپتونات قالوا إنَّ أباه أرادَه إلى جواره. ما رأيك أيُّها السِّر؟».

أجابَ دنك بتردُّد: «جائز يا ستِّي».

قالت: «هُراء. الصَّبي وُلِدَ في غاية الضَّعف. شيء ضئيل جدًّا. بالكاد تمتَّع بالقوَّةٍ ليرضع. ولو. الآلهة أعطَت أباه خمسًا وخمسين سنةً. لربَّما حسبتها ستمنح الابن أكثر من ثلاثة أيَّام».

- «لربَّما». يعرف دنك قليلًا فأقل عن الآلهة. أحيانًا يذهب إلى السِّپت ويدعو **المُحارب** أن يهب لذراعيْه القوَّة، لكنه يدع

السَّبعة وشأنهم فيما عدا ذلك.

قالت: «يُؤسِفني أنَّ سيِّدك السِّير آرلان ماتَ، ويُؤسِفني أكثر أنك دخلت الخدمة عند السِّير يوستس. ليس كلُّ المسنِّين سواءً أيُّها السِّير دنكن. خيرٌ لك أن ترجع إلى دارك في (شجرة البنسات)».

- «ليس لي دار إلَّا حيث أتعهَّدُ بسيفي». لم يرَ دنك (شجرة البنسات) قَط، بل ويجهل هل هي في (المرعى).

- «تعهَّد به هنا إذًا. إننا في أوقاتٍ قلقة، وأنا محتاجةٌ إلى فُرسان. يبدو أنَّ لك شهيَّةً مفتوحةً أيُّها السِّير دنكن. كم دجاجةً يُمكنك أن تأكل؟ في (الخندق البارد) لك كلُّ ما يُشبعك من اللَّحم الوردي الدَّافئ وكعك الفواكه الحُلو. مُرافقك أيضًا يبدو في حاجةٍ إلى تغذية. إنه مهزول إلى درجة أنَّ شعره كلَّه سقطَ. سنجعله يُشارِك صِبيةً آخَرين في سنِّه حُجيرةً، سيُعجبه ذلك. يستطيع قيِّم سلاحي أن يُدرِّبه على فنون الحرب جميعًا».

ردَّ دنك بلهجةٍ دفاعيَّة: «أنا أدرِّبه».

- «ومَن أيضًا؟ بِنِس؟ العجوز أوزجري؟ الدَّجاج؟».

في بعض الأيَّام يأمر دنكٍ إج بمطاردة الدَّجاج. *لأن هذا يُساعِد على جعله أسرع.* هكذا فكر، وإن علمَ أنها ستضحك إذا أخبرَها. إنها تُشتِّته بأنفها الأفطس ونمشها، واضطرَّ إلى تذكير نفسه بسبب بعث السِّير يوستس به إلى هنا «سيفي معهود لسيِّدي أوزجري يا ستِّي، وهكذا الأمر».

- «ليكن أيُّها السِّير. لنتكلَّم في أمورٍ أقل لُطفًا»، وشدَّت

الليْـدي روْهـان ضفيرتهـا قائلـةً: «نحـن لا نسـمح بالهجـوم عـلى (الخنـدق البـارد) وأهلهـا، فأخبِـرني إذًا لِـمَ لا يَجـدُر بـي أن أخيِّـط عليـك جـوالًا».

ذكَّرهـا: «لقـد جئـتُ لأتفـاوض، كمـا أنـني شـربتُ نبيـذكِ». مـا زالَ المـذاق في فمـه، مـذاقٌ غـنيٌّ وحُلـو. حـتى الآن لـم يُسـمِّمه النَّبيـذ، ولعـلَّ النَّبيـذ هـو مـا مـدَّه بالجـرأة. «وليـس لديـكِ جـوالٌ يسـعني».

أراحَـه أنَّ دُعابـة إج دفعَتهـا إلى الابتسـام. «لكـن عنـدي أجولـةً عـدَّةً تـسع بِنـس. الميْسـتر كِـرِك يقـول إنَّ وجـه وِوْلمـر شُـقَّ حـتى العظـم تقريبًـا».

ـ «السـيْر بِنـس انفعـلَ عـلى الرَّجـل يـا سـتِّي. السـيْر يوسـتس أرسـلَني إلى هنـا لأدفع كفَّـارة الـدَّم».

ضحكَـت قائلـةً: «كفَّـارة الـدَّم؟ إنـه عجـوز، أعـرفُ، لكـني لـم أدرك أنـه طاعـن في السِّـن إلى ذلـك الحـدِّ. أيحسـب أننـا نحيـا في عصـر الأبطـال، لمَّـا لـم يُحسَـب أنَّ نفـس الإنسـان تسـوى أكثـر مـن جـوالٍ مـن الفضَّـة؟».

ذكَّرهـا دنـك: «الحفَّـار لـم يُقتَـل يـا سـتِّي. لـم يُقتَـل أحـد حسـبما رأيـتُ. وجهـه جُـرِحَ ليـس إلَّا».

تراقصَـت أصابعهـا بتـراخ عـلى ضفيرتهـا، وسـألَته: «كـم يحسـب السـيْر يوسـتس أنَّ وجنـة وِوْلمـر تسـوى يـا تُـرى؟».

ـ «أيَّلا فضِّيًا واحدًا، وثلاثة لكِ يا ستِّي».

ـ «السـيْر يوسـتس يُثمِّـن شـرفي كمـا البُخـلاء، ولـو أنَّ ثلاثـة أيائل

فضِّيَّة أفضل من ثلاث دجاجات، أقرُّ بهذا. أفضلُ له أن يُسلِّم إليَّ بِنس لكي يُؤدَّب».

ـ «هل سيتضمَّن ذلك الجوال الذي ذكرتِه؟».

قالت: «محتمَل»، ولفَّت ضفيرتها حول يدها مردفةً: «فليحتفظ أوزجري بفضَّته. الدَّم وحده ثمن الدَّم».

ـ «طيِّب، قد يصحُّ ما تقولينه يا ستِّي، ولكن لِمَ لا تستدعين ذلك الرَّجل الذي جرحَه بِنس وتسألينه هل يُفضِّل أيَّلًا فضِّيًّا أم بِنس في جوال؟».



ـ «أوه، سيختار الفضَّة إذا لم يُمكنه أن ينال هذا وذاك. لا أشكُّ في ذلك أيُّها السِّير. الخيار ليس له. المسألة الآن مسألة الأسد والعنكب، لا وجنة فلَّاحٍ ما. بِنس مَن أريدُ، وعلى بِنس سأحصلُ. لا أحد يطأ أراضيَّ ويُؤذي واحدًا من قومي ويَهرُب ضاحكًا لما فعلَه».

ـ «حضرة الليدي وطأت أرض (ستاندفاست) وآذَت واحدًا من قوم السِّير يوستس». قالها دنك قبل أن يتوقَّف ليُفكِّر في قوله.

ـ «حقًّا؟». مجدِّدًا شدَّت ضفيرتها، وقالت: «لو أنك تعني

سارق الخراف فالرَّجل كان سيِّئ السُّمعة. لقد شكوتُ إلى أوْزجري مرَّتيْن ولم يفعل شيئًا. أنا لا أطلبُ شيئًا ثلاثًا. قانون الملك يمنحني سُلطة الحُفرة والمشنقة».[١٣] إج هو الذي ردَّ عليها، فقال الغُلام بإصرار: «على الأراضي التي تملكينها. قانون الملك يمنح اللوْردات سُلطة الحُفرة والمشنقة على الأراضي التي يملكونها».

قالت: «صبيٌّ ذكي. ما دُمت تعرف هذا القدر فمؤكَّد أنك تعرف أيضًا أنَّ الفُرسان مُلَّاك الأراضي لا يتمتَّعون بحقِّ العقاب دون إذن سادتهم الأعلى. السيْر يوستس يتولَّى (ستاندفاست) من اللوْرد رُوان. بِنِس انتهكَ سلام الملك حين أراقَ الدَّم، ويجب أن يتحمَّل العاقبة»، ورمقَت دنك مُتبعةً: «إذا سلَّم السيْر يوستس بِنِس لي فأشقُّ أنفه وينتهي الأمر. إذا اضطررتُ إلى المجيء لآخذه فلا أقدِّمُ وعودًا».

انتابَ دنك شعورٌ مباغت بالغثيان في فم معدته إذ قال: «سأخبره، لكنه لن يُسلِّم السيْر بِنِس»، وتردَّد قبل أن يُواصِل: «السَّد سببُ المتاعب كلِّها. إذا وافقَت حضرة الليْدي على هدمه...».

أعلنَ الميْستر الشَّاب الواقف بجوار الليْدي روْهان: «مستحيل. (الخندق البارد) تكفل عشرين ضعف عدد العامَّة الذين تكفلهم (ستاندفاست). إنَّ عند حضرة الليْدي حقول قمح وذُرة وشعير، جميعها يموت من الجفاف، وعندها نصف دستةٍ من البساتين،

١٣ ـ حقُّ الحُفرة والمشنقة: قانون يسمح للوْردات الإقطاعيِّين بتوقيع العقوبة القُصوى على رعاياهم، سنَّه في عالم الواقع مالكم الثَّالث ملك سكوتلندا، ونصَّ على إعدام النِّساء بالإغراق في حُفرة والرِّجال شنقًا. (المترجم).

تُفَّاح ومشمش وثلاثة أنواع من الكمَّثرى، وعندها بقرات على وشك وضع عجولها، وخمسمئة رأس من الخراف سوداء الأنوف، وتستولد أجود خيولٍ في (المرعى). إنَّ عندنا دستةً من الأفراس على وشك وضع مهورها».

قال دنك: «السِير يوستس أيضًا عنده خراف، وعنده شمَّام في الحقول، وفاصوليا وشعير و...».

رفعَ إج عقيرته قائلًا: «إنكم تأخذون الماء من أجل الخندق!».

فكَّر دنك: *كنتُ سأتطرَّقُ إلى الخندق.*

ردَّ الميْستر بتصميم: «الخندق ضروريٌّ لدفاعات (الخندق البارد). أتقترح أن تَترُك الليْدي روْهان نفسها عُرضةً للهجوم في أوقاتنا المضطربة هذه؟».

ببُطء قال دنك: «الخندق الجاف ما زالَ خندقًا، وعند ستِّي أسوارٌ قويَّة، ووفرةٌ من الرِّجال ليُدافِعوا عنها».

قالت الليْدي روْهان: «سيْر دنكن، لقد كنتُ في العاشرة عندما انتفضَ التنِّين الأسود. توسَّلتُ إلى أبي ألَّا يضع نفسه في الخطر، أو على الأقل يَترُك زوجي. مَن سيحميني إذا غابَ رجلاي كلاهما؟ هكذا أخذَني فوق الأسوار وأشارَ إلى نقاط قوَّة (الخندق البارد) قائلًا لي: *حافِظي على قوَّتها وستُحافظ على أمنكِ. إذا حرصتِ على دفاعاتكِ فلن يستطيع أحدٌ أن يُؤذيكِ.* أوَّل شيءٍ أشارَ إليه هو الخندق»، وداعبَت وجنتها بذيل ضفيرتها مواصلةً: «زوجي الأوَّل ماتَ في (حقل العُشب الأحمر). وجدَ لي أبي آخَرين، لكن **الغريب** أخذَهم أيضًا. إنني لم أعُد أثقُ

بالرّجال مهما بدَت وفرتهم، بل أثقُ بالحجارة والفولاذ والمياه، أثقُ بالخنادق أيُّها السيْر، وخندقي لن يجفَّ أبدًا».

قال دنك: «ما قاله أبوكِ لا بأس به، لكنه لا يُعطيكِ حقَّ أخذ ماء أوْزجري».

شدَّت ضفيرتها قائلةً: «أفترضُ أنَّ السيْر يوستس قال لك إنَّ الجدول جدوله».

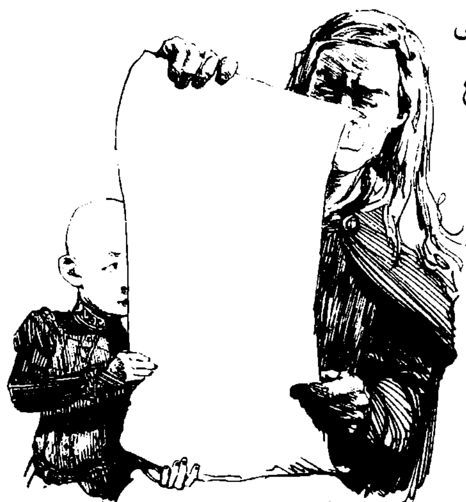
ـ «منذ ألف عام. إنَّ اسمه (ماء المربَّعات). الأمر واضح».

ـ «واضحٌ فعلًا». عادَت تشدُّ ضفيرتها، مرَّةً، مرَّتيْن، ثلاثًا. «مثلما يُسمَّى النَّهر (الماندر) رغم أنَّ آل ماندرلي طُرِدوا من ضفافه منذ ألف عام. (هايجاردن) ما زالَت (هايجاردن) رغم أنَّ آخِر آل جاردنر ماتَ في (حقل النِّيران). (كاسترلي رُك) تعجُّ بآل لانستر رغم خلوِّ المكان تمامًا من آل كاسترلي. العالم يتغيَّر أيُّها السيْر. (ماء المربَّعات) هذا يَنبُع في (تلال الحدوة) التي وجدتُني أملكها بالكامل حين نظرتُ آخِر مرَّة. الماء ملكي أيضًا، ميْستر كِرك، أرِه».

نزلَ الميْستر من فوق المنصَّة. لا يُمكن أنه يكبَر دنك كثيرًا، وإن أضفى عليه مِسحه الرَّمادي وطوقه السِّلسلة سمتًا من الحكمة الجهيمة يُخبِّئ سِنيه الحقيقيَّة. في يد الرَّجل رقٌّ، وفيما بسطَه قال: «انظُر بنفسك أيُّها السيْر»، وقدَّمه لدنك.

ـ *دنك الأنوَك، غليظ العقلِ كسور قلعة.* مرَّةً أخرى شعرَ بوجنتيْه تحتقنان. بحذرٍ تناولَ الرَّق من الميْستر ونظرَ إلى المكتوب عابسًا. ولا كلمةً مفهومة، لكنه يعرف الختم الشَّمعي

تحت التَّوقيع المنمَّق، تِنِّين عائلة تارجاريَن ثُلاثي الرُّؤوس. ختم *الملك*. إنه يَنظُر إلى مرسومٍ ملكيٍّ من نوعٍ ما. حرَّك رأسه من جانبٍ إلى جانبٍ ليحسبوا أنه يقرأ، وبعد لحظةٍ غمغمَ: «ثمَّة كلمة هنا لا أستطيعُ تمييزها. إج، تعالَ وألقِ نظرةً. إنَّ لك عينيْن أحدَّ».



اندفعَ الغُلام إلى جانبه سائلًا: «أيُّ كلمةٍ أيُّها السيِر؟»، فأشارَ دنك. «هذه؟ أوْه». قرأ إج بسرعة، ثم رفعَ عينيْه إلى دنك وأومأ إيماءةً خفيفةً.

ـ *إنه جدولها. معها ورقة*. شعرَ دنك كأنَّما لُكِمَ في معدته. ختم *الملك شخصيًّا*. «هذا... لا بُدَّ أنَّ في الأمر خطأ ما. لقد ماتَ أبناء الشَّيخ في خدمة الملك. لماذا يسلبه صاحب الجلالة جدوله؟».

ـ «لو كان الملك ديرون رجلًا أقلَّ تسامُحًا لفقدَ رأسه أيضًا».

لمُدَّة نصف نبضة قلبٍ غمرَت دنك الحيرة. «ماذا تعنين؟».

أجابَه المِيستر كِرِك: «تعني أنَّ السيِر يوستس أوزجري متمرِّد

وخائـن».

قالـت الليْـدي رؤهـان: «السيْر يوسـتس اختـارَ التنِّيـن الأسـود فوق الأحمـر علـى أمـل أن يُعيـد ملـكٌ مـن آل بلاكفايـر الأراضي والـقلاع الـتي خسـرَها آل أوْزجـري تحـت حُكـم آل تارجاريَـن. علـى الأخـصّ أرادَ (الخنـدق البـارد). أبنـاؤه دفعـوا ثمـن خيانتـه بدمائهـم. عندمـا عـادَ إلى الدِّيـار برُفاتهـم وسـلَّم ابنتـه رهينـةً إلى رجـال الملـك، ألقَـت زوجتـه بنفسـها مـن فـوق قمَّـة بُـرج (ستاندفاسـت). هـل حكـى لـك السـيْر يوسـتس ذلـك؟»، وارتسـمَت عـلى شـفتيْها ابتسـامةٌ حزينـة وهي تُضيـف: «لا، لـم أحسـب أنـه فعـلَ».

- «التنِّيـن الأسـود». *أعهـدت خائنًـا سـيفك أيُّهـا الأنـوَك. أكلـت عيـش خائـن ونمـت تحـت سـقف متمـرّد.* باحثًـا عـن ردٍّ قـال دنـك: «ستّي، التنِّيـن الأسـود... كلُّ ذلـك حـدثَ منـذ خمسـة عشـر عامًـا. إننـا في الحاضـر، وفي جـدب. حـتى إن تمـرَّد قـبلًا فمـا زالَ السـيْر يوسـتس محتاجًـا إلى المـاء».

نهضَـت الأرملـة الحمـراء وسـوَّت تنُّورتهـا قائلـةً: «خيـرٌ لـه إذًا أن يُصلِّي طلبًـا للمطـر».

عندئـذٍ تذكَّـر دنـك الكلمـات الـتي فارقَـه بهـا أوْزجـري في الخميلة. «مـا دُمـتِ تَرفُضيـن منحـه حصَّـةً مـن المـاء لأجـل خاطـره فافعليهـا لأجـل ابنـه».

- «ابنه؟».

- «أدام. لقد خدمَ هنا وصيفًا ومُرافقًا لأبيكِ».

كان وجـه الليْـدي رؤهـان حجـرًا إذ قالـت: «ادنُ»، فلـم يـدرِ مـا

العمـل إلَّا الطَّاعـة. تُضيـف المنصَّـة قدمًـا كاملًا إلى طولهـا، ومع ذلـك شـهقَ دنـك فوقهـا. قالـت: «اركع»، ففعـلَ.

وحملَـت الصَّفعـة الـتي نالَهـا منهـا قوَّتهـا كلَّهـا، وهي أقـوى ممَّـا تبـدو. اشـتعلَ خـدُّه، وذاقَ في فمـه دمًـا مـن شـفة مشـقوقة، غيـر أنهـا لـم تُـؤذِه حقًّـا. للحظـةٍ لـم يسـتطع دنـك إلَّا التَّفكيـر في الإمسـاك بهـا مـن تلـك الضَّفيـرة الحمـراء الطويلـة وشـدِّها إلى حجـره ليصفعهـا علـى مؤخِّرتهـا كمـا يفعلـون مع الأطفـال المدلَّليـن. *ولكـن إذا فعلـتُ ذلـك فستَصرُخ، ويقتحـم عشـرون فارسًـا الغُرفـة ليَقتلـوني.*

قالـت وقـد اتَّسـعت طاقتـا أنفهـا: «أتجـرؤ علـى مناشـدتي باسـم أدام؟! أقـصِ نفسـك مـن (الخنـدق البـارد) أيُّهـا السـيِر، فـورًا».

ـ «لم أقصد...».



ـ «ارحل وإلَّا وجدتُ جوالًا يسعك ولو اضطررتُ إلى تفصيله بنفسي. قُل للسِيْر يوستس أن يجلب إليَّ بِنِس صاحب التُّرس البنِّي غدًا وإلَّا أتيتُ لأجله بنفسي بالنَّار والسَّيف. هل تفهمني؟ بالنَّار والسَّيف!».

أمسكَ السِّپتوْن سِفتوْن ذراع دنك وسحبَه مسرعًا من الغُرفة، وتبعَهما إج من كثب. همسَ السِّپتوْن البدين وهو يقودهما إلى السَّلالم: «تصرُّف منافٍ تمامًا للحكمة أيُّها السِيْر، منافٍ تمامًا للحكمة. أن تأتي على ذِكر أدام أوْزجري...».

ـ «السِيْر يوستس قال لي إنها شغفَت بالولد».

ردَّد السِّپتوْن: «شغفَت؟»، ونفخَ بقوَّةٍ مُردفًا: «لقد أحبَّت الولد، وهو أحبَّها. لم يعدُ الأمر قُبلةً أو اثنتيْن، ولكن... أدام هو مَن بكته بعد (حقل العُشب الأحمر)، لا الزَّوج الذي عرفَته بالكاد. إنها تلوم السِيْر يوستس على موته، ولها حقٌّ. الولد كان في الثَّانية عشرة».

يعرف دنك معنًى أن يحمل المرء جرحًا. متى ذكرَ أحدهم (مرج آشفرد) فكر في الرِّجال الصَّالحين الثَّلاثة الذين ماتوا لإنقاذ قدمه، والذِكرى لا تَخيب أبدًا في إيلامه. «قُل لستِّي إنني لم أرغب قَطٌّ في إيلامها. استمِحها العُذر».

قال السِّپتوْن سِفتوْن: «سأفعلُ كلَّ ما بوسعي أيُّها السِيْر، ولكن أخبِر السِيْر يوستس أن يجلب إليها بِنِس، وبسرعة، وإلَّا فسيتحمَّل ما لا طاقة له به، ما لا طاقة له به إطلاقًا».

***

فقـط حيـن اختفَـت أسـوار (الخنـدق البـارد) وأبراجهـا وراءهمـا في الغـرب، التفَـت دنـك إلى إج سـائلًا: «مـا الكلام المكتـوب علـى تلـك الورقـة؟».

ـ «إنهـا منحـة حقـوق أيُّهـا السِـير، لـلوْرد وايمـان وِبَـر مـن الملـك. لقـاء خدمتـه المخلصـة في التَّمـرُّد السَّـابق، مُـنحَ الـلوْرد وايمـان وذُرِيَّتـه جميـع الحقـوق في (مـاء المربَّعـات)، مـن حيـث يَنبُـع في (تلال الحـدوة) إلى ضفـاف (البُحيـرة المورقـة). تقـول الورقـة أيضًـا إنَّ الـلوْرد وايمـان وذُرِيَّتـه لهـم الحـقُّ في صيـد الغـزلان الحمـراء والخنازيـر البرِّيَّة والأرانـب في (خميلـة وات) متى طـابَ لهـم ذلـك، وأن يقطعـوا عشـرين شـجرةً مـن الخميلـة كلَّ عـام»، وتنحنـحَ الـغُلام متابعًـا: «لكـن المنحـة كانـت مؤقَّتـةً. الورقـة تقـول إنـه إذا تُـوفِّيَ السِـير يوسـتس دون وريـثٍ ذَكـر مـن صُلبـه فسـتؤول (سـتاندفاسـت) إلى التَّـاج وتنتـهي امتيـازات الـلوْرد وِبَـر».

ـ *كانـوا مُشـيري (التُّخـم الشَّـمالي) طيلـة ألـف عـام.* «كلُّ مـا ترَكـوه للعجـوز بُـرج ليمـوت فيـه».

قـال إج: «ورأسـه. صاحـب الجلالـة تـركَ لـه رأسـه أيضًـا أيُّهـا السِـير، علـى الرغـم مـن تمـرُّده».

أعطى دنك الغُلام نظرةً، وسألَه: «أكنت لتقطع أنت رأسه؟».

اضطـرَّ إج إلى التَّفكيـر في الإجابـة قبـل أن يقـول: «أحيانًـا في البـلاط خدمـتُ مجلس الملـك الصَّغيـر. اعتـادوا الشِّـجار بشـأن هـذه المسـألة. عـمِّي بيْـلوْر قـال إنَّ الحِلـم هـو الأفضـل عنـد التَّعامُـل مع خصـم شـريف. إذا اعتقـدَ رجـلٌ مهـزوم أنـه سـينال عفـوًا فقـد يتخلَّى عـن سَـيفه ويـركع، أمَّـا خلافًـا لذلـك فسـيُواصِل القتـال حتـى المـوت

ويَقتُل مزيدًا من الأوفياء والأبرياء. لكن اللوْرد غُداف الدَّم قال إنه حين يعفو المرء عن المتمرّدين فإنه يزرع بذور التَّمرُّد التَّالي ليس إلَّا». تشبَّعت نبرة الغُلام بالشُّكوك وهو يُردِف: «لماذا ينتفض السيْر يوستس ضد الملك ديْروْن؟ لقد كان ملكًا صالحًا، هكذا يقول الجميع. لقد ضمَّ (دوْرن) إلى البلاد وأكسبَنا صداقة الدوْرنيِّين».

ـ «عليك أن تسأل السيْر يوستس يا إج». يظنُّ دنك أنه يعرف الإجابة، إلَّا أنها ليست إجابةً يودُّ الغُلام أن يسمعها. *أرادَ قلعةً بأسدٍ على مبنى البوَّابة، ولم ينَل إلَّا قبورًا وسط التُّوت الأسود.* عندما تتعهَّد بسيفك لرجل فإنك تعده بالخدمة والطَّاعة، وأن تُقاتِل لأجله عند الحاجة، لا أن تتطفَّل على شؤونه وترتاب في ولاءاته... لكن السيْر يوستس غفَّله. *قال إنَّ أبناءه ماتوا في سبيل الملك وتركَني أصدِّقُ أن الجدول جدوله.*

جنَّ عليهما اللَّيل في (خميلة وات).

غلطة دنك هذه، إذ وجبَ أن يَسلُك طريق العودة المباشر، الطَّريق الذي جاءا منه، لكنه أخذَهما بدلًا من ذلك شمالًا ليُلقي نظرةً أخرى على السَّد. راودَه نصف فكرةٍ أن يُحاوِل تقويضه بيديْه العاريتيْن، غير أنَّ **السَّبعة** والسيْر لوكس الإنش الطَّويل لم يتلطَّفوا بترك الفُرصة له، فعندما وصلا إلى السَّد وجداه تحت حراسة اثنيْن من النَّشَّابين خيطَت على جركينتيْهما شارة العنكب، وقد جلسَ أحدهما غامسًا قدميْه الحافيتيْن في المياه المسروقة. كان بإمكان دنك أن يَخنُق الرَّجل بكلِّ سرور لأجل هذا فحسب، لكنه سمعَهما إذ اقترَبا وأسرعَ يختطف نُشَّابيَّته،

في حين ثبَّت زميله الأسرع سهمًا وصوَّبه، ومن ثمَّ فأقصى ما استطاعَه دنك أنه عبسَ في وجيهيْهما مهدِّدًا.

بعد ذلك لم يَعُد أمامهما إلَّا أن يرتدَّا على أعقابهما. لا يعرف دنك هذه الأراضي كما يعرفها السيْر بِنس، ومن المهين أن يتوه في غابةٍ صغيرة كـ(خميلة وات). لدى عبورهما الجدول كانت الشَّمس قد انخفضَت في الأفق وباكورة النُّجوم تظهر مصحوبةً بسحاباتٍ من الهوام. بين الأشجار السَّوداء الطَّويلة عثرَ إج على صوته من جديد، فقال: «سيْر؟ ذلك السِّپتوْن البدين قال إنَّ أبي يقبع واجمًا في (بهو الصَّيف)».

ـ «الكلام هواء».

ـ «أبي لا يجِم».

قال دنك: «جائزٌ أنه يجِم. أنت تجِم».

قطَّب الغُلام وجهه قائلًا: «لستُ أجِمُ أيُّها السيْر. هل أفعلُ ذلك حقًّا؟».

ـ «أحيانًا، ليس كثيرًا جدًّا، وإلَّا للطمتك على الأذن مرَّاتٍ أكثر».

ـ «لقد لطمتني على أذني عند البوَّابة».

ـ «نصف لطمةٍ على الأكثر. إذا لطمتك لطمةً كاملةً يومًا فستعرف».

ـ «الأرملة الحمراء لطمتك أنت لطمةً كاملةً».

مسَّ دنك شفته المتورِّمة. «لا داعي إلى قولها بكلِّ هذا السُّرور».

لكن أحدًا لم يلطم أباك على الأذن قطُّ. ربَّما لهذا السَّبب أصبحَ الأميرُ ميكار الأميرَ ميكار. قال مذكِّرًا إج: «عندما عيَّن الملك اللورد غُداف الدَّم يده، رفضَ السيِّد والدك أن يكون جزءًا من مجلسه وغادرَ (كينجز لاندنج) إلى مقرِّه. إنه في (بهو الصَّيف) منذ سنةٍ كاملة ونصف سنةٍ أخرى. ماذا تُسمِّي ذلك لو أنه ليس وجومًا؟».

أعلنَ إج بتعالٍ: «أسمِّيه غيظًا. لقد وجبَ أن يجعل جلالة الملك أبي يدًا. إنه أخوه الشَّقيق، وأرفع قائدٍ عسكريٍّ في البلاد منذ موت عمِّي بيلور. اللورد غُداف الدَّم ليس لوردًا بحقٍّ أصلًا، بل هي مجرَّد مجاملة سخيفة. إنه مشعوذ، ووضيع المولد علاوةً على ذلك».



ـ «نغل المولد لا وضيع المولد». قد لا يُعَدُّ غُداف الدَّم لوْردًا بحقّ، لكنه نبيلٌ من كلتا النَّاحيتيْن، فأمُّه كانت واحدةً من عشيقات الملك إيْجوْن غير الجدير العديدات. أصبحَ نغول إيْجوْن آفة (الممالك السَّبع) منذ موت الملك المُسن الذي شرعنَهم أجمعين على فِراش الموت؛ ليس فقط النُّغول العظام كغُداف الدَّم والفولاذ الأليم وديْموْن بلاكفاير الذين كانت أمَّهاتهم ليْديهات، بل أيضًا النُّغول الأدنى الذين أنجبَهم من عاهراتٍ وعاملات حانات وبنات تُجَّار ومشخِّصاتٍ وكلِّ فلَّاحةٍ حسناء تصادفَ أنها لفتَت نظره. *«النَّار والدَّم»* كلماتُ عائلةٍ تارجاريَن، لكن دنك سمعَ السيْر آرلان يقول مرَّةً إنَّ الأحرى بكلمات إيْجوْن أن تكون *«اغسلوها واجلبوها إلى فراشي»*. قال يُذكِّر إج: «الملك إيْجوْن نظَّف غُداف الدَّم من النُّغولة، تمامًا كما فعلَ مع بقيَّتهم».

قال الغُلام بعناد: «السِّپتوْن الأعلى القديم قال لأبي إنَّ قوانين الملك شيء وقوانين الآلهة شيء آخَر. الأولاد شرعيُّو المولد نتاج فِراش الزَّوجيَّة ويُباركهم **الأب والأُم**، أمَّا النُّغول فمولودون من الشَّهوة والضَّعف كما قال. الملك إيْجوْن قضى أنَّ نغوله ليسوا نغولًا، إلَّا أنه لم يستطع تغيير طبيعتهم. السِّپتوْن الأعلى قال إنَّ النُّغول جميعًا مولودون ليخونوا... ديْموْن بلاكفاير، الفولاذ الأليم، وحتى غُداف الدَّم. قال إنَّ اللوْرد ريفرز تمتَّع بدهاءٍ أشد من الاثنيْن الآخَريْن، لكنه سيُثبت في النِّهاية أنه خائنٌ أيضًا. السِّپتوْن الأعلى نصحَ أبي بعدم الثِّقة به أبدًا، ولا بأيٍّ من غيره من النُّغول، كبيرهم أو صغيرهم».

فكَّر دنك: *مولودون ليخونوا. مولودون من الشَّهوة والضَّعف.*

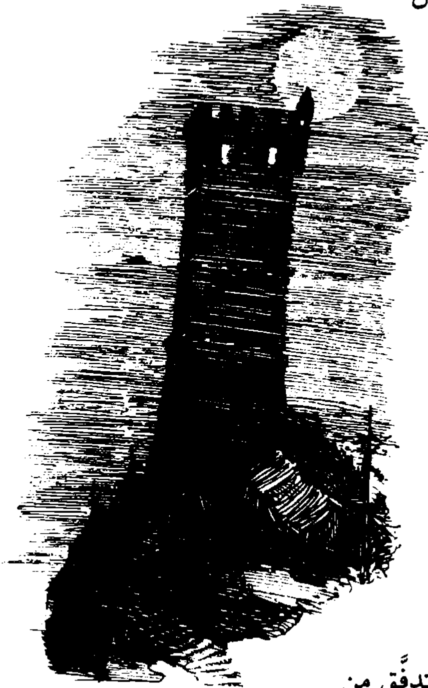
لا تجب *الثِّقة بهم أبدًا، كبيرهم أو صغيرهم*، ثم قال: «إج، ألم تُفكِّر قطُّ في احتمال أني نغل؟».

باغتَ السُّؤال الغُلام. «أنت أيُّها السِير؟ لستَ كذلك».

ـ «لعلِّي كذلك. إنني لم أعرف أمِّي أو ما جرى لها قطُّ. ربَّما وُلِدتُ كبيرًا جدًّا وقتلتها. في الغالب كانت عاهرةً أو عاملةً بحانة. المرء لا يجد لِديهات بنات أعيان في (سفح البراغيث). ولو تزوَّجت أبي... طيِّب، ماذا جرى له هو إذًا؟». لا يحبُّ دنك أن يُذكِّر بحياته قبل أن يجده السِير آرلان. «كان في (كينجز لاندنج) محلُّ أكلٍ اعتدتُ أن أبيعه الجرذان والقِطط والحمام من أجل أوعية البنِّي. لطالما زعمَ الطبَّاخ أنَّ أبي كان لصًّا أو نشَّالًا، وتعوَّد أن يقول لي: *رأيته مشنوقًا غالبًا، ولكن ربَّما اكتفوا بإرساله إلى (الجِدار)*. وقت عملي مُرافقًا عند السِير آرلان سألته أكثر من مرَّةٍ هل يُمكننا الذَّهاب في ذلك الاتِّجاه يومًا ما، لندخُل الخدمة في (وينترفل) أو غيرها من القلاع الشَّماليَّة. لقد تملَّكتني هذه الفكرة، أنه إذا استطعتُ بلوغ (الجِدار) فحسب فقد أصادفُ رجلًا عجوزًا، رجلًا فارع الطُّول يُشبِهني. لكننا لم نذهب قَطُّ. السِير آرلان قال إنه ليس في الشَّمال أسوجةٌ للفُرسان الجوَّالة، وإنَّ الغابات كلَّها مليئة بالذِّئاب». هزَّ دنك رأسه مُردفًا: «الخُلاصة أنَّ مَن تُرافِقه غالبًا نغل».

على غير العادة لم يجد إج شيئًا ليقوله. بدأت العتمة تستشري حولهما، وحشرات القناديل تتحرَّك ببُطء بين الأشجار، أضواؤها الصَّغيرة مثل عديدٍ من النُّجوم السَّابحة في الهواء. وفي السَّماء نجومٌ أيضًا، نجومٌ أغزر ممَّا يُمكن لرجلٍ أن يأمل أن يُحصي

أبدًا ولو بلغَ عُمر الملك چهيْرس. ما على دنك إلّا أن يرفع عينيْه ليجد أصدقاء مألوفين: «الفحل»



و«الخنزيرة»، و«تاج الملك»
و«قنديل الملكة»،
و«القادس» و«الشَّبح»
و«عذراء القمر». على أنَّ إلى الشَّمال سحابًا حجبَ عنه عين «تنّين الجليد» الزَّرقاء، العين الزَّرقاء التي تُشير شمالًا.

طلعَ القمر قبل وصولهما إلى (ستاندفاست) القائمة مظلمةً عاليةً فوق قمَّة تلّها.

رأى دنك ضوءًا أصفر شاحبًا يتدفَّق من نوافذ البُرج العُليا. في معظم اللَّيالي يَخلُد السيْر يوستس إلى فِراشه ما إن يتعشَّى، ولكن ليس اللَّيلة على ما يبدو. *إنه ينتظرنا.*

وبِنس صاحب التُّرس البنِّي مستيقظٌ في انتظارهما أيضًا. وجداه جالسًا على درجات البُرج، يلوك التَّبغ المُرَّ ويشحذ سيفه الطَّويل في ضوء القمر، لينتقل صوت الاحتكاك البطيء للحجر بالفولاذ مسافةً طويلةً. مهما أهملَ السيْر بِنس ثيابه ونفسه فإنه حريصٌ على العناية بأسلحته.



قـال بِنِـس: «الأنـوَك يعـود. وأنـا الـذي كنـتُ أسـنُّ فـولاذي لأذهـب وأنقـذك مـن تلـك الأرملـة الحمـراء».

ـ «أين الرِّجال؟».

ـ «مَنج ووات المبلـول واقفـان حراسـةً فـوق السَّـطح، في حـال أتَـت الأرملـة لزيارتنـا. الباقـون زحفـوا إلى الفِـراش متأوِّهيـن. لكـم يتوجَّعـون. لقـد شـغَّلتهم بقسـوة. أرقـتُ قلـيلًا مـن دم ذلـك الأبلـه الكبيـر لمجـرَّد أن أغضبـه. إنـه يُقاتِـل أفضـل وهـو غاضـب»، وابتسـمَ بِنِـس ابتسـامته البنِّيَّـة والحمـراء قـائلًا: «تُعجِبـني شـفتك الدَّاميـة. المـرَّة القادمـة إيَّـاك أن تقلـب الصُّخـور. مـاذا قالـت المـرأة؟».

ـ «تنـوي الاحتفـاظ بالمـاء. وتُريـدك أيضًـا مقابـل جـرح ذلـك الحفَّـار عنـد السَّـد».

قـال بِنِـس: «كمـا حسـبتُ»، وبصـقَ متابعًـا: «كثيـرٌ مـن العنـاء مـن أجـل فلّاحٍ مـا. حـريٌّ بـه أن يَشكـرني. النِسـاء يُحبِبـن ذوي النُّـدوب».

ـ «لن تُمانع أن تشقَّ أنفك إذًا».

ردَّ الرَّجـل: «تبًّـا لذلـك. لـو أردتُ أن يُشَـقَّ أنـفي لشـقـقته بنفسي»، ورفعَ إبهامـه بحركـةٍ حـادَّة مسـتطردًا: «سـتجد السـيْر متعـوس في مسكنـه، يجتـرُّ محزونًـا عظمتـه الغابـرة».

تكلَّم إج فقال: «لقد قاتلَ في صفِّ التنِّين الأسود».

كان يُمكـن أن يلطـم دنـك الـغُلام، لكـن الفـارس البـنِّي اكتـفى بالضَّحـك قـائلًا: «طبعًـا. مـا عليـك إلَّا النَّظـر إليـه. أيبـدو لـك مـن النَّـوع الـذي يختـار الطَّـرف الرَّابـح؟».

قـال دنـك: «ليـس أكثـر ممَّـا تختـاره أنـت، وإلَّا لمـا كنـت معنـا هنـا»، والتفـتَ إلى إج آمرًا: «اعتـنِ بثنـدر وميْستر ثـم اصعـد لتنضـمَّ إلينـا».

عندمـا صعـدَ دنـك داخلًا مـن البـاب الأفـقي، وجـدَ الفـارس الشَّـيخ جالسًـا بمعطـف النَّـوم عنـد المسـتوقد مع أنَّ نـارًا ليسـت مشتعلةً، وفي يـده كـوب أبيـه، كـوبٌ فـضِّيٌّ ثقيـل سُبِكَ لأجـل واحـدٍ مـن الـلوْردات أوْزجـري قبـل الفـتح، يُزيِّنـه أسـد مربَّعـاتٍ مصنـوع مـن شـذور اليشـم والتِّبـر، ولـو أنَّ بعـض اليشـم ضـاعَ. لمَّـا سـمعَ الفـارس الشَّـيخ خُطوات دنـك رفعَ ناظريْـه وأرمشَ كرجـل يستـيقظ مـن حُلـم. «سـيْر دنكـن. لقـد عُـدت. هـل جعـلَ منظـرك لوكَـس إنشـفيلد يتـردَّد أيُّهـا السـيْر؟».

- «ليس حسبما رأيتُ يا سِيدي. الأرجح أنه أغاظَه». روى دنك كلَّ شيءٍ بقدر استطاعته، وإن حذفَ جزئيَّة الليْدي هليسنت التي أبدَته في غاية الحماقة. كان سيُغفِل ذِكر اللَّطمة أيضًا لولا أنَّ شفته المشقوقة تورَّمت حتى تضاعفَ حجمها العادي، ولم يسَع السيْر يوستس إلَّا أن يُلاحِظها.

وحين لاحظَ عبسَ قائلًا: «شفتك...».

لمسَها دنك بحذر، وقال: «حضرة الليْدي صفعَتني».

- «ضربتك؟!». انفتحَ فم الرَّجل وانغلقَ. «ضربَت مبعوثي الذي أتاها تحت أسد المربَّعات؟ تجرَّأت ووضعَت يديْها على شخصك؟».

ردَّ دنك: «يدًا واحدةً فقط أيُّها السيْر»، وكوَّر قبضته مواصلًا: «إنها تُريد السيْر بِنس لا فضَّتك، وتَرفُض هدم السَّد. لقد أرَتني رقًّا عليه كتابة، وختم الملك ذاته. يقول إنَّ الجدول جدولها. و...». تردَّد قبل أن يُتابِع: «تقول إنك كنت... إنك...».

- «... انتفضتُ مع التنِّين الأسود؟». بدا أنَّ السيْر يوستس غاصَ في مقعده. «كما خشيتُ. لو أنك ترغب في ترك خدمتي فلن أمنعك»، وحملقَ الفارس الشَّيخ في كوبه، وإن لم يدرِ دنك عمَّ يبحث.

- «قلتَ لي إنَّ أبناءك ماتوا وهُم يُقاتِلون في سبيل الملك».

- «وهو ما حدثَ. الملك الشَّرعي، ديْمون بلاكفاير، الملك الذي حملَ السَّيف»، وارتعشَ شارب الشَّيخ إذ واصلَ: «رجال التنِّين الأحمر يُسمُّون أنفُسهم بالموالين، ولكن نحن الذين

اخترنا الأسود لم نقلّ موالاةً في الماضي. أمَّا الآن... الرِّجال الذين زحفوا بجواري لإجلاس الأمير ديمون على العرش الحديدي تبخَّروا كندى الصَّباح. ربَّما حلمتُ بهم. أو الأرجح أنَّ اللورد غُداف الدَّم ورجاله أسنان الغُداف بثُّوا فيهم الخوف. لا يُمكن أنهم ماتوا جميعًا».

لم يستطِع دنك إنكار صحَّة قوله. حتى اللَّحظة لم يلقَ قطُّ رجلًا قاتلَ في سبيل المدَّعي. *ولكن لا بُدَّ أني التقيتُ بعضهم. لقد كانوا ألوفًا. نصف البلاد أيَّد التنِّين الأحمر ونصفها أيَّد الأسود.* «كلا الفريقيْن قاتلَ ببسالةٍ حسبما قال السير آرلان دومًا». خطرَ له أنَّ الفارس الشَّيخ سيُريد أن يسمع هذا.



احتوى السير يوستس كوب نبيذه بكلتا يديْه، وقال: «لو دعسَ ديمون جوين كوربراي... لو لم يُقتَل كُرة النَّار عشيَّة المعركة... لو أعارَنا هايتاور وتاربك وأوكهارت وبَترول كامل قوَّتهم بدلًا

مـن وضعهـم قدمًـا في كلا المعسكريْـن... لـو أثبـتَ مانفـرِد لوْثسـتن وفـاءه بـدلًا مـن خيانتـه... لـو لـم تُؤخِّـر العواصـف إبحـار الـلوْرد براكـن بالنَّشّـابة المايريّيـن... لـو لـم يُقبَـض عـلى الإصبع السَّـريع ومعـه بيـض التِّنانيـن المسـروق... افتراضـات كثيـرة جـدًّا أيُّهـا السيْر... في حـال اخـتلاف عاقبـة أيٍّ منهـا لأمكـنَ أن ينقلـب كلُّ شيءٍ في الاتِّجاه الآخَـر. حينئـذٍ كنـا سَنُدعى نحـن بالمواليـن ويُذكَـر التِّنانيـن الحُمـر باعتبارهـم رجـالًا قاتَلـوا للإبقـاء عـلى الغاصِـب ديْـروْن باطـل الـميلاد فـوق عرشـه المسـروق وفشـلوا».

قـال دنـك: «أيًّـا مـا كان يـا سِـيدي، لكـن الأمـور مضَـت كمـا مضَـت. كلُّ هـذا حـدثَ منـذ سـنين، وعُـفِيَ عنكـم».

ـ «أجـل، عُـفِيَ عنـا. شـريطة أن نركع ونُسـلِّمه رهينـةً لضمان ولائنا في المسـتقبل، سـامحَ ديْـروْن الخونـة والمتمرِّديـن». تكلَّـم الرَّجـل بنبـرةٍ مريـرة. «لقـد اشـتريتُ رأسي بحيـاة ابنـتي. آليسـان كانـت في السَّابعة حينمـا أخذوهـا إلى (كينجـز لانـدنج)، وفي العشـرين حينمـا ماتَـت أختًـا صامتـةً. في مـرَّةٍ ذهبـتُ إلى (كينجـز لانـدنج) لأراهـا، وأبَـت أن تُكلِّمـني، أنـا والدهـا. رحمـة الملـك هديَّـةٌ مسـمومة. ديْـروْن تارجاريَـن تـركَ لي الحيـاة، لكنـه أخـذَ كبريـائي وأحلامي وشـرفي». ارتجفَـت يـده، وانسكـبَ النَّبيـذ أحمـرَ في حجـره، لكـن الشَّـيخ لـم ينتبـه لـه. «كان يَجـدُر بـي أن أذهـب مع الفـولاذ الأليـم إلى المنـفى، أو أمـوت بجـوار أبنـائي وملـكي الجميـل. لكانـت تلـك ميتـةً تليـق بأسـد مربَّعـاتٍ سـليل كثيـرٍ مـن الـلوْردات العـزاز والمُحاربيـن الأشـاوس. رحمـة ديْـروْن صغَّرتـني».

فكَّـر دنك مدركًا: *في قلبه لم يَمُت التنِّين الأسود قَطُّ*.

- «سيِّدي؟». الصَّوت صوت إج، إذ دخلَ الغُلام والسيِر يوستس يتكلَّم عن موته. حدَّق إليه الفارس الشَّيخ كأنَّما يراه للمرَّة الأولى، وقال: «نعم أيُّها الصَّبي؟ ما الأمر؟».

- «بعد إذنك... الأرملة الحمراء قالت إنك تمرَّدت لتَحصُل على قلعتها. لا صحَّة لقولها، أليس كذلك؟».

- «القلعة؟». بدا الرَّجل مرتبكًا. «(الخندق البارد)... (الخندق البارد) وعدَني بها ديمون، نعم، ولكن... لم أفعلها من أجل المكسب، لا...».

سألَه إج: «لماذا إذًا؟».

ردَّد السيِر يوستس عاقدًا حاجبيْه: «لماذا؟».

- «لماذا كنت خائنًا ما دامَ السَّبب ليس القلعة فقط؟».

نظرَ السيِر يوستس إلى إج طويلًا قبل أن يُجيب: «أنت مجرَّد صبيٍّ صغير. لن تفهم».

ردَّ إج: «لعلِّي أفهمُ».

- «الخيانة... ما هي إلَّا كلمة. عندما يتقاتَل أميران في سبيل كُرسي يُمكن أن يجلس عليه واحدٌ فقط، على اللوردات الكبار والرِّجال العوام سواسيةً أن يختاروا. وعندما تضع المعركة أوزارها يُهتَف للمنتصرين باعتبارهم رجالًا أوفياء مخلصين، فيما يُعرَف مَن هُزِموا إلى أبد الآبدين باعتبارهم متمرِّدين وخونة. هكذا كان مصيري».

فكَّر إج وقتًا، ثم قال: «نعم يا سيِّدي، ولكن... الملك ديرون

كان رجلًا صالحًا. ما الذي جعلَك تختار ديمون؟».

ـ «ديرون...». لفظَ السير يوستس الكلمة بطريقةٍ أقرب إلى الهمهمة، وأدركَ دنك أنه شبه سكران. «ديرون كان نحيف الأطراف مستدير الكتفيْن، وله بطنٌ صغير يرتجُّ وهو يمشي. ديمون وقفَ مستقيمًا أبيًّا، ببطنٍ مستوٍ صُلب كتُرسٍ من السِّنديان. ويا لبراعته في القتال! بالفأس أوِ الرُّمح أو المِخباط، كان من أمهر الفُرسان الذين رأيتهم على الإطلاق، أمَّا بالسَّيف فكان **المُحارب** ذاته. متى أمسكَ الأمير ديمون «اللَّهب الأسود» لم يُوجَد رجلٌ يُباريه... لا أولرك دين حاملًا «فجر»، لا، ولا حتى الفارس التِّنين حاملًا «الأُخت المظلمة».

«يُمكنك أن تعرف الرَّجل من أصدقائه يا إج. ديرون أحاطَ نفسه بالميسترات والسِّپتونات والمُطربين، ودائمًا لازمَته نساء يُوَسوِسن له، وحفلَ بلاطه بالدورنيِّين. وكيف لا وقد أخذَ امرأةً دورنيَّةً إلى فِراشه وباعَ أخته الجميلة نفسها لأمير (دورن) رغم أنها أحبَّت ديمون؟ ديرون حملَ اسم التِّنين الصَّغير، ولكن عندما أعطَته زوجته الدورنيَّة ابنًا سمَّى الطِّفل بيلور، على اسم أوهن ملكٍ جلسَ على العرش الحديدي.

«أمَّا ديمون... ديمون لم يكن أشدَّ ورعًا ممَّا يلزم ملك، وفُرسان البلاد العُظماء كلُّهم توافَدوا إليه. من مصلحة اللورد غُداف الدَّم أن تُنسى أسماؤهم جميعًا، ولذا حظرَ علينا الغناء عنهم، لكنني أذكرُ. روب رين، جارِث الرَّمادي، السير أوبري آمبروز، اللورد جورمون پيك، بايرن فلاورز الأسود، النَّاب الأحمر، كُرة النَّار... الفولاذ الأليم! إنني أسألك، هل وُجِدَت

يومًا صُحبة بذلك النُّبل؟ مثل قائمة الأبطال تلك؟

«لماذا أيُّها الصَّبي؟ تسألني لماذا؟ لأن ديمؤن كان الرَّجل الأفضل. الملك المُسن رأى هذا أيضًا، وأعطى ديمؤن السَّيف، «اللَّهب الأسود»، سيف إيجؤن الفاتح، الحُسام الذي حملَه كلُّ ملكٍ تارجاريَن منذ الفتح... وضعَ السَّيف في يد ديمؤن يوم أسبغَ عليه الفروسيَّة وهو صبيٌّ في الثَّانية عشرة».

قال إج: «أبي يقول إنَّ السَّبب أنَّ ديمؤن كان سيَّافًا وديرؤن لم يكن كذلك قَط. لماذا تُعطي رجلًا لا يستطيع الرُّكوب حصانًا؟ السَّيف لم يكن المملكة على حدِّ تعبيره».

رجفَت يد الفارس الشَّيخ بشدَّةٍ سكبَت النَّبيذ من كوبه الفضِّي، وقال: «أبوك أحمق».



ردَّ الغُلام: «لا، ليس كذلك».

قال أوزجري الذي التوَت قسماته غضبًا: «أنت سألت سؤالًا وأنا أجبتُ عنه، لكنني لن أسمح بالوقاحة. سِير دنكن، ينبغي أن تضرب هذا الولد أكثر. إنَّ عنده نقصًا عظيمًا في الأدب. لو أنَّ عليَّ أن أفعلها بنفسي فسأفعل...».

تدخَّل دنك: «لا. لن تفعل أيُّها السِير». لقد حزمَ أمره. «الظَّلام سائدٌ الآن. سنرحل مع مطلع الفجر».

شخصَ السِير يوستس ببصره مصعوقًا، وردَّد: «ترحلان؟».

ـ «من (ستاندفاست)، من خدمتك». *لقد كذبتَ علينا. سمِّ الأمر كما تشاء، لكنه خلا من الشَّرف.* حلَّ دنك أربطة معطفهَ وطواه ووضعَه في يد الشَّيخ.

ضاقَت عينا أوزجري إذ سألَه: «هل عرضَت تلك المرأة أن تضمَّك إلى خدمتها؟ أتَترُكني إلى فِراش تلك العاهرة؟».

قال دنك: «لا أدري هل هي عاهرة، أو ساحرة أو مُسمِّمة أو ما إلى ذلك، ولكن أيًّا ما كانته لا يهمُّ. إننا راحلان إلى الأسوجة وليس إلى (الخندق البارد)».

ـ «تعني إلى الأخاديد. تَترُكانني لتجوبا الأحراش كالذِّئاب، لتتربَّصا بالصَّالحين على الطُّرق». قالها الرَّجل ويده ترتجف، وسقطَ الكوب من أصابعه ساكبًا ما فيه من نبيذٍ وهو يتدحرَج على الأرض. «اذهبا إذًا. اذهبًا. لا أريدكما هنا. لم يَجدُر بي قَط أن أستخدمكما. اذهبا!».

ـ «كما تقول أيُّها السِير». وأشارَ دنك، وتبعَه إج.

***

في تلك اللَّيلة الأخيرة أرادَ أن يبتعد عن يوستس أوزجري أطول مسافةٍ بإمكانه، وهكذا ناما في القبو بين بقيَّة جيش (ستاندفاست) الضَّئيل. قضى دنك اللَّيلة في تململ؛ لم وبيت محمرُّ العينيْن كلاهما غطَّ في نومه، الأوَّل بضجَّة والثَّاني باستمرار، وأفعمَت القبو أبخرةٌ رطبة مرتفعةً عبر الباب الأفقيِّ من الأقبية الأعمق. تقلَّب دنك وتلوَّى على الفِراش الخشن، يروح في نوم جزئي ليستيقظ فجأةً في الظُّلمة وقد استحكته قرصات الحشَرات التي أصابتَه في الخميلة بشدَّة، كما أنَّ في القشِّ براغيث. *سيكون خيرًا لي أن أخلص من هذا المكان، أن أخلص من الشَّيخ، ومن السِّير بِنِس، ومن بقيَّتهم.* ربَّما حانَ الوقت لأن يُعيد إج إلى (بهو الصَّيف) ليرى أباه. سيسأل الغُلام في الصَّباح بعد أن يُغادِرا ويبتعدا.

على أنَّ الصَّباح بدا بعيدًا. امتلأ رأس دنك بالتَّنانين الحمراء والسَّوداء... امتلأ بأُسود المربَّعات والتِّراس القديمة والأحذية البالية... امتلأ بالجداول والخنادق والسُّدود، وبالأوراق الممهورة بختم الملك العظيم الذي لا يُمكنه قراءته.

وها هي ذي حاضرةٌ أيضًا، الأرملة الحمراء، روهان سيِّدة (الخندق البارد). رأى دنك وجهها المنمَّش، وذراعيْها النَّاحلتيْن، وضفيرتها الحمراء الطَّويلة، وأشعرَه مرآها بالذَّنب. *المفروض أن أحلم بتانسل. بتانسل مديدة القامة دعوها، لكنها لم تكن في نظري مديدة القامة.* رسمَت الفتاة على تُرسه شعارًا، وأنقذَها هو من الأمير السَّاطع، إلَّا أنها اختفَت قبل المحاكمة بالسَّبعة. كثيرًا ما قال لنفسه: *لم تتحمَّل أن تراني أموتُ*، ولكن أنَّى له أن يعرف؟ إنه غليظ العقل كسور قلعة. مجرَّد التَّفكير في الأرملة

الحمـراء دليـلٌ كافٍ عـلى هـذا. *تانسـل ابتسـمَت لي، لكنّنـا لـم نتعانَـق قَـطّ أو نتبـادَل قُبلـةً ولـو عـلى الخـدّ.* رؤهـان عـلى الأقـل لمسَـته، ولديـه الشَّـفة المتورّمـة ليُثبِـت هـذا. *لا تكـن سـخيفًا. إنهـا ليسـت لأمثالـك. إنهـا أصغـر حجمًـا من اللّازم، وأذكى مـن اللّازم، وأخطـر جـدًا مـن اللّازم.*



أخيـرًا بعـد طـول انتظـارٍ أخـذَه النُّعـاس، وحلـمَ دنـك. كان يجـري في فسحةٍ في قلب (خميلة وات)، يجـري صـوب رؤهـان، وتَرشُـقه هي بالسِّـهام. كلُّ سـهمٍ أطلقتـه طـارَ نحـوَ هدفه مباشرةً واخترقَ صدره، ومع ذلك أحـسَّ بالألـم حُلوًا على نحوٍ غريـب. وجـبَ أن يـدور ويَهـرُب، لكنه جرى نحوهـا بـدلًا مـن ذلـك، جـرى ببُـطء كمـا يَحـدُث دائمًـا في الأحلام، كأن الهـواء نفسـه اسـتحال عـسلًا. سـهمٌ آخَـر نفـذَ، وآخَـر، وبـدا أنَّ في كنانتهـا سـهامًا بلا نهايـة. لاحَـت عيناهـا خضراويْـن ورماديَّتيْـن ومليئتيْـن بالعبـث. أرادَ أن يقـول لهـا: *فُسـتانكِ يُبـرِز*

لون عينيكِ، غير أنَّ فُستانًا لم يَكسُها، أو أيَّ ثيابٍ بالمرَّة. على ثدييْها الصَّغيريْن رشاشٌ من النَّمش، وحلمتاها حمراوان قاسيتان كالتُّوت الصَّغير. جعلَته السِّهام يبدو مثل شيهم ضخم إذ كبا عند قدميْها، وإن وجدَ بوسيلةٍ ما القوَّة ليقبض على ضفيرتها، وبجذبةٍ واحدة شديدة سحبَها فوقه وقبَّلها.



واستيقظَ فجأةً على إثر صيحة.

في القبو المظلم ضربَ الارتباك أطنابه. تردَّدت الشَّتائم والشَّكاوى جيئةً وذهابًا، وتعثَّر بعض الرِّجال في بعضٍ وهُم يُحاوِلون التقاط حرابهم أو بناطيلهم. لم يعرف أحدٌ ماذا يَحدُث. وجدَ إج شمعة الشَّحم وأشعلَها ليُلقي بقليلٍ من الضَّوء على المشهد، أمَّا دنك فهو أوَّل من انطلقَ يرتقي السَّلالم، وكادَ يرتطم بسام المحنيِّ المندفع إلى أسفل نافخًا كالكير ومهذرمًا بكلام مفكَّك. اضطرَّ دنك إلى إمساكه من كتفيْه كلتيْهما ليحول دون سقوطه، وسألَه: «سام، ما الخطب؟».

نشجَ العجوز مجيبًا: «السَّماء، السَّماء!». لم يُمكن استخلاص

شيءٍ آخَر مفهوم منه، فصعدوا جميعًا لإلقاء نظرة من السَّطح الذي سبقَهم إليه السِّير يوستس ووقفَ بمعطف النوم عند الدَّرايا، يُحدِّق إلى بعيد.

كانت الشَّمس تُشرِق من الغرب.

ومرَّت لحظةٌ طويلة قبل أن يُدرِك دنك ما يعنيه هذا، وبصوتٍ مكتوم قال: «(خميلة وات) تحترق». من أسفل عند قاعدة البُرج وصلَ صوت بِنِس يسبُّ منهالًا بسيلٍ من القاذورات الشَّائنة الكفيلة بجعل إيجون غير الجدير نفسه يتورَّد خجلًا، في حين شرعَ سام المحنيُّ يُصلِّي.

حالَت المسافة البعيدة دون تمييزهم اللَّهب، لكن الوهج الأحمر ابتلعَ نصف الأفق الغربي، وفوق الضَّوء بدأت النُّجوم تختفي، فتوارى «تاج الملك» جزئيًّا فعلًا وقد حجبَه ستارٌ من الدُّخان المتصاعد.

كما قالت، بالنَّار والسَّيف.

***

ظلَّ الحريق مشتعلًا اللَّيل بطوله، ولم ينَم أحدٌ في (ستاندفاست) اللَّيلة. لم يمضِ وقتٌ طويل قبل أن يشمُّوا الدُّخان ويروا ألسنة اللَّهب تتراقَص من بعيد كفتيات في تنانير قرمزيَّة، متسائلين جميعًا هل ستبتلعهم النَّار. وقفَ دنك وراء الدَّرايا، ترتقِب عيناه الملتهبتان وصول خيَّالةٍ في اللَّيل، ولمَّا صعدَ الفارس البنِّي

ماضغًا تبغه المُرَّ بادرَه: «بِنِس، إنها تُريدك أنت. ربَّما عليك أن تذهب».

نهقَ بِنِس: «ماذا؟ أهربُ؟ على حصاني هذا؟ كأني أحاولُ الطَّيران راكبًا إحدى هذه الدَّجاجات اللَّعينة».

ـ «سلِّم نفسك إذًا. ستكتفي بشقِّ أنفك».

ـ «أنفي يُعجِبني كما هو أيُّها الأنوَك. دعها تُحاوِل أن تأخذني وسنرى ما الذي سيُشَقُّ». جلسَ بِنِس مربِّعًا رجليْه ومُسندًا ظهره إلى ثلمة، ومن قرابه أخرجَ مشحذًا ليسنَّ سيفه. وقفَ السِّير يوستس فوقه، وبصوتيْن خفيضيْن ناقَشا كيف سيخوضان الحرب. سمعَ دنك الفارس الشَّيخ يقول: «الإنش الطَّويل سيتوقَّعنا عند السَّد، ولذا سنُحرق محاصيلها بدلًا من ذلك. النَّار بالنَّار». ارتأى السِّير بِنِس أنَّ تصرُّفًا كهذا عين العقل، ولكن لعلَّ عليهم أن يُضرِموا النَّار في الطَّاحونة أيضًا. «إنها تقع على بُعد ستَّة فراسخ من جانب القلعة الآخَر. الإنش الطَّويل لن يبحث عنا هناك. نُحرِق الطَّاحونة ونَقتُل الطحَّان. سيُكلِّفها هذا ثمنًا باهظًا».

إج أيضًا كان مصغيًا. سعلَ الغُلام ونظرَ إلى دنك بعينيْن بيضاويْن متَّسعتيْن قائلًا: «سيِر، يجب أن نمنعهما».

سألَه دنك: «كيف؟». *الأرملة الحمراء ستمنعهما، هي ولوكَس الإنش الطَّويل هذا.* «إنهما يُجعجِعان لا أكثر يا إج. إمَّا ذلك وإمَّا أن يتبوَّلا في بنطاليْهما. ولا علاقة للأمر بنا الآن».

بزغَ الفجر بسماواتٍ سديميَّة غائمة وهواءٍ يُلهِب العيون. انتوى

دنك أن يتحرَّكا مبكِّرًا، ولكن بعد ليلتهما الأرِقة لم يعرف كم سيبتعدان. أفطرَ هو وإج بيضًا مسلوقًا فيما جمعَ بِنس الآخَرين بخشونةٍ في الخارج لأجل مزيدٍ من التَّدريب. قال دنك لنفسه: *هُم رجال أوزجري ونحن لا*. أكَلَ أربعة بيضات؛ السِّير يوستس مدينٌ له بهذا القدر في نظره. أمَّا إج فأكلَ اثنتيْن، وبلَّعا ما أكلاه بالمزر.

قال الغُلام وهما يجمعان أغراضهما: «يُمكننا الذَّهاب إلى (الجزيرة القصيَّة) أيُّها السِّير. ما داموا يتعرَّضون لغارات الحديديِّين فلعلَّ اللورد فارمان يبحث عن بعض السيَّافة».

فكرةٌ جيِّدة. «هل زُرت (الجزيرة القصيَّة) من قبل؟».

ـ «لا أيُّها السِّير، لكنهم يقولون إنها جميلة، ومقرُّ اللورد فارمان جميل أيضًا. اسمه (القلعة القصيَّة)».

ضحكَ دنك قائلًا: «إلى (القلعة القصيَّة) إذًا». أحسَّ كأن عبئًا عظيمًا رُفِعَ عن كتفيْه. عندما ربطَ درعه في حزمةٍ وأوثقَها بحبلٍ من القنَّب قال: «سأتولَّى الخيول. اصعد إلى السَّطح وأحضِر لفَّتَي النَّوم». آخِر ما يُريده هذا الصَّباح مواجهةٌ أخرى مع أسد المربَّعات. «إذا رأيت السِّير يوستس فدعه وشأنه».

ـ «سأفعلُ أيُّها السِّير».

في الخارج كان بِنس قد صفَّ مجنَّديه بحرابهم وتراسهم ويُحاول تعليمهم التَّقدُّم وحدةً واحدةً، ولم يُعِر الفارس البنِّي دنك أدنى انتباهٍ وهو يَعبُر السَّاحة. *سيقودهم إلى موتهم كافَّةً. الأرملة الحمراء قد تصل في أيِّ لحظة*. أتى إج مندفعًا من باب



البُـرج ونـزلَ السَّلالـم بلفّـتَي النَّـوم المُخشخشـتيْن، وأعلاه وقـفَ السيْر يوسـتس في الشُّـرفة بجمـودٍ مُريحًـا يديْـه عـلى دريئـة. لمَّـا لاقَت عيناه عينَي دنك ارتعشَ شاربه وأسرعَ يُشيح بوجهه، وقد أضـفى الدُّخـان الهـابُّ عـلى الهـواء غشـاوةً.

علَّـق بِنِـس تُرسـه عـلى ظهـره، تُرسًـا طـويلًا لـوزيَّ الـشَّكل مـن الخشـب غيـر المطلي، غمَّقـت طبقـات مـن الورنيـش القديـم لونـه ويُطوِّقـه كاملًا الحديـد. لا يحمـل التُّـرس صورةً، فقـط حلقـة مركزيَّـة يقطعهـا شـريط، ذكَّـرت دنـك بعيـنٍ عظيمـة مغلقـة عـن آخِرهـا. *عميـاء مثلـه*. سـألَه دنـك: «كيـف تنويـان قتالهـا؟».

رمقَ السيْر بِنِس جنوده وريقه يجري محمرًّا بفعل التَّبـغ المُرِّ، وأجـابَ: «لا يُمكننـا الحفـاظ عـلى التَّـل بهـذه الحـراب القليلـة. يجب أن نركـن إلى البُـرج. سـنَكمُن جميعًـا في الدَّاخـل»، وأشـارَ

برأسـه إلى البـاب متابعًـا: «طريـقٌ واحـد فقـط للدُّخـول. سـنَكمُن أعـلى تلـك السَّلالـم الخشـب ولـن يجـدوا طريقـةً لبلوغنـا أبـدًا».

ـ «إلى أن يبنـوا هُـم سلالـم. قـد يجلبـون حبـالًا وخطاطيـف أيضًـا ويُكاثِرونكـم نـزولًا مـن السَّـطح، مـا لـم يكتفـوا بالوقـوف بنُشَّـابيَّاتهم وإمطاركـم بالسِّـهام فيمـا تُحاوِلـون إبقـاء البـاب مغلقًـا».

استـمعَ الشـمَّام والفاصوليـا والشَّـعير لكلِّ مـا قـالاه، وقـد عُصِـفَ بكلامهـم الشُّـجاع برُمَّتـه رغـم خلـوِّ الهـواء مـن نسـمة ريـح واحـدة، فوقفـوا قابضيـن عـلى عِصيِّهـم المبريَّـة ناظريـن إلى دنـك وبِنِـس وبعضهـم بعضًـا.

قـال دنـك بإيمـاءةٍ نحـو جيـش أوْزجـري المهلهَـل: «هـذه الثُّلَّـة لـن تنفعكمـا مقـدار لحسـة. فُرسـان الأرملـة الحمـراء سيُمزِّقونهم أشلاءً إذا تركتماهـم في العـراء، وحرابهـم لـن تُجـدي نفعًـا داخـل البُـرج».

ردَّ بِنِـس: «بإمكانهـم إلقـاء أشـياء مـن السَّـطح. مَنج يُجيـد القـذف بالصُّخور».

ـ «بإمكانـه أن يقـذف بصخـرةٍ أو اثنتيْـن عـلى مـا أظـنُّ، إلى أن يغـرز فيـه أحـد رُمـاة الأرملـة سـهمًا».

وقـفَ إج بجـواره قـائلًا: «سـيْر؟ سـيْر، إذا كنـا ننـوي الذَّهـاب فالأفضـل أن نذهـب لـو أنَّ العـذراء قادمـة».

الـغُلام عـلى حـق. *إذا تلكَّأنـا فسـنُحبَس هنـا*. ومع ذلـك تـردَّد دنـك. «دعهـم يرحلـون يـا بِنِـس».

قـال بِنِـس: «وأفقـدُ فِتيتنـا الصَّناديـد؟»، ونظـرَ إلى الفلَّاحيـن وحذَّرهـم بنهيقـه الضَّاحـك: «لا تُـراودنَّ أحدكـم أيَّـة أفـكار. سـأبقرُ

بطـن أيِّ رجـلٍ يُحـاوِل الفـرار».

ـ «حـاوِل وسـأبقرُ أنـا بطنـك». اسـتلَّ دنـك سـيفه مخاطبًـا العـوام: «ارحلـوا إلى دياركـم جميعًـا. عـودوا إلى قُراكـم وانظُـروا هـل تجنَّبت النَّـار بيوتكـم ومحاصيلكم».

لم يتحرَّك أحد، وحدَّق إليه الفارس البنِّي وفمه يتحرَّك. مرَّةً أخرى قال دنك للعوام: «ارحلوا». كأن إلهًا ما وضعَ الكلمة في فمه. *ليس المُحارب أللحمقى إله؟* «**ارحلوا!**». مجدَّدًا كرَّرها هادرًا هذه المرَّة. «خُذوا حرابكم وتراسكم، ولكن ارحلوا حالًا وإلَّا فلـن تعيشـوا لتـروا الغـد. أتُريـدون أن تُقبِّلـوا زوجاتكـم ثانيـةً؟ أتُريـدون أن تحتضنـوا أطفالكـم؟ عـودوا إلى دياركـم! هـل صُمِمتـم جميعًـا؟».

لا، لـم يُصَمُّـوا. بيـن الدَّجـاجِ انـدلعَ تـدافُع محمـوم. داسَ رُوب الكبيـر دجاجـةً إذ انـدفعَ، وحـال نصـف قـدم فقـط دون فـتح بِيـت بطـن ويـل الفاصوليـا حيـن تعثَّـر في حربتـه، لكنهـم انطلَقـوا كلُّهـم

راكضين. ذهبَ الشمَّام في اتِّجاه، والفاصوليا في آخَر، والشَّعير في ثالث، فيما راحَ السيْر يوستس يزعق فيهم من أعلى، بيد أنَّ أحدًا لم يُعِره اهتمامًا. *آذانهم مصمومةٌ عنه على الأقل.*

عندما خرجَ الفارس الشَّيخ من البُرج وهرعَ ينزل السَّلالم، لم يَعُد باقيًا بين الدَّجاج إلَّا دنك وإج وبِنس. زعقَ السيْر يوستس في الجيش الهارب: «ارجعوا. لستُ آذَنُ لكم في الرَّحيل. لستُ آذنُ لكم!».

قال بِنس: «لا فائدة يا سِيدي. لقد رحلوا».

التفتَ السيْر يوستس بحدَّةٍ إلى دنك وشاربه يرتجف حنقًا، وصاحَ: «لا حقَّ لك في صرفهم،

لا حقَّ! لقد منعتهم من الرَّحيل،

حرَّجته عليهم، حرَّجتُ عليك تحريجًا

أن تصرفهم!».خلعَ إج قبَّعته

ليَطرُد الدُّخان قائلًا:



«لم نسمعك يا سيِّدي. قوقأة الدَّجاج كانت صاخبةً جدًّا».

انهارَ الشَّيخ على سُلَّمة (ستاندفاست) الدُّنيا، وبصوتٍ كئيب سألَ دنك: «ماذا عرضَت عليك تلك المرأة لتُسلِّمني إليها؟ كم من الذَّهب أعطَتك لتخونني؟ لتصرف فِتيتي وتَترُكني هنا وحدي؟».

أغمدَ دنك سيفه، وردَّ: «لست وحدك يا سِيدي. لقد نمتُ تحت سقفك وأكلتُ بيضك هذا الصَّباح. ما زلتُ مدينًا لك بشيءٍ من الخدمة. لن أنسلَّ هاربًا وذيلي بين قدميَّ. سيفي ما زالَ هنا». قالها ومسَّ المقبض.

ـ «سيفٌ واحد». نهضَ الفارس الشَّيخ ببُطء قائلًا: «ما أمل سيفٍ واحد في مواجهة تلك المرأة؟».

ـ «سيُحاوِل أن يُقصيها عن أرضك بدايةً». تمنَّى دنك لو أنه واثقٌ حقًّا كما أوحَت نبرته.

ارتعدَ شارب الفارس الشَّيخ كلَّما أخذَ نفسًا، وأخيرًا قال: «نعم. خيرٌ لي أن أموت بجرأةٍ من الاختباء وراء جُدران حجريَّة. خيرٌ لي أن أموت أسدًا من أرنب. لقد كنا مُشيري (التُّخم الشَّمالي) طيلة ألف عام. يجب أن أرتدي درعي»، وشرعَ يصعد السَّلالم.

كان إج يَنظُر إلى دنك، وقال الغُلام: «لم أعرف قَطُّ أنَّ لك ذيلًا أيُّها السِيْر».

ـ «أتُريد لطمةً على الأذن؟».

ـ «لا أيُّها السِيْر. أتُريد درعك؟».

قال دنك: «أريدها، هي وشيء آخَر».

***

قيلَ بعضُ كلام عن مجيء السِّر بِنِس معهم، لكن في النِّهاية أمرَه السِّر يوستِّس بالبقاء والدِّفاع عن البُرج، فسيفه لن ينفع نفعًا يُذكَر ضد الاحتمالات التي سيُواجِهونها، ومرآه سيُهيِّج الأرملة أكثر.

لم يتطلَّب الفارس البنِّي كثيرًا من الإقناع. ساعدَه دنك على خلع الأوتاد الحديديَّة التي تُثبِّت الدَّرجات العُليا، ثم تسلَّقها بِنِس وحلَّ حبل القنَّب الرَّمادي القديم وشدَّه بقوَّته كلِّها، وبصرير وأنين ارتفعَ السُّلَّم الخشبيُّ تاركًا عشرة أقدام من الهواء بين أعلى الدَّرجات الحجريَّة ومدخل البُرج الوحيد. كان سام المحنيُّ وزوجته قد دخلا، أمَّا الدَّجاج فعليه أن يُدبِّر أموره بنفسه. قاعدًا بالأسفل فوق حصانه الرَّمادي المخصي، رفعَ السِّر يوستس عقيرته قائلًا: «إذا لم نرجع بحلول اللَّيل...».

ـ «... فسأركبُ إلى (هايجاردن) يا سِيدي وأبلِّغُ اللورد تايرل أنَّ تلك المرأة أحرقَت خميلتك وقتلَتك».

تبعَ دنك إج وميستر في نزول التَّل، وبعده الشَّيخ في درعه المُصلصلة بخفوت. من باب التَّغيير بدأت ريحٌ تهبُّ، وسمعَ دنك معطف الرَّجل يُرفرِف.

حيث قامَت (خميلة وات) من قبل وجدوا قفرًا يتصاعَد منه

الدُّخان. إلى حدٍّ كبير خمدَ الحريق قبل وصولهم إلى الخميلة، وإن ظلَّ هنا وهناك عددٌ من الرُّقع المشتعلة، جُزر ناريَّة في بحرٍ من الرَّماد والجمر، وفي بقاعٍ أخرى أنشبَت جذوع الشَّجر المحروق أنفُسها في السَّماء كحرابٍ مسودَّة. سقطَت أشجارٌ أخرى وارتمَت معترضةً الطَّريق الغربي بفروعٍ متفحِّمة ومكسورة، تتوهَّج نيران حمراء باهتة في قلوبها الجوفاء، وعلى أرض الغابة بؤر ساخنة أيضًا، وأماكن علقَ فيها الدُّخان في الهواء كغيوم رماديَّة ساخنة. أصابَت السِّير يوستس نوبة سُعال، ولبضع لحظاتٍ خشيَ دنك أن يضطرَّ الشَّيخ أن يعود أدراجه، لكن النَّوبة مرَّت في النِّهاية.

مرُّوا بجثَّة غزالٍ أحمر، ولاحقًا بما قد يكون غُريرًا. لا حياة في شيءٍ إلَّا الذُّباب. الذُّباب قادرٌ على العيش في أيِّ ظرفٍ كما يبدو. قال السِّير يوستس: «هكذا بدا (حقل النِّيران) لا ريب. هناك بدأت ويلاتنا قبل مئتَي عام. آخِر الملوك الخُضر هلكَ في ذلك الحقل، وحوله أبدع أزهار (المرعى). قال أبي إنَّ نيران التَّنانين استعرَت إلى درجة أنها صهرَت سيوفهم في أيديهم. بعدها جُمعَت السُّيوف وأُخذَت لعمل العرش الحديدي. انتقلَت (هايجاردن) من ملوكٍ إلى وُكلاء، واضمحلَّ آل أوْزجري وتضاءَلوا حتى لم يَعُد مُشيرو (التُّخم الشَّمالي) أكثر من فُرسان مُلَّاك أراضٍ موثقين بالولاء لآل رُوان».

لم يملك دنك تعليقًا على هذا، وهكذا ركبوا في صمتٍ وقتًا، إلى أن سعلَ السِّير يوستس وقال: «سِير دنكن، هل تَذكُر القصَّة التي حكيتها لك؟».

قال دنك: «ربَّما أيُّها السِّير. أيُّ واحدة؟».

ـ «الأسد الصَّغير».

ـ «أذكرُ. كان أصغر خمسة أبناء».

ـ «أحسنت». سعلَ الفارس الشَّيخ ثانيةً. «حين قتلَ لانسل لانسترُ ارتدَّ الغربيُّون على أعقابهم. من غير الملك لم تَقُم حرب. أتفهم ما أقوله؟».



أجابَ دنك بتردُّد: «أجل». *أيُمكنني أن أقتل امرأةً؟* على غير المعتاد تمنَّى دنك لو أنه بحقٍّ غليظ العقل كسور تلك القلعة. *يجب ألَّا تَبلُغ الأمور ذلك الحدَّ. يجب ألَّا أدعها تَبلُغه.*

لم تزَل أشجارٌ قليلة واقفةً حيث يَعبُر الطَّريق الغربيُّ (ماء المربَّعات)، جذوعها متفحِّمة ومسودَّة من ناحيةٍ واحدة، وبعدها مباشرةً يتلألأ الماء بألوانٍ داكنة. *أزرق وأخضر، لكن الذَّهبي كلّه اختفى.* أمَّا الشَّمس فطمسَها الدُّخان.

حين بلغَ السِّير يوستس حافة الماء توقَّف قائلًا: «لقد حلفتُ يمينًا مغلَّظةً. لن أعبر ذلك الجدول ما دامَت الأرض بعده ملكها». يرتدي الفارس الشَّيخ حلقاتٍ وصفائح معدنيَّةً تحت

معطفه المصفر، وعلى وركه سيفه.

سألَ إج: «ماذا لو لم تأتِ أيُّها السيْر؟».

ـ *بالنَّار والسَّيف*. «ستأتي».

وقد أتَت، وقبل تمام السَّاعة.

سمعوا الخيول أوَّلًا، ثم قعقعة الدُّروع المعدنيَّة الخافتة تعلو فتعلو. صعَّب الدُّخان المُنساق تحديد كم يَبعُدون، إلى أن اخترقَ حامل رايتها السِّتار الرَّمادي المهترئ، يُتوِّج ساريته عنكبٌ حديديٌّ مطليٌّ بالأبيض والأحمر، تتدلَّى تحته راية آل وِبَر السَّوداء بخمول. لمَّا رآهم الرَّجل عبر الماء توقَّف عند الضفَّة، وبعد نصف نبضة قلبٍ ظهرَ السيْر لوكَس إنشفيلد مدرَّعًا من رأسه إلى قدميْه.



عندئذٍ فقط ظهرَت الليْدي روْهان نفسها مقتعدةً فرسًا سوداء كالفحم مزيَّنةً بخيوطٍ من الحرير المفضَّض تُحاكي شباك العناكب. معطف الأرملة أيضًا مفصَّل من تلك الخيوط، ينتفخ متموِّجًا من كتفيْها ومعصميْها خفيفًا خفَّة الهواء، كما أنها

هيٍ الأخـرى مدرَّعـةٌ ببِـزَّةٍ مـن صفـائح الميـنا المتشـابكة المنقوشـة بالذَّهـب والفضَّـة، تُناسِـب قدَّهـا مثلمـا يُناسِـب القُفَّـاز يـدًا، وتُبديهـا كأنَّمـا تلتحـف بـأوراق شـجرٍ صيفيَّـة، وقـد تدلَّـت ضفيرتهـا الحمـراء الطَّويلـة وراءهـا متوثِّبـةً وهـي تتحـرَّك. إلى جانبهـا السِّـپتْون سِـفتْون محمـرُّ الوجـه فـوق حصـانٍ رمـاديٍّ مخصـيٍّ كبيـر، وإلى جانبهـا الآخَر ميْسـترها الشَّـاب كِـرك راكبًـا بغلـةً.

تبعَهـم مزيـدٌ مـن الفُرسـان، نصـف دسـتةٍ منهـم، يُصاحِبهـم العـدد نفسـه مـن المُرافقيـن، فيمـا تألَّفـت المؤخِّـرة من طابـورٍ من النَّشَّـابين، انتشـرَ علـى جانبَـي الطَّريـق بمجـرَّد بلـوغ (مـاء المربَّعـات) ورؤيـة دنـك منتظـرًا علـى الضفَّـة الأخـرى. ثلاثـة وثلاثـون فـردًا مُقـاتلًا إجمـالًا، بعـد استثناء السِّپتْون والميْستر والأرملة ذاتهـا. لفـتَ أحـد الفُرسـان نظـر دنـك؛ رجـلٌ أصـلع قصيـر مكتنـز كالبرميـل يرتـدي الحلقـات المعدنيَّـة والجلـد، لـه وجـهٌ غاضـب وفي رقبتـه دُراق قبيـح.

تقدَّمـت الأرملـة الحمـراء بفرسـها إلى حافـة المـاء، ونـادَت عبـر الجـدول: «سـيْر يوسـتس، سـيْر دنكـن، رأينـا حريقكـم مشـتعلًا لـيلًا».

ردَّ السـيْر يوسـتس زاعقًـا: «رأيتمـوه؟ أجـل، رأيتمـوه... بعدمـا أشـعلتموه».

ـ «اتِّهامٌ دنيء هذا».

ـ «بفعلةٍ دنيئة».

ـ «كنـتُ نائمـةً في فِـراشي البارحـة، مُحاطـةً برفيقـاتي. الصِّيـاح مـن الأسـوار أيقظَـني مثلمـا أيقـظَ كلَّ أحـدٍ تقريبًـا. المسنُّـون تسـلَّقوا

سلالم الأبراج العالية لِيَنظُروا، والرُّضَّع رأوا الضَّوء الأحمر وبكوا خائفين. وهذا هو كلُّ ما أعرفه عن حريقكم أيُّها السِّر».

قال السِّر يوستس بإلحاح: «إنه حريقكِ يا امرأة. خميلتي راحَت، راحَت أقول لكِ!».

تنحنحَ السِّپتۆن سِفتۆن، وقال بصوتٍ جهوري: «سِر يوستس، إنَّ في (غابة الملوك) حرائق، وفي (الغابة المطيرة) نفسها. القحط حوَّل غاباتنا كلَّها إلى هشيم».

رفعَت الليدي رۆهان ذراعها مشيرةً، وقالت: «انظُر إلى حقولي يا أۆزجري. انظُر كم هي جافَّة. لكنتُ حمقاء لو أني أشعلتُ حريقًا. لو بدَّلت الرِّيح اتِّجاهها فلربَّما وثبَ اللَّهب عبر الجدول وحرقَ نصف محاصيلي».

زعقَ السِّر يوستس: «لربَّما؟ خميلتي هي التي احترقَت، وأنتِ التي أحرقتِها. على الأرجح ألقيتِ تعويذةً ما من تعاويذ السَّاحرات لتُزجي الرِّيح، تمامًا كما استخدمتِ فنونكِ الظَّلاميَّة لتقضي على أزواجكِ وإخوتكِ!».

ازدادَ وجه الليدي رۆهان قسوةً. رأى دنك هذه النَّظرة من قبل في (الخندق البارد) قُبيل صفعتها. قالت الأرملة للشَّيخ: «هُراء. لن أبدِّد عليك مزيدًا من الكلام أيُّها السِّر. ائتِ ببِنِس صاحب التُّرس البنِّي وإلَّا فسنأتي ونأخذه».

أعلنَ السِّر يوستس بنبرةٍ رنَّانة: «هذا ما لن تفعلوه. هذا ما لن تفعلوه أبدًا»، وارتعشَ شاربه وهو يُردِف: «إيَّاكم أن تتقدَّموا. هذا الجانب من الجدول ملكي، ولستم مرغوبين هنا.

لـن تنالـوا مـني ضيافـةً، لا عيشًـا وملحًـا، ولا حـتى ظلًّا ومـاءً. إنكـم متطفِّلـون. أمنعكــم مــن وطء أرض أوْزجــري».

سـحبَت الليْـدي روْهـان ضفيرتهـا مـن فـوق كتفهـا، ولـم تقـل إلَّا: «سـيْر لوكَـس»، ليُشـير الإنـش الطَّويـل إشـارةً ترجَّـل عـلى إثرهـا الرُّمـاة وشـدُّوا أوتـار أقواسـهم بواسـطة الخُطَّـاف والرِّكاب، والتقطـوا السِّهام مـن جعابهـم، ولمَّـا وُتِّـرَ كلُّ قـوسٍ ورُفِعَ وجهـزَ نـادَت حضـرة الليْـدي: «والآن أيُّهـا السـيْر، مـمَّ منعتـنيّ؟».

سـمعَ دنـك مـا فيـه الكفايـة. «إذا عبرتـم الجـدول دون إذنٍ فإنكـم تنتهكـون سلام الملـك».

همـزَ السِّـپتوْن سِـفتوْن حصانـه متقدِّمًـا خُطـوةً، وصـاحَ: «الملـك لـن يعلـم أو يكتـرث. إننـا جميعًـا أطفـال **الأُم** أيُّهـا السـيْر. إكرامًـا لهـا تـنحَّ جانبًـا».

قطَّـب دنـك وجهـه قـائلًا: «لا أعـرفُ كثيـرًا عـن الآلهـة أيُّهـا السِّـپتوْن... ولكـن أولسـنا أطفـال **المُحـارب** أيضًـا؟»، وفـركَ مؤخِّـرة عُنقـه مضيفًـا: «إذا حاولتـم العبـور فسـأردعكم».

ضحـكَ السـيْر لوكَـس الإنـش الطَّويـل، وقـال للأرملـة الحمـراء: «هـا هـو ذا فـارسٌ جـوَّال يشـتاق إلى أن يُصبِـح قُنفـذًا يـا سـيِّدتي. ألـقي الأمـر وسـنغرز فيـه دسـتةً مـن السِّـهام. مـن هـذه المسـافة سـتنفذ كأن درعـه مصنوعـةٌ مـن البُصـاق!».

ـ «لا، ليـس بعدُ أيُّهـا السـيْر». تفرَّسـت الليْـدي روْهـان في دنـك مـن مكانهـا عبـر الجـدول، وقالـت: «أنتـم رجلان وغُلام. نحـن ثلاثةٌ وثلاثـون. كيـف تنـوي منعنـا مـن العبـور؟».

ـ «سأخبركِ، ولكن أنتِ فقط».

ـ «كما تشاء». ضغطَت بكعبيْها على جنبَي فرسها ونزلَت في الجدول، وحين ارتفعَ الماء حتى بطن الفرس كبحَتها وانتظرَت. «هأنذي. ادنُ أيُّها السِير. أعدُك ألّا أخيِّط عليك جوالًا».

أمسكَ السِير يوستس دنك من ذراعه قبل أن يُجيب، وقال الفارس الشَّيخ: «اذهب إليها، ولكن تذكَّر الأسد الصَّغير».

ـ «كما تقول يا سيدي». مشى دنك بثندر خائضًا الماء، وتوقَّف بجوارها قائلًا: «ستِّي».

ـ «سِير دنكن». مدَّت يدها واضعةً إصبعيْن على شفته المتورِّمة، وسألَته: «أسبَّبتُ أنا هذا أيُّها السِير؟».

ـ «لا أحد غيركِ صفعَني على وجهي في الآونة الأخيرة يا ستِّي».



ردَّت: «كان تصرُّفًا سيِّئًا مني. السِّپتوْن الكريم يُؤنِّبني منذ حينها»، ونظرَت عبر الماء إلى السِّر يوستس قائلةً: «لم أعُد أتذكَّرُ أدام إلَّا بالكاد. لقد انقضى أكثر من نصف حياتي منذ ذلك الوقت. لكنني أذكرُ أني أحببته. الآخَرون لم أحبَّ أيًّا منهم».

- «أبوه دفنَه وسط التُّوت الأسود. كان مغرمًا بالتُّوت الأسود».

- «أذكرُ. اعتادَ أن يقطفه لي لنأكله في وعاءٍ من القشدة».

قال دنك: «الملك سامحَ العجوز على ديمؤن. آنَ الأوان منذ زمنٍ أن تُسامِحيه على أدام».

- «أعطِني بِنس وسأفكِّرُ في الأمر».

- «بِنس ليس ملكي لأعطيه لكِ».

تنهَّدت قائلةً: «سيُسعِدني ألَّا أضطرَّ إلى قتلك».

- «سيُسعِدني ألَّا أموت».

- «أعطِني بِنس إذًا. سنقطع أنفه ونُعيده وتُصبِح المسألة منتهيةً».

- «لكنها لن تنتهي. ما زالَ علينا التَّعامُل مع السَّد، ومع الحريق. هل ستُسلِّمين إلينا الرِّجال الذين أشعَلوه؟».

- «كانت في الغابة حشرات قناديل. ربَّما أشعلَت هي الحريق بقناديلها الصَّغيرة».

حذَّرها دنك: «كفى عبثًا يا ستِّي. الآن ليس وقته. اهدمي السَّد ودعي السِّر يوستس يحظى بالماء عوضًا عن الخميلة. إنه

العدل، أليس كذلك؟».

ردَّت: «ربَّما لو أني أحرقتُ الخميلة، وهو ما لم أفعله. لقد كنتُ في (الخندق البارد)، آمنةً في فِراشي»، وخفضَت ناظرَيْها إلى الماء متابعةً: «ما الذي يمنعنا من عبور الجدول مباشرةً؟ هل بعثرتم حسكًا[١٤] بين الصُّخور؟ خبَّأتم رُماةً في الرَّماد؟ أخبِرني بما تحسبه سيمنعنا».

خلعَ دنك فردةً من قُفَّازه قائلًا: «أنا. في (سفح البراغيث) كنتُ دائمًا أكبر وأقوى من الصِّبيان الآخَرين، ولذا اعتدتُ أن أضربهم حتى أدميهم وأسرق منهم. العجوز علَّمني ألَّا أفعل ذلك. قال لي إنه خطأ، وأحيانًا للصِّبيان الصِّغار إخوةٌ كبار ضخام. هاكِ، ألقي نظرةً على هذا»، ولفَّ الخاتم حتى انخلعَ من إصبعه وقدَّمه لها، لتفلت ضفيرتها رغمًا عنها لكي تأخذه.

قالت حينما أحسَّت بوزنه: «ذهب؟ ما هذا أيُّها السِّير؟»، وقلبَته في يدها مُردفةً: «طابَع ختم. ذهب وجزْع»، وضاقَت عيناها الخضراوان إذ أمعنَت بهما النَّظر إلى الختم، وسألَته: «أين عثرت على هذا أيُّها السِّير؟».

ـ «في حذاء، ملفوفًا بخِرَقٍ ومحشورًا في الإصبع الكبيرة».

انغلقَت يد الليدي روهان حوله، وألقَت نظرةً عابرةً نحو إج والسِّير يوستس. «خاطرت مخاطرةً عظيمةً لمَّا أريتني هذا الخاتم أيُّها السِّير. ولكن ما نفعه لنا؟ إذا أمرتُ رجالي بالعبور...».

١٤ ـ الحسك Caltrops: يُعرَف أيضًا بِقدم الغُراب، وهو سلاحٌ دفاعيٌّ مكوَّن من اثنين أو أكثر من المسامير أو الأشواك الحادَّة المشكلة بحيث يُشير أحدها دائمًا إلى أعلى وينغرس في قدم مَن يخطو عليه. (المُترجم).



ـ «فسيعني ذلك أنَّ عليَّ أن أقاتل».

ـ «وتموت».

ـ «غالبًا، وسيعود إج إلى داره ويحكي ما حدثَ هنا».

ـ «ليس إذا ماتَ أيضًا».

ـ «لا أظنُّكِ ستَقتُلين غُلامًا عنده عشر سنوات». قالها آملًا أنه مصيب. «ليس هذا الغُلام ذي السَّنوات العشر تحديدًا على الأقل، لن تَقتُليه. إنَّ معكِ ثلاثةً وثلاثين رجلًا كما قلتِ. الرِّجال يتكلَّمون. ذلك البدين هناك بالذَّات. مهما غارَ عُمق القَبور التي ستَحفُرينها فستنفضح الحكاية، وحينئذٍ... قد تَقتُل لدغة

عنكبوت رقطاء أسدًا، لكن التنّين حيوانٌ من نوعٍ آخَر».

ـ «أوثرُ أن أكون صديقة التنّين». جرَّبت الخاتم على إصبعها، فوجدَته كبيرًا حتى على إبهامها. «بتنّينٍ أو من غيره، يجب أن أنال بِنس صاحب التُّرس البنّي».

ـ «لا».

ـ «إنك سبعة أقدامٍ من العناد».

ـ «ناقص بوصة».

أعادَت إليه الخاتم قائلةً: «لا يُمكنني العودة إلى (الخندق البارد) خاوية الوفاض. سيقولون إنَّ الأرملة الحمراء فقدَت قُدرتها على اللَّدغ، إنها أضعف من أن تُنزِل العدالة، إنها لم تقوَ على حماية رعاياها. لست تفهم أيُّها السِّر».

ـ «قد أفهمُ». *أكثر ممَّا تحسبين*. «أذكرُ مرَّةً ضمَّ فيها لوْرد صغير الشَّأن في (أراضي العواصف) السِّر آرلان إلى خدمته، ليُعينه على قتال لوْرد آخَر صغير الشَّأن. لمَّا سألتُ العجوز علامَ يتقاتَلان قال: *لا شيء يا فتى. إنها مجرَّد مسابقة تبوُّل*».

رمَته الليْدي روْهان بنظرةٍ مصدومة، وإن لم تستطع الحفاظ عليها وقتًا أطول من نصف نبضة قلب قبل أن تستحيل إلى ابتسامةٍ عريضة. «سمعتُ ألف مجاملةٍ فارغةٍ في حياتي، لكنك أوَّل فارسٍ على الإطلاق يقول «تبوُّل» في حضوري». اكتسبَ وجهها المنمَّش جهامةً إذ أتبعَت: «بمسابقات التَّبوُّل تلك يُقدِّر بعض اللوْردات قوَّة بعض، وويلٌ لأيّ رجل يُبدي ضعفه. على المرأة أن تَبذُل ضعفَي الجهد في التَّبوُّل لوْ أنها تأمل أن تَحكم. وإذا

تصادفَ أنَّ تلك المرأة صغيرة الحجم أيضًا... اللورد ستاكهاوس يشتهي (تلال الحدوة)، السير كليفرد كونكلِن له أحقيَّة قديمة في (البُحيرة المورقة)، وآل دَروِل المأفونون هؤلاء يعيشون على سرقة المواشي... وتحت سقفي ذاته الإنش الطِّويل. كلَّ يوم أصحو متسائلةً أهذا هو اليوم الذي سيتزوَّجني فيه قسرًا». انقبضَت يدها بشدَّةٍ حول ضفيرتها، بقوَّةٍ كأن الضَّفيرة حبلٌ وكأنَّما تتدلَّى هي من شفا هاوية. «إنه يُريد الزَّواج بي، أعرفُ، ولا يمتنع إلَّا خشية غضبتي، مثلما يتصرَّف كونكلِن وستاكهاوس وآل دَروِل بحرص حين يتعلَّق الأمر بالأرملة الحمراء. إذا ظنَّ أيٌّ منهم لحظةً أني صرتُ ضعيفةً ليِّنةً...».

وضعَ دنك الخاتم حول إصبعه من جديد، وسحبَ خنجره.

واتَّسعت عينا الأرملة لمرأى الفولاذ المجرَّد، وقالت: «ماذا تفعل؟ هل فقدت عقلك؟! إنَّ دستةً من النُّشَّابيَّات مصوَّبة إليك».

ردَّ: «لقد أردتِ دمًا بدم»، ووضعَ الخنجر على وجنته متابعًا: «ما أخبروكِ به خطأ. ليس بِنس مَن جرحَ الحفَّار، بل أنا»، وضغطَ بحدِّ الفولاذ على وجهه وشقَّه إلى أسفل. عندما نفضَ الدَّم عن النَّصل انتشرَ بعضه على وجهها، ففكر: مزيدٌ من *النَّمش*. «هاكِ، الأرملة الحمراء نالَت ما لها. وجنةٌ بوجنة».

قالت وقد ملأ الدُّخان عينيْها بالدُّموع: «أنت مجنون حقًّا. لو أنك أليَق مولدًا لتزوَّجتك».

- «أجل يا ستِّي. ولو أنَّ للخنازير أجنحةً وحراشف ولهبًا تنفثه لكانت مثل التَّنانين». أعادَ دنك السكِّين إلى غِمده شاعرًا

بنبضات الألم الذي دبَّ في وجهه. سالَ الدَّم على وجنته وتقاطرَ على عُنقيَّته، وجعلَت الرَّائحة تُنذر ينخر ويُحرِّك أقدامه في الماء. «أعطيني الرِّجال الذين أحرَقوا الخميلة».

ردَّت: «لا أحد أحرقَ الخميلة، ولكن لو فعلَها رجلٌ ما من رجالي فلا بُدَّ أنه قصدَ إرضائي. كيف أعطيك رجلًا كهذا؟»، وألقَت نظرةً إلى الوراء نحو مُصاحبيها مضيفةً: «الأفضل أن يسحب السِّر يوستس اتِّهامه ليس إلَّا».

ـ «بعد أن تنفث تلك الخنازير النَّار يا ستِّي».

قالت: «في تلك الحالة يتحتَّم أن أؤكِّد براءتي أمام أعيُن الآلهة والبشر. قُل للسِّر يوستس إنني أطالبُ باعتذار... أو بمحاكمة. الخيار له»، ودارَت بفرسها لترجع إلى رجالها.

***

سيكون الجدول ميدان المعركة بينهما.

تقدَّم السِّپتون سِفتون متمايلًا وردَّد دُعاءً استعطفَ به **الأب في الأعالي** أن يَنظُر من عليائه إلى هذيْن الرَّجليْن ويَحكُم عليهما بالعدل، وسألَ **المُحارب** أن يمدَّ بقوَّته صاحب القضيَّة العادلة الشَّريفة، واستجدى رحمة **الأم** للكاذب عسى أن تُغفَر له خطاياه. عند تمام الدُّعاء والفروغ منه التفتَ السِّپتون إلى السِّر يوستس أوزجري مرَّةً أخيرةً قائلًا: «سِر، أتوسَّلُ إليك من جديد، اسحب اتِّهامك».

ردَّ العجوز وشاربه يرتجف: «لن أفعل».

التفتَ السِّپتون إلى الليدي روهان، وقال لها: «أختي الصِّهرة، إذا فعلتِ هذه الفعلة فاعترفي بذنبكِ واعرضي على السير يوستس تعويضًا عن خميلته، وإلَّا لوجبَ أن تُراق الدِّماء».

ـ «نصيري سيُثبِت براءتي أمام أعيُن الآلهة والبشر».

قال السِّپتون الخائض في الماء حتى الخصر: «المحاكمة بالقتال ليست السَّبيل الوحيد. فلنذهب إلى (البُستان الذَّهبي)، أناشدكما أنتما الاثنان، ونطرح المسألة على اللورد رُوان طلبًا لحُكمه».

قال السير يوستس: «مُحال»، فيما هزَّت الأرملة الحمراء رأسها رفضًا.

نظرَ السير لوكَس إنشفيلد إلى الليدي روهان بوجهٍ اربدَّ غيظًا، وقال: «ستتزوَّجينني حين تنتهي هذه المهزلة، كما رغبَ السيِّد والدكِ».

ردَّت: «السيِّد والدي لم يعرفك كما أعرفك».

جثا دنك على رُكبةٍ واحدة بجوار إج ووضعَ في يد الغُلام طابَع الختم: أربعة تنانين ثُلاثيَّة الرُّؤوس، اثنان واثنان، شعار ميكار أمير (بهو الصَّيف). «أعِده إلى الحذاء، ولكن إذا حدثَ ومتُّ فاذهب إلى أقرب أصدقاء أبيك واجعله يُعيدك إلى (بهو الصَّيف). لا تُحاوِل قطع (المرعى) بأكمله بمفردك. إيَّاك أن تنسى، وإلَّا فسيأتي شبحي ويلطمك على الأذن».

قال إج: «حاضر أيُّها السير، لكنني أفضِّلُ ألَّا تموت».

ـ «الطَّقس أشدُّ حرارةً من أن أموت».

اعتمرَ دنك خوذته، وساعدَه إج على ربطها بإحكامٍ بعُنقيَّته.



أحسَّ بلزوجة الدَّم على وجهه رغم أنَّ السِير يوستس مزَّق قطعةً من معطفه ليُساعِد على وقف الجرح عن النَّزيف.

نهضَ وذهبَ إلى ثندر، ورأى وهو يعتلي سرجه أنَّ أكثر الدُّخان انقشعَ، وإن ظلَّت السَّماء معتمةً. غيوم، غيوم *مظلمة*. طالَ الوقت جدًّا منذ غامَت السَّماء. *لعلَّها بشارة، ولكن أهي بشارة له أم لي؟* لا يُجيد دنك تفسير البشائر.

عبر الجدول ركبَ السِير لوكَس أيضًا حصانه، وهو حصانٌ عدَّاء كستنائي، حيوانٌ بديع، سريعٌ وقوي، لكنه ليس كبيرًا كثندر. على أنَّ ما يفتقر إليه الحصان في الحجم عوَّضه صاحبه بالتَّدريع، فألبسَه واقي رقبةٍ وواقي رأسٍ وكسوةً من السَّلاسل الخفيفة. أمَّا الإنش الطَّويل نفسه فارتدى صفائح مطليَّة بالمينا الأسود وزردًا مفضَّضًا، وقد جثمَ عنكبٌ من الجزْع بخُبث أعلى

خوذته، لكـن تُرسـه عـرضَ شـعاره الخـاص، شـريطًا مـائلًا مربَّعًـا بالأبيـض والأسـود عـلى خلفيَّـةٍ رماديَّـة باهتـة. شـاهدَ دنـك السـيْر لوكَـس يُنـاوِل مُرافقـه التُّـرس، ففكَّـر: *لا ينـوي استخدامه*، وعندمـا أتـاه مُرافـق آخَـر بفـأس حربيَّـة علـمَ السَّـبب. الفـأس طويلـةٌ مميتـة، ذات مقبـض مدعَّـم ورأس ثقيـل وأسـلةٍ خبيثـة المنظـرِ عـلى ظهرهـا، لكنهـا سلاحٌ يُمسَـك باليدَيْـن، أي إنَّ عـلى الإنـش الطَّويـل أن يتَّـكل عـلى درعـه لتحميـه. *يجـب أن أندِمـه عـلى هـذا الاختيـار*.

وضعَ دنـك تُرسـه هـو عـلى ذراعـه اليُسـرى، التُّـرس الـذي رسـمَت عليـه تانسـل دردارتـه وشـهابه. في رأسـه تـردَّدت أسـجوعة التِّـراس القديمـة: *السِّـنديان والحديـد يقيانـني خيـر وقـاء، وإلَّا فأنـا ميِّـتٌ وإلى الجحيـم الانتهـاء*. سـحبَ سـيفه الطَّويـل مـن غِمـده، واستحسـنَ وزنـه في يـده.

همـزَ جنبَـي ثنـدر بكعبَيْـه ونـزلَ بالبِـرذون الكبيـر إلى المـاء، وعبـر الجـدول حـذا السـيْر لوكَـس حـذوه. عمـدَ دنـك إلى اليمـين ليُواجِـه الإنـش الطَّويـلِ بجنبـه الأيسـر المحـميّ بتُرسـه، إلَّا أنَّ ذلـك امتيـازٌ أبـى السـيْر لوكَـس أن يُخوِّلـه لـه، فـدارَ بحصانـه العـدَّاء سـريعًا، وتلاقَيـا في معمعـةٍ مـن الفـولاذ الرَّمـادي والـرَّذاذ الأخضـر. ضـربَ السـيْر لوكَـس بفأسـه الحربيَّة، واضطـرَّ دنـك إلى الالتـواء فـوق سـرجه ليصـدَّ الضَّربـة بتُرسـه، لتمـرق قوَّتهـا في ذراعـه وتصـكَّ أسـنانه. هـوى دنـك بسـيفه ردًّا في ضربـةٍ جانبيَّـة أصابَـت الفـارس الآخَـر تحـت ذراعـه المرفوعـة، وصـرخَ الفـولاذ عـلى الفـولاذ، وابتـدأ القتـال.

همـزَ الإنـش الطَّويـل عـدَّاءه في دائـرةٍ محـاولًا الـدَّوران إلى جنـب دنـك المكشـوف، لكـن ثنـدر دارَ ليُقابِلـه ناهشًـا الهـواء في وجـه

الحصان الآخَر. نزلَ السِيْر لوكَس بضربة عاتية تلو أخرى وهو واقفٌ فوق ركابيْه ليضع وزنه وبأسه كلَّهما وراء رأس الفأس، وحرَّك دنك تُرسه ليصدَّ كلَّ ضربةٍ تَبلُغه. شبه مُقع أسفل سنديان التُّرس، انهالَ بالضَّربات على ذراعَي الإنش الطَّويل وجنبه وساقيْه، لكن صفائحه المعدنيَّة ردَّتها جميعًا. وهكذا دارا، وثانيةً دارا وألسنة الماء تلعق سيقانهما. هاجمَ الإنش الطَّويل، ودافعَ دنك مترقِّبًا نُقطة ضعف.

وأخيرًا أبصرَها. كلَّما رفعَ السِيْر لوكَس فأسه توطئةً لضربةٍ أخرى ظهرَت ثغرةٌ تحت ذراعه، حيث تُوجَد حلقات معدنٍ



وجلد وبطانةٌ تحتهما، ولكن لا صفائح فولاذ. أبقى دنك تُرسه مرتفعًا محاولًا أن يُوقِّت هجمته. *قريبًا. قريبًا*. هوَت الفأس، وانتُزِعَت، وارتفعَت. *الآن!* بقوَّةٍ بالغة ضربَ بمِهمازيْه ثندر دانيًا به أكثر، وطعنَ بسيفه الطَّويل ناشدًا أن يغرز رأسه في الفتحة.

غير أنَّ الثَّغرة اختفَت بسرعة ظهورها، وحكَّ رأس سيفه قُرصًا واقيًا، وكادَ دنك الذي مدَّ جسده أكثر من اللَّازم يَسقُط من جلسته. هوَت الفأس مرتطمةً بحافة تُرس دنك الحديديَّة ومنحرفةً عنها لتصدم جنب خوذته وتُصيب ثندر بضربةٍ عابرة على طول العُنق.

صرخَ البِرذون وشبَّ على قائمتيْه الخلفيَّتيْن، عيناه بيضاوان زائغتان ألمًا فيما تُفعِم رائحة الدَّم النُّحاسيَّة النفَّاذة الهواء. رفسَ الحصانُ بحافريْه الحديديَّيْن في اللَّحظة نفسها التي كرَّ فيها الإنش الطَّويل، فأصابَ واحدهما السِّير لوكَس في وجهه والآخَر في كتفه، ثم سقطَ الجواد الحربيُّ الثَّقيل فوق عدَّائه.

حدثَ كلُّ شيءٍ في غضون نبضة قلب. سقطَ الحصانان متشابكيْن، يتراكلان ويتعاضَّان ويمخضان المياه والوحل تحتها. حاولَ دنك أن يُلقي بنفسه من فوق سرجه، لكن إحدى قدميْه علقَت في رِكاب، وسقطَ على وجهه وهو يعبُّ جرعةً يائسةً من الهواء قبل أن يتدفَّق الجدول إلى داخل خوذته عبر فتحة الرُّؤية. ظلَّت قدمه عالقةً، وشعرَ بجذبةٍ ضارية إذ كادَ كفاح ثندر يخلع ساقه من تجويفها. وبالسُّرعة نفسها تحرَّر، وانقلبَ، وغاصَ. للحظةٍ تلوَّى بعجزٍ في الماء، والعالم من حوله أزرق وأخضر وبنِّي.

سحبَه وزن درعه إلى أسفل حتى صدمَت كتفه قاع الجدول. *ما دامَ هذا تحت فالاتِّجاه الآخَر فوق.* تلمَّست يدا دنك المقفَّزتان بالفولاذ الحجارة والرِّمال، وبوسيلةٍ ما عدلَ ساقيْه تحته ونهضَ يترنَّح ويَقطُر وحلًا وينصبُّ الماء من فتحتَي التَّنفُّس في خوذته المنبعجة، لكنه وقفَ ونهلَ الهواء نهلًا.

ظلَّ تُرسه المحطَّم عالقًا بذراعه اليُسرى، إلَّا أنَّ غِمده فارغٌ وسيفه اختفى، وفي داخل خوذته دمٌ علاوةً على الماء، وعندما حاولَ الارتكاز بوزنه على قدمه الأخرى طعنَ كاحلُه ساقَه بطولها برُمح من الألم. رأى كلا الحصانيْن وقد قاما مجدَّدًا بعد عناء، ودارَ برأسه مضيِّقًا عينًا واحدةً مفتوحةً لينفذ بها من ستارٍ من الدَّم بحثًا عن خصمه، ثم فكَّر: *ماتَ، غرقَ أو سحقَ ثندر*



جمجمتـه.

وانبثـقَ السـيْر لوكَـس مـن المـاء أمامـه مباشـرةً وسـيفه في يـده، وهـوى عـلى عُنـق دنـك بضربـةٍ ضاريـة، ووحـده سُـمك عُنقيَّتـه أبـقى رأسـه عـلى كتفيْـه. ليـس معـه سَـيفٌ يـردُّ بـه، بـلِ تُرسـه فقـط، وهكذا تقهقـرَ، وتقـدَّم الإنـش الطَّويـل صارخًـا منهـالًا بالضَّربـات. تلقَّـت ذراع دنـك المرفوعـة ضربـةً مخـدِّرةً فـوق المرفـق، ودفعَـه جـرح في وركـه إلى الأنيـن مـن الألـم، وإذ تـراجعَ انقلبَـت صخـرةٌ تحـت قدمـه وسـقطَ عـلى رُكبتـه ليَبـلغ منسـوب المـاء صـدره. رفعَ دنـك تُرسـه، لكـن الضَّربـة الـتي وجَّههـا السـيْر لوكَـس هـذه المـرَّة بلغَـت مـن العتـوِّ أنهـا شـقَّت السِّـنديان مـن المنتصـف وأطاحَـت بالبقايـا في وجـه دنـك، الـذي رنَّـت أذنـاه وامـتلأ فمـه بالـدَّم، ومـن مكانٍ مـا بعيـد سـمعَ إج يَصـرُخ: «نـل منـه أيُّهـا السـيْر، نـل منـه، نـل منـه، إنـه أمامـك مباشـرةً!».

وانقـضَّ دنـك. كان السـيْر لوكَـس قـد خلَّـص سـيفه مـن أجـل ضربـةٍ أخـرى، لكـن دنـك ارتطـمَ بـه عـلى ارتفـاع الخصـر وأسـقطَه. مـن جديـدٍ ابتلعَهمـا الجـدول، لكـن دنـك كان مسـتعدًّا هـذه المـرَّة، فأبـقى إحـدى ذراعيْـه حـول الإنـش الطَّويـل ودفعَـه إكراهًـا إلى القـاع. تدفَّقـت الفقاقيـع مـن خلـف مقدِّمـة خـوذة إنشـفيلد المنبعجـة الملتويـة، ومع ذلـك قـاومَ. في قـاع الجـدول وجـدَ صخـرةً وانهـالَ بهـا ضربًـا عـلى رأس دنـك ويديْـه، وتلمَّـس دنـك حـزام سـيفه متسـائلًا: *هـل فقـدتُ الخنجـر أيضًـا*؟ لا، هـا هـو ذا. انغلقَـت يـده حـول المقبـض، وانتـزعَ الخنجـر وغـرزَه ببُـطء عبـر المـاء الممخـوض، عبِـر الحلقـات الحديـد والجلـد المغـلي تحـت ذراع لوكَـس الإنـش الطَّويـل مـدوِّرًا إيـاه وهـو يُغمِـده. انتفـضَ السـيْر لوكَـس وتلـوَّى،

وغادرَته القوَّة، ودفعَه دنك وطفا شاعرًا بحريقٍ في صدره. برقَت سمكةٌ مارَّةٌ أمام وجهه، بيضاء وطويلة ونحيفة، وتساءلَ دنك: *ما هذا؟ ما هذا؟ ما هذا؟*

***

استعادَ وعيه في القلعة الخطأ.

حين انفتحَت عيناه لم يدرِ أين هو، وإن شعرَ بالجوِّ فاتر الحرارة على نحوٍ بهيج. في فمه مذاق الدَّم، وعلى عينيْه قُماشة، قُماشة ثقيلة تعبق برائحة مرهمٍ ما فكَّر دنك أنَّ له رائحة القرنفل.

تلمَّس دنك وجهه مزيلًا القُماشة. أعلاه يتلاعَب ضوء المشاعل على سقفٍ مرتفع، تمشي فوق عوارضه غِدفان تُحدِّق إلى أسفل بأعيُنٍ سوداء صغيرة وتنعق له. *لستُ أعمى على الأقل*. إنه في بُرج ميْستر. تصطفُّ على الجُدران رفوفٌ من الأعشاب والعقاقير في جرارٍ من الخزف وآنيةٍ من الزُّجاج الأخضر، وعلى مقربةٍ تُغطِّي طاولةً طويلةً بحامليْن كُتب ورُقوق وأدواتٍ غريبة من البرُنز، تُلطِّخها جميعًا فضلات الغِدفان الجاثمة فوق العوارض. سمعَها دنك يغقُّ بعضها لبعض.

حاولَ أن يجلس واتَّضح أنه خطأ كبير. دارَ رأسه، وصرخَت ساقه اليُسرى من الألم المبرِّح عندما حمَّلها أخفَّ وزن. رأى كاحله مربوطًا بالكتَّان، وحول صدره وكتفيْه أيضًا شرائط كتَّانية.

ـ «اثبت». ظهرَ فوقه وجه، وجهٌ شابٌّ ممصوص فيه عينان بنِيَّتان داكنتان على جانبَي أنفٍ معقوف. يعرف دنك هذا الوجه. ثياب الرَّجل الذي يملكه رماديَّة بالكامل، وحولِ عُنقه يرتخي طوقٌ سلسلة، سلسلة ميْستر من معادن شتَّى. أمسكه دنك من رُسغه سائلًا: «أين...؟».

قال الميْستر: «(الخندق البارد). جراحك كانت أبلغ من أن ترجع إلى (ستاندفاست)، فأمَرَتنا الليْدي روْهان بالمجيء بك إلى هنا. اشرب هذا»، ورفعَ كوبًا من... شيءٍ ما... إلى شفتَي دنك. للعقَّار مذاقٌ مُرٌّ كالخل، لكنه أزالَ مذاق الدَّم على الأقل.

دفعَ دنك نفسه إلى شُربه كلِّه، وبعد ذلك ثنى أصابع يد سيفه وبسطها، ثم اليد الأخرى. *على الأقل لا تزال يداي تعملان، وذراعاي*. «ماذا... ماذا جرحتُ؟».

نخرَ الميْستر ساخرًا، وقال: «ما الذي لم تجرحه؟ كاحل مكسور، رُكبة ملتوية المفاصل، ترقوة مكسورة، رضوض... أعلى جذعك معظمه أخضر وأصفر، وذراعك اليُمنى لونها أسود ضارب إلى الأرجواني. حسبتُ أنَّ جمجمتك متصدِّعة أيضًا، ولكن لا يبدو أنها كذلك. وفي وجهك ذلك الشَّق أيُّها السيْر. ستحمل ندبةً للأسف. أوْه، وكنت قد غرقت وقت أن انتشلناك من الماء».

ردَّد دنك: «غرقتُ؟».

ـ «لم أتصوَّر قَطُّ أنَّ رجلًا واحدًا يُمكنه أن يبتلع كلَّ ذلك الماء ولو كان كبيرًا مثلك أيُّها السيْر. عُدَّ نفسك محظوظًا أني حديديُّ الميلاد. رُهبان الإله الغريق يعرفون كيف يُغرِقون رجلًا

ويُعيدونـه، وقـد درسـتُ معتقداتهـم وأعرافهـم».

ـ غرقـتُ. حـاولَ دنـك ثانيـةً أن يجلـس، إلَّا أنـه خلا مـن القـوَّة. *غرقـتُ في مـاءٍ لـم يرتـفع إلى عُنـقي حتى.* أطلـقَ ضحكـةً، ثـم أنينًـا متوجِّعًـا، وسـألَ: «السـِر لوكـس؟».

ـ «ماتَ. أشككت في هذا؟».

ـ لا. شـكَّ دنـك في أشـياء عـدَّة، ولكـن ليـس في هـذا. تذكَّـر كيـف فارقَـت القـوَّة أطـراف الإنـش الطَّويـل كلَّهـا في آنٍ واحـد. أمكنَـه أن يلفـظ: «إج. أريـدُ إج».

قـال الميْسـتر: «الجـوع علامـةٌ مبشِّـرة، لكنـك محتـاجٌ الآن إلى النَّـوم لا الطَّعـام».

هزَّ دنك رأسه، وفي الحال ندمَ. «إج مُرافقي...».

ـ «حقًّـا؟ صبـيٌّ شُـجاع، وأقـوى ممَّـا يبـدو. هـو الـذي سـحبَك من الجـدول، وسـاعدَنا كذلـك عـلى خـلع درعـك، وركـبَ معـك العربـة حيـن جلبنـاك إلى هنـا. لقـد أبـى أن ينـام، بـل جلـسَ إلى جـوارك وسـيفك عـلى حجـره تحسُّـبًا لأن يُحـاول أحـدٌ أذيَّـتك. لقـد ارتـابَ فيَّ أنـا نفـسي، وأصـرَّ أن أذوق أيَّ شيءٍ أنـوي أن أُطعِمـك إيَّـاه. طفـلٌ غريـب الأطـوار، لكنـه متفـانٍ».

ـ «أين هو؟».

ـ «السـِر يوسـتس سـألَ الولـد أن يَحضُـره في مأدبـة الزِّفـاف. لـم يُوجَـد أحـدٌ آخَـر بجانبـه. لكانـت قلَّـة أدبٍ منـه لـو رفـضَ».

ـ «مأدبة الزِّفاف؟». لم يفهم دنك.

- «لم يُمكنك أن تعرف طبعًا. (الخندق البارد) و(ستاندفاست) تصالحَتا بعد معركتك. الليْدي رؤهان استأذنَت السيْر يوستس العجوز أن تَعبُر إلى أرضه وتزور قبر أدام، ومنحَها ذلك الحقَّ. ركعَت أمام التُّوت الأسود وأجهشَت بالبُكاء، وتأثَّر هو إلى درجة أنه ذهبَ ليُواسيها. لقد أمضَيا اللَّيلة بأكملها في الكلام عن أدام الصَّغير ووالد سيِّدتي النَّبيل. اللوْرد وايمان والسيْر يوستس كانا صديقيْن صدوقيْن حتى تمرُّد بلاكفاير. حضرة اللوْرد وسيِّدتي تزوَّجا هذا الصَّباح على يد سِپتؤننا الكريم سِفتؤن. يوستس أوْزجري سيِّد (الخندق البارد) الآن، وأسده ذو المربَّعات يخفق بجوار عنكب وِبَر على كلِّ بُرج وجِدار».

أخذَ عالم دنك يدور ببُطء من حوله. *ذلك العقَّار. لقد أعادَني إلى النَّوم.* أسبلَ جفنيْه وتركَ ألمه كلَّه يتسرَّب منه سامعًا الغدفان ينعق بعضها ويَصرُخ لبعض، وصوت تنفُّسه، وشيئًا آخَر أيضًا... صوتًا أنعم، ثابتًا، ثقيلًا، ومريحًا بشكلٍ ما. بنُعاسٍ تمتمَ: «ما هذا؟ هذا الصَّوت...؟».

قال الميْستر: «هذا؟»، وأصغى ثم أجابَ: «مجرَّد مطر».

***

لم يرَها حتى يوم رحيلهما.

- «ما تفعله طيشٌ أيُّها السيْر». قالها السِّپتؤن سِفتؤن بتبرُّم فيما حجلَ دنك بخُطواتٍ ثقيلة قاطعًا السَّاحة، يُؤرجِح قدمَهُ

المجبَّرة ويتَّكئ على عُكَّاز. «المِيستر كِرك يقول إنك لم تُشفَ ولو نصفيًّا بعدُ، وهذا المطر... سيُصيبك بردٌّ غالبًا إذا لم تغرق ثانيةً. على الأقل انتظِر حتى يتوقَّف المطر».

ـ «قد يطول الانتظار أعوامًا». يَشعُر دنك بالامتنان للسِّپتٰن البدين الذي زارَه كلَّ يوم تقريبًا... ليُصلِّي من أجله في الظَّاهر، وإن بدا أنَّ وقتًا أطول استُغرقَ في الحكي والنَّميمة. سوف يفتقد لسانه الطَّليق النَّشط وصُحبته المرحة، لكن ذلك لا يُغيِّر شيئًا. «يجب أن أرحل».

كان المطر ينهمر حولهما، يجلده على ظهره كألف سوطٍ رماديّ بارد، وقد شبَّع الماء معطفه بالفعل، المعطف الصُّوف الأبيض الذي أعطاه له السِّير يوستس، بحاشيته ذات المربَّعات الخضراء والذَّهبيَّة. مرَّةً أخرى أصرَّ الفارس الشَّيخ أن يأخذه هديَّة وداع، وقال: «لقاء شجاعتك وخدمتك المخلصة أيُّها السِّير». الدبُّوس الذي يُثبِّت المعطف إلى كتفه هديَّة أيضًا، دبُّوس عاجي بشكل عنكبٍ بأَرجُلٍ فضِّيَّة، تُكوِّن عناقيد من العقيق الأحمر المسحوق رُقطًا على ظهره.

قال السِّپتٰن سِفتٰن: «آملُ أنه ليس مسعى مجنونًا لمطاردة بِنس. إنك مكدوم ومرضوض إلى درجة أني سأخشى عليك إذا وجدَك ذلك الرَّجل في هذه الحالة».

فكَّر دنك بمرارة: بِنس، *بِنس الملعون*. بينما صمدَ دنك على موقفه عند الجدول، قيَّد بِنس سام المحنيَّ وزوجته ونهبَ (ستاندفاست) من عاليها إلى سافلها، ثم ولَّى هاربًا بكلِّ شيءٍ ذي قيمة عثرَ عليه، من الشُّموع والملابس والأسلحة إلى كأس

أوْزجـري الفضِّيَّـة القديمـة وخبيئـةٍ صغيـرة مـن المـال أخفاهـا الشَّـيخ في غُرفتـه الشَّمسيَّة وراء طنفسـةٍ تنمـو فيهـا العفونـة. يأمـل دنـك أن يُقابِـل السـيْر بنِـس صاحـب التُّـرس البـنِّي ثانيـةً يومًـا مـا، وحينمـا يُقابِلـه... «فليبـقَ بنِـس إلى وقـتٍ لاحـق».

ـ «أيـن سـتذهب؟». كان السِّـپتوْن يلهـث بشـدَّة، فحـتى مع اسـتناد دنـك إلى عُـكَّاز حالَـت بدانتـه المفرطـة دون أن يُجـاري خُطوتـه.

أجـابَ دنـك: «(الجزيـرة القصيَّـة). (هارنهـال). (الثَّالـوث). الأسـوجة في كلِّ مكان»، وهـزَّ كتفيْـه مضيفًـا: «لطالمـا أردتُ رؤيـة (الجِـدار)».

ـ «(الجِـدار)؟». توقَّـف السِّـپتوْن بحركـةٍ حـادَّة، وزعـقَ وهـو واقـفٌ في الوحـل باسـطًا يديْـه والمطـر يهطـل مـن حولـه: «لقـد يئسـتُ منـك أيُّهـا السـيْر دنكـن! صـلِّ أيُّهـا السـيْر، صـلِّ أن تُنيـر **العجـوز** طريقـك!»، إلَّا أنَّ دنـك واصـلَ المـشي.

ألفاهـا في انتظـاره داخـل الإسـطبلات، واقفـةً عنـد حُـزمِ التِّبـن الصَّفـراء في فُسـتانٍ أخضـر كمـا الصَّيـف. قالـت عندمـا دخـلَ مندفعًا مـن البـاب: «سـيْر دنكـن». ضفيرتهـا الحمـراء متدلِّيـة مـن الأمـام، يُلامِـس طرفهـا فخذهـا. «يسـرُّني أن أراك عـلى قدميْـك».

ـ *لـم تريـني عـلى ظهـري قَـطُّ*. «سـتِّي. مـا الـذي أتى بـكِ إلى الإسـطبلات؟ اليـوم مبتـلٌ لا يَصلُـح للرُّكـوب».

ـ «يُمكنني أن أقول لك الشَّيء عينه».

ـ «إج أخبرَكِ؟». *إنني مدينٌ له بلطمةٍ أخرى على الأذن.*

ـ «فلتغتبِـط لأنـه فعلَ، وإلَّا لأرسلت في أعقابـك رجـالًا يجرُّونك

عـودةً. قسـوةٌ منـك أن تُحـاوِل المغـادرة متسلّلًا دونما مجرَّد وداع».

وهـو في عنايـة الميْسـتر كِـرك لـم تـأتِ لزيارتـه ولـو مـرَّةً. قـال: «هـذا الأخضـر لائـقٌ بـكِ جدًّا يـا سـتّي، يُبـرِز لـون عينيْـكِ»، ونقـلَ وزنـه بعُسـر علـى عُـكّازه قـائلًا: «إنـني هنـا مـن أجـل حصـاني».

ـ «ليـس عليـك أن ترحـل. إنَّ لـك مكانًـا هنـا حالمـا تتعـافى. قائـد حـرسي. ويُمكـن لإج أن ينضـمَّ إلى مُرافـقيَّ الآخَريـن. لا داعي لأن يعـرف أحـدٌ مَـن هـو أبـدًا».

ـ «شُكـرًا لـكِ يـا سـتّي، ولكـن لا». في مربـطٍ يَبعُـد دسـتةً مـن المـواضع يقبـع ثنـدر، وقـد تقـدَّم دنـك إليـه حـجِلًا.

قالـت ماشـيةً بجـواره: «أرجـوك أعِـد النَّظـر أيُّهـا السِـر. إننـا في أوقـاتٍ حافلـة بالخطـر، حـتى عـلى التَّنانيـن وأصدقائهـم. ابـقَ حـتى تُشـفى. سيسـرُّ ذلـك الـلورد يوسـتس أيضًـا. إنـه مـولعٌ بـك للغايـة».

أيَّدهـا دنـك: «مـولعٌ للغايـة. لـو لـم تَمُـت ابنتـه لأرادَني أنٍ أتزوَّجها، وعندئـذٍ لأصبحـتِ السيِّدة والـدتي. لـم تكـن لي والـدة قَـط، ناهيـكِ بسيِّدة».

لمُـدَّة نصـف نبضـة قلـبٍ بـدا كأنَّ الليْـدي روهـان سـتصفعه ثانيـةً. *قـد تكتـفي بـركل عُـكّازي*. عـلى أنهـا قالـت بـدلًا مـن ذلـك: «إنـك غاضـبٌ مـني أيُّهـا السِـر. يجـب أن تدعـني أكفِّرُ عـن غلطـتي».

قال: «حسن، يُمكنك أن تُساعِديني على تسريح ثندر».

قالـت: «كنـتُ أفكِّـرُ في شيءٍ آخَـر»، ومـدَّت يدهـا إلى يـده، يـدًا منمَّشـةً أصابعهـا قويَّـة نحيلـة. *أراهِـنُ أنَّ جسـدها كلَّـه منمَّـش*. «مـا قـدر معرفتـك بالخيـول؟».



ـ «إنني أركبُ واحدًا».

ـ «بِرذون عجوز مستولَد للمعارك، بطيء المشية ومعتلُّ المزاج. ليس حصانًا يُركَب من مكانٍ إلى مكان».

ـ «إذا احتجتُ إلى الذَّهاب من مكانٍ إلى مكانٍ فإمَّا هو وإمَّا هاتان». قالها دنك مشيرًا إلى قدميْه.

علَّقت: «لك قدمان كبيرتان، ويدان كبيرتان أيضًا. أظنُّك كبيرًا في كلِّ موضع لا بُدَّ. أكبر من أن تركب رهوانًا. سيبدو كفرس قزم وأنتَ جاثمٌ على ظهره. على كلِّ حال، ستنفعك مطيَّةٌ أَسرع. حصانٌ عدَّاء كبير مهجَّن بجواد رمالٍ دوْرني لأجل تحمُّل المشاق»، وأضافَت مشيرةً إلى المربط المقابل لمربط ثندر: «حصان مثلها».

فرسٌ كُميت دمويَّة هي، ذات عينيْن لامعتيْن وعُرف ناري طويل. أخرجَت الليْدي روْهان من كُمِّها جزرةً وملَّست على رأس الفرس إذ أخذَتها، وقالت لها: «الجزرة لا الأصابع»، قبل أن تلتفت إلى دنك من جديدٍ قائلةً: «أسمِّيها فليْم، ولكن لك أن تُسمِّيها أيَّ اسمٍ تشاء. سمِّها «ترضية» إذا أردت».

للحظةٍ عجزَ عن الكلام. استندَ إلى عُكَّازه ونظرَ إلى الكُميت الدَّمويَّة نظرةً جديدةً. كم هي رائعة، مطيَّة أفضل ممَّا امتلكَ العجوز يومًا. ما عليك إلَّا النَّظر إلى هذه الأطراف الطَّويلة النَّظيفة لترى كم هي سريعة.

ـ «لقد استولدتها في سبيل الجمال وفي سبيل السُّرعة».

عادَ يلتفت إلى ثندر قائلًا: «لا يُمكنني أن آخذها».



ـ «ولِمَ لا؟».

ـ «إنها حصانٌ أفضل من أن أركبه. انظُري إليها».

زحفَ التَّورُّد على وجه رؤهان، وقبضَت على ضفيرتها لاويةً إيَّاها بين أصابعها. «لقد اضطررتُ إلى الزَّواج، أنت تعلم هذا. وصيَّة أبي... أوه، لا تكن أحمق هكذا».

ـ «وماذا أكونُ خلاف هذا؟ إنني غليظ العقل كسور قلعة، ونغل المولد كذلك».

ـ «خُذ الحصان. أرفضُ أن أدعك ترحل دون شيءٍ تَذكُرني به».

ـ «سأذكرُ يا ستِّي. لا تخشي ذلك».

ـ «خُذها!».

قبضَ دنك على ضفيرتها وشدَّ وجهها إلى وجهه، حركته خرقاء من جرَّاء العُكّاز وفرق الطُّول بينهما حتى إنه كادَ يقع قبل أن يَبلُغ بشفتيْه شفتيْها. قبَّلها بقوَّة، ودارَت إحدى يديْها حول عُنقه والأُخرى حول صدره. في لحظةٍ تعلَّم عن التَّقبيل أكثر ممَّا عرفَ يومًا من المشاهدة، ولكن حين انفصَلا أخيرًا سحبَ خنجره قائلًا: «أعرفُ ما أريدُ أن أذكرك به يا ستِّي».

وجدَ إج في انتظاره عند مبنى البوَّابة، يمتطي رهوانةً حسناء جديدةً ذات لونٍ بنِّي محمر ويُمسِك مقود ميْستر. عندما خبَّ دنك إليهم على صهوة ثندر لاحَت الدَّهشة على الغُلام، وعلَّق: «قالت إنها تُريد إعطاءك حصانًا جديدًا أيُّها السيْر».

قال دنك وهما راكبان في طريق الخروج على الجسر المتحرِّك: «حتى شريفات النَّسب لا ينلن ما يُردنه دومًا. ليس حصانًا ما أردتُ». المياه في الخندق مرتفعة إلى درجة التَّهديد بالطُّفوح على ضفافه. «أخذتُ شيئًا آخَر أذكرها به عوضًا عن ذلك، خُصلةً من ذلك الشَّعر الأحمر»، ومدَّ دنك يده تحت معطفه، وأخرجَ الضَّفيرة، وابتسمَ.

***

في القفص الحديدي عند تقاطُع الطُّرق لا تزال الجثَّتان متعانقتيْن، تبدوان وحيدتيْن، مهجورتيْن. حتى الذُّباب تخلَّى عنهما، والغِربان أيضًا، ولم يتبقَّ على عظام الرَّجليْن الميتيْن إلَّا

رُقع قليلـة مـن الجلـد والشَّـعر.

توقَّـف دنـك مقطِّبًـا جبينـه. كاحلـه يُؤلِمـه مـن الرُّكـوب، ولكـن لا يهـمُّ، الألـم جـزء مـن الفروسـيَّة مثلـه مثـل السُّـيوف والتِّـراس. سـألَ إج: «أيُّهمـا الطَّريـق إلى الجنـوب؟». صعـبٌ أن يعـرف والعالـم بأسـره مطـرٌ ووحـلٌ والسَّـماء رماديَّـة كحائـطٍ مـن الجرانيـت.

أشـارَ إج مجيبًـا: «هـذا هـو الجنـوب أيُّهـا السـير، وهـذا هـو الشَّـمال».

ـ «(بهو الصَّيف) في الجنوب. أبوك».

ـ «(الجِدار) في الشَّمال».

نظرَ إليه دنك قائلًا: «طريقٌ طويل من الرُّكوب هذا».

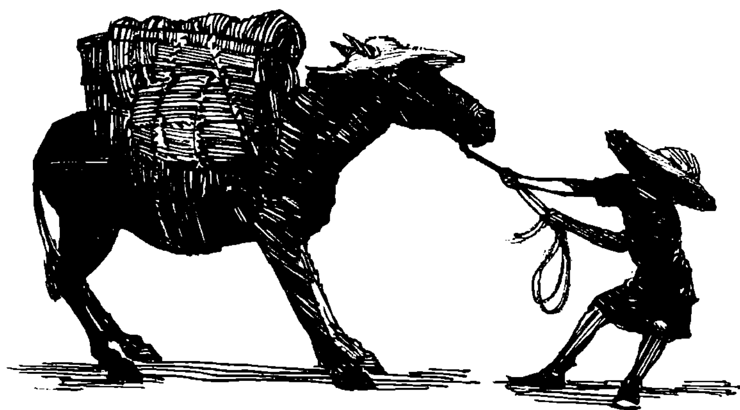
ـ «عندي حصانٌ جديد أيُّها السير».

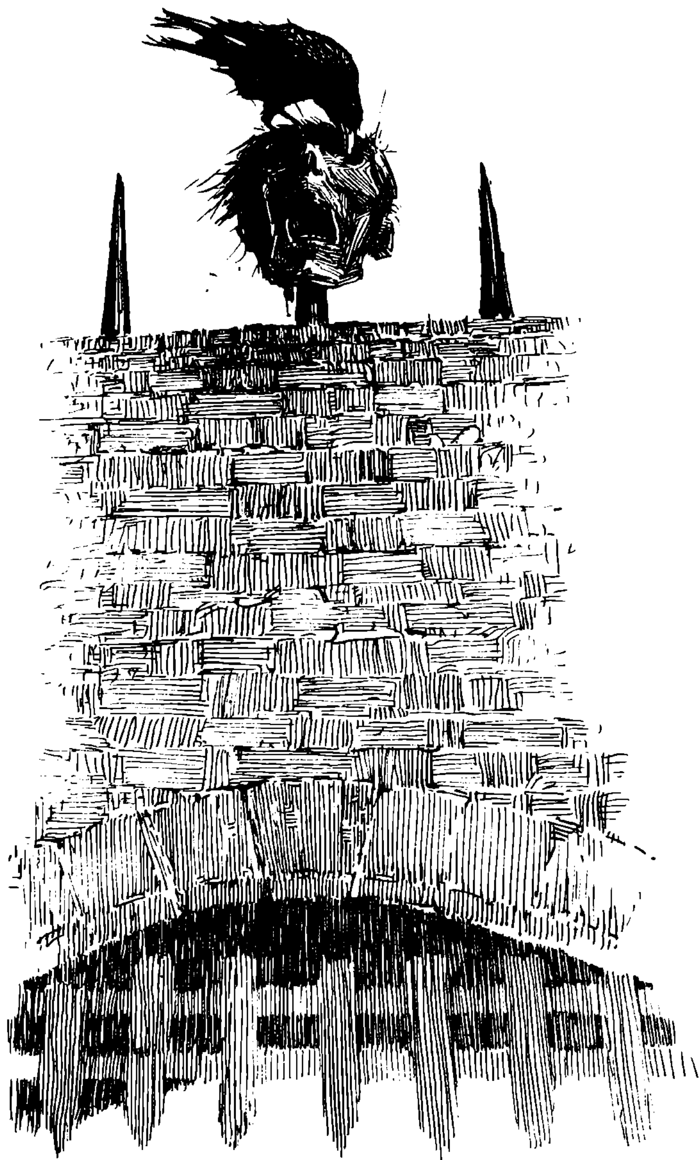
ابتسـمَ دنـك مرغمًـا، وقـال: «صحيـح. ولِـمَ تُريـد أن تـرى (الجِـدار)؟».

أجابَ إج: «أسمعُ أنه طويل».



الفارس الغامض







كان مطرٌ صيفيٌّ خفيف يَسقُط فيما انصرفَ دنك وإج من (السِّپت الحجري).

ركبَ دنك جواده الحربيَّ العجوز ثندر، وبجواره إج على متن الرَّهوان الشَّاب النَّشيط الذي سمَّاه رين، يقود بغلهما ميستر. على ظهر ميستر حُزمَت درع دنك وكُتب إج، ومعها لفَّتا النَّوم وخيمتهما وثيابهما، وعدَّة شرائح سميكة من اللَّحم البقري المملَّح القاسي، ونصف إبريقٍ من البِتع، وقربتان من الماء. وقَت قبَّعة إج القش القديمة ـ القبَّعة المرنة عريضة الحافة ـ رأس البغل من المطر، وقد فرَّغ فيها الغُلام فتحتيْن لأذنَي ميستر، أمَّا قبَّعته الجديدة فمستقرَّةٌ فوق رأسه. باستثناء فتحتَي الأذنيْن، تبدو القبَّعتان لدنك بلا فرقٍ يُذكَر.

مع دنوِّهما من بوَّابة البلدة كبحَ إج حصانه بحدَّة. فوق المدخل رأسُ خائنٍ مخوزق على وتدٍ حديدي، يبدو من منظره أنه مقطوعٌ حديثًا، لحمه ورديٌّ أكثر منه أخضر، وإن باشرَت غِربان الجيف شُغلها عليه بالفعل. شفتا الرَّجل الميت ووجنتاه ممزَّقةٌ متهتِّكة، وعيناه ثقبان بنِّيَّان يذرفان ببُطء دموعًا حمراء إذ تمتزج قطرات المطر بقشور الدَّم الجاف، وفم الرَّجل الميت يرتخي مفتوحًا كأنَّما ليَخطُب في المسافرين العابرين من البوَّابة أسفله.

رأى دنك مشاهد مماثلةً من قبل، وهكذا أخبرَ إج: «في (كينجز لاندنج)، وأنا بعدُ صبيٌّ، سرقتُ رأسًا عن خازوقه مرَّةً». في الحقيقة، ابن مقرض هو مَن تسلَّق السُّور ليختطف الرَّأس بعدما قال رافي وپودنج إنه لن يجرؤ أبدًا، ولكن عندما أتى الحُرَّاس مسرعين ألقى به ابن مقرض من علٍ، ودنك هو الذي تلقفه. «كان لوردًا متمرِّدًا ما أو فارسًا لصًّا، أو ربَّما مجرَّد قاتلٍ عادي. الرَّأس رأس. كلُّها يبدو سواءً بعد بضعة أيَّام على الخازوق». استخدمَ دنك وأصدقاؤه الثَّلاثة الرَّأس لإرعاب فتيات (سفح البراغيث)، فاعتادوا مطاردتهن في الأزقَّة وإجبارهن على تقبيل الرَّأس قبل أن يُطلِقوا سراحهن. قُبِّلَ هذا الرَّأس كثيرًا حسبما يَذكُر، ففي (كينجز لاندنج) كلِّها لم تُوجَد فتاة استطاعَت الجري بسرعة رافي. على أنه أحسن لإج ألَّا يسمع ذلك الجزء. *ابن مقرض ورافي وپودنج. وحوشٌ صغار أولئك الثَّلاثة، وأنا أسوؤهم على الإطلاق.* احتفظَ وأصدقاؤه بالرَّأس حتى اسودَّ اللَّحم وبدأ ينسلخ، وهو ما أفرغَ مطاردة الفتيات من المرح، وعليه اقتحَموا محلَّ أكلٍ ذات ليلةٍ وألقوا بما تبقَّى في القدر. قال لإج: «الغِربان تقصدُ العيون دومًا، وبعد ذلك تغور الوجنتان

ويخضرُّ اللَّحم...»، ثم ضيَّق عينيْه معلِّقًا: «مهلًا. أعرف هذا الوجه».

قال إج: «تعرفه فعلًا أيُّها السيْر. قبل ثلاثة أيَّام. السِّپتوْن الأحدب الذي سمعناه يعظ ضد اللوْرد غُداف الدَّم».

عندها تذكَّر. *كان رجلًا تقيًّا أعهدَ* ***السَّبعة*** *نفسه، وإن وعظ بالخيانة.* جاهرَ الأحدب للجمهور الذي اجتمعَ في ميدان السُّوق: «يداه ملطَّختان بالقرمزي من دم أخ ومن دماء ابنَي أخيه الصَّغيريْن. بأمره جاءَ ظلٌّ ليَخنُق أبناء الأمير ڤالر الشُّجاع في رحِم أمِّهم. أين أميرنا الشَّاب الآن؟ أين أخوه العذب ماتارِس؟ أين ذهبَ الملك الصَّالح ديْروْن والجَسور بيْلوْر كاسِر الحراب؟ القبر حصدَهم، جميعهم بلا استثناء، ومع ذلك يبقى هو، ذلك الطَّائر الشَّاحب ذو المنقار الدَّامي الذي يجثم على كتف الملك إيْرس وينعب في أذنه. إنَّ سِمة الجحيم على وجهه وفي عينه الجوفاء، ولقد جلبَ علينا الجفاف والآفات والقتل غيلةً. انتفِضوا أقولُ لكم، وتذكَّروا ملكنا الحقيقيَّ عبر الماء. سبعة آلهةٍ لنا، وسبع ممالك، والتنِّين الأسود خلَّف سبعة أبناء! انتفضوا أيا سادتي وسيِّداتي، انتفِضوا أيُّها الفُرسان الشُّجعان والأَتباع الأجلاد وأطيحوا بغُداف الدَّم، ذلك المشعوذ البغيض، لئلَّا يُلعَن أولادكم وأولاد أولادكم إلى أبد الآبدين».

- *كلُّ كلمةٍ قالها خيانة.* وعلى الرغم من ذلك صدمَته رؤية الرَّجل هنا بفجوتيْن احتلَّتهما سابقًا عيناه. قال دنك: «إنه هو، أجل، وسببٌ وجيه آخَر لوضع هذه البلدة وراء ظهريْنا»، ومسَّ ثندر بالمِهماز، وخرجَ هو وإج من بوَّابة (السِّپت الحجري)

مستمعيْن لـوقع المطـر الخفيـف.

تقـول الأحجيـة: *كـم عينًا للوَرد غُـداف الـدَّم؟ ألـف عيـنٍ وعيـن.* يَزعُـم بعضهـم أنَّ يـد الملـك تلميـذٌ للفنـون الظَّلاميَّـة يسـتطيعُ تبديـل ملامحـه؛ يلبـس وجـه كلـب أعـور، بـل ويتحـوَّل إلى ضبـاب، ويقـول أنـاسٌ إنَّ قُطعانًـا مـن الذِّئـاب الشَّـهباء الضَّاريـة تُطـارِد أعـداءه حتـى تقتنصهـم، وإنَّ غِربـان الجيـف تتجسَّـس لحسـابه وتهمـس في أذنـه بالأسـرار. لا يشـكُّ دنـك أن معظـم الحكايـات إن هـو إلَّا حكايـات، لكـن أحـدًا لا يُمكـن أن يشـكَّ أنَّ لغُـداف الـدَّم مُخبريـن في كلِّ مكـان.

رأى دنـك الرَّجـل مـرَّةٍ بـأمِّ عينيْـه في (كينجـز لانـدنج). أبيـضُ كالعظـم جلـد بريـندن ريفـرزَ وشـعره، وعينـه ـ عيـنٌ وحيـدة إذ فقـدَ الأخـرى علـى يـد أخيـه غيـر الشَّـقيق الفـولاذ الأليـم في (حقـل العُشـب الأحمـر) ـ حمـراء كالـدَّم، وتحمـل الوجنـة والرَّقبـة الوحمـة الخمريَّـة الـتي أكسـبَته اسـمه.

لمَّـا اتَّسـعت المسـافة بينهمـا وبيـن البلـدة خلفهمـا تنحنـحَ دنـك وقـال: «أمـرٌ سـيِّئ قـطعُ رؤوس السِّـپتؤنات. كلُّ مـا فعلَـه أنـه تكلَّـم. الكلام هـواء».

ـ «بعـض الكلام هـواء أيُّهـا السِـر، وبعضـه خيانـة». إجِ نحيـلٌ كعصـا، بـارز الضُّلـوع والمرفقيْـن، لكنـه طويـل اللِّسـان حقًّـا.

ـ «الآن تتكلَّم كأميرٍ حقيقي».

عدَّها إج إهانةً، وهي كذلك. «ربَّما كان سِپتوْنًا، لكنه وعظ بالأكاذيب أيُّها السيْر. الجفاف لم يكن ذنب اللوْرد غُداف الدَّم، ولا الوباء الرَّبيعي العظيم».

ـ «واردٌ أنَّ هذا صحيح، ولكن إذا شرعنا نقطع رأس كلِّ أحمق وكذَّاب فسيَفرُغ نصف البلدات في (الممالك السَّبع)».

***

بعد ستَّة أيَّامٍ لم يَعُد المطر إلَّا ذكرى.

خلعَ دنك غلالته ليستمتع بضوء الشَّمس على جلده، وعندما هبَّ قليلٌ من النَّسيم الفاتر العليل العبِق كأنفاس عذراء، تنهَّد وأعلنَ: «ماء. هل تشمُّه؟ لا بُدَّ أن البُحيرة قريبة».

قال إج: «لا أشمُّ إلَّا ميْستر أيُّها السيْر. رائحته كريهة»، وشدَّ مقود البغل بفظاظة. كان ميْستر قد توقَّف ليرعى في الكلأ على جانب الطَّريق كما يفعل بين حينٍ وآخَر.

ـ «عند شاطئ البُحيرة خان». توقَّف دنك هناك مرَّةً وهو يُرافق العجوز. «السيْر آرلان قال إنهم يُخمِّرون مزرًا بنِّيًّا ممتازًا. لعلَّ بإمكاننا أن نتذوَّقه ونحن ننتظر العبَّارة».

رمقَه إج بنظرة أملٍ سائلًا: «لنُبلِّع الطَّعام أيُّها السيْر؟».

ـ «أيَّ طعام؟».

قال الغُلام. «شريحة من الشِّواء؟ قطعة من البطِّ؟ وعاء من اليخنة؟ أيًّا كان ما عندهم أيُّها السِير».

وجبتهما السَّاخنة الأخيرة أكلاها قبل ثلاثة أيَّام، ومنذ ذلك الحين يعيشان على سُقاط الأشجار وشرائح قديمةٍ من اللَّحم البقري المملَّح القاسي كالخشب. *سَيَحسُن أن نضع طعامًا حقيقيًّا في بطنيْنا قبل أن نتوجَّه شمالًا. الطَّريق إلى ذلك (الجِدار) طويل.*

اقترحَ إج: «يُمكننا البيات أيضًا».

ـ «هل يُريد سِيدي سريرًا محشوًّا بالرِّيش؟».

ردَّ إج شاعرًا بالإهانة: «القشُّ سيُناسِبني تمامًا أيُّها السِير».

ـ «ليس معنا مال للأسرَّة».

ـ «معنا اثنان وعشرون بنسًا وثلاث نجومٍ وأيَّل واحد، وقطعة العقيق القديمة المكسورة أيُّها السِير».

حكَّ دنك أذنه قائلًا: «ظننتُ أنَّ معنا أيَّليْن».

ـ «كان معنا إلى أن اشتريتَ الخيمة. الآن معنا واحد».

ـ «ولن يتبقَّى معنا شيء إذا بدأنا ننام في الخانات. أتُريد أن تُقاسِم بائعًا متجوِّلًا ما سريرًا وتستيقظ مُعدًى ببراغيثه؟»، ونخرَ دنك متابعًا: «أنا لا أريدُ. إنَّ لديَّ براغيثي، وهي ليست مولعةً بالغُرباء. سننام تحت النُّجوم».

علَّق إج: «النُّجوم حُلوة، لكن الأرض صُلبة أيُّها السِير، ومن اللَّطيف أحيانًا أن يحظى المرء بوسادةٍ لرأسه».

ـ «الوسائد للأمراء». إج مُرافق صالح يُريده أيُّ فارس، لكن مشاعر الأمراء تموج فيه أحيانًا. *الولد في عروقه دم التنِين، إيَّاك أن تنسى.* عن نفسه، في عروق دنك دم شحَّاذين... أو هكذا اعتادوا أن يقولوا له في (سفح البراغيث) إذا لم يقولوا له إنَّ الشَّنق مصيره الأكيد. «لعلَّ باستطاعتنا دفع تكلفة قليلٍ من المزر وعشاءٍ ساخن، لكنني لن أبدِّد مبلغًا فادحًا على سرير. علينا أن ندَّخر بنساتنا للنُّوتي». آخِر مرَّةٍ عبرَ فيها البُحيرة كلَّفت العبَّارة قليلًا من القطع النُّحاسيَّة، لكن ذلك حدثَ قبل ستِّ سنوات، أو ربَّما سبع. كلُّ شيءٍ غلا منذ ذلك الوقت.

قال إج: «حسن، يُمكننا استخدام حذائي للعبور».

ردَّ دنك: «يُمكننا، لكننا لن نفعل». استخدام الحذاء خطر. سينتشر الخبر. *دائمًا ينتشر الخبر.* مُرافقه ليس أصلع مصادفةً. إنَّ لإج عينَي (ڤاليريا) القديمة الأرجوانيَّتيْن، وشعرًا يَبرُق كما لو أنَّ ذهبًا مطرَّقًا حُبِكَ بجدائل من الفضَّة. كأنه يضع دبُّوسًا بشكل تنِّينٍ ثُلاثي الرُّؤوس لو تركَ ذلك الشَّعر ينمو. إنها أوقاتٌ محفوفة بالمخاطر في (وستروس)، و... الأفضل تجنُّب المخاطرة. «كلمةٌ أخرى عن حذائك اللَّعين وسألطمك على الأذن بشدَّةٍ تُطيِّرك من فوق البُحيرة طيرانًا».

ـ «أوثرُ أن أسبح أيُّها السيِر». يُجيد إج السِّباحة، أمَّا دنك فلا. التفتَ الغُلام فوق سرجه، وقال: «سيِر؟ أحدهم قادم على الطَّريق خلفنا. أتسمع الخيول؟».

ـ «لستُ أصمَّ». يرى دنك الغُبار الذي يُثيرونه أيضًا. «فِرقة كبيرة، ومتعجِّلة».



تساءلَ إج: «أتظنُّهم خارجين عن القانون أيُّها السيْر؟»، وقامَ واقفًا فوق رِكابيْه، متحمِّسًا أكثر منه خائف. هكذا ديدن الغُلام.

ـ «لو أنهم خارجون عن القانون لكانوا أهدأ». هزَّ دنك مقبضٍ سيفه ليُخلخِل النَّصل في غِمده، وقال: «ومع ذلك سنَخرُج عن الطَّريق ونَترُكهم يمرُّون. اللوْردات أنواع». لا يضرُّ أبدًا أن يتحلَّى المرء بشيءٍ من الحذر، فالطُّرق لم تَعُد بأمنها السَّابق والملك ديْرون الصَّالح جالسٌ على العرش الحديدي.

أخفى هو وإج نفسيْهما وراء شُجيرةٍ شائكة، وحلَّ دنك تُرسه وركَّبه على ذراعه. تُرس قديم هو، طويل وثقيل وبشكل حبَّة لوز، مصنوع من خشب الصَّنوبر ومؤطَّر بالحديد. ابتاعَه دنك في (السِّبت الحجري) عوضًا عن التُّرس الذي أحالَته ضربات الإنش الطَّويل إلى شظايا حين تقاتَلا، ولم يجد الوقت ليجعل أحدهم يرسم عليه دردارته وشهابه، ولذا ما زالَ يحمل شعار



مالكه الأخير: رجلًا مشنوقًا يتأرجح كئيب المنظر رماديًّا أسفل شجرة شنق. ليس بالرَّمز الذي يُحبِّذ أن يختاره لنفسه، لكنه اشترى التُّرس بثمنٍ رخيص.

خلال لحظاتٍ مرَّ أوَّل الخيَّالة مهروليْن: لوْردان صغيران شابَّان يمتطيان زوجيْن من الأحصنة العدَّاءة. يعتمر راكب الكُميت خوذةً مفتوحة الوجه من الفولاذ المذهَّب ذات ثلاث ريشات، واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة ذهبيَّة، تُضاهيها ريشات تُزيِّن واقي عُنق حصانه. أمَّا الفحل الأسود الذي يُجاوِره فمدرَّع بالأزرق والذَّهبي، تتموَّج كُسوته في ريح مروره وهو ينطلق مدبدبًا كهزيم الرَّعد. جنبًا إلى جنب اندفعَ الخيَّالان يمرَّان متصايحيْن متضاحكيْن، يسترسل معطفاهما الطَّويلان وراءهما.

بمزيدٍ من الرَّصانة تبعَهما لوْرد ثالث على رأس طابورٍ طويل. في الرَّكب دستتان من الرِّجال، ساسة وطبَّاخون وخدم، كلُّهم

لمُصاحبة ثلاثة فُرسان فقط، وعلاوةً على ذلك رجال مسلَّحون ونشَّابون راكبون، ودستة من خيول الجرِّ المثقلة بدروعهم وخيامهم ومؤنهم. من سرج اللوْرد يتدلَّى تُرسه البرتقاليُّ الغامق المرسومة عليه ثلاث قلاعٍ سوداء.

يعرف دنك هذا الشِّعار، ولكن من أين؟ اللوْرد الذي يحمله رجلٌ أكبر سنًّا، قاسي الفم ومتجهِّم، له لحية قصيرة القَصَّة بلونَي الملح والفلفل. فكر دنك: *ربَّما كان في (مرج آشفرد)، أو جائزٌ أننا خدمنا في قلعته في أثناء مُرافقتي السيْر آرلان.* على مرِّ السِّنين أدَّى الفارس الجوَّال العجوز خدماتٍ في حصونٍ وقلاعٍ كثيرة إلى درجة أنَّ دنك لا يتذكَّر نصفها.

كبحَ اللوْرد حصانه فجأةً رامقًا شُجيرة الشَّوك بعبوس، وقال: «أنت، في الدَّغل، أظهِر نفسك». خلفه ثبَّت اثنان من الرُّماة سهميْن إلى قوسيْهما، فيما استمرَّ الباقون في طريقهم.

تحرَّك دنك وسط العُشب الطَّويل واضعًا تُرسه على ذراعه ومريحًا يُمناه على قبيعة سيفه الطَّويل، وقد تحوَّل وجهه إلى قناعٍ بنِّي محمر من الغُبار الذي أثارَته الخيول، إضافةً إلى عُريه فوقَ الخصر. عرفَ أنه يبدو قذر الهيئة، لكن الرَّاجح أنَّ حجمه هو ما جعلَ الآخَر يتوقَّف. قال دنك: «لسنا نُريد شجارًا يا سِيدي. لا يُوجَد إلَّانا، أنا ومُرافقي»، وأشارَ لإج بالتَّقدُّم.

ـ «مُرافق؟ أتدَّعي أنك فارس؟».

لم تَرُق دنك طريقة نظر الرَّجل إليه. *من شأن هاتيْن العينيْن أن تسلخا رجلًا.* بدا له تصرُّفًا سديدًا أن يرفع يده عن سيفه. «أنا فارسٌ جوَّال أبحثُ عن خدمة».

ـ «كلُّ فارس لصّ شنقته قال الشَّيء نفسه. لعلَّ رمزك نبوءة أيُّها السِّير... لَو أنكَ «سِير» بحق. مشنقةٌ ورجل مشنوق. هذا شعارك؟».

ـ «لا يا سِيدي. عليَّ أن أعيد طلاء التُّرس».

ـ «لماذا؟ هل سرقته من جثَّة؟».

ـ «بل اشتريته، وبثمنٍ كبير». *ثلاث قلاع، أسود على برتقالي... أين رأيتها من قبل؟* «لستُ لصًّا».

سألَه اللوْرد وعيناه باديتان كشظيَّتيْن من الصوَّان: «كيف حصلت على تلك النَّدبة على خدِّك؟ جرحٌ من كُرباج؟».

ـ «خنجر، لكن وجهي ليس من شأنك يا سِيدي».

ـ «سأحكمُ أنا على ما هو من شأني».

عندئذٍ كان الفارسان الأصغر سنًّا قد عادا يخبَّان ليريا ما عطَّل الرَّكب. «هأنتذا يا جوْرمي». صاحَ بها خيَّال الحصان الأسود، شابٌّ نحيف رشيق صاحب وجهٍ وسيم حليق وملامح متناسقة، ينسدل شعرٌ أسود لامع حتى ياقته. دبليَّته مفصَّلة من الحرير الأزرق القاتم المحفَّف بالسَّاتان الذَّهبي، وعلى صدره صليبٌ مشرشَر مطرَّز بخيطٍ ذهبي، في رُبعيْه الأوَّل والثَّالث كمنجةٌ ذهب، وفي الثَّاني والرَّابع سيفٌ ذهب. انعكسَ في عينيْه أزرق دبليَّته العميق وتلألأ فيهما الاستطراف إذ قال: «آلِن خشيَ أنك سقطت من فوق حصانك. عُذر ملموس كما يبدو لي. كنتُ على وشك أن أسبقه».

سألَ راكب الكُميت: «مَن قاطعا الطَّريق هذان؟».

استشـاطَ إج غضبًـا مـن الإهانـة، وردَّ: «لا يُوجَـد مـا يدعـو إلى وصفنـا بقاطِعَي الطَّريـق يـا سيِّدي. عندمـا رأينـا غُباركـم حسـبناكم أنتـم خارجيـن عـن القانـون. إنـه السَّـبب الوحيـد لاختبائنـا. هـذا السـيْر دنكـن الطَّويـل، وأنـا مُرافقـه».

لـم يُعِـر اللوْردان الصَّغيـران كلامـه انتباهًـا أكثـر مـن انتباههـم لنقيـق ضفدعـة، بـل أعلـنَ فـارس الرِّيشـات الثَّلاث: «أعتقـدُ أنَّ هـذا أكبـر أخـرق رأيتـه علـى الإطلاق». للرَّجـل وجـه مكتنـز تحـت شـعرٍ مجعَّـد بلـون العسـل الغامـق. «سـبعة أقـدام طـولًا علـى أقـل تقديـر، أراهـنُ. يـا للدَّوي العظيـم الـذي سيُصدِرهُ حينمـا يَسـقُط أرضًـا!».

شـعرَ دنـك بوجهـه يحتقـن، وفكَّـر: *ستخسـر رهانـك*. آخِـر مـرَّةٍ أُخـذَت فيهـا مقاسـاته، أعلـنَ إيْـمون أخـو إج أنَّ بينـه وبيـن بلـوغ الأقـدام السَّـبعة بوصـةً.

قـال اللوْرد الصَّغيـر المريَّـش: «أهـذا جـوادك الحربـيُّ أيُّهـا السيْر عـملاق؟ يُمكننـا أن نذبحـه لأجـل لحمـه في ظنِّي».

قـال الفـارس أسـود الشَّـعر: «كثيـرًا مـا ينسـى اللوْرد آلِـن كياسـته. أرجـو أن تُسـامِحه علـى فظاظـة كلامـه أيُّهـا السـيْر. آلِـن، ستسـأل السـيْر دنكـن عفـوه».

ـ «إذا كان ولا بُـدَّ. هلَّا سـامحتني أيُّهـا السـيْر؟». قالهـا ولـم ينتظـر ردًّا، بـل أدارَ كُميتـه وخـبَّ علـى الطَّريـق مبتعدًا.

أمَّا الآخَر فمكثَ وسألَ: «أأنت متَّجه إلى الزِّفاف أيُّها السيْر؟».

شيء مـا في نبرتـه جعـلَ دنـك يُريـد أن يتملَّقـه، إلَّا أنـه قـاومَ الرَّغبـة المباغتـة قـائلًا: «نقصـد العبَّـارة يـا سِـيدي».



ـ «ونحـن أيضًـا... لكـن لا سـادة في هـذا الجـوار إلّا جوْرمي وذلـك السَّـفيه الـذي تركَنـا، آلـن كوْكـشوْ. أنـا فـارسٌ جـوَّال متشـرِّد مثلـك. أُدعى بالسـيْر چوْن الكمنـجي».

اسمٌ من النَّوعِ الوارد أن يختـاره فـارسٌ جـوَّال، لكـن دنـك لـم يـرَ قَـطُّ فارسًـا جـوَّالًا مكسـوًّا أو مسـلَّحًا أو راكبًـا بهـذه الفخامـة. *فـارس السِّـياج الذَّهبـي*. «تعـرف اسـمي. مُرافـقي يُـدعى بـإج».

ـ «لقـاءٌ سـعيد أيُّهـا السـيْر. تعـالَ، اركـب معنـا إلى (الجُـدران البيضـاء) واكسـر بعـض الرِّمـاح لمسـاعدة الـلوْرد بَتَـروِل عـلى الاحتفـال بزيجتـه الجديـدة. أراهـنُ أنـك ستُثبِت امتيـاز أدائـك».

لـم يَخُـض دنـك أيَّـة مثاقفـاتٍ منـذ (مـرج آشـفرد). فكَّـر: *إذا أمكنَـني الفـوز ببعـض الفديـات فسـآكل طعامًـا طيِّبًـا في الطَّريـق شـمالًا*، لكـن الـلوْرد ذا الـقلاع الـثَّلاث عـلى تُرسـه قـال: «السـيْر دنكـن محتـاجٌ إلى مواصلـة رحلتـه، ونحـن كذلـك».

لـم ينتبـه چوْن الكمنـجي للرَّجـل الأكبـر سـنًّا، وقـال: «سـأحبُّ حقًّـا أن يتقـارَع سـيفانا أيُّهـا السـيْر. لقـد جرَّبـتُ رجـالًا مـن شـتَّى الأراضي والأعـراق، لكـن أحدهـم لـم يكـن بحجمـك إطلاقًـا. أكان أبـوك كبيـرًا أيضًـا؟».

ـ «لم أعرف أبي قَطُّ أيُّها السيْر».

ردَّ الكمنـجي: «يُحزِنـني أن أسـمع هـذا. لقـد أُخِـذَ والـدي مـني مبكِّـرًا جـدًّا»، ثـم التفـتَ إلى الـلوْرد ذي الـقلاع الـثَّلاث قـائلًا: «ينبـغي أن نَطلُـب مـن السـيْر دنكـن الانضمـام إلى صُحبتنـا المرحة».

ـ «نوعه لا يلزمنا».

عجـزَ دنـك عـن الكلام. الفُرسـان الجوَّالـة المفلسـون لا يُطلَـب منهـم في أغلـب الأحيـان الرُّكـوب مع لوردات عُلاة المقـام. *سأجدُ أشياء مشتركة أكثر بيني وبين خدمه.* حسـبما قـدَّر مـن طـول الطَّابـور، جلـبَ الـلورد كوكـشو والكمنـجي معهمـا ساسـةً للعنايـة بخيولهمـا، وطبَّاخيـن لإطعامهمـا، ومُرافقيـن لتنظيـف دروعهمـا، وحرسًـا للدِّفـاع عنهمـا. دنـك معـه إج.

ضحكَ الكمنـجي قـائلًا: «نوعـه؟ أيُّ نـوع هـذا؟ النَّـوع الكبيـر؟ انظُـر إلى حجمـه! نُريـد رجـالًا أقويـاء. السيَّافة الشُّبَّان قيمتهـم أعـلى مـن الأسـماء القديمـة كمـا سـمعتُ كثيـرًا».

ـ «سـمعتَ مـن حمـقى. إنـك تعـرف قلـيلًا فأقـلَّ عـن هـذا الرَّجل. قـد يكـون قـاطع طريـق، أو أحـد جواسـيس الـلورد غُـداف الدَّم».

قـال دنـك: «لسـتُ جاسوسًـا لأحـد. ولا يُوجَـد مـا يدعـو سِـيدي إلى الكلام عـني كأني أصـمُّ أو ميـت أو في (دورن)».

تفرَّسـت فيـه هاتـان العينـان الصوَّانيَّتـان، وقـال الرَّجـل: «(دورن) مكانٌ يليـق بـك أيُّهـا السِـير. لـك إذني في الذَّهـاب إلى هنـاك».

قـال الكمنـجي: «لا تُعِـره اهتمامًـا. إنـه عجـوزٌ قـاسي الحـسّ يرتـاب في الجميـع. جورمي، يُـراوِدني شـعورٌ طيِّـب بشـأن هـذا الشَّـخص. سِير دنكـن، هلَّا أتيـت معنـا إلى (الجُـدران البيضـاء)؟».

ـ «سِيدي، إنني...». كيف يُشارك أمثال هؤلاء مخيَّمًا؟ خدمهم سينصبون سُرادقاتهم، وساستهم سيُمشِّطون أحصنتهم، وطبَّاخوهم سيُقدِّمون لكلٍّ منهم ديكًا مسمَّنًا أو قطعةً كبيرةً من لحم البقر، فيما يقضمُ دنك وإج من شرائح اللَّحم المملَّح القاسي. «لا أستطيعُ».

علَّق اللورد ذو القلاع الثَّلاث: «كما ترى، إنه يعرف مقامه، ومقامه ليس معنا»، وعادَ يدور بحصانه نحو الطَّريق مضيفًا: «الآن يسبقنا اللورد كوكشو بنصف فرسخ».

ـ «أظنُّ أنَّ عليَّ مطاردته ثانيةً»، وابتسمَ الكمنجي لدنك معتذرًا، وقال: «قد نلتقي مرَّةً أخرى يومًا ما. آملُ هذا. سأحبُّ حقًّا أن أجرِّب فيك رُمحي».

لم يدرِ دنك بِمَ يردُّ، وأخيرًا استطاعَ أن يقول: «حظًّا سعيدًا في المضمار أيُّها السير»، غير أنَّ السير جون كان قد دارَ لملاحقة الرَّكب بالفعل، وركبَ اللورد الأكبر سنًّا وراءه. سرَّ دنك أن يراه يرحل، فلم تُعجِبه عيناه الصوَّانيَّتان، ولا غطرسة اللورد آلن. الكمنجي تحدَّث بدماثةٍ كافية، لكن فيه شيئًا غريبًا كذلك. قال لإج وهما يُشاهِدان غُبار رحيلهما: «كمنجتان وسيفان في صليبٍ مشرشَر. أيُّ عائلةٍ هذه؟».



ـ «ليست عائلةً أيُّها السيْر. لم أرَ ذلك التُّرس قَطُّ في أيِّ لائحة شعارات».

ـ *لعلَّه فارسٌ جوَّال رغم كلِّ شيء.* ابتكرَ دنك شعاره في (مرج آشفرد)، عندما سألَته محرِّكَة دُمى اسمها تانسل مديدة القامة ماذا يُريد أن يرسم على تُرسه. «هل اللوْرد الأكبر سنًّا قريبٌ ما لعائلة فراي؟». يحمل آل فراي قلاعًا على تراسهم، وأملاكهم ليست بعيدةً عن هنا.

دوَّر إج عينيْه في محجريْهما، وردَّ: «رمز فراي بُرجان أزرقان لا قلعتان، يربط بينهما جسر على خلفيَّةٍ رماديَّة. أمَّا تلك فثلاث قلاعٍ لا أبراج، أسود على برتقالي أيُّها السيْر. هل رأيت جسرًا؟».

ـ «لا». *يفعل هذا ليُضايقني فحسب.* «والمرَّة التَّالية التي تُدوِّر فيها عينيْك لي سألطمك على الأذن بشدَّةٍ تغرسهما في رأسك للأبد».

أبدى إج حُسن الأدب إذ قال: «لم أقصد...».

ـ «دعك ممَّا قصدته. أخبِرني مَن هو فحسب».

ـ «جوْرموْن پيك، سيِّد (ستارپايك)».

ـ «إنها في (المرعى)، أليس كذلك؟ أيملك ثلاث قلاعٍ حقًّا؟».

ـ «على تُرسه فقط أيُّها السيْر. عائلة پيك امتلكَت ثلاث قلاعٍ سابقًا فعلًا، لكن اثنتيْن منهما ضاعَتا».

ـ «كيف يُضيِّع المرء قلعتيْن؟».

- «بقتاله في صفوف التِّنين الأسود أيُّها السِّير».

- «أوْه». شعرَ دنك بالغباء. *تلك المسألة مجدَّدًا.*

طوال مئتَي عام حكمَ البلاد أخلاف إيْجوْن الفاتح وأختيْه الذين وحَّدوا (الممالكَ السَّبع) وصاغوا العرش الحديدي، وتحمل راياتهم الملكيَّة تنِّين عائلة تارجاريَن ثُلاثي الرُّؤوس، أحمر على أسود. قبل ستَّة عشر عامًا انتفضَ ابنٌ نغل للملك إيْجوْن الرَّابع اسمه ديْموْن بلاكفاير متمرِّدًا ضد أخيه شرعي المولد، واستخدمَ ديْموْن التنِّين ثُلاثي الرُّؤوس على راياته بدوره، بيد أنه عكسَ اللَّونيْن مثلما يفعل كثيرٌ من النُّغول. انتهى انتفاض ديْموْن في معركة (حقل العُشب الأحمر)، حيث ماتَ وابناه التَّوأمان تحت وابلٍ من سهام اللوْرد غُداف الدَّم، والمتمرِّدون الذين نجوا وركعوا نالوا عفوًا، لكن بعضهم فقدَ أراضيَ، وبعضهم ألقابًا، وبعضهم ذهبًا، وسلَّموا جميعًا رهائن لضمان ولائهم مستقبلًا.

- *ثلاث قلاع، أسود على برتقالي.* «الآن أذكرُ. السِّير آرلان لم يحبَّ قَطُّ أن يتكلَّم عن (حقل العُشب الأحمر)، ولكن في مرَّةٍ وهو سكران حكى لي كيف ماتَ ابن أخته». يكاد يسمع صوت العجوز من جديدٍ ويشمُّ النَّبيذ في أنفاسه. «روْجر ابن (شجرة البنسات)، كان هذا اسمه. حطَّمت رأسه مِقمعةٌ حملَها لوْرد على تُرسه ثلاث قلاع». *اللوْرد جوْرموْن پيك. العجوز لم يعرف اسمه قَطُّ، أو إنه لم يرغب في معرفته قَطُّ.* الآن لا يعدو اللوْرد پيك وجوْن الكمنجي وركبهما سحابةً بعيدةً من الغُبار الأحمر. *وقعَ ذلك منذ ستَّة عشر عامًا. المدَّعي ماتَ، ومَن تبعوه نُفوا أو صُفِحَ عنهم. على كلِّ حال، الأمر لا يمتُّ لي بصلة.*

لفتـرةٍ واصَلا الرُّكـوب دونمـا كلام، يُصغيـان إلى صيـاح الطَّيـر الشَّـجي. بعـد نصـف فـرسخٍ تنحـنحَ دنـك وقـال: «بَتَـروِل، أراضيـه قريبـة؟».

ـ «عـلى ضفَّـة البُحيـرة الأخـرى أيُّهـا السيْر. الـلوْرد بَتَـروِل كان قيِّـم النَّقـد والملـك إيْـجوْن بعـدُ عـلى العـرش الحديـدي. الملـك ديْـروْن عيَّنـه يـدًا، ولكـن ليـس لوقـتٍ طويـل. شـعاره شـرائط خضراء وصفـراء وبيضـاء متموِّجـة أيُّهـا السيْر». يحـبُّ إج اسـتعراض إلمامـه برمـوز النَّبالـة.

ـ «أهو صديقٌ لأبيك؟».

لـوى إج قسـماته اسـتهجانًا، وقـال: «أبـي لـم يحبَّـه قَـطُّ. خلال التَّمـرُّد قاتـلَ ابـن الـلوْرد بَتَـروِل الثَّـاني في سـبيل المـدَّعي وابنـه الأكبـر في سـبيل الملـك. بهـذه الطَّريقـة ضمـنَ أنـه مع الطَّـرف الرَّابـح. الـلوْرد بَتَـروِل لـم يُقاتِـل في سـبيل أيِّ أحـد».

ـ «قد يصف بعضهم ذلك بالحصافة».

ـ «أبي يصفه بالجُبن».

ـ *أجـل، معقـول*. الأميـر ميْكار رجـلٌ قـاس، ذو كبريـاء ومفعـمٌ بـالازدراء. «علينـا أن نمـرَّ عـلى (الجُـدران البيْضـاء) لنَبـلُغ (طريـق الملـوك). لِـمَ لا نـملأ بطنيْنـا؟». مجـرَّد الفكـرة جعـلَ بطنـه يُقرقِـر. «قـد يحتـاج أحـد ضيـوف الزِّفـاف إلى حراسـةٍ في طريـق العـودة إلى مقـرِّه».

ـ «قلتَ إننا ذاهبان شمالًا».

ـ «(الجِدار) قائمٌ منذ ثمانية آلاف سنة. سيبقى وقتًا أطول. بين هنا وهناك ألف فرسخٍ، وسينفعنا مزيدٌ من الفضّة في كيس نقودنا». قالها دنك متخيِّلًا نفسه على متن ثندر، يدعس ذلك اللورد العجوز عابس الوجه ذا القلاع الثَّلاث على تُرسه. *لكم سيكون ذلك حُلوًا. حينما يأتي ليدفع فدية سلاحه ودرعه يُمكنني أن أخبره: «مُرافق العجوز السير آرلان هو الذي هزمَك، الصَّبي الذي حلَّ محلَّ الصَّبي الذي قتلته». سيُعجِب العجوز ذلك.*

ـ «لستَ تُفكِّر في دخول مضمار النِّزال، أليس كذلك أيُّها السير؟».

ـ «ربَّما حانَ الوقت».

ـ «لم يحن أيُّها السير».

ـ «ربَّما حانَ الوقت لأن أعطيك لطمةً موجعةً على الأذن». *لن يلزمني إلَّا الفوز في مُثاقفتيْن. إذا أمكنَني أن أجني فديتيْن وأدفع واحدةً فقط فسآكل كالملوك عامًا كاملًا.* «إذا أقاموا التحامًا جماعيًّا فقد أشتركُ فيه». حجم دنك وبأسه سيُجديانه في التحامٍ جماعي نفعًا أكثر من المضمار.

ـ «لم تجرِ العادة على إقامة التحامٍ جماعيٍّ في زفافٍ أيُّها السير».

ـ «لكن العادة جرَت على إقامة مأدبة. إنَّ أمامنا طريقًا طويلًا. لِمَ لا ننطلق ببطنيْن ممتلئيْن من باب التَّغيير؟».

***



كانت الشَّمس منخفضةً في الغرب عندما رأيا البُحيرة المتألِّقة مياهها حمراء وذهبيَّةً، لامعةً مثل رقيقةٍ من النُّحاس المطرَّق. حين لمحا بُريجات الخان فوق بعض أشجار الصَّفصاف، عادَ دنك يرتدي غلالته الملوَّثة بالعرق وتوقَّف ليرشَّ وجهه بقليل من الماء، فغسلَ غُبار الطَّريق قدر الإمكان، ومرَّر أصابع مبتلَّةً في ثنايا شعره الكثيف الذي فتَّحت لونه الشَّمس. ليس بإمكانه أن يفعل شيئًا حيال حجمه أو النَّدبة التي تسِم خدَّه، لكنه يُريد أن يُخفِّف من مظهره الشَّبيه بفارسٍ لصّ جامح.

تبيَّن أنَّ الخان أكبر ممَّا توقَّع، عبارة عن مكانٍ رماديّ عظيم يمتدُّ مبنيًّا بالخشب ومزوَّدًا ببُريجات، نصفه مُقام على ركائز فوق الماء، وقد فُرِشَ طريقٌ من ألواح الخشب المقطَّعة بغير انتظام فوق شطِّ البُحيرة الموحل حتى مرسى العبَّارة، ولكن لا العبَّارة ولا النَّواتي باديان للعيان. عبر الطَّريق يرتفع إسطبلٌ مسقوف بالقشّ، ويُحوِّط سورٌ من الأحجار الجافَّة السَّاحة، لكن البوَّابة مفتوحة. في الدَّاخل وجدا بئرًا ومِسقاةً، فقال دنك لإج: «اعتنِ بالحيوانات، ولكن احرص ألَّا تشرب أكثر من اللَّازم.

سأسألُ عن طعام».

وجدَ صاحبة الخان تَكنُس السَّلالم، وخاطبَته المرأة: «هل أتيت من أجل العبَّارة؟ وصلت متأخِّرًا. الشَّمس تغيب، ونِد لا يحبُّ العبور ليلًا إلَّا والبدر تامٌّ. سيرجع في الصَّباح الباكر».

ـ «أتعرفين كم يَطلُب؟».

ـ «ثلاثة بنسات لكلِّ فرد، وعشرة للحصان».

ـ «معنا حصانان وبغل».

ـ «عشرة للبغل أيضًا».

أجرى دنك الحسبة في رأسه، فتوصَّل إلى أنَّ النَّتيجة ستَّة وثلاثين، أكثر ممَّا أملَ أن يُنفِق. «آخِر مرَّةٍ جئتُ فيها إلى هذه الأنحاء كلَّف العبور بنسيْن فقط، وستَّة للأحصنة».

ـ «كلِّم نِد في ذلك. الأمر لا يعنيني. لو أنك تبحث عن سريرٍ فليس عندي. اللورد شاوني واللورد كوستين جلبا حاشيتيْهما. المكان ممتلئ حدَّ الانفجار».

ـ «هل اللورد بيك هنا أيضًا؟». *لقد قتلَ مُرافق السير آرلان.* «كان مع اللورد كوكشو وجون الكمنجي».

أجابَت: «نِد عبرَ بهم في رحلته الأخيرة»، ونظرَت إلى دنك من أعلى إلى أسفل سائلةً: «أكنتما ضمن صُحبتهم؟».

ـ «قابلناهم على الطَّريق لا أكثر». من نوافذ الخان تتسرَّب رائحةٌ طيِّبة، رائحةٌ أسالَت لُعاب دنك. «قد نودُّ أن نتناوَل قليلًا ممَّا تشوين، لو أنَّ التَّكلفة ليست فوق قُدرتنا».

قالت المرأة: «إنه خنزيرٌ برِّي، متبَّل بكثيرٍ من الفلفل ويُقدَّم مع البصل وعيش الغُراب والسَّلجم المهروس».

ـ «يُمكننا الاستغناء عن السَّلجم. بضع شرائح من الخنزير

وكوز من مزركِ البنّي الممتاز كفايةٌ لنا. كم تَطلُبين ثمنًا لذلك؟ وهل لنا بمكانٍ على أرضيّة إسطبلكِ لنبيت اللّيلة؟».

أخطأ دنك لمّا قال هذا، إذ ردّت المرأة: «الإسطبلات للخيول. لهذا نُسمّيها إسطبلات. إنك كبيرٌ كحصان، أقرُّ بهذا، لكنني لا أرى إلّا ساقيْن»، ولوّحت بمكنستها في اتِّجاهه لتَطرُده. «لا يُمكن أن يُرجى مني أن أطعم (الممالك السَّبع) بأكملها. الخنزير لضيوفي، وكذلك مزري. لن أدع اللوردات يقولون إنَّ عندي نقصًا في الطّعام والشّراب قبل أن يُتخِموا بطونهم. البُحيرة مليئة بالأسماك، وستجد بعضًا من الأشقياء الآخَرين مخيّمًا عند الأرومات. فُرسان جوّالة لو صدّقتهم». أوضحَت لهجتها تمامًا أنها لا تُصدِّقهم. «لعلَّ معهم طعامًا يقتسمونه. الأمر لا يعنيني. فلتنصرف الآن. عندي عمل». انغلقَ الباب بخبطةٍ قويّة وراءها قبل أن يُفكِّر دنك في مجرَّد الاستفسار أين يجد تلك الأرومات.

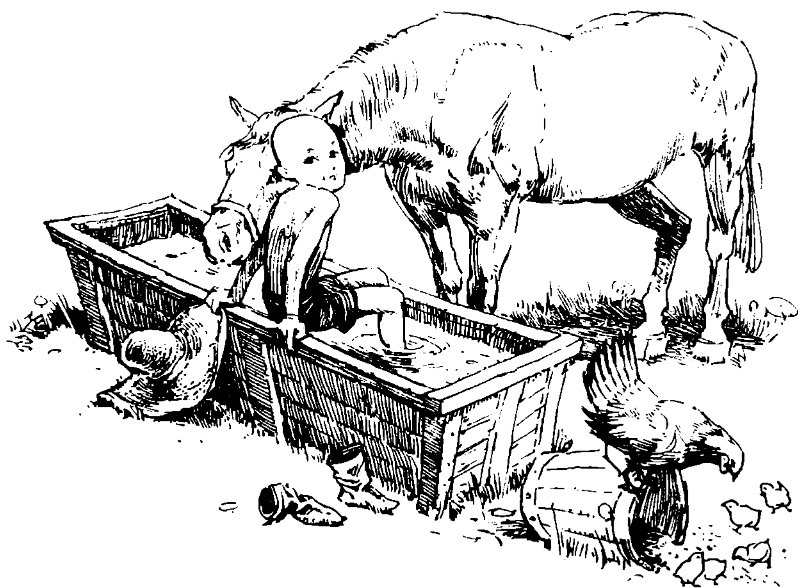
وجدَ إج جالسًا فوق مِسقاة الخيول، يغمس قدميْه في الماء ويُهوِّي وجهه بقبّعته المرنة الكبيرة. «هل يشوون خنزيرًا أيُّها السيْر؟ أشمُّ رائحته».

أجابَ دنك بنبرةٍ كئيبة: «خنزيرٌ برّي، ولكن مَن يُريد لحم خنزيرٍ برّي ونحن معنا لحمٌ بقريٌّ مملَّح ممتاز؟».

أبدى إج تقزُّزه، وقال: «أيُمكنني من فضلك أن آكل حذائي بدلًا من ذلك أيُّها السيْر؟ سأفصِّل زوجيْن جديديْن من اللّحم المملَّح. إنه أقسى».

قال دنك محاولًا ألَّا يبتسم: «لا، لا يُمكنك أن تأكل حذاءك، ولكن كلمة واحدة أخرى وستأكل قبضتي. ارفع قدميْك من هذه المِسقاة»، ثم وجدَ خوذته العظيمة على ظهر البغل وقذفَ بها من تحت ذراعه لإج قائلًا: «اسحب ماءً من البئر وانقع اللَّحم». ما لم تنقعه وقتًا طويلًا، فغالبًا سيكسر اللَّحم المملَّح أسنانك. أفضل مذاقٍ له وهو منقوعٌ في المزر، لكن الماء سيَصلُح. «ولا تستخدم المِسقاة، فلا أريدُ أن أذوق قدميْك».

لوى إج أصابع قدميْه قائلًا: «قدماي ستُحسِّنان المذاق ليس إلَّا أيُّها السيْر»، لكنه نفَّذ الأمر.



***

اتَّـضح أنَّ العثـور عـلى الفُرسـان الجوَّالـة ليـس صعبًـا. لـمحَ إج نارهـم تُومِـض في الغابـة المطلَّة عـلى شـطِّ البُحيـرة، وهكـذا اتَّجهـا إليهـا قائديْـن حيواناتهمـا خلفهمـا. تحـت ذراعـه حمـلَ الـغُلام خـوذة دنـك الـتي راحَ المـاء يتلاطَـم فيهـا مع كلِّ خُطـوة. حينئـذٍ لـم تَعُـد الشَّـمس إلَّا ذكـرى حمـراء في الغـرب. لـم يمـضِ وقـتٌ طويـل حتى انفتحَـت الأشـجار، ووجـدا نفسـيْهما في مكانٍ لَا بُـدَّ أنَّ غيضـة ويـرووود احتلَّتـه في المـاضي. لـم يتبـقَّ إلَّا حلقـةٌ مـن الأرومـات البيضـاء وشـبكةٌ مـن الجـذور البيضـاء كالعظـم للدَّلالـة عـلى البقـاع الـتي ارتفعَـت فيهـا الأشـجار مـن قبـل، لمَّـا كان الحُكـم لأطفـال الغابـة في (وسـتروْس).

وسـط أرومـات الويـرووود وجـدا رجليْـن يجلسـان القرفصـاء قُـرب نـار طبـخ، يتبـادَلان الشُّـرب مـن قربـة نبيـذ فيمـا يـرعى حصاناهمـا في الكلأ وراء الغيضـة، وقـد رصَّـا أسـلحتهما ودروعهمـا في كومتيْـن منظَّمتيْـن، وعـلى مسـافةٍ منهمـا يجلـس رجـلٌ أصغـر سـنًّا مُسـندًا ظهـره إلى شـجرة كستناء. نـادى دنـك بصـوتٍ بشـوش: «لقـاءٌ سـعيد أيُّهـا الفُرسـان». ليـس مـن الحكمـة أبـدًا أنْ تـأتي رجـالًا مسـلَّحين عـلى حيـن غـرَّة. «أُدعى بالسـير دنكـن الطَّويـل. الولـد اسـمه إج. ألنـا أن نُشـارِككم ناركـم؟».

نهـضَ لتحيَّتهمـا رجـلٌ ممتلـئ في منتصـف العُمـر، يرتـدي أسـمال ثيـابٍ فاخـرة، ويُؤطِّـر وجهـه شـعرٌ أصهـب صـارخ. «لقـاءٌ سـعيد يـا سـير دنكـن. كبيـر الحجـم أنـت... وعـلى الرَّحـب والسَّـعة بالتَّأكيـد، وصبيُّـك كذلـك. أهـو إج؟ أيُّ نـوعٍ مـن الأسـماء هـذا إذا سـمحت؟».

ـ «اسمٌ قصير أيُّها السِّير». إج أعقل من أن يقرَّ بأن «إج» اختصار «إيْجوْن»، بخاصَّةٍ لمَن لا يعرفهم.

ـ «حقًّا. ماذا جرى لشعرك؟».

فكَّر دنك: *دود الجذور، أخبِره أنَّ دود الجذور السَّبب يا ولد*. تلك أكثر قصَّة مأمونة، الحكاية التي يحكيانها في أغلب الأوقات... غير أنَّ إج يعنُّ له أحيانًا أن يلعب لُعبةً طفوليَّةً ما.

ـ «حلقته أيُّها السِّير. أنوي أن أبقى حليق الرَّأس إلى أن أستحقَّ فروسيَّتي».

ـ «نذرٌ نبيل. أنا السِّير كايل، قِطُّ (البراح الغائم). تحت شجرة الكستناء هناك يجلس السِّير جلندُن، آه، بوْل. وهنا عندك رجلنا الكريم السِّير مِاينارد بِلَم».

أصاخَ إج السَّمع إذ ذُكِرَ الاسم، وسألَ: «بِلَم... أأنت قريبٌ للوْرد ڤسيْرس بِلَم أيُّها السِّير؟».

اعترفَ السِّير مِاينارد: «من بعيد». رجلٌ فارع نحيل محدودب الكتفيْن هو، له شعرٌ طويل مستوٍ كتَّاني اللَّون. «ولو أني أشكُّ في أنَّ حضرَّة اللوْرد سيقرُّ بذلك. قد يقول المرء إنه من فرع آل بِلَم الحُلو، في حين أنني من الفرع الحامض». معطف بِلَم أرجوانيٌّ كاسمه البرقوقي، غير أنه مهترئ الحواف ورديء الصِّباغة، ويُثبِّته إلى الكتف دبُّوس حجر قمر كبير كبيضة دجاجة، ولكن باستثناء ذلك يرتدي الرَّجل الخيش البنِّي الرَّمادي والجلد البنِّي المبقَّع.

قال دنك: «معنا لحم بقر مملَّح».



قال كايل القِطُّ: «السِّر مايناردِ معه كيسٌ من التُّفَّاح، وأنا معي مخلَّل بيض وبصل. إذًا لدينا معًا مقوِّمات وليمة! تفضَّل بالجلوس أيُّها السِّر. عندنا خيارات ممتازة من أرومات الشَّجر لكي تستريح. سنبقي هنا حتى منتصف الصَّباح ما لم يخِب تخميني. لا يُوجَد إلَّا عبَّارة وحيدة، وليست كبيرةً بما يكفي لاستيعابنا جميعًا. يجب أن يَعبُر اللوردات وأتباعهم أوَّلًا».

ـ «ساعِدني مع الخيول». قالها دنك لإج، ومعًا خلعا سرجَي ثندر ورين وبردعة ميستر.

فقط بعدما أُطعمَت الدَّواب وسُقيَت وشُكلَت لتستقرَّ اللَّيلة، قبِل دنك قربة النَّبيذ التي قدَّمها له السِّر مِاينارد. قال كايل القِطُّ:

«حتى النَّبيذ الحامض أفضل من لا شيء. سنشرب أصنافًا معتَّقةً أجود في (الجُدران البيضاء). يُقال إنَّ عند اللوْرد بَترِول أفضل خمورٍ شمال (الكرمة). لقد كان يد الملك، مثل والد والده من قبله، ويُقال إنه فضلًا عن ذلك رجلٌ تقيٌّ، وغنيٌّ جدًّا».

قال ماينارد پلَم: «ثروته كلُّها من البقر. يَجدُر به أن يتَّخذ ضرعًا منتفخًا شعارًا. آل بَترِول هؤلاء يجري في عروقهم حليب، وآل فِراي ليسوا أحسن. ستكون هذه زيجةً بين لصوص بقرٍ وجُباة رسومٍ، زُمرة من مُشخشخي النُّقود تنضمُّ إلى أخرى. عندما انتفضَ التنِّين الأسود، أرسلَ سيِّد البقر هذا ابنًا إلى ديْمون وآخَر إلى ديْرون ليتيقَّن أنَّ على الجانب الرَّابح واحدًا من آل بَترِول. كلاهما هلكَ في (حقل العُشب الأحمر)، والأصغر ماتَ في الرَّبيع. لهذا يعقد هذه الزِّيجة الجديدة. ما لم تمنحه زوجته الجديدة ابنًا فسيموت اسم بَترِول معه».

قال السيْر جلندُن بوْل: «وهو الواجب»، ومرَّر المشحذ على سيفه مرَّةً أخرى مضيفًا: «**المُحارب** يكره الجُبناء».

دفعَ الاحتقار في صوته دنك إلى النَّظر إلى الشَّاب بمزيدٍ من التَّدقيق. ملابس السيْر جلندُن من قُماشٍ جيِّد، لكنها بالية ومتنافرة، يبدو عليها سابق استعمال. من تحت خوذته القصيرة الحديد تَبرُز خُصل من الشَّعر البنِّي الدَّاكن، والفتى نفسه قصيرٌ مكتنز، عيناه صغيرتان متقاربتان، وكتفاه غليظتان، وذراعاه مفتولتا العضلات، وله حاجبان أشعثان يبدوان مثل يُسروعيْن بعد ربيعٍ بليل، وأنفٌ بصليٌّ وذقن ناتئ. كما أنه صغير السِّن. *عنده ستَّة عشر عامًا ربَّما. لا، أكثر من ثمانية عشر.* لربَّما عدَّه دنك مُرافقًا لو لم يَدعُه السيْر كايل بـ«السيْر». على وجنتَي الفتى

بثورٌ بدلًا من الشَّعر.

سأله دنك: «منذ متى وأنت فارس؟».

ـ «منذ وقتٍ طويل كفايةً. نصف عام عندما يدور القمر. أسبغَ عليَّ الفروسيَّةَ السِّير مؤرجِن دنستيبل ابن (شلَّالات الحاوي)، وشهدَت هذا دستتان من النَّاس، لكنني أتدرَّب على الفروسيَّة منذ ميلادي. لقد ركبتُ الخيل قبل أن أمشي، وخلعَت ضربتي سنَّ رجلٍ بالغ من رأسه قبل أن يَسقُط أيٌّ من أسناني. أنوي أن أحقِّق صيتي في (الجُدران البيضاء) وأظفر ببيضة التِّنين».

ـ «بيضة التِّنين؟ أتلك جائزة البطل؟ حقًّا؟». التنِّينة الأخيرة نفقَت قبل نصف قرن، على أنَّ السِّير آرلان رأى مجموعةً من بيضاتها ذات مرَّة، وأخبرَ العجوز دنك: *كانت صُلبةً كالحجر، ولكن جميلة المرأى.* «أنَّى للورد بَترول ببيضة تنِّين؟».

أجابَ السِّير مِاينارد بلَم: «الملك إيجون قدَّم البيضة لوالد والده بعد نزوله ضيفًا ليلةً في قلعته القديمة».

سألَ دنك: «أهي مكافأة على فعلٍ شُجاع ما؟».

قهقهَ السِّير كايل مجيبًا: «قدْ يصفه بعضهم بذلك. يُفترَض أنه كانت للورد بَترول القديم ثلاث بنات عذراوات حين جاءَ صاحب الجلالة للزِّيارة. بحلول الصَّباح حملَت ثلاثتهن نغولًا ملكيِّين في بطونهن الصَّغيرة. عملُ ليلةٍ ساخنة ذاك».

سبقَ أن سمعَ دنك كلامًا مشابهًا. لقد ضاجعَ إيجون غير الجدير نصف عذارى البلاد، ويُفترَض أنه أنجبَ منهن جميعًا نغولًا. الأدهى أنَّ الملك المُسن شرعنَهم جميعًا وهو على فراش الموت، وُضعاء المولد الذين خلَّفتهم عاملات الحانات والعاهرات وراعيات المواشي، والنُّغول العظام أولاد الأمَّهات شريفات النَّسب. «لكننا كلُّنا أبناءً نغولًا للملك إيجون المُسن لو صحَّ نصف تلك الحكايات».

قال السِّر مِاينارد مازحًا: «ومَن يقول إننا لسنا كذلك؟».

حثَّ السِّر كايل دنك قائلًا: «حريٌّ بك أن تأتي معنا إلى (الجُدران البيضاء) يا سِر دنكن. مؤكد أنَّ حجمك سيلفت انتباه أحد صغار اللوردات. قد تجد خدمةً جيِّدةً هناك. أعرفُ أني سأفعلُ عن نفسي. چوفري كازوِل سيحضر هذا الزِّفاف، سيِّد (جسر العلقم). وهو في الثَّالثة من عُمره صنعتُ له سَيفه الأوَّل، نحتُّه من خشب الصَّنوبر ليُناسِب يده. وأنا بعدُ أكثر اخضرارًا أعهدتُ أباه سيفي».

سألَه السِّر مِاينارد: «أكان منحوتًا من خشب الصَّنوبر أيضًا؟».

تحلَّى كايلَ القطُّ بالأريحيَّة ليضحك، وقال: «ذلك السَّيف كان من الفولاذ الممتاز، أؤكِّدُ لك. سيسرُّني حقًّا أن أستعمله مجدَّدًا في خدمة القنطور. سِر دنكن، حتى إن لم تختَر أن تُثاقِف فانضمَّ إلينا في مأدبة الزِّفاف. سنجد هناك مُطربين وموسيقيِّين، وبهلوانات وحُواةً، وفِرقةً من الأقزام الهزليِّين».

عقدَ دنك حاجبيْه قائلًا: «أنا وإج أمامَنا رحلةٌ طويلة. إننا متَّجهان شِمالًا إلى (وينترفل). اللورد بيرون ستارك يجمع سيَّافةً لطرد الكراكِن من سواحِله بلا رجعة».

قال السِّر مِاينارد: «الطَّقس هناك باردٌ جدًّا عليَّ. إذا أردت قتل الكراكِن فاذهب غربًا. آل لانستر يبنون سُفنًا ليردُّوا على الحديديِّين عُدوانهم في جُزرهم الأم. هكذا تضع نهايةً لداجون جرايچوي. لا طائل من قتاله على اليابسة، لأنه يتملَّص عائدًا إلى البحر لا أكثر. يجب أن تهزمه في الماء».

لقوله رنين الحقيقة، إلَّا أنَّ إمكانيَّة قتال الحديديِّين في البحر ليست شيئًا يستسيغه دنك. لقد ذاقَ ذلك على متن «الليدي البيضاء» في أثناء إبحاره من (دورن) إلى (البلدة القديمة)، عندما لبسَ درعه لمساعدة الطاقم على درء بعض المُغيرين. كانت المعركة يائسةً داميةً، وفي مرَّةٍ كادَ يَسقُط في الماء،

ولأصبحَت تلك نهايته.

أعلنَ السيْر كايل القِطُّ: «على الأقل يُقاتلون. ما الذي يفعله آل تارجاريَن؟ الملك إيْرس مختبئ بين كُتبه، والأمير ريْجل يتبختر عاريًا في أروقة (القلعة الحمراء)، والأمير ميْكار يقبع واجمًا في (بهو الصَّيف)».

كان إج يُذكي النَّار بعصا باعثًا شرارًا يطفو في هواء اللَّيل. سُرَّ دنك لرؤيته يتجاهَل ذِكر اسم والده. *ربَّما تعلَّم أخيرًا أن يُمسِك لسانه هذا.*



تابعَ السِير كايل: «عن نفسي ألومُ غُداف الدَّم. إنه يد الملك، ومع ذلك لا يُحرِّك ساكنًا فيما يَنشُر الكَراكِن اللَّهب والهلع في أقصى (بحر الغروب) وأدناه».

هزَّ السِير مِاينارد كتفيْه، وقال: «عينه شاخصةٌ إلى (تايروش) حيث يجلس الفولاذ الأليم في المنفى يتآمَر مع أبناء ديمون بلاكفاير، ولذا يُبقي سُفن الملك في متناول اليد خشية أن يسعوا للعبور».

ردَّ السِير كايل: «أجل، لعلَّ في ذلك صحَّةً، لكن كثيرين سيُرحِّبون بعودة الفولاذ الأليم. غُداف الدَّم أصل وبلاتنا كلِّها، الدُّودة البيضاء التي تلتهم قلب البلاد».

عبسَ دنك متذكِّرًا السِّپتون الأحدب في (السِّپت الحجري)، وقال: «من شأن كلام كهذا أن يُكلِّف المرء رأسه. قد يقول البعض إنك تتحدَّث بالخيانة».

قال كايل القِطُّ: «كيف يُمكن أن تكون الحقيقة خيانةً؟ في أيَّام الملك ديرون لم يُفرَض على الرَّجل أن يخاف أن يُصرِّح بما في نفسه، أمَّا الآن؟»، وأطلقَ صوتًا بذيئًا مواصلًا: «غُداف الدَّم وضعَ الملك إيرس على العرش الحديدي، ولكن إلى متى؟ إيرس ضعيف، ولمَّا يموت ستندلع حربٌ دامية بين اللورد ريفرز والأمير ميكار على التَّاج، اليد ضد الوريث».

احتجَّ السِير مِاينارد بلهجة رفيقة: «نسيتَ الأمير ريجل يا صديقي. إنه هو التَّالي في الدَّور بعد إيرس وليس ميكار، ومن بعده أولاده».

ـ «رِيْجل واهي العقل. إنني لا أضمرُ له أيَّ عداوة، غير أنَّ الرَّجل في حُكم الميت، وتوأماه هذان أيضًا، ولكن سواء أماتوا بمِقمعة ميْكار أو تعاويذ غُداف الدَّم...».

ـ *ليُنقِذنا السَّبعة*. قالها دنك في نفسه إذ تدخَّل إج متكلِّمًا بصوتٍ عالٍ حاد: «الأمير ميْكار شقيق الأمير رِيْجل. إنه يحبُّه حُبًّا جمًّا، ولا يُمكن أبدًا أن يُؤذيه هو أو آله».

زمجرَ فيه دنك: «صمتًا يا ولد. هؤلاء الفُرسان لا يُريدون أيًّا من آرائك».

ـ «أستطيعُ الكلام إذا أردتُ».

ردَّ دنك: «لا، لا تستطيع». *فمك هذا سيتسبَّب في مقتلك يومًا ما، وأنا أيضًا على الأرجح*. «اللَّحم المملَّح نُقعَ بما فيه الكفاية على ما أظنُّ. شريحة لكلٍّ من أصدقائنا، وأسرِع».

احمرَّ وجه إج، ولنصف نبضة قلبٍ خشيَ دنك أن يردَّ الغُلام، لكنه اكتفى بدلًا من ذلك بنظرةٍ واجمة والغليان في أعماقه كما يُمكن لغُلام في الحادية عشرة فقط أن يغلي. «حاضر أيُّها السيْر». قالها إجّ مفتِّشًا في قاع خوذة دنك وقد التمعَ رأسه المحلوق بالحُمرة في ضوء النَّار وهو يُناوِلهم شرائح اللَّحم المملَّح.

أخذَ دنك قطعته ونهشَها. النَّقع حوَّل اللَّحم من خشب إلى جلد، لكن هذا كلُّ شيء. راحَ يمصُّ أحد الأطراف متذوِّقًا الملح ومحاولًا ألَّا يُفكِّر في الخنزير البرِّي المشوي في الخان، يُطقطِق على سيخه ويَقطُر منه الدُّهن.

مع توغُّل الغسق أتى الذُّباب والبعوض الصَّغير القارص في أسراب غفيرة من البُحيرة. فضَّل الذُّباب ابتلاء خيولهم، أمَّا البعوض فيحبُّ طعم اللَّحم البشري، والوسيلة الوحيدة لتجنُّب القرص أن يجلسوا قريبًا من النَّار متنفِّسين الدُّخان. فكَّر دنك بكآبة: *نُطهى أو نلتهم. خياران أحلاهما مُرٌّ*، وحكَّ ذراعيْه ودنا ببُطء من النَّار.

سرعان ما دارَت القربة دورتها. ما فيها من نبيذٍ لاذعٌ وقويٌّ، وقد أخذَ دنك جرعةً كبيرةً ثم ناولَ القربة، فيما بدأ قِطٌّ (البراح الغائم) يحكي كيف أنقذَ حياة سيِّد (جسر العلقم) خلال تمرُّد بلاكفاير. «حين سقطَ حامل راية اللورد آرموند وثبتُ من فوق حصاني والخونة حولنا من كلِّ جهة...».

قاطعَه جلندُن بول: «سير، مَن هؤلاء الخونة؟».

- «عنيتُ رجال بلاكفاير».

لمعَ ضوء النَّار على الفولاذ في يد السير جلندُن، لتلتهب البثور في وجهه حمراء كالقروح المفتوحة، ويبدو كلُّ وترٍ من أوتاره مشدودًا عن آخِره كما النُّشَّابيَّة. «أبي قاتلَ في سبيل التنِّين الأسود».

- *تلك المسألة مجدَّدًا*. أطلقَ دنك نخيرًا. «أحمر أم أسود؟» ليس سؤالًا تُلقيه على رجل، ذلك أنه يُؤدِّي دائمًا إلى متاعب. «أنا واثقٌ بأن السير كايل لم يقصد أن يُهين أباك».

أيَّده السيْر كايل: «على الإطلاق. إنها حكاية قديمة، التنِّين الأحمر والتنِّين الأسود. ليس من العقل أن نتشاجَر بشأنها الآن يا فتى. جميعنا هنا إخوان الأسوجة».

بدا أنَّ السيْر جلندُن يزن كلمات القِطِّ ليرى هل يتعرَّض للسُّخرية، قبل أن يقول: «ديْمون بلاكفاير لم يكن خائنًا. الملك المُسن أعطاه هو السَّيف. لقد رأى جدارة ديْمون على الرغم من ميلاده نغلًا. لأيِّ سبب غير ذلك وضعَ «اللَّهب الأسود» في يده بدلًا من يد ديْرون؟ لقد أرادَه أن يحظى بالمملكة أيضًا. ديْمون كان الرَّجل الأفضل».

رانَ عليهم السُّكوت. سمعَ دنك طقطقة النَّار الخافتة، وأحسَّ بالبعوض يزحف على قفاه، فهوى عليه بكفِّه وهو يُراقِب إج موصيًا إيَّاه في سريرته أن يبقى ساكنًا. لمَّا بدا أنَّ أحدًا آخَر لن يتكلَّم قال: «كنتُ صبيًّا صغيرًا حين خاضوا معركة (حقل العُشب الأحمر)، لكنني رافقتُ فارسًا قاتلَ في سبيلِ التنِّين الأحمر، ولاحقًا خدمتُ آخَر قاتلَ في سبيلِ الأسود. كان على كلا الجانبيْن رجالٌ شُجعان».



ردَّد كايل القِطُّ بشيءٍ من الضَّعف: «رجالٌ شُجعان».

ـ «أبطال». أدارَ جلندُن بوْل تُرسه ليروا جميعهم الرَّمز المرسوم عليه: كُرة ناريَّة مضطرمة بالأحمر والأصفر على خلفيَّةٍ بسواد اللَّيل. «إنني متحدِّرٌ من دم بطل».

قال إج: «أنت ابن كُرة النَّار».

وهذه أوَّل مرَّةٍ رأوا فيها السِير جلندُن يبتسم.

تفرَّس السِير كايل القِطَّ في الفتى، وتساءلَ: «كيف يُمكن ذلك؟ كم سنُّك؟ كونتِن بوْل ماتَ...».

أكملَ السِير جلندُن: «... قبل أن أُولَد. لكنه يحيا فيَّ من جديد»، وعادَ يدسُّ سيفه في غِمده بحركةٍ حادَّة، وأردفَ: «سأريكم جميعًا في (الجُدران البيضاء) حين أظفرُ ببيضة التنِّين».

***

أثبتَ اليوم التَّالي صحَّة نبوءة السِير كايل، فعبَّارة نِد لا تتَّسع البتَّة لكلِّ الرَّاغبين في العبور، ولذا فلا بُدَّ أن يَعبُر اللوْردان كوْستيْن وشاوني أوَّلًا ومعهما أتباعهما. تطلَّب ذلك رحلاتٍ عدَّةً استغرقَ كلٌّ منها ما يربو على ساعة، إذ يجب التَّعامُل مع المسطَّحات الطِّينيَّة صعبة الاجتياز، ونقل الخيول والعربات على الألواح الخشبيَّة، وتحميل القارب بها، ثم تفريغه منها على ضفَّة البُحيرة الأخرى. كما أنَّ اللوْرديْن عوَّقا الأمور أكثر بانخراطهما في مباراة زعيقٍ بشأن الأسبقيَّة؛ شاوني أكبرهما سنًّا، لكن كوْستيْن يعتبر نفسه أرقى نسبًا.

لم يُوجَد ما يُمكن أن يفعله دنك غير الانتظار والتَّصبُّب عرقًا. قال إج: «يُمكننا الذَّهاب أوَّلًا إذا تركتني أستخدمُ حذائي».

ردَّ دنك: «يُمكننا، لكننا لن نفعل. اللوْرد كوْستيْن واللوْرد شاوني هنا من قبلنا، ثم إنهما لوْردان».

قلبَ إج سحنته قائلًا: «لوْردان متمرِّدان».

رمقَه دنك مقطِّبًا جبينه، وسألَه: «ماذا تعني؟».

ـ «لقد ناصَرا التنِّين الأسود. اللوْرد شاوني فعلَ، وأبو اللوْرد كوْستيْن. أنا وإيْموْن اعتدنا خوض المعركة على طاولة المِيْستر ملاكوين الخضراء بجنودٍ مطليِّين وراياتٍ صغيرة. شعار كوْستيْن مقسَّم إلى أربعة مربَّعات، في اثنيْن كأسٌ فضِّيَّة على خلفيَّةٍ سوداء وفي اثنيْن زهرةٌ سوداء على خلفيَّةٍ ذهبيَّة. تلك الرَّاية كانت في ميسرة جيش ديْموْن. شاوني كان مع الفولاذ الأليم في الميمنة، وكادَ يموت متأثِّرًا بجراحه».

ـ «تاريخٌ قديم زائل. إنهما هنا الآن، أليس كذلك؟ أي إنهما ركعا وعفا عنهما الملك ديْروْن».

ـ «نعم، ولكن...».

أغلقَ دنك شفتَي الغُلام بأنامله قائلًا: «أمسِك لسانك».

فأمسكَ إج لسانه.

لم تكد الحمولة الأخيرة من رجال شاوني تتحرَّك حتى ظهرَ اللوْرد والليْدي سموْلوود بأتباعهما عند المرسى، وهكذا عليهما الانتظار ثانيةً.

واضحٌ للعيان أنَّ رِفقة الأسوجة لم تَصمُد اللَّيل بطوله. انفردَ السيْر جلندُن بنفسه في نكد ووجوم، في حين قدَّر كايل القِطُّ أنَّ النَّهار سوف ينتصِف قبل أن يُسمَح لهم بركوب العبَّارة، ففصلَ نفسه عن الآخَرين ليُحاوِل ضمَّ نفسه تزلُّفًا إلى حاشية اللوْرد سموْلوود الذي تجمعه به معرفةٌ طفيفة، أمَّا السيْر مِاينارد فقضى وقته في النَّميمة مع صاحبة الخان.

حذَّر دنك إج: «ابقَ بعيدًا تمامًا عن هذا الشَّخص». في بِلَم شيء ما يُزعِجه. «قد يكون فارسًا لصًّا على حدِّ علمنا».

بدا أنَّ التَّحذير لم يُؤدِّ إلَّا إلى زيادة اهتمام إج بالسِّير مِاينارد. قال الغُلام: «لم أعرف أيَّ فُرسانٍ لصوص قَطّ. أتظنُّه ينوي سرقة بيضة التنِّين؟».

ردَّ دنك: «اللورد بَترِول سيضع البيضة تحت حراسةٍ مشدَّدة، أنا واثق»، وحكَّ رقبته حيث قرصَه البعوض قائلًا: «أتحسب أنه سيعرضها خلال المأدبة؟ أودُّ أن ألقي نظرةً على واحدة».

ـ «لربَّما أريتك بيضتي أيُّها السِّير، لكنها في (بهو الصَّيف)».

ـ «بيضتك؟ بيضتك بيضة التنِّين؟». حدجَ دنك الغُلام بنظرةٍ عابسة متسائلًا أهذه دُعابة. «من أين أتَت؟».

ـ «من تنِّينٍ أيُّها السِّير. لقد وضعوها في مهدي».

ـ «أتُريد لطمةً على الأذن؟ لا تُوجَد تنانين».

ـ «نعم، ولكن يُوجَد بيض. التنِّينة الأخيرة تركَت مجموعةً من خمس، وعندهم مزيدٌ في (دراجنستون)، بيضات قديمة من قبل الرَّقصة. إخوتي كلُّهم



لديهم بيض أيضًا. بيضة إيْريوْن تبدو كما لو أنها من الذَّهب والفضَّة، وتسري فيها عروقٌ من النَّار. بيضتي أنا بيضاء وخضراء، مليئة بالدوَّامات».

ـ «بيضتك بيضة التنّين». *وضعوها في مهده.* اعتادَ دنك إج إلى درجة نسيانه أحيانًا أنَّ إيْجوْن أمير. *طبعًا وضعوا بيضة تنّين في مهده.* «طيِّب، احرص ألّا تَذكُر تلك البيضة حيث يُمكن أن يسمعك أحد».

قال إج: «لستُ بذلك الغباء أيُّها السيْر»، وخفضَ صوته متابعًا: «يومًا ما سترجع التَّنانين. أخي ديْروْن حلمَ بهذا، والملك إيْرس قرأه في نبوءة. قد تفقس بيضتي أنا. لكم سيكون ذلك رائعًا!».



- «أسيكون كذلك حقًّا؟». راودَت دنك في ذلك الشُّكوك.

أمَّا إج فلا. «أنا وإيمون اعتدنا التَّظاهُر بأن بيضتيْنا هما اللتان ستفقسان. إذا حدثَ ذلك فسنُحلِّق في السَّماء على متنَي تِنِّينيْنا مثل أوَّل إيجون وأختيْه».

- «أجل، وإذا ماتَ كلُّ فارس آخَر في البلاد فسأصبحُ اللورد قائد الحرس الملكي. لو أنَّ تلك البيضات قيِّمةٌ إلى ذلك الحدِّ فلِمَ يتخلَّى اللورد بَترِول عن بيضته؟».

- «ليُري البلاد قدر ثرائه؟».

- «على ما أظنُّ». عادَ دنك يحكُّ رقبته وألقى بنظرةٍ عابرة على السِّير جلندُن بول الذي يُحكِم أحزمة سرجه فيما ينتظر العبَّارة. *لن يَصلُح ذلك الحصان أبدًا*. مطيَّة السِّير جلندُن حصانٌ معيب أقعس، عجوز وأصغر من اللَّازم. «ماذا تعرف عن والده؟ لماذا دعوه بكُرة النَّار؟».

- «لطباعه الحامية وشعره الأحمر. السِّير كونتِن بول عملَ قيِّم سلاح في (القلعة الحمراء)، وقد علَّم أبي وأعمامي القتال، والنُّغول العظام أيضًا. الملك إيجون وعدَ بترقيته إلى الحرس الملكي، فجعلَ كُرة النَّار زوجته تلتحق بالأخوات الصَّامتات، ولكن لمَّا شغرَ مكانٌ كان الملك إيجون قد ماتَ، وعيَّن الملك ديرون السِّير وِلِم وايلد بدلًا منه. أبي يقول إنَّ كُرة النَّار أقنعَ ديمون بلاكفاير بالمطالبة بالتَّاج بقدر ما أقنعَه الفولاذ الأليم، وإنه أنقذَه عندما أرسلَ ديرون الحرس الملكي للقبض عليه. لاحقًا قتلَ كُرة النَّار اللورد لِفورد عند بوَّابة (لانسپورت) ودفعَ الأسد الأشيب إلى الهرب منسحبًا ليختبئ داخل (الصَّخرة).

عنـد معبـر (المانـدر) فتـكَ بأبنـاء الليْـدي پنـرِوْز واحـدًا تلـو آخَـر. يقولـون إنـه أبـقى عـلى حيـاة أصغرهـم رفقًـا بأمِّـه».

أقرَّ دنـك رغمًـا عنـه: «شـهامةٌ منـه»، ثـم سـألَ: «هـل مـاتَ السـيْر كونِتِـن في (حقـل العُشـب الأحمـر)؟».

أجـابَ إج: «قبـل ذلـك أيُّهـا السـيْر. رام مـا غـرزَ سـهمًا في حلقـه وهـو يترجَّـل عنـد جدولٍ ليشـرب. مجـرَّد رجـلٍ تقليـدي، لا أحـد يعـرف مَـن».

ـ «مـن شـأن هـؤلاء الرِّجـال التَّقليديِّيـن أن يصيـروا خطريـن حينمـا يعـنُّ لهـم الشُّـروعِ في قتـل اللوْردات والأبطـال». رأى دنـك العبَّـارة تزحـف مقتربـةً ببـطء عبـر البُحيـرة، فقـال: «هـا هي ذي قادمـة».

ـ «إنهـا بطيئـة. هـل سـنذهب إلى (الجُـدران البيضـاء) أيُّهـا السـيْر؟».

قـال دنـك: «ولِـمَ لا؟ أريـدُ أن أرى بيضـة التنِّيـن هـذه»، وابتسـمَ مُردفًـا: «إذا فـزتُ بالـدَّورة فسـيملك كلانـا بيضـة تنِّيـن».

رمقَه إج بشكٍّ.

ـ «ماذا؟ لماذا تَنظُر إليَّ هكذا؟».

أجـابَ الـغُلام برزانـة: «يُمكنـني أن أخبـرك أيُّهـا السـيْر، ولكـن علـيَّ أن أتعلَّـم أن أمسـك لسـاني».

***

أجلَسوا الفُرسان الجوَّالة أسفل الملح بمسافةٍ بعيدة، أقرب إلى الباب من المنصَّة.

(الجُدران البيضاء) شبه جديدةٍ بالقياس إلى القلاع عمومًا، إذ شيَّدها منذ أربعين عامًا فحسب جدُّ سيِّدها الحالي. في هذه الأنحاء يُسمِّيها العامَّة (دار الحليب)، ذلك أنَّ أسوارها وحصونها وأبراجها من أحجارٍ بيضاء مقطَّعة بإتقان، قُلعَت في (الوادي) وجُلبَت عبر الجبال بكلفةٍ باهظة. في الدَّاخل أرضيَّات وأعمدة من الرُّخام الأبيض اللَّبني المجزَّع بالذَّهبي، والعوارض بالأعلى منحوتة من جذوع شجر الويروود الشَّاحبة كالعظم. لم يستطِع دنك أن يتصوَّر مجرَّد تصوُّرٍ كم كلَّف هذا كلُّه.

على أنَّ القاعة الكُبرى ليست واسعةً كقاعاتٍ أخرى عرفَها. *على الأقل سُمِحَ لنا بالدُّخول تحت السَّقف.* قالها دنك سرًّا إذ اتَّخذ موضعه على الدكَّة بين السِّير مِينارد پلَم وكايل القِطّ. على الرغم من حضورهم غير مدعوِّين، رُحِّبَ بثلاثتهم في المأدبة بسرعةٍ كافية، فممَّا يجلب سوء الطَّالع أن تأبى على فارسٍ الضِّيافة يوم زفافك.

لكن الأمر تعسَّر على السِّير جلندُن الشَّاب. سمعَ دنك وكيل اللورد بَترول يقول له بصوتٍ عالٍ: «كُرة النَّار لم يُنجِب ابنًا قطُّ»، فردَّ الفتى المراهق بحرارة، وذكَرَ اسم السِّير مورجن دنستِيبل عدَّة مرَّات، لكن الوكيل ثبتَ على موقفه. عندما لمسَ السِّير جلندُن مقبض سيفه ظهرَت دستةٌ من الرِّجال المسلَّحين الحاملين حرابهم، وللحظةٍ بدا أنَّ دماءً قد تُراق. وحده تدخُّل فارسٍ أشقر كبير اسمه كِربي پِم أنقذَ الموقف. حالَ جلوس



دنك بعيدًا دون أن يسمع، وإن رأى بِم يُطوّق كتفَي الوكيل بذراعه ويُغمغِم في أذنه ضاحكا، ليُقطّب الوكيل ويقول للسِير جلنذُن شيئًا ما ضرَّج وجه الفتى بالأحمر القاني. فكر دنك وهو يُشاهِد: *يبدو كأنه على وشك البُكاء. إمَّا ذلك وإمَّا أن يَقتُل أحدًا.* بعد ذلك كلِّه سُمِحَ أخيرًا للفارس الشَّاب بدخول قاعة القلعة.

أمَّا إج المسكين فلم يُحالِفه الحظُّ نفسه، فحين حاولَ دنك الدُّخول بالغُلام أبلغَهما وكيلٌ مساعد بعجرفة: «القاعة الكُبرى للوردات والفُرسان. لقد نصبنا طاولاتٍ في السَّاحة الدَّاخليَّة



للمُرافقيـن والسَّاسـة والرِّجـال المسلّحين».

ـ *لـو أنَّ لديـك فكـرةً عـن هُويَّتـه لأجلسته فـوق المنصَّـة علـى عـرش موسَّـد.* لـم يُعجِـب دنـك كثيـرًا منظـر المُرافقيـن الآخَريـن. قليلـون منهـم غِلمـانٌ في سنّ إج، غيـر أنَّ معظمهـم أكبـر، مُقاتلـون متمرّسـون اختـارَ كلٌّ منهـم قبـل زمـن طويـل أن يخـدم فارسًـا بـدل أن يُصبِـح واحـدًا. *هـل امتلكـوا خيـارًا أصلًا؟* الفروسـيَّة تتطلَّـب مـا هـو أكثـر مـن الشَّـهامة والمهـارة في السِّلاح، تتطلَّـب حصانًـا وسـيفًا ودرعًـا أيضًـا، وكلٌّ هـذا مكلِـف. قـال لإج قبـل أن يَترُكـه مع تلـك

الصُّحبة: «صُن لسانك. هؤلاء رجالٌ بالغون ولن يتقبَّلوا وقاحتك بسماحة. اجلس وكُل وأصغِ، فقد تتعلَّم بضعة أشياء».

من ناحيته، سُرَّ دنك لمجرَّد أن يستتر من الشَّمس الحامية، أمامه كوب نبيذٍ وفُرصة لأن يملأ معدته. حتى الفُرسان الجوَّالة يتعبون من قضاء نصف ساعةٍ في مضغ كلِّ لُقمةٍ من الطَّعام. هنا أسفل الملح ستكون الوجبة بسيطةً أكثر من فاخرة، ولكن بلا نُقصان. أسفل الملح يُناسِب دنك كفايةً.

إلَّا أنَّ الكبرياء عند الوضيع عارٌ عند الرَّفيع، كما اعتادَ العجوز القول. بانفعالٍ قال السير جلندُن بول للوكيل المساعد: «لا يُمكن أنَّ هذا مكاني اللَّائق». ارتدى الفتى دبليَّةً نظيفةً من أجل المأدبة، ثوبًا أنيقًا قديمًا مزيَّنًا بمخرَّماتٍ ذهبيَّة عند الكفَّتيْن والياقة، ومخيطة على صدره شِفرونة عائلة بول وصفائحها البيضاء. «أتعرف مَن كان أبي؟».

أجابَ الوكيل المساعد: «فارسًا نبيلًا ولوردًا قديرًا لا شكَّ، لكن الشَّيء نفسه ينطبق على كثيرين هنا. تفضَّل بالجلوس أو تفضَّل بالانصراف أيُّها السير. لا فرق عندي».

في النِّهاية اتَّخذ الفتى موضعه أسفلٍ الملح مع بقيَّتهم وقد أطبقَ فمه بوجوم. بدأت القاعة البيضاء الطويلة تمتلئ إذ تزاحمَ مزيدٌ من الفُرسان على الدِّكك. الحشد أكبر ممَّا توقَّع دنك، ويبدو من منظره أنَّ بعض الضُّيوف قطعَ طريقًا طويلًا جدًّا. لم يحضر هو وإج بين كلِّ هذا العدد من اللوردات والفُرسان منذ (مرج آشفرد)، ولا سبيل إلى تخمين الشَّخص التَّالي الذي سيظهر. *كان ينبغي أن نبقى بالخارج بين الأسوجة وننام تحت الأشجار. إذا*

حين وضعَ خادمٌ رغيفًا من الخُبز الأسمر على المفرش أمام كلِّ منهم، شعرَ دنك بالامتنان لهذا الإلهاء. شقَّ الرَّغيف بالطول، ثمَّ فرَّغ النِّصف السُّفلي ليستخدمه طبقًا وأكلَ النِّصف العُلوي. وجدَه بائتًا، ولكن مقارنةً بلحمه المملَّح فهو كَسْتَرْد. على الأقل لا يجب أن يُنقَع في مزرٍ أو حليبٍ أو ماءٍ ليطرى بما يكفي للمضغ.

ـ «سِير دنكن، يبدو أنك تلفت قدرًا كبيرًا من الانتباه». ألقى السِّير مِاينارد بِلَم بالملاحظة فيما مرَّ بهم اللورد ڤيرول وفوجه متبخترين في طريقهم إلى مواضع الشَّرف السَّامي عند رأس القاعة. «يبدو أنَّ الفتيات فوق المنصَّة لا يستطعن رفع أعيُنهن عنك. أراهنُ أنهن لم يرين رجلًا بحجمك قَطُّ. حتى وأنت جالس تفوق أيَّ رجلٍ في القاعة طولًا بنصف رأس».

حنى دنك كتفيْه. لقد تعوَّد حملقة الآخرين، لكن ذلك لا يعني أنها تُعجِبه. «فليَنظُرن».

قال السِّير مِاينارد: «هو ذا الثَّور العجوز هناك أسفل المنصَّة. ينعتونه بالضَّخامة، ولكن يبدو لي أنَّ أكبر ما فيه بطنه. إنك عملاقٌ مقارنةً به».

- «بالتَّأكيد أيُّها السِّر». قالها أحد رفاقهم على الدكَّة، رجلٌ شاحب كئيب الهيئة يرتدي الرَّمادي والأخضر، عيناه صغيرتان ثاقبتان متقاربتان تحت حاجبيْن رفيعيْن مقوَّسيْن، وتُؤطِّر لحيةٌ سوداء مشذَّبة بعنايةٍ فمه عوضًا عن شعره المنحسر. «في ميدانٍ كهذا يُفترَض أن يجعلك حجمك وحده واحدًا من أشد المتنافسين مهابةً».

قال رجلٌ آخَر يجلس على مسافةٍ أبعد: «سمعتُ أنَّ غاشم براكن قد يأتي».

ردَّ مرتدي الأخضر والرَّمادي: «لا أظنُّ. ليس هذا إلَّا قليلًا من النِّزال للاحتفال بعُرس حضرة اللورد، مُثاقفة في السَّاحة تتماشى مع المُثاقفة بين الملاءات. بالكاد يستحقُّ الأمر الجهد عند أمثال أوثو براكن».

شربَ السِّر كايل القِطُّ من النَّبيذ، وقال: «أراهنُ أن سيِّدي اللورد بَترِول لن ينزل هو الآخَر إلى الميدان. سيُشجِّع أنصاره من مقصورة اللورد في الظِّل».

قال السِّر جلندُن بول بزهو: «سيرى أنصاره يَسقُطون إذًا، وفي النِّهاية سيُسلِّم إليَّ بيضته».

شرحَ السِّر كايل للرَّجل الجديد: «السِّر جلندُن ابن كُرة النَّار. ألنا أن تُشرِّفنا باسمك أيُّها السِّر؟».

- «السِّر أوثور أندرليف. لستُ ابن أحدٍ ذي أهمِّيَّة».

ملابـس أندرليـف مـن قُمـاش جيّـد، نظيفـة ومعتـنى بهـا، لكنهـا بسيطة التَّفصيـل، ويُثبِّت معطفَه مشبكٌ فضِّي بشكل حلزون. «لـو أنَّ رُمحك مكافئ للسانك يـا سيْر جلنـدُن فقـد يُمكنـك أن تُنافِـس رفيقنـا الكبيـر هـذا».

ألـقى السيْر جلنـدُن بنظـرةٍ سريعة عـلى دنـك فيمـا صُـبَّ النَّبيـذ، وردَّ: «إذا تلاقينـا فسيَسـقُط. لا يهمُّـني حجمـه».

قـال دنـك وهـو يُشاهِد خادمًا يـملأ كوبـه: «إنـني أفضـل بالسَّـيف مـن الـرُّمح فـعلًا، وأفضـل مـن هـذا بالفـأس الحربيَّـة. هـل سيُقام التحـامٌ جمـاعيٌّ هنـا؟». سيمنحه حجمـه وقوَّتـه أفضليَّـةً في التحـام جمـاعي، ويعلـم أنَّ بإمكانـه أن يـردَّ الصَّـاع بالصَّـاع. أمَّـا المُثاقفـةُ فمسـألةٌ أخـرى.

ـ «التحـامٌ جمـاعي؟ في زفـاف؟». بـدا السيْر كايـل مصدومًـا. «لـن يليـق ذلـك».

قهقـهَ السيْر ماينـارد قـائلًا: «الـزَّواج ذاتـه التحـام، وهـو مـا يُمكـن أن يقولـه لـك أيُّ رجـلٍ متـزوِّج».

بـدوره قهقـهَ السـيْر أوثوْر، وقـال: «ثمَّـة مُثاقفـة فقـط للأسـف، ولكـن بجانـب بيضـة التنِّيـن وعـدَ اللوْرد بَتـروِل بثلاثيـن تنِّينًـا ذهبيًّـا للخاسـر في النِّـزال الأخيـر، وبعشـرةٍ لكلٍّ مـن الفُرسـان المهزوميـن في الجولـة السَّـابقة».

ـ *عشرة تنانين ليست مبلغًا سيِّئًا*. عشرة تنانين تكفي لشراء رهوان لكيلا يضطرَّ دنك إلى ركوب ثندر في غير المعارك. عشرة تنانين تكفي لشراء بِزَّةٍ من الصَّفائح المعدنيَّة لإج، وسُرادق فارسٍ لائق تُخاط عليه شجرة دنك ونجمته الهاوية. *عشرة تنانين ستعني إوزًّا مشويًّا وأفخاذ خنازير وفطائر حمام.*

أضافَ السِّير أوثِر وهو يُفرِّغ رغيفه: «وتُوجَد فديات أيضًا للفائزين بمبارياتهم، وسمعتُ شائعةً تقول إنَّ بعض الرِّجال يُراهِن على المُثاقفات. اللورد بَترِول ليس مغرمًا بالمجازفة، ولكن بين ضيوفه مَن يُراهِنون بمبالغ طائلة».

ما كادَ يتكلَّم حتى دخلَ آمبروز بَترِول مصحوبًا بجوقةٍ من الأبواق من شُرفة الموسيقيِّين. دفعَ دنك نفسه إلى النُّهوض مع البقيَّة إذ ا صطحبَ بَترِول عروسه الجديدة المتأبِّطة ذراعه فوق بساطٍ مايري مزخرف إلى المنصَّة . الفتاة في الخامسة عشرة وحديثة الإزهار، والسِّيد زوجها في الخمسين وحديث التَّرمُّل، هي وردِيَّة وهو رمادي. تحرَّكت مجرجرةً وراءها معطف العروس



المفصَّل بشرائط خضراء وبيضاء وصفراء متموّجة، وقد بدا ساخنًا وثقيلًا حتى إنَّ دنك تساءلَ كيف تحتمل ارتداءه. اللوْرد بَترول أيضًا بدا ساخنًا وثقيلًا بألغاده الغليظة وشعره الكتَّاني الذي يزحف عليه الصَّلع.

تبعَ أبو العروس ابنته من كثب ويده في يد ابنه الصَّغير. اللوْرد فراي سيِّد (المعبر) رجلٌ نحيفٌ تبدو عليه الأناقة بالأزرق والرَّمادي، ووريثه صبيٌّ ضامر الذَّقن في الرَّابعة يتساقَط من أنفه المُخاط. بعد ذلك أتى اللوْردان كوْستيْن وريزلي مع السيِّدتيْن زوجتيْهما، وهما ابنتان للوْرد بَترول من زوجته الأولى. تبعَتهم بنات فراي مع أزواجهن، ثم أتى اللوْرد جوْرموْن پيك واللوْردان سموْلوود وشاوني وعدَّةٌ من اللوْردات الأدنى شأنًا والفُرسان مُلَّاك الأراضي. بينهم لمحَ دنك كلًّا من جوْن الكمنجي وآلن كوْكشوْ، وقد بدا اللوْرد آلن مخمورًا رغم أنَّ المأدبة لم تبدأ فعليًّا بعدُ. بحلول الوقت الذي مشوا فيه جميعًا الهُوينى إلى المنصَّة، كانت المائدة العالية قد ازدحمَت مثلها مثل الدِّكك. جلسَ اللوْرد بَترول وعروسه فوق وسائد منتفخة محشوَّة بالرِّيش على عرش مزدوج من السِّنديان المذهَّب، فيما زرعَ الباقون أنفُسهم في مقاعد طويلة ذات أذرُع فخمة النَّحت. على الحائط خلفهم عُلِّقَت من عوارض السَّقف رايتان ضخمتان: بُرجا عائلة فراي التَّوأمان، أزرق على رمادي، وشرائط آل بَترول الخضراء والبيضاء والصَّفراء.

وقعَ على عاتق اللوْرد فراي أن يقود الأنخاب، فبدأ ببساطة: «الملك!».



رفعَ السِّر جلندُن كوب نبيذه فوق حوض الماء، ليقرعه دنك بكوبه، وكذا كوب السِّر أوثِر والبقيَّة أيضًا، ثم شربوا.

فيما يلي هتفَ فراي: «اللورد بَترِول، مُضيفنا الأنيس، عسى أن يمنحه **الأب** طولَ العُمر وكثرة الأبناء».

وشربوا ثانيةً.

- «الليدي بَترِول، العروس العذراء، ابنتي الحبيبة، عسى أن تمنحها **الأم** الخصوبة»، وأعطى فراي الفتاة ابتسامةً مضيفًا: «سأريدُ حفيدًا قبل نهاية العام. سيطيب لي أكثر أن تُنجِبي توأميْن، فأحسِني مخض الزُّبدة اللَّيلة يا حُلوتي».

دوَّى الضَّحك بين عوارض السَّقف، وشربَ الضُّيوف مرَّةً

أخرى من النَّبيذ الأحمر الغني الحُلو.

ثم قال اللوْرد فراي: «نخب يد الملك، بريندن ريڤرز، عسى أن يُنير قنديل **العجوز** سبيله إلى الحكمة»، ورفعَ كأسه عاليًا وشربَ مع اللوْرد بَتِروِل وعروسه والآخَرين فوق المنصَّة، أمَّا أسفل الملح فقد قلبَ السيْر جلندُن كوبه ليَسكب محتوياته على الأرض.

علَّق مِاينارد پلَم: «مضيعةٌ محزنة لنبيذٍ ممتاز».

ردَّ السيْر جلندُن: «لا أشربُ نخب قتَلة الأقربين. اللوْرد غُداف الدَّم مشعوذ ونغل».

أيَّده السيْر أوثوْر برفق: «وُلِدَ نغلًا»، ثم أتبعَ: «لكن والده الملوكي شرعنَه وهو راقدٌ يُحتضَر»، وشربَ بعُمق مثلما فعلَ السيْر مِاينارد وكُثر آخَرون في القاعة، في حين خفضَ العدد نفسه تقريبًا الأكواب أو قلبَها على غرار بوْل. أمَّا دنك فأحسَّ بكوبه ثقيلًا في يده. تقول الأحجية: *كم عينًا للوْرد غُداف الدَّم؟ ألف عينٍ وعين.*

تبعَ النَّخبُ النَّخبَ، بعضها قدَّمه اللوْرد فراي وبعضها آخَرون. شربوا على شرف اللوْرد تَلي، سيِّد اللوْرد بَتَروِل الأعلى الذي اعتذرَ عن حضور الزِّفاف، وشربوا في صحَّة ليؤ الشَّوكة الطَّويلة، سيِّد (هايجاردن) الذي يُشاع أنه مريض، وشربوا في ذكرى أمواتهم البواسل. فكَّر دنك متذكِّرًا: *أجل، يسرُّني أن أشرب نخبهم.*



قـدَّم السـيِر جوْن الكمنـجي النَّخـب الأخيـر: «إلى أخـويَّ الشُّـجاعيْن! أعلـمُ أنكمـا تبتسـمان اللَّيلـة!».

لـم ينوِ دنـك أن يُسرِف في الشُّرب بسبب المُثاقفات التي ستُقام غـدًا، لكـن الأكـواب مُلئَـت مـن جديـدٍ بعـد كلِّ نخـب، ووجـدَ أنـه عطشـان. ذات مـرَّةٍ قـال لـه السـيِر آرلان: «إيـاكَ أن تَرفُـض كـوب نبيـذٍ أو قـرن مزر، فقـد ينقـضي عـامٌ قبـل أن تـرى واحـدًا آخَـر». قال دنـك لنفسـه: *مـن قلَّـة الأدب ألَّا أشـرب نخـب العـروس والعريـس، ومـن الخطـر ألَّا أشـرب نخـب الملـك ويـده في وجـود كلِّ هـؤلاء الأغـراب.*

مـن الرَّحمـة أنَّ الكمنـجي اختتـمَ الأنخـاب، ثـم نهـضَ اللورد بَتـروِل بثقـلٍ ليَشكرهـم عـلى حضورهـم ويعدهـم بمُثاقفـاتٍ مثيـرة غـدًا. «فلتبـدأ المأدبـة!».

قُدِّمَت للمائـدة العاليـة خنازيـر رضيعـة، وطـاووس مشـويٌّ بريشـه، وسـمكة كراكي ضخمـة مغلَّفـة باللَّـوز المسـحوق. ولا لُقيمـة واحـدة من ذلـك كلِّـه وصلَـت إلى أسـفل المـلح، فبدلًا مـن الخنازيـر الرَّضيعة قدَّمـوا لهـم لحـم خنزيـر مملَّحًـا منقوعًـا في حليـب اللَّـوز ومفلـفلًا علـى نحـو سـار، وبـدلًا مـن الطَّـاووس وُضعَـت لهـم ديـوك مسـمَّنة حُمِّـرَت حتَّى قرمشَـت وصـارَت بنِّيَّـةً، وحُشيَت بالبصـل والأعشـاب والفطـر والكسـتناء المحمَّـص، وبـدلًا مـن الكـراكي أكلـوا قطعًـا



مفتَّتـةً مـن سـمك القُـد الأبيـض في لفائـف معجنـات، مع نـوع مـا مـن الصَّلصـة البنِّيَّـة اللَّذيـذة لـم يسـتطع دنـك تحديـده. بالإضافـةً إلى ذلـك قُـدِّمَ ثريـد بـازلَّاء، ولفـت بالزُّبـدة، وجـزر مرشـوش بالعسـل، وجُبنـة بيضـاء قديمـة رائحتهـا قويَّـةٌ كرائحـة بنِـس صاحـب التُّـرس البنِّـي. أكلَ دنـك بشـهيَّة، وإن تسـاءلَ طـوال الوقـت عمَّـا يُعطونـه لإج في السَّـاحة، وعلـى سـبيل الاحتيـاط دسَّ نصـف ديـكٍ في جيـب

معطفه مع بعض كُتل الخبز وقليل من الجُبنة خبيثة الرَّائحة.

وفيما أكلوا ملأت المزامير والكَمنجات الهواء بأنغام طروب، وتحوَّل الكلام إلى مُثاقفات غد. «السِير فرانكلن فرأي يتمتَّع بمقدار وافر من الاحترام على طول (الفرع الأخضر)». قالها أوثوْر أندرليف الذي يبدو أنه يعرف أولئك الأبطال المحلِّيِّين جيِّدًا. «هو ذا فوق المنصَّة، عمُّ العروس. لوكَس نِايلاند جاءَ من (مستنقع هاج) ولا يجب أن يُنتقَص قدره، أو قدر السِير مؤرتمر بؤجز ابن (رأس المخالب). بخلاف ذلك ستكون غالبًا دورةً لفُرسان أهالي البيوت وأبطال القُرى. كِربي پِم وجالتري الأخضر أفضل هؤلاء، ولو أنَّ لا هذا ولا ذاك ندٌّ لابن اللؤرد بَتَروِل الصِّهر، توْم هِدِل الأسود. شخصٌ مقيت. يُقال إنه فازَ بيد ابنة حضرة اللؤرد الكُبرى بقتل ثلاثةٍ من خُطَّابها الآخَرين، وفي مرَّةٍ أسقطَ سيِّد (كاسترلي رُك) من فوق حصانه».

سألَه السِير مِاينارد: «مَن؟ اللؤرد تايبؤلت الشَّاب؟».

- «لا، الأسد الأشيب الرَّاحل، الذي ماتَ في الرَّبيع».

هكذا يتكلَّم النَّاس عمَّن قضوا نحبهم في الوباء الرَّبيعي العظيم: *ماتَ في الرَّبيع*. عشرات الألوف ماتوا في الرَّبيع، منهم ملكٌ وأميران وشابَّان.

قال كايل القِطُّ: «لا تستخفَّ بالسِير بوفرد بولوَر. الثَّور العجوز قتلَ أربعين رجلًا في (حقل العُشب الأحمر)».

علَّق السِير مِاينارد: «وكلَّ عام يزداد العدد. أيَّام بولوَر ولَّت. انظُر إليه. تجاوزَ السِّتين، وسمينٌ وخرع، وعينه اليُمنى في حُكم العمياء».

أتى صوتٌ من خلف دنك يقول: «لا تُتعِبوا أنفُسكم بالبحث في القاعة عن البطل. هأنذا أيُّها الفُرسان. متِّعوا أبصاركم».

التفتَ دنك ليجد السِير چوْن الكمنجي مرتفعًا فوقه وعلى شفتيْه نصف ابتسامة. لدبليَّته الحرير البيضاء كُمَّان مُشرَّطا الحافات مبطَّنان بالسَّاتان الأحمر، طويلان إلى درجة أنَّ طرفيْهما يتدلَّيان متجاوزيْن رُكبتيْه، وقد التفَّت سلسلةٌ ثقيلة على صدره مطعَّمةً بأحجار جمشت داكنة ضخمة ينسجم لونها مع لون عينيْه. فكَّر دنك: *قيمة هذه السِّلسلة تُعادِل كلَّ ما أملك*.

قال السِير جلندُن الذي صبغَ النَّبيذ وجنتيْه وألهبَ بثوره: «مَن أنت لتتبجَّح هكذا؟».

- «يدعونني بچوْن الكمنجي».

- «أأنت موسيقيٌّ أم مُحارب؟».

- «يتصادَف أني أستطيعُ تأليف أغانٍ عذبة بالرُّمح أو بقوس كمنجةٍ مصقول بالرَّاتنج. كلُّ زفافٍ يلزمه مغنٍّ، وكلُّ دورة مبارياتٍ يلزمها فارسٌ غامض. ألي أن أنضمَّ إليكم؟ بَتَّرول تكرَّم وأجلسَني فوق المنصَّة، لكنني أفضِّلُ صُحبة زُملائي الفُرسان الجوَّالة على صُحبة السيِّدات العجائز المتورِّدات والرِّجال المسنِّين»، ثم ربَّت الكمنجي على كتف دنك بقوَّةٍ قائلًا: «كُن رفيقًا طيِّبًا وانزَح أيُّها السِير دنكن».

انزاحَ دنكن معلِّقًا: «تأخَّرت على الطَّعام أيُّها السِير».

ـ «لا يهمُّ. إنني أعرفُ مكان مطابخ بَترِول. ما زالَ لديكم نبيذ على ما آملُ، أليس كذلك؟». تفوح من الكمنجي رائحة البرتقال والبنزهير، وتحتهما لمحةٌ من تابلٍ شرقيّ غريب. جوز الطِّيب ربَّما. لا يدري دنك، فما الذي يعرفه عن جوز الطِّيب؟

خاطبَ السِير جلندُن الكمنجي: «تبجُّحك لا يليق».

ـ «حقًّا؟ عليَّ إذًا أن أتوسَّل مغفرتك أيُّها السِير. لا يُمكن أن أرغب أبدًا في الإساءة لأيِّ ابنٍ لكُرة النَّار».

أدهشَ هذا الشَّاب، وقال: «تعرف مَن أنا؟».

ـ «ابن أبيك على ما آملُ».

قال السِير كايل القِطُّ: «انظُروا، فطيرة الزِّفاف».

دفعَها ستَّة صِبيان مطبخ من الباب فوق عربةٍ عريضة ذات عجلات. الفطيرة بنِّيَّة وقشرِيَّة وهائلة الحجم، ومن داخلها تَصدُر ضوضاء، صرير وصياح وخبطات مكتومة. هبطَ اللورد والليدي بَترِول من فوق المنصَّة للقائها ممسكيْن سيفًا، ولمَّا شقَّاها انبثقَ منها نصفمئة من الطُّيور التي طارَت في أرجاء القاعة. في مآدب زفافٍ أخرى حضرَها دنك حُشيَت الفطائر باليمام أو الطُّيور المغرِّدة، أمَّا هذه ففي داخلها طيور زرياب أزرق وقُبَّرة ومُحاكٍ، وحمام ويمام وعنادل، وعصافير بنِّيَّة صغيرة وببغاء أحمر ضخم. قال السِير كايل: «واحد وعشرون صنفًا من الطُّيور».

قال السِير مِاينارد: «واحد وعشرون صنفًا من زرق الطُّيور».

ـ «أنت صاحب قلبٍ خالٍ من الشَّاعريَّة أيُّها السِير».

ـ «أنت على كتفك خراء».

تنشَّق السِيْر كايل منظِّفًا غلالته، وقال: «هذه هي الطَّريقة السَّليمة لحشو الفطائر. الفطيرة ترمز إلى الزَّواج، والزَّواج الحقيقي فيه شتَّى الأشياء، الفرح والحُزن، الألم والمسرَّة، الحُب والشَّهوة والإخلاص. من اللَّائق إذًا أنَّ في هذه طيورًا من أصنافٍ عدَّة. لا أحد يعرف حقًّا ما ستجلبه له زوجةٌ جديدة».

قال پلَم: «فرجها، وإلَّا فما الجدوى؟».

دفعَ دنك نفسه لينهض عن المائدة قائلًا: «أحتاجُ إلى نسمة هواء». ما يحتاج إليه هو التَّبوُّل في الحقيقة، ولكن في صُحبةٍ ممتازة كهذه من الأحسن أدبًا أن يتكلَّم عن الهواء. «أرجو أن تَعذُروني».

قال الكمنجي: «أسرِع بالعودة أيُّها السِيْر. يُوجَد عرض حواة، ولست تُريد أن يفوتك الإضجاع».

في الخارج راحَت ريح اللَّيل تلعق دنك كألسنة وحشٍ عظيم، وبدا أنَّ أرض السَّاحة التُّرابيَّة الصُّلبة تتحرَّك تحت قدمَيْه... أو يجوز أنه هو الذي يترنَّح.

نُصِبَ مضمار النِّزال في مركز السَّاحة الخارجيَّة، وبُنِيَت مدرَّجات مشاهدة خشبيَّة من ثلاثة صفوفٍ أسفل الأسوار، لكي يجلس اللوْرد بَتَروِل وضيوفه النُّبلاء محتمين بالظِّلِّ فوق مقاعدهم الموسَّدة. عند طرفَي المضمار خيامٌ سيرتدي فيها الفُرسان دروعهم، ورفوف من رماح المباريات الجاهزة. عندما رفعَت الرِّيح الرَّايات لحظةً تناهَت إلى أنف دنك رائحة الجير المطلي به حاجز النِّزال. انطلقَ يبحث عن السَّاحة الدَّاخليَّة. عليه أن يُفتِّش عن إج ويبعث بالغُلام إلى قيِّم المباريات ليُدرِج اسمه في قوائم النِّزال، فهذا واجب المُرافق.

على أنَّ (الجُدران البيضاء) غريبةٌ عليه، وبطريقةٍ ما ضلَّ دنك طريقه. ألفى نفسه خارج الأوجرة، حيث اشتمَّت كلاب الصَّيد رائحته وبدأت تنبح وتعوي. *تُريد تمزيق حلقي، أو إنها تُريد الدِّيك الذي في معطفي.* عادَ أدراجه من حيثٍ أتى مارًّا بالسِّبت، ومرَّت به امرأةٌ تجري متقطِّعة الأنفاس ضحكًا، يُطارِدها فارسٌ أصلع بحماسة. ظلَّ الرَّجل يَسقُط إلى أن عادَت المرأة مضطرَّةً في النِّهاية وساعدَته على القيام. فكَّر دنك: *حريٌّ بي أن أنسلَّ إلى داخل السِّبت وأدعو **السَّبعة** أن يجعلوا هذا الفارس خصمي الأوَّل*، لكن سؤالًا كذلك كان سيخلو من الورع. *ما يلزمني حقًّا بيت خلاء لا بيت دُعاء.* على مقربةٍ منه رأى بعض الشُّجيرات تحت سلالم حجريَّة باهتة. *ستَصلُح.* تلمَّس طريقه خلفها وحلَّ أربطة بنطاله. كانت مثانته ممتلئةً إلى حدِّ الانفجار، ودرَّ البول ودرَّ.

في مكانٍ ما فوقه انفتحَ باب. سمعَ دنك خُطوات أقدام على الدَّرجات واحتكاك أحذيةٍ بالحجر. «... مأدبة الشحَّاذينَ التي فرشتها أمامنا. من غير الفولاذ الأليم...».

قال صوتٌ مألوف بإصرار: «فليُنَك الفولاذ الأليم. لا نغل أهلًا للثِّقة، حتى هو. ستجلبه بضعة انتصاراتٍ عبر الماء بالسُّرعة المنشودة».

- *اللورد بيك*. حبسَ دنك أنفاسه... وبوله.

- «الكلام عن الانتصارات أسهل من إحرازها». للمتحدِّث صوتٌ أعمق من صوت بيك؛ قعقعةٌ جهيرة لها سمتٌ غاضب. «صاحب الدَّم اللَّبني العجوز توقَّع أنه مع الفتى، وكذا سيتوقَّع الباقون كلُّهم. الكلام المزوَّق والظَّرافة لا يُعوِّضان ذلك».

- «من شأن تنِّين أن يُعوِّضه. الأمير مصرٌّ أنَّ البيضة ستفقس. لقد حلمَ بهذا، تمامًا كما حلمَ من قبل بموت أخويْه. سيجني لنا تنِّينٌ حيٌّ كلَّ السُّيوف التي نُريدها».

- «التنِّين شيء والحُلم شيء آخَر. أؤكِّدُ لك أنَّ غُداف الدَّم ليس مستغرقًا في الأحلام. يلزمنا مُحارب لا حالم. هل الفتى ابن أبيه؟».

- «ما عليك إلَّا أن تُؤدِّي دورك كما وعدت ودعني أنا أقلقُ بهذا الشَّأن. بمجرَّد أن نحظى بذهب بَتَرول وسيوف عائلة فراي ستتبعهما (هارنهال)، ثم آل براكن. أوثو يعلم أنَّ لا أمل له في الوقوف...».



خفتَ الصَّوتان إذ ابتعدَ المتكلِّمان، وعادَ البول يدرُّ. نفضَ دنك قضيبه ثم عادَ يعقد أربطة بنطاله متمتمًا: «ابن أبيه. عمَّن يتكلَّمان؟ ابن كُرة النَّار؟».

عند خروجه من تحت السَّلالم كان اللؤردان قد عبرا السَّاحة إلى جانبها الآخر. كادَ دنك يُناديهما ليجعلهما يُظهِران وجهيْهما، إلَّا أنه عدلَ عن ذلك. إنه بمفرده وأعزل، ونصف سكران علاوةً على ذلك. *أكثر من نصفٍ ربَّما*. وقفَ في مكانه مقطِّبًا هُنيهةً، ثم استدارَ عائدًا إلى القاعة.

في الدَّاخل قُدِّمَ الطَّبق الأخير وبدأ اللَّهو. عزفَت واحدةٌ من بنات اللؤرد فراي «قلبان ينبضان كواحد» على القيثارة السَّامية بمنتهى الرَّداءة، وتبادلَ بعض الحُواة قذف مشاعل موقدة لبعض وقتًا، وأدَّى بعض البهلوانات العجلة الدوَّارة في الهواء. بدأ ابن شقيق اللؤرد فراي يُغنِّي «الدُّب، الدُّب، والفتاة الحسناء» فيما دقَّ السير كربي پِم الإيقاع على المائدة بملعقةٍ خشبيَّة، وانضمَّ إليهما آخَرون إلى أن صارَت القاعة كلُّها تهدر: «*دُب! دُب! كله أسود وبنِّي ويُغطِيه شعرٌ أزب!*». غابَ اللؤرد كازول عن الوعي وهو جالسٌ إلى المائدة ليَسقُط وجهه في بِركةٍ من النَّبيذ، وأجهشَت الليدي ڤيروِل بالبُكاء، ولو أنَّ أحدًا لم يُدرِك بالضَّبط سبب غمِّها.

وطوال الوقت ما انفكَّ النَّبيذ يتدفَّق. أفسحَت خمور (الكرمة) الحمراء الغنيَّة الطَّريق لأصناف محلِّيَّة، أو هكذا قال الكمنجي، فالحقيقة أنَّ دنك لم يستطِع التَّمييز. وقُدِّمَ هبقراط[15] أيضًا،

١٥ - الهبقراط Hippocras: شراب من النَّبيذ المحلَّى والمتبَّل، ابتكرَه أبو الطِّب أبقراط وسُمِّيَ باسمه. (المترجم).

ووجبَ أن يُجرّب منه كوبًا. *قد ينقضي عامٌ قبل أن أشرب واحدًا آخر.* بدأ الفُرسان الجوّالة الآخَرون ـ وجميعهم أشخاصٌ لطاف ـ يتكلّمون عن النِساء اللاتي عرفوهن، فوجدَ دنك نفسه يتساءَل أين تانسل الليلة. أمَّا الليدي رؤهان فيعلم يقينًا أين هي... في الفِراش بـ(قلعة الخندق البارد) وبجانبها السير يوستس الشيخ، وهكذا حاولَ ألَّا يُفكِّر فيها. *هل تُفكِّران فيَّ أبدًا؟*

قُوطعَت تأمُّلاته المحزونة بوقاحةٍ عندما انبثقَت من بطن خنزيرٍ خشبيّ بعجلات فِرقةٌ من الأقزام المطليّين بالألوان أخذوا يُطارِدون مهرّج اللورد بَترول حول الموائد ويُوسِعونه ضربًا بمثانات خنازير منفوخة تُصدِر أصواتًا فجَّةً كلَّما أصابَت ضربةٌ هدفها، وهو أطرف شيءٍ رآه دنك منذ سنوات، وقد ضحكَ مع الآخَرين كلِّهم. أخذَ ابن اللورد فراي بهذه الطَّرائف إلى درجة أنه اشتركَ فيها وراحَ يضرب ضيوف الزِّفاف بمثانةٍ استعارَها من أحد الأقزام. للطِّفل أشدُّ ضحكةٍ مزعجة سمعَها دنك على الإطلاق، ضحكة عالية حادَّة شبيهة بالفُواق جعلَته يُريد أن يأخذ الصَّبي على رُكبته ليصفعه على مؤخِّرته أو يرميه في بئر. *إذا ضربَني بتلك المثانة فقد أفعلها.* فيما مرَّ بهم الطِّفل السَّخيف ضامر الذَّقن صارخًا، قال السير مِاينارد: «ها هو ذا الصَّغير الذي أدىَّ إلى حدوث هذه الزِيجة».

ـ «كيف؟». ألقى الكمنجي السُّؤال رافعًا كوبه الخالي، فملأه خادمٌ مار.

نظـرَ السـيِر مِاينـارد نظـرةً عابـرةً نحـو المنصَّـة حيـث تُطعـم العـروس زوجهـا كـرزًا، وأجـابَ: «حضـرة الـلورد لـن يكـون أوَّل مَـن يدهـن تلـك البسكويتـة بالزُّبـدة. عروسـه قطـفَ زهرتهـا عامـل مطبـخ في (التَّوأمتيْـن) حسـبما يقولـون. اعتـادَت أن تتسـلَّل إلى المطابـخ لتُقابِلـه، وللأسـف في ليلـةٍ تسـلَّل أخوهـا الصَّغيـر هـذا في أعقابهـا، ولمَّـا رآهمـا متلاحميْـن أطلـقَ صرخـةً، فهـرعَ الطُّهـاة والحـرس مقبليـن ليجـدوا ستِّي وصبيَّهـا غسَّـال القـدور يتجامَعـان فـوق لـوح الرُّخـام الـذي يفـرد عليـه الطبَّـاخ العجيـن، كلاهمـا عـارٍ كيـوم مـيلاده ويُغطِّيـه بالدَّقيـق مـن رأسـه إلى قدميْـه».

فكَّـر دنـك: *لا يُمكـن أنَّ ذلـك صحيـح*. الـلورد بَتَـروِل يملـك أراضيَ شاسـعةً وقـدورًا مـن الذَّهـب الأصفـر، فلِـمَ يتـزوَّج فتـاةً لـوَّث شـرفها عامـل مطبـخ ويتخلَّى عـن بيضـة التِّنِّيـن الـتي يملكهـا احتفـالًا بالقـران؟ آل فـرِاي سـادة (المعبـر) ليسـوا أنبـل مـن آل بَتَـروِل. إنهـم يملكـون جسـرًا بـدلًا مـن البقـر، وهـذا هـو الفـرق الوحيـد. *يـا للوردات. مَـن يقـدر علـى فهمهـم أبـدًا*؟ أكلَ دنـك قليـلًا مـن المكسَّـرات وتفكَّـر في مـا سـمعَه وهـو يتبـوَّل. *دنـك السَّكـران، مـاذا تحسـب نفسـك سـمعت*؟ شـربَ كوبًـا آخَـر مـن الهبقـراط بمـا أنَّ طعـم الأوَّل راقَـه جـدًّا، ثـم وضـعَ رأسـه فـوق ذراعيْـه المطويَّتيْـن وأغلـقَ عينيْـه لحظـةً فقـط ليُريحهمـا مـن الدُّخـان.

***

حين فتحَهما ثانيةً ألفى نصف ضيوف الزِّفاف على أقدامهم يصيحون: «*أضجِعوهما! أضجِعوهما!*»، يُصدِرون جلبةً عظيمةً أيقظَت دنك من حُلم بهيج تضمَّن تانسل مديدة القامة والأرملة الحمراء. دوَّى الهتاف: «*أضجِعوهما! أضجِعوهما!*»، واعتدلَ دنك جالسًا وفركَ عينيْه.

كان السِّير فرانكلن فراي يُطوِّق العروس بذراعيْه ويحملها على الممشى مُحاطًا بجمهرةٍ من الرِّجال والصِّبية، في حين حاصرَت ليْديهات المائدة العالية اللوْرد بَترِول، وقد بدا أنَّ الليْدي ڤيروِل تعافَت من كربها وتُحاول جذب حضرة اللوْرد من فوق مقعده، فيما تحلُّ إحدى بناته أربطة حذائه وتخلع امرأةٌ ما من آل فراي غلالته. أخذَ بَترِول يُلوِّح بذراعيْه لهن بلا جدوى ويضحك، ورأى دنك أنه سكران، وأنَّ السِّير فرانكلن أشدُّ سُكرًا... سكران إلى درجة أنه كادَ يُوقع العروس. قبل أن يُدرِك دنك ما يَحدُث بالضَّبط، سحبَه چوْن الكمنجي حتى وقفَ، وصاحَ: «هنا! دعوا العملاق يحملها!».

وإذا به يصعد سلالم بُرج والعروس تتلوَّى بين ذراعيْه. كيف استطاعَ البقاء على قدميْه فهذا شيء يتعدَّى قُدرته على الاستيعاب. الفتاة لم تَسكن لحظةً، والرِّجال تحلَّقوا حوله من كلِّ جانب مُلقين بدُعاباتٍ مقذعة عن تغطيتها بالدَّقيق وعجنها جيِّدًا قبل أن ينزعوا ثيابها. وانضمَّ إليهم الأقزام أيضًا، فاحتشَدوا حول ساقَي دنك صائحين ضاحكين ضاربين ربلتَيه بمثاناتهم، ليبذل غاية جهده لكيلا يتعثَّر فيهم.

لم يملك فكرةً عن موقع غُرفة نوم اللوْرد بَترِول، لكن الرِّجال الآخَرين دفعوه وحثُّوه إلى أن بلغَها، وعندئذٍ كانت العروس محمرَّة الوجه وتُكركِر وعاريةً إلَّا من فردة الجورب الطَّويل على ساقها اليُسرى، التي نجَت بوسيلةٍ ما من رحلة الصُّعود. دنك أيضًا اصطبغَ وجهه بالقرمزي، وليس من المجهود.

لاتَّضح تهيُّجه لو أنَّ أحدًا نظرَ إليه، إلَّا أنَّ العيون كلَّها ركَّزت لحُسن الحظِّ على العروس. لا تُشبِه الليْدي بَترِول تانسل إطلاقًا، لكن وجود إحداهما تتلوَّى شبه عاريةٍ بين ذراعيْه حدا بدنك إلى التَّفكير في الأخرى. *تانسل مديدة القامة اسمها، لكنها لم تكن في نظري مديدة القامة.* تساءلَ هل سيَعثُر عليها يومًا. لقد مرَّت عليه ليالٍ حسبَ فيها أنها بالتَّأكيد ليست إلَّا من بنات أحلامه. *لا أيُّها الأنوَك، لقد حلمت فقط أنك أعجبتَها.*

لمَّا وجدَ غُرفة نوم اللوْرد بَترِول وجدَها واسعةً باذخةً. تُغطِّي الأرضيَّة بُسط مايريَّة، وتشتعل مئة شمعةٍ معطَّرة في الزَّوايا والأركان، وتقف بجوار الباب بِزَّة مدرَّعة مطعَّمة بالذَّهب والجواهر، وللغُرفة أيضًا مرحاضها الخاص المبني في تجويفٍ حجريٍّ صغير في الجِدار الخارجي.

عندما رمى دنك العروس فوق فِراش الزَّوجيَّة أخيرًا، قفزَ قزمٌ إلى جوارها وأطبقَ على أحد ثدييْها لأجل قليلٍ من المداعبة الشَّهوانيَّة، فأطلقَت الفتاة صرخةً حادَّةً، وانفجرَ الرِّجال يضحكون، وقبضَ دنك على القزم من ياقته ورفعَه عن ستِّي ورجلاه تَركُلان. حملَ دنك الرَّجل الصَّغير عبر الغُرفة ليُلقي به من الباب، وعندئذٍ رأى بيضة التنِّين.



وضعَها اللورد بتَروِل على وسادةٍ مخمليَّة سوداء فوق قاعدة عمودٍ من الرُّخام. أكبرُ هي كثيرًا من بيضة دجاجة، ولكن ليس إلى الحدِّ الذي تخيَّله، وتُغطِّي سطحها حراشف حمراء ناعمة تلتمع كالجواهر في ضوء المصابيح والشُّموع. أسقطَ دنك القزم والتقطَ البيضة ليتحسَّسها لحظةً فقط، فألفاها أثقل ممَّا توقَّع. *يُمكنك أن تُحطِّم بها رأس رجلٍ من غير أن تنكسر القشرة نهائيًّا.* الحراشف ملساء تحت أصابعه، والأحمر الغنيُّ العميق بدا كأنَّما يتوهَّج إذ أدارَ البيضة بين يديْه. فكَّر: *دمٌ ولهب*، غير أنَّ فيها أيضًا شذراتٍ من الذَّهبي، ودوَّاماتٍ من أسود منتصف اللَّيل.



ـ «أنت يا هذا! ماذا تحسب نفسك فاعلًا أيُّها السِّر؟». كان فارسٌ لم يتعرَّف عليه يرميه بنظراتٍ ناريَّة، رجلٌ كبير الحجم ذو لحيةٍ فاحمة ودمامل، لكن الصَّوتَ هو ما جعلَه يُحدِّق، صوتٌ عميقٌ غلَّظه الغضب. *إنه هو، الرَّجل الذي كان مع پيك.* أدركَ دنك هذا والرَّجل يقول: «ضعها في مكانها. سأشكرك إذا أبعدت أصابعك الملوَّثة بالدُّهن عن كنوز حضرة اللورد، وإلَّا فأقسمُ **بالسَّبعة** أن تتمنَّى لو أنك فعلت».

لا يُقارِب الفارس دنك في السُّكر، ولذا بدا من الحكمة أن يفعل كما قال، فعادَ يضع البيضة على وسادتها بمنتهى الحرص، ومسحَ أصابعه على كُمِّه. «لم أقصد أذًى أيُّها السِّر». *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة.* ثم إنه اندفعَ متجاوزًا ذا اللِّحية السَّوداء وخرجَ من الباب.



سمعَ ضوضاء في بئر السُّلَّم،
صياحًا مرحًا وضحكاتٍ بناتيَّةً.
النِّساء يجلبن اللورد بَتَروٍل إلى عروسه.
لم يرغب دنك في لقائهم، وبدلًا من النُّزول صعدَ ليجد نفسه فوق سطح البُرج تحت النُّجوم، والقلعة الشَّاحبة تَبرُق من حوله في نور القمر.

دوَّر النَّبيـذ رأسـه، فاسـتندَ إلى دريئـةٍ متسـائلًا: *هـل سأتقيَّأ*؟ لمـاذا لمـسَ بيضـة التنِّيـن؟ تذكَّـر عـرض عرائـس تانسـل والتنِّيـن الخشـبيَّ الـذي بـدأ المتاعـب كافَّـةً هنـاك في (آشـفرد)، وأشـعرَته الذِّكـرى بالذَّنـب كمـا يَحـدُث علـى الـدَّوام. *ثلاثـة رجـالٍ صالحيـن ماتـوا فـي سـبيل إنقـاذ قـدم فـارس جـوَّال.* شيء لا يُعقَـل، ولـم يُعقَـل قَـط. *تعلَّـم درسًـا مـن هـذا أيُّهـا الأنـوَك. ليـس لأمثالـك أن يعبثـوا مع التَّنانيـن وبيضهـا.*

ـ «تكاد تبدو مبنيَّةً بالثَّلج».

التفـتَ دنـك ليـرى چوْن الكمنـجي واقفًـا وراءه، يبتسـم مرتديًـا الحريـر وقُمـاش الذَّهـب. «مـا المبـنيُّ بالثَّـلج؟».

ـ «القلعـة. كلُّ هـذه الأحجـار البيضـاء في ضـوء القمـر. هـل ذهبـت شـمال (العُنـق) مـن قبـل يـا سِير دنكـن؟ يُقـال لي إنَّ الثُّلوج تَسـقُط هنـاك حـتى في الصَّيـف. هـل رأيـت (الجِـدار) يومًـا؟».

ـ «لا يـا سِيدي». *لمـاذا يتكلَّـم عـن (الجِـدار)*؟ «كانـت تلـك وجهتنـا أنـا وإج، شـمالًا إلى (وينترفـل)».

ـ «ليتني أستطيعُ الانضمام إليكما. يُمكنك أن تُريني الطَّريق».

قطَّـب دنـك جبينـه قـائلًا: «الطَّريـق؟ إنهـا عـلى (طريـق الملـوك) مباشـرةً. إذا ظللـت عـلى الطَّريـق وواصلـت التَّقـدُّم شـمالًا فلا يُمكـن أن تفوتـك».

ضحكَ الكمنجي وقال: «أظنُّ... ولو أنَّ الأشياء التي تفوت بعض النَّاس قد تُدهِشك»، وتقدَّم إلى الدَّريئة جائسًا ببصره في أنحاء القلعة. «يقولون إنَّ أولئك الشَّماليِّين قومٌ همجيُّون، وغاباتهم ملأى بالذِّئاب».

- «سِيدي؟ لماذا صعدت إلى هنا؟».

- «آلِن كان يبحث عني ولم أُرِد أن يُعثَر عليَّ. إنه مضجرٌ عندما يشرب، هكذا آلِن. رأيتك تنسلُّ من غُرفة نوم الأهوال تلك وانسللتُ وراءك. لقد شربتُ كثيرًا جدًّا من النَّبيذ، أقرُّ لك، ولكن ليس ما يكفي لمواجهة بَترول وهو عارٍ». أعطى الكمنجي دنك ابتسامةً غامضةً مُردفًا: «لقد حلمتُ بك يا سِير دنكن، من قبل أن ألقاك حتى. حين رأيتك على الطَّريق تعرَّفتُ على وجهك من فوري. كأننا صديقان قديمان».

راودَ دنك عندئذٍ إحساسٌ في غاية الغرابة، كأنه عاشَ هذا الموقف كلَّه من قبل. *حلمتُ بك، قال. أحلامي ليست كأحلامك أيُّها السِّير دنكن. أحلامي أنا صحيحة.* قال بصوتٍ أثقلَه النَّبيذ: «حلمت بي؟! أيَّ نوعٍ من الأحلام؟».

أجابَ الكمنجي: «حلمتُ أنك تلبس أبيض على أبيض من رأسك إلى قدميْك، ومن فوق هاتيْن الكتفيْن العريضتيْن يسترسل معطفٌ باهت طويل. كنتَ سيفًا أبيض أيُّها السِّير، أخًا محلَّفًا في الحرس الملكي، أعظم فُرسان في (الممالك السَّبع) بأسرها، ولم تعِش لغايةٍ إلَّا حراسة مليكك وخدمته وإرضاءه»، ووضعَ يده على كتف دنك مضيفًا: «أنت حلمت الحُلم نفسه، أعلمُ أنك فعلت».

ولقـد فعـلَ، صحيـح. *لمَّـا تركَـني العجـوز أمسـكُ سـيفه للمـرَّة الأولى.* «كلُّ صبـيٍّ يَحلُـم بالخدمـة في الحـرس المـلكي».

ـ «غير أنَّ سبعة صِبيةٍ فقـط يكبَرون ليرتـدوا المعطف الأبيض. هـل سيسرُّك أن تكـون واحـدًا منهم؟».

ـ «أنـا؟». بهـزَّةٍ مـن كتفـه أزاحَ دنـك يـد الـلوْرد الصَّغيـر الـتي بـدأت تُدلِّكهـا. «يجـوز. أو لا يجـوز». فُرسـان الحـرس المـلكي يخدمـون مـدى الحيـاة ويُقسِـمون ألَّا يتَّخـذوا زوجـةً أو يملكـوا أراضيَ. *قـد أعثـرُ عـلى تانسـل يومًـا مـا. لِـمَ لا تكـون لي زوجـةٌ وأبنـاء؟* «لا يهـمُّ مـا أحلـمُ بـه. ملـكٌ فقـط مَـن يسـتطيع أن يـرفع فارسًـا إلى الحـرس المـلكي».

ـ «معنى ذلـك إذًا في ظنِّي أنـه يجـب أن آخـذ العـرش. أوثـرُ أن أعلِّمـك العـزف عـلى الكمنجـة».

ـ «أنت سكران». *وفي مرَّةٍ عيَّر الغُراب الغُداف بسواده.*

ـ «سكـران أروع سُكـر. النَّبيـذ يجعـل الأشـياء كلَّهـا ممكنـةً يـا سـيْر دنكـن. سـتبدو كإلـهٍ بالأبيـض عـلى مـا أظـنُّ، ولكـن إذا لـم يُناسِـبك اللَّـون فلعلَّـك تُفضِّـل أن تكـون لوْردًا؟».

ضحـكَ دنـك في وجهـه، وردَّ: «لا، أفضِّـلُ أن ينبـت لي جناحـان أزرقـان كبيـران وأطيـر. هـذا سيٌّ ذاك».

ـ «الآن تسـخر مـني. الفـارس الحقيـقي لا يسـخر مـن مليكـه أبـدًا». حمـلَ صـوت الكمنـجي وقعًـا جريحًـا. «آمـلُ أن تـضع مزيـدًا مـن الإيمـان في مـا أخبـرك بـه حينمـا تـرى التنِّيـن يَخـرُج مـن البيضـة».



ـ «هل سيَخرُج تنِّين؟ تنين حي؟ هنا؟».

ـ «هكذا حلمتُ. هذه القلعة البيضاء الباهتة، أنت، تنِّين ينبثق من بيضة، حلمتُ بهذا كلِّه، تمامًا كما حلمتُ من قبل بموت أخويَّ. كانا في الثَّانية عشرة وأنا في السَّابعة فقط، ولذا ضحكا مني، وماتا. إنني في الثَّانية والعشرين الآن، وأثقُ بأحلامي».

كان دنك يتذكَّر دورة مبارياتٍ أخرى، يتذكَّر سيره تحت الأمطار الرَّبيعيَّة الخفيفة مع أميرٍ صغير آخَر. يومها قال له ديرون أخو إج: *حلمتُ بك وبتنِّينٍ ميت، وحش عظيم، هائل، جناحاه كبيران إلى درجة تغطية هذا المرج. سقطَ التنِّين فوقك، لكنك ظللت حيًّا وماتَ التنِّين*. وقد ماتَ فعلًا، بيلور المسكين. الأحلام أرضٌ لا تُؤتمَن للبناء. قال للكمنجي: «كما تقول يا سِيدي. أرجو أن تَعذُرني».

ـ «أين ستذهب أيُّها السِير؟».

ـ «إلى فِراشي لأنام. إنني سكران كالكلاب».

ـ «كُن كلبي أيُّها السِير. اللَّيلة زاخرةٌ بالوعود. يُمكننا أن نعوي معًا ونُوقِظ الآلهة أنفُسها».

ـ «ماذا تُريد مني؟».



ـ «سيفك. أريدُ أن أجعلك رجلي وأرفعك عاليًا. أحلامي لا تكذب يا سِر دنكن. سوف تحظى بذلك المعطف الأبيض، ويجب أن أحظى أنا ببيضة التنِّين، يجب! أحلامي جعلَت هذا بيِّنًا. قد تفقس البيضة، وإلَّا...».

من ورائهما انفتحَ الباب بخبطةٍ عنيفة. «ها هو ذا يا سيِّدي». خطا زوجان من الرِّجال المسلَّحين على السَّطح، وخلفهما مباشرةً اللورد جورمون بيك.

ـ «جورمي!». قالها الكمنجي متشدِّقًا بالكلمة. «ماذا تفعل في غُرفة نومي يا سيِّدي؟».



ردَّ اللورد جورمون: «إنه سطحٌ أيُّها السير، وأنت أفرطت في شُرب النَّبيذ»، ثم أشارَ بحدَّةٍ ليتقدَّم الحارسان. «اسمح لنا بمساعدتك على الذهاب إلى فِراشك. ستخوض مُثاقفاتٍ غدًا، تذكَّر من فضلك. من شأن كِربي پِم أن يُثبِت أنه خصمٌ خطير».

- «أملتُ أن أثاقف السير دنكن الكريم».

حدجَ پيك دنك بنظرةٍ خالية من التَّعاطُف قائلًا: «لاحقًا ربَّما. في مُثاقفتك الأولى رسَت قُرعتك على السير كِربي پِم».

ـ «إذًا يجب أن يَسقُط بِم! وكذا جميعهم! الفارس الغامض يغلب المتحدِّين كلَّهم، وفي أثره تَرقُص الأعاجيب». أمسكَ أحد الحارسيْن الكمنجي من ذراعه، ونادى الرَّجل والاثنان يُساعِدانه على نزول السَّلالم: «سيْر دنكن، يبدو أنَّ فراقنا لازم».

وحده اللوْرد جوْرموْن بقيَ فوق السَّطح مع دنك، وقد دمدمَ: «أيُّها الفارس الجوَّال، ألم تُعلِمك أمُّك قطُّ ألَّا تمدَّ يدك في فم التنِّين؟».

ـ «لم أعرف أمِّي قَطُّ يا سِيدي».

ـ «وهو ما يُفسِّر الأمر. بِمَ وعدَك؟».

ـ «لوْرديَّة. معطف أبيض. جناحيْن أزرقيْن كبيريْن».

ـ «إليك وعدي أنا: ثلاثة أقدام من الفولاذ البارد مغروزة في بطنك إذا ذكرت كلمةً عمَّا حدثً الآن».

هزَّ دنك رأسه ليُصفِّي عقله، ولم يبدُ أنَّ ذلك أجداه نفعًا. انحنى حتى خصره، وأفرغَ معدته.

تناثرَ شيء من القيء على قدم پيك، وأطلقَ اللوْرد سبَّةً وزعقَ باشمئزاز: «يا للفُرسان الجوَّالة. لا مكان لك هنا. لا فارس حقيقيًّا يَنقُصه الأدب إلى درجة مجيئه بلا دعوة، ولكن أنتم يا مخلوقات الأسوجة...».

ـ «ليس مرغوبًا فينا في أيِّ مكانٍ ونظهر في كلِّ مكان». مدَّ النَّبيذ دنك بالجرأة، وإلَّا لأمسكَ لسانه. مسحَ فمه بظهر يده.

ـ «حاوِل أن تتذكَّر ما أخبرتك به أيُّها السِّر. سيَحدُث لك ما لا تُحمَد عُقباه إذا لم تفعل». نفضَ اللوْرد پيك القيء عن حذائه، ثم رحلَ.

عادَ دنك يستند إلى الدَّريئة متسائلًا مَن أشدُّهما جنونًا، اللوْرد جوْرموْن أم الكمنجي.

لدى عودته إلى القاعة وجدَ مِاينارد پلَم فحسب باقيًا من أصحابه، وقد أرادَ الرَّجل أن يعرف: «أرأيتم على ثدييْها أيَّ دقيقٍ عندما خلعتهم ثيابها التَّحتيَّة؟».

هزَّ دنك رأسه نفيًا، وصبَّ لنفسه كوب نبيذٍ آخَر وتذوَّقه، ثم قرَّر أنه شربَ ما يكفي.

***

وجدَ وُكلاء بَتَروِل غُرفًا في الحصن للوْردات والليْديهات، وأفرشةً في الثُّكنات لحشمهم، أمَّا بقيَّة الضُّيوف فلهم اختيار سريرٍ قش في القبو أو بُقعةٍ من الأرض تحت الأسوار الشَّماليَّة لنصب سُرادقاتهم. الخيمة المفصَّلة من قُماش الأشرعة التي حصلَ عليها دنك في (السِّبت الحجري) لا تُعَدُّ سُرادقًا، لكنها تقي من المطر والشَّمس.

ما زالَ بعض جيرانه مستيقظًا، تتوهَّج حوائط سُرادقاتهم الحرير كقناديل ملوَّنة في سواد اللَّيل. من داخل سُرادق أزرق مغطًّى بعبَّاد الشَّمس تَصدُر ضحكات، ومن واحدٍ مخطَّط بالأبيض والأرجواني أصواتُ الحُبِّ. كان إج قد ضربَ خيمتهما بعيدًا بعض الشَّيء عن الأخريات، وقد شُكِلَ ميْستر والحصانان على مقربة، وكُوِّمَت أسلحة دنك ودرعه بعنايةٍ قُبالة سور القلعة. عندما انسلَّ إلى داخل الخيمة وجدَ مُرافقه يجلس مربِّعًا ساقيْه بجوار شمعة، يلمع رأسه وهو يُدقِّق النَّظر إلى صفحات كتاب.



ـ «القراءة على ضوء الشُّموع ستُعميك». تظلُّ القراءة عند دنك لُغزًا رغم أنَّ الولد حاولَ تعليمه.

ـ «أحتاجُ إلى ضوء شموعٍ لأرى الكلمات أيُّها السيْر».

ـ «أتُريد لطمةً على الأذن؟ ما هذا الكتاب؟». رأى دنك ألوانًا زاهيةً في الصَّفحة، تراسًا صغيرةً مرسومةً تختبئ وسط الحروف.

ـ «لائحة شعارات أيُّها السيْر».

ـ «تبحث عن الكمنجي؟ لن تجده. إنهم لا يضعون فُرسانًا جوَّالةً في تلك اللَّوائح، بل اللوْردات والأبطال فقط».

ـ «لم أكن أبحثُ عنه. لقد رأيتُ بعض الرُّموز الأخرى في السَّاحة... اللوْرد سندرلاند هنا أيُّها السيْر. إنه يحمل رؤوس ثلاث سيِّداتٍ شاحبات على شرائط خضراء وزرقاء متموِّجة».

ـ «رجلٌ من (الأخوات)؟ حقًّا؟». (الثَّلاث أخوات) جُزر في (الخليج النَّاهش)، وقد سمعَ دنك سِپتوْنات يقولون إنَّ تلك الجُزر جحورٌ للخطيئة والجشع. (بلدة الأخوات) أسوأ وكرٍ للمهرِّبين سُمعةً في (وستروْس) بأكملها. «لقد سافرَ مسافةً طويلةً. لا بُدَّ أنه قريبٌ لعروس بَترولِ الجديدة».

ـ «ليس كذلك أيُّها السيْر».

قال دنك: «إذًا فقد جاءَ من أجل المأدبة. إنهم يأكلون السَّمك في (الثَّلاث أخوات)، أليس كذلك؟ المرء يملُّ السَّمك. هل أكلت ما يكفي؟ جلبتُ لك نصف ديكٍ وقليلًا من الجُبنة»، ومدَّ يده يُنقِّب في جيب معطفه.

ـ «أطعَمونا ضلوعًا أيُّها السيْر». قالها إج وأنفه مدفونٌ في الكتاب. «اللوْرد سندرلاند قاتلَ في سبيل التنِّين الأسود أيُّها السيْر».

ـ «مثل السيْر يوستس العجوز؟ إنه لم يكن بذلك السُّوء، أليس كذلك؟».

قال إج: «نعم أيُّها السيْر، ولكن...».

بينما يَذخُر دنك الطَّعام مع خُبزهما الجامد ولحمهما المملَّح قال: «لقد رأيتُ بيضة التنِّين. معظمها أحمر. هل يملك اللوْرد غُداف الدَّم بيضة تنِّينٍ أيضًا؟».

خفضَ إج كتابه قائلًا: «ولِمَ؟ إنه وضيع المولد».

ـ «نغلٌ المولد لا وضيع المولد». غُداف الدَّم وليد سِفاح، لكنه نبيلٌ من كلتا الجهتيْن. أوشكَ دنك أن يحكي لإج عن الرَّجليْن اللذيْن سمعَهما، لكنه لاحظَ حينئذٍ وجه الغُلام. «ماذا جرى لشفتك؟».

ـ «شجار أيُّها السيْر».

ـ «دعني أراها».

ـ «لم تنزف إلَّا قليلًا. مسحتها بقليلٍ من النَّبيذ».

ـ «مع مَن تشاجرت؟».

ـ «بعض المُرافقين الآخَرين. قالوا...».

ـ «دعك ممَّا قالوه. بِمَ أخبرتك؟».

قال الغُلام: «أن أمسك لساني ولا أسبِّب متاعب»، ومسَّ شفته المشقوقة مُردفًا: «لكنهم نعتوا أبي بقاتِل الأقربين».

- *هو كذلك أيُّها الصَّبي، ولو أنني لا أظنُّه تعمَّد أن يفعلها.* قال دنك لإج نصفمئة مرَّةٍ ألَّا يأخذ كلامًا من ذلك النَّوع على محمل الجدِّ. *أنت تعلم الحقيقة. ارضَ بهذا.* سبقَ أن سمعا كلامًا مشابهًا في الخمَّارات والحانات الوضيعة وحول نيران المخيَّمات في الغابات. البلاد كلُّها تعرف أنَّ مِقمعة الأمير ميْكار جندلَت أخاه بيْلوْر كاسر الحراب في (مرج آشفرد)، أي إنَّ الكلام عن المؤامرات متوقَّعٌ بطبيعة الحال. «لو دروا أنَّ الأمير ميْكار أبوك لما قالوا مثل هذه الأشياء قَطُّ». *وراء ظهرك نعم، ولكن ليس في وجهك أبدًا.* «وماذا قلت أنت لهؤلاء المُرافقين الآخَرين بدلًا من أن تُمسِك لسانك؟».

بدا على إج الخجل، وأجابَ: «إنَّ موت الأمير بيْلوْر كان مجرَّد حادثة، ولكن عندما قلتُ إنَّ الأمير ميْكار أحبَّ أخاه بيْلوْر، قال مُرافق السيْر أدام إنه أحبَّه حتى الموت، وقال مُرافق السيْر مالوْر إنه ينوي أن يحبَّ أخاه إيْرس بالطَّريقة نفسها. عندئذٍ ضربته، ضربته بشدَّة».

- «حريٌّ بي أنا أن أضربك بشدَّة. أذنٌ متورِّمة تتماشى مع هذه الشَّفة المتورِّمة. لفعلَ أبوك المثل لو أنه هنا. أتظنُّ أنَّ الأمير ميْكار يلزمه أن يُدافع عنه ولدٌ صغير؟ ماذا قال لك عندما أرسلَك معي؟».

- «أن أخدمك بإخلاصٍ بصفتي مُرافقك، وألَّا أحجم عن أيِّ تكليفٍ أو مشقَّة».

ـ «وماذا أيضًا؟».

ـ «أن أطيع قوانين الملك وقواعد الشَّهامة وأطيعك».

ـ «وماذا أيضًا؟».

أجابَ الغُلام بتردُّدٍ واضح: «أن أبقي شعري محلوقًا أو مصبوغًا، وألّا أخبر أحدًا باسمي الحقيقي».

أومأ دنك برأسه، وسألَه: «كم شربَ هذا الصَّبي من النَّبيذ؟».

ـ «كان يشرب بيرة الشَّعير».

ـ «أترى؟ بيرة الشَّعير هي التي تكلَّمت. الكلام هواء يا إج. دعه يهبُّ ويتجاوَزك».

ـ «بعض الكلام فقط هواء». أكثر ما يتَّسم به الصَّبي هو العناد. «بعض الكلام خيانة. هذه دورة مبارياتٍ للخونة أيُّها السيِّر».

قال دنك: «ماذا؟ جميعهم؟»، وهزَّ رأسه مُتابعًا: «لو صحَّ ذلك فقد حدثَ منذ زمنٍ طويل. التنِّين الأسود ماتَ، ومَن قاتَلوا معه هربوا أو نالوا عفوًا. وما تقوله ليس صحيحًا. ابنا اللوْرد بَتَروِل قاتَلا على كلا الجانبيْن».

ـ «وهو ما يجعله نصف خائنٍ أيُّها السيِّر».

ـ «قبل ستَّة عشر عامًا». انقشعَت عن دنك غشاوة النَّبيذ اللَّطيفة وشعرَ بالغضب، ويكاد يُفيق. «وكيل اللوْرد بَتَروِل هو قيِّم المباريات، رجلٌ اسمه كوْزجروْف. اعثُر عليه وأدرِج اسمي ضمن المتنازلين. لا، انتظِر... احجب اسمي». في وجود كلِّ هؤلاء اللوْردات قد يتذكَّر أحدهم السيْر دنكن الطَّويل من (مرج آشفرد). «أدرِجني باسم فارس المشنقة». يحبُّ العوام أن يظهر فارسٌ غامض في دورة مباريات.

داعبَ إج شفته المتورِّمة بإصبعه سائلًا: «فارس المشنقة أيُّها السيْر؟».

ـ «نسبةً إلى التُّرس».

ـ «نعم، ولكن...».

قاطعَه دنك: «اذهب وافعل كما قلتُ. لقد قرأت كفايةً اللَّيلة»، وأطفأ الشَّمعة بقرصةٍ من سبَّابته وإبهامه.

***



أشرقَت الشَّمس ساخنةً قاسيةً، لا ترحم.

ارتفعَت موجات الحرارة مترأرئةً من أحجار القلعة البيضاء، وحملَ الهواء رائحة التُّربة المخبوزة والعُشب الممزَّق، ولم تهبَّ نسمة ريح واحدة لتُحرِّك الرَّايات المتدلِّية فوق الحصن ومبنى البوَّابة بخُضرتها وصُفرتها وبياضها.

بدا ثندر مضطربًا على نحوٍ قلَّما رآه دنك من قبل. طوَّح الفحل رأسه من جانبٍ إلى جانب فيما أحكمَ إج ربط حزام السَّرج، بل وكشَّر عن أسنانه المربَّعة الكبيرة في وجه الغُلام. فكَّر دنك: *الحرُّ شديد، أشدُّ من احتمال إنسانٍ أو دابَّة.* الجياد الحربيَّة ليست مطواعةً ولو في أفضل الأوقات. ***الأم ذاتها كان*** *مزاجها سيتعكَّر في هذا القيظ.*

في مركـز السَّـاحة بـدأ المُتثاقفـان جولـةً أخـرى. يركـب السـيْر هاربـرت حصانًـا عـدَّاءً ذهبيًّـا مكسـوًّا بالأسـود مزيَّنًـا بأفعيَـي عائلـة پيْـچ، واحـدة حمـراء وواحـدة بيضـاء، والسيْر فرانكلن كُميتًـا تحمـل كُسوته الحريـر الرَّماديَّـة بُـرجَـي فـراي التَّوأميْـن. حيـن التقيـا انقصـمَ الـرُّمح الأحمـر والأبيـض شـقَّيْن وانفجـرَ الأزرق إلى شـظايا، لكـن أيًّـا مـن الرَّجليْـن لـم يَسـقُط. ارتـفعَ هتـافٌ مـن مدرَّجـات المشـاهدة والحُـرَّاس فـوق أسـوار القلعـة، إلَّا أنـه هتـافٌ قصيـر وهزيـل وأجوف. *الحـرُّ أشـدُّ مـن أن يهتـف أحـد.* جفَّـف دنـك جبهتـه مـن العـرق. *الحـرُّ أشـدُّ مـن أن يتثاقَـف أحـد.* راحَ رأسـه يـدقُّ كالطَّبلـة. *فلأفُـز في هـذا النِّـزال ثـم في واحـدٍ آخَـر وسـأرضى.*

دارَ الفارسـان بحصانيْهمـا عنـد طـرفَي المضمـار وتخلَّصـا مـن بقايـا رُمحيْهمـا المحـزَّزة، رابـع زوجيْـن يكسـرانهما. *أزيـد مـن اللَّازم بثلاثـة.* أرجـأ دنـك ارتـداء درعـه أطـول فتـرةٍ يجـرؤ عليهـا، ومـع ذلـك بـدأ بالفعـل يحـسُّ بثيابـه التَّحتيَّـة تلتصـق بجلـده تحـت الفـولاذ. *ثمَّـة أشـياء أسـوأ مـن الغـرق في العـرق.* قالهـا لنفسـه متذكِّـرًا القتـال عـلى متـن «الليْـدي البيضـاء»، عندمـا انصبَّـت حشـود الحديديِّيـن مـن فـوق جنبهـا. انتـهى ذلـك اليـوم وهـو غـارقٌ في الدِّمـاء.
برُمحيْـنِ جديديْـن في يديْهمـا عـادَ پيْـچ وفـراي يهمـزان مطيَّتيْهمـا، لتنتثر كُتـل مـن التُّربـة الجافَّـة المتشـقِّقة وراءهمـا مـن تحـت حوافـر حصانيْهمـا المهروليْـن مع كلِّ خُطـوةٍ يخطوانهـا. أجفلَـت دنـك طقطقـة الرُّمحيـن إذ انكسَـرا. *فَـرطٌ مـن النَّبيـذ البارحـة، وفـرطٌ مـن الطَّعـام.* في عقلـه ذكـرى مبهمـة عـن حمـل العـروس عـلى السَّلالـم ولقـاء چوْن الكمنـچي واللـوْرد پيـك فـوق سـطح. *مـاذا كنـتُ أفعلُ فـوق سـطح؟* يَذكُـر كلامًـا عـن التَّنانيـن، أو عـن بيـض التَّنانيـن، أو

شيء مـا، ولكـن...

اختـرقَ ضجيـجٌ حُلمـه اليقـظ، جـزء منـه هديـر وجـزء أنيـن. رأى دنـك الحصـان الذّهبـي يخـبُّ بلا راكـب إلى طـرف المضمـار فيمـا تدحـرجَ السـيْر هاربـرت ببُـجٍ بوهـنٍ علـى الأرض. *مُثاقفتـان أخريـان قبـل دوري.* إسـقاطه السـيْر أوثوْر مـن فـوق حصانـه في أقـرب وقـتٍ معنـاه أن يخلـع درعـه في أقـرب وقـت ويتناوَل شـرابًا باردًا ويسـتريح. المفتـرَض أن يحـظى بسـاعةٍ علـى الأقـل قبـل أن يُنـادوا اسـمه ثانيـةً.

تسـلّق حاجـب اللـوْرد بَتَـروِل الممتـلئ إلى قمَّـة المنصَّـة ليسـتدعي الزَّوجيْـن التَّاليـيْـن مـن المُتثاقفيـن، وصـاحَ: «السـيْر آرجريْـف المتحـدِّي، فـارسٌ مـن (نَـني) في خدمـة اللـوْرد بَتَـروِل سـيِّد (الجُـدران البيضـاء). السـيْر جلنـدُن فلاورز، فـارس (صفصـاف القِطـط). تقدَّمـا وأثبتـا بسـالتكما». عندئـذٍ ماجَـت المدرَّجـات بعاصفـةٍ مـن الضَّحـك.

السـيْر آرجريْـف رجـلٌ أهيـف متيـن، فـارس أهـل بيـتٍ مخضـرم يرتـدي درعًـا رماديَّـةً منبعجـةً ويمتـطي حصانًـا بلا كُسـوة. لدنـك خبـرةٌ سـابقة بنوعـه؛ مثـل هـؤلاء الرِّجـال قـاس كالجـذور القديمـة ويعـرف عمله. خصمـه السـيْر جلنـدُن الشّـاب، الـذي يركـب حصانـه المعيـب البائـس ويُـدرِّع نفسـه بـزردٍ ثقيـل وخـوذةٍ حديـد قصيـرة مفتوحـة الوجـه، وعلـى ذراعـه يعـرض تُرسـه رمـز أبيـه النَّـاري. فكّـر دنـك: *تلزمـه صدريَّـة وخـوذة لائقـة. مـن شـأن ضربـةٍ علـى الـرَّأس أو الصَّـدر أن تَقتُلـه بملبسـه هـذا.*



واضحٌ أنَّ تقديم السِير جلندُن أثارَ حفيظته، إذ أدارَ مطيَّته في دائرةٍ غاضبة زاعقًا: «أنا جلندُن بوْل لا جلندُن فلاورز. اسخر مني على مسؤوليَّتك أيُّها الحاجب. دعني أحذِّرك، إن فيَّ دماء بطل». لم يُكلِّف الحاجب نفسه الرَّدَّ، لكن اعتراض الفارس الشَّاب استُقبلَ بمزيدٍ من الضَّحك.

تساءلَ دنك بصوتٍ مسموع: «لماذا يضحكون منه؟ أهو نغلٌ إذًا؟». «فلاورز» هو اللَّقب الذي يُطلَق على النُّغول المولودين للآباء النُّبلاء في (المرعى). «وما معنى ذلك الكلام عن صفصاف القِطط؟».

قال إج: «يُمكنني أن أستعلم أيُّها السِير».

ـ «لا. ليس ذلك من شأننا. أمعك خوذتي؟».

خفـضَ السـيْر آرجريْـف والسـيْر جلنـدُن رُمحيْهمـا أمـام الـلوْرد والليْـدي بَتَـروِل، ورأى دنـك بَتَـروِل يميـل هامسًـا في أذن عروسـه بـشيءٍ جعـلَ الفتـاة تُقهقِـه.

ـ «نعـم أيُّهـا السـيْر». يعتمـر إج قبَّعتـه المرنـة ليَسـتُر عينيْـه ويُبعِـد الشَّـمس عـن رأسـه المحلـوق. يحـبُّ دنـك معابثـة الـغُلام بشأن تلـك القبَّعـة، غيـر أنـه تمـنَّى الآن تحديـدًا لـو أنَّ لديـه واحـدةً مثلهـا. *قبَّعـةٌ قـش خيرٌ مـن واحـدةٍ حديـد تحـت هـذه الشَّـمس*. أزاحَ شـعره عـنِ عينيْـه، وبهـدوءٍ أنـزلَ الخـوذة العظيمـة في مكانهـا بكلتـا يديْـه وربطَهـا إلى عُنقيَّتـه. فاحَـت مـن البطانـة رائحـة العـرق القديـم الكريهـة، وشـعرَ دنـك بـوزن كلِّ هـذا الحديـد عـلى رقبتـه وكتفيْـه، وقـد أخـذَ رأسـه ينبـض مـن جـرَّاء نبيـذ البارحـة.

قـال إج: «سـيْر، أوان الانسـحاب لـم يَفُـت. إذا خسـرت ثنـدر ودرعـك...».

ـ *فـهي نهايـة فروسـيَّتي*. سـألَه دنـك: «ولِـمَ أخسـرُ؟». كان السـيْر آرجريْـف والسـيْر جلنـدُن قـد ركبـا إلى طـرفَي المضمـار. «ليـس الأمـر كأنـني سـأواجهُ العاصفـة الضَّـاحكـة. أيُوجَـد هنـا فـارسٌ يـرجح أن يُتعِبـني؟».

ـ «كلُّهم تقريبًا أيُّها السيْر».

ـ «أديـنُ لـك بلطمـةٍ عـلى الأذن لقـاء قولـك هـذا. السـيْر أوثوْر يكبَـرني بعشـر سـنواتٍ وحجمـه نصـف حجـمي».

أنـزلَ السـيْر آرجريْـف مقدِّمـة خوذتـه، أمَّـا السـيْر جلنـدُن فليسـت لخوذتـه مقدِّمـةٌ ليُنزِلهـا.

ـ «إنك لم تركب في نزالٍ منذ (مرج آشفرد) أيُّها السيْر».

ـ *ولـدٌ صفيـق.* «لقـد تمرَّنـتُ». ليـس بالـدَّأب الواجـب طبعًـا، فمتى استطاعَ يأخذ دوره في التَّدريب على الطَّواويس أو الحلقات حيثمـا توفَّـرت، وأحيانًـا يأمـر إج بتسـلُّق شـجرةٍ وتعليـق تُـرس أو ضلع برميـل تحـت فـرعٍ مناسـب الـموضع ليضربـاه بالرِّمـاح.

قـال إج: «إنـك أفضـل بالسَّـيف مـن الـرُّمح. بفـأسٍ أو مِقمعـةٍ في يـدك، قلائـل يُمكنهـم مباراتـك في القـوَّة».

حمـلَ القـول مـا يكـفي مـن حقيقـةٍ لمضايقـة دنـك أكثـر فأكثـر. «لا تُوجـد مسـابقة للسُّـيوف أو المقـامع». ألـقى بالإشـارة فيمـا بـدأ ابـن كُـرة النَّـار والسـيْر آرجريْـف المتحـدِّي كرَّتهمـا. «اذهـب وأحضِـر تُـرسي».

لوى إج قسماته، ثم ذهبَ ليجلب التُّرس.

عبـر السَّـاحة ضـربَ رُمح السـيْر آرجريْـف تُـرس السـيْر جلنـدُن وانزلـقَ مخلِّفًـا شـقًّا غائـرًا في المذنَّـب المرسـوم، إلَّا أنَّ سـنان رُمح بِوْل المثلَّـم أصـابَ مركـز صدريَّـة خصمـه بقـوَّةٍ عاتيـة مزَّقـت حـزام سـرجه، ليهـوي الفـارس والسَّـرج معًـا في التُّـراب. شـعرَ دنـك بالإعجـاب رغمًـا عنـه. *الفـتى يُجيـد المُثاقفـة بقـدر إجادتـه الكلام تقريبًـا.* تسـاءلَ هـل سـيمنعهم هـذا مـن الضَّحـك منـه.

دوَّى بوقٌ بصخب أجفلَ دنك، ومرَّةً أخرى تسلَّق الحاجب منصَّته. «السيْر چوْفري سليل عائلة كازوِل، سيِّد (جسر العلقم) وحافظ المخاضات. السيْر كايل، قِطٌّ (البراح الغائم). تقدَّما وأثبِتا بسالتكما».

لا بأس بجودة درع السيْر كايل، لكنها قديمةٌ وبالية، فيها كثيرٌ من الانبعاجات والخدوش. في طريقه إلى المضمار قال الرَّجل لدنك وإج: «**الأم** منَّت عليَّ بالرَّحمة يا سيْر دنكن. لقد أُرسِلتُ ضد اللوْرد كازوِل، الرَّجل عينه الذي جئتُ لأراه».

لو أنَّ أيَّ رجلٍ في الميدان في حالٍ أسوأ من دنك هذا الصَّباح فلا بُدَّ أنه اللوْردُ كازوِل الذي شربَ خلال المأدبة حتى غابَ عن الوعي. قال دنك: «إنها لأعجوبةٌ أن يستطيع ركوب حصانٍ بعد ليلة أمس. النَّصر لك أيُّها السيْر».

ابتسمَ السيْر كايل ابتسامةً حريريَّةً قائلًا: «أوْه، لا. على القِطِّ الذي يُريد وعاء القشدة أن يعرف متى يُخرخِر ومتى يُبرز مخالبه يا سيْر دنكن. إذا حكَّ رُمح حضرة اللوْرد تُرسي مجرَّد حكَّةٍ فسأسقطُ أرضًا. بعد ذلك، حين آخذُ إليه حصاني ودرعي، سأجاملُ حضرته على شوكته التي قويَت منذ صنعتُ له سيفه الأوَّل. سيُذكِّره ذلك بي، وقبل انتهاء اليوم سأعودُ من رجال كازوِل، فارسًا لـ(جسر العلقم)».

كادَ دنك يقول: *لا شرف في ذلك*، غير أنه امتنعَ عن الرَّد. لن يكون السيْر كايل أوَّل فارس جوَّال يُبادِل بشرفه موضعًا دافئًا عند النَّار. غمغمَ: «حظًّا سعيدًا لك. أو تعيسًا إذا فضَّلت».

الـلوْرد چِوْفـري كازوِل شـابٌّ مهـزول في العشـرين، وإن وجـبَ الإقرار بأنه يبـدو أشـدَّ إثـارةً للإعجـاب بدرعـه ممَّـا بـدا ليلـة أمـس ووجهـه في بِركـةٍ مـن النَّبيـذ. عـلى تُرسـه رُسِـمَ قنطـور أصفـر يسـحبُ وتـر قـوسٍ طويـل، ويُزيِّـن القنطـور نفسـه كُسـوة حصانـه الحريريَّـة البيضـاء، ويلتـمع عـلى قمَّـة خوذتـه بالذَّهـب الأصفـر. *المفتـرَض أن يُحسِـن رجـلٌ رمـزه قنطـور الرُّكـوب أكثـر.* لا يـدري دنـك إلى أيِّ حدٍّ يُجيـد السِّر كايـل استخدام الرِّمـاح، ولكـن مـن الطَّريقـة الـتي جلسَ بهـا اللـوْرد كازوِل فـوق حصانـه بـدا كمـا لـو أنَّ سُـعالًا مرتفعًـا كفيـلٌ بإسـقاطه. *مـا عـلى القِـطِ إلَّا أن يتجـاوَزه بسـرعةٍ فائقـة.*

أمسكَ إج رسـن ثنـدر فيمـا وثـبَ دنـك بحركةٍ خرقـاء بطيئـة ليعتلي السَّـرج اليابـس المرتـفع، وإذ جلـسَ هنـاك منتظـرًا شـعرَ بالأعيُـن المحملقـة إليـه. *يتسـاءَلون هـل يتمـتَّع الفـارس الجـوَّال الكبيـر بـأيِّ براعـة.* لـدى دنـك التَّسـاؤل نفسـه، وعمَّـا قريـب سيُدرِك الجـواب.

أوفى قِـطٌّ (البـراح الغائـم) بكلمتـه. ظـلَّ رُمح الـلوْرد كازوِل يتقلقَل طـوال الطَّريـق عبـر الميـدان، والسِّر كايـل لـم يُحسِـن تصويـب رُمحـه، ولـم يتعـدَّ أيٌّ مـن الرَّجليْـن بحصانـه الخبـب، وعـلى الرغـم مـن ذلـك سـقطَ القِـطُّ لمَّـا خبـطَ سـنان رُمح الـلوْرد چِوْفـري كتفـه مصادفـةً. بينمـا تدحـرجَ الفـارس الجـوَّال في التُّـراب فكَّـر دنـك: *ظننـتُ أنَّ القِطـط كلَّهـا تحـطُّ برشـاقةٍ عـلى أقدامهـا.* بـقيَ رُمح الـلوْرد كازوِل سـليمًا، وإذ دارَ بحصانـه رفعَـه عاليًـا وطعـنَ بـه الهـواء مـرَّةً تلـو مـرَّةٍ كأنـه أسـقطَ لتـوِّه لِيوْ الشَّـوكة الطَّويلـة أو العاصفـة الضَّاحكـة، أمَّـا القِـطُّ فخلـعَ خوذتـه وذهـبَ ليقبـض عـلى حصانـه.

قال دنك لإج: «تُرسي»، فناولَه الغُلام التُّرس، ودسَّ دنك ذراعه اليُسرى من تحت الحزام وأغلقَ يده حول المقبض. أحسَّ بوزن التُّرس لوزي الشَّكل مطمئِنًا، ولو أنَّ طوله يُصعِّب التَّحكم فيه، كما أنَّ رؤية الرَّجل المشنوق ثانيةً بثَّت فيه شعورًا بالاضطراب. *شعارٌ مشؤوم هذا*. عزمَ على رسم صورةٍ أخرى على التُّرس في أقرب وقتٍ ممكن. *عسى **المُحارب** أن يمنحني سبيلًا سلسًا ونصرًا سريعًا*. ردَّد دنك الدُّعاء في سريرته فيما عادَ حاجب بَترول يرتقي الدَّرجات بجهد، ليُدوِّي صوته: «السِّير أوثَر أندرليف. فارس المشنقة. تقدَّما وأثبِتا بسالتكما».



- «توخَّ الحذر أيُّها السِير». ألقى إج بالتَّنبيه وهو يُناول دنك رُمح مباريات، قناةً خشبيَّةً يتناقَص قُطرها تدريجيًّا ويَبلُغ طولها اثنَي عشر قدمًا، تنتهي برأسٍ حديديٍّ مدوَّر بشكل قبضةٍ مضمومة. «المُرافقون الآخَرون يقولون إنَّ السِير أوثور يتمتَّع بالثَّبات فوق حصانه، كما أنه سريع».

قال دنك ساخرًا: «سريع؟ إنَّ على تُرسه حلزونًا! كم يُمكن أن يَبلُغ من السُّرعة؟»، وهمزَ جنبَي ثندر بكعبيْه وتحرَّك بالحصان في مشيةٍ بطيئة رافعًا رُمحه. *نصرٌ واحد ولن أصبح أسوأ حالًا ممَّا أنا حاليًّا. اثنان سيجعلاننا نتقدَّم بشوطٍ طويل. الأمل في اثنيْن ليس أبعد من أن يتحقَّق وسط هذه الصُّحبة.* على الأقل حالفَه الحظُّ في الاقتراع، فبالسُّهولة نفسها كان يُمكن أن يسحب اسم الثَّور العجوز أو السِير كِربي پِم أو أيِّ بطلٍ محليّ آخَر. تساءل دنك هل يتعمَّد قيِّم المباريات وضع بعض الفُرسان الجوَّالة في مواجهة بعضٍ كي لا يُكابد أيُّ لورد صغير هوان الهَزيمة أمام أحدهم في الجولة الأولى. *لا يهمُّ. خصمٌ واحد في المرَّة، هكذا قال العجوز دومًا. يجب ألَّا أشغل نفسي الآن بغير السِير أوثور.*

التقيا أسفل المدرَّجات حيث يجلس اللوْرد والليْدي بَترِول على وسائدهما في ظُلَّة أسوار القلعة، ويُجاوِرهما اللوْرد فراي الذي يُهدهِد على رُكبته ابنه ذا الأنف المتَّسخ بالمُخاط. وقفَ صفٌّ من الخادمات لتهويتهم، ومع ذلك تلوَّثت غلالة اللوْرد بَترِول تحت الإبطيْن، وتهدَّل شعر السيِّدة زوجته من التَّعرُّق، وقد بدَت حرَّانة وضجرةً ويعوزها الارتياح، ولكن لمَّا رأت دنك أبرزَت ثدييْها بطريقةٍ احمرَّ لها وجهه تحت خوذته. خفضَ رُمحه لها وللسيِّد زوجها، وفعلَ السيْر أوثوْر المثل، فتمنَّى لهما بَترِول نزالًا موفَّقًا، في حين أخرجَت زوجته لسانها.

حانَ الوقت. خبَّ دنك إلى طرف المضمار الجنوبي، وعلى بُعد ثمانين قدمًا اتَّخذ مُنافسه موقعه أيضًا. فحله الرَّمادي أصغر حجمًا من ثندر، لكنه أصغر سنًّا وأنشط. يرتدي السيْر أوثوْر صفائح معدنيَّةً مطليَّةً بالمينا الأخضر وزردًا مفضَّضًا، وتُرفرف شرائط من الحرير الأخضر والرَّمادي من خوذته الحوضيَّة المدوَّرة، ويحمل تُرسه الأخضر حلزونًا فضِّيًّا. *الدِّرع الجيِّدة والحصان الجيِّد معناهما فديةٌ جيِّدة إذا أسقطته.*

دوَّى بوق.

بدأ ثندر يتقدَّم بخببٍ وئيد، وميَّل دنك رُمحه إلى اليسار وخفضَه ليستقرَّ بزاويةٍ فوق رأس الحصان. الحائل الخشبي بينه وبين خصمه، ويحمي تُرسه جنب جسده الأيسر. انحنى دنك إلى الأمام وساقاه تنشدَّان إذ انطلقَ ثندر قاطعًا المضمار. *إننا واحد. الرَّجل، الحصان، الرُّمح، نحن كائنٌ واحد من دمٍ وخشبٍ وحديد.*

انقضَّ السِّير أوثوْر بقوَّة، تُثير حوافر حصانه الرَّمادي سحاباتٍ من الغُبار. حينما صارَت المسافة بينهما أربعين ياردةً همزَ دنك ثندر ليُهرول، وسدَّد رأس رُمحه مباشرةً إلى الحلزون الفضِّي. الشَّمس المكفهرَّة، والغُبار، والحرارة، والقلعة، واللوْرد بَتَرول وعروسه، والكمنجي والسِّير مِاينارد، والفُرسان، والمُرافقون، والسَّاسة، والعامَّة، كلُّ هذا اختفى. وحده الخصم بقيَ. المِهماز مجدَّدًا، وانطلقَ ثندر يدحو.

الحلزون يندفع نحوهما، يتعاظَم حجمه مع كلِّ خُطوةٍ من أرجُل الفحل الرَّمادي الطَّويلة... ولكن يسبقه رُمح السِّير أوثوْر بقبضته الحديد. *تُرسي قوي، تُرسي سيحتمل الضَّربة. المهمُّ الحلزون فحسب. اضرب الحلزون والمباراة لي.*

حين لم يتبقَّ بينهما إلَّا ياردات عشر حرَّك السِّير أوثوْر رأس رُمحه إلى أعلى.

ورنَّت في أذن دنك طقطقةٌ إذ ضربَ رُمحه ضربته، وأحسَّ بالصَّدمة في ذراعه وكتفه، لكنه لم يرَ الضَّربة تُصيب هدفها إطلاقًا. أمَّا قبضة أوثوْر الحديد فأصابَته بين العينيْن مباشرةً ووراؤها قوَّة الرَّجل والحصان كاملةً.

***

استيقظَ على ظهره، يُحدِّق إلى قناطر سقفٍ معقود. لوهلةٍ لم يعرف أين هو أو كيف وصلَ إلى هناك. تردَّدت في رأسه أصداء أصواتٍ تتكلَّم، ومرَّت أمامه وجوه سابحة في الهواء: السِّر آرلان العجوز، تانسل مديدة القامة، بِنس صاحب التُّرس البنِّي، الأرملة الحمراء، بيْلوْر كاسِر الحراب، إيْريون الأمير السَّاطع، الليْدي فيْث المجنونة المحزونة. ثم إذا بالنِّزال يعود إلى ذاكرته دُفعةً واحدةً: الحرُّ، الحلزون، القبضة الحديد المتَّجهة إلى وجهه. تأوَّه وانقلبَ مستندًا إلى مرفقه، لتجعل الحركة رأسه يدقُّ كطبلة حربٍ فظيعة.

يبدو أنَّ عينيْه كلتيْهما صالحتان على الأقل، كما أنه لا يحسُّ بثقبٍ في رأسه، وهذا خيرٌ حقًّا. رأى أنه في قبو ما، على كلِّ جانبٍ فيه براميل نبيذٍ ومزر، ففكَّر: *على الأقل الحرارة فاترة ها هنا، والشَّراب في متناول اليد*. ذاقَ دنك في فمه طعم الدَّم، وشعرَ بطعنةٍ من الخوف. إذا قضمَ لسانه فهو الآن أخرس علاوةً على أنه غليظ العقل. «طابَ صباحك». قالها ببحَّةٍ لمجرَّد أن يسمع صوته، وتردَّد صدى الكلمتيْن على السَّقف. حاولَ دنك أن يدفع نفسه إلى النُّهوض، إلَّا أنَّ المجهود دوَّر القبو من حوله.

ـ «على مهلك، على مهلك». قالها صوتٌ متهدِّج قريب، وظهرَ بجوار الفراش رجلٌ عجوز محنيُّ الظَّهر يلبس مِسحًا رماديًّا كشعره الطَّويل. حول عُنقه سلسلة ميْستر من معادن عدَّة، ووجهه مسنٌّ متغضِّن، وعلى جانبَي أنفٍ ضخم شبيه بالمنقار تجاعيد عميقة. «اثبت ودعني أرى عينيْك». دقَّق الرَّجل النَّظر إلى عين دنك اليُسرى ثم اليُمنى وقد فتحَهما بسبَّابته وإبهامه.

- «رأسي يُوجِعني».

نخرَ الميْستر بسخرية، وقال: «فلتمتنَّ لأنه ما زالَ مستقرًّا على كتفيْك أيُّها السيْر. هاك، قد يُساعِد هذا بعض الشَّيء. اشرب».

أجبرَ دنك نفسه على ابتلاع كلِّ قطرةٍ من العقَّار كريه المذاق وأمكنَه ألَّا يَبصُقها، ثم قال ماسحًا فمه بظهر يده: «الدَّورة. أخبِرني. ماذا حدثَ؟».

- «الحماقة ذاتها التي تَحدُث دائمًا في هذه المشاجرات. رجالٌ يُسقِط بعضهم بعضًا من فوق أحصنةٍ بواسطة عِصِي. ابن أخت اللوْرد سمؤلوود كسرَ معصمه، وساقُ السيْر إيدن ريزلي سُحقَت تحت حصانه، لكن أحدًا لم يُقتَل حتى الآن، ولو أنني خشيتُ عليك أيُّها السيْر».

- «هل أُسقِطتُ من فوق حصاني؟». لم يزَل يحسُّ كأن رأسه محشوٌّ عن آخِره بالصُّوف، وإلَّا لما طرحَ سؤالًا غبيًّا كهذا. ندمَ دنك على السُّؤال حالما خرجَت الكلمات من فمه.

- «بارتطام زلزلَ أعلى المتاريس. مَن راهَنوا عليك بمبالغ فادحة أصابَهم ذهولٌ عظيم، ومُرافقك كادَ صوابه يطير فرَقًا. لكان جالسًا معك الآن لو أني لم أزجره. لا يلزمني أطفالٌ تحت قدميَّ. لقد ذكَّرته بواجبه».

وجدَ دنك أنه محتاجٌ إلى تذكرةٍ عن نفسه، فسألَ: «أيُّ واجب؟».

- «مطيَّتك أيُّها السيْر، أسلحتك ودرعك».

قال دنك متذكِّرًا: «نعم». الغُلام مُرافق صالح، يعلم المطلوب منه. *خسرتُ سيف العجوز والدِّرع التي صاغَها لي پيْت الفولاذي.*

- «صديقك عازف الكمنجة أيضًا سألَ عنك. قال لي أن تتلقَّى أفضل رعاية. هو أيضًا طردته».

- «منذ متى تعتني بي؟». ثنى دنك أصابع يد سيفه وبسطَها، فبدا أنها جميعًا تعمل. *دماغي فقط يُوجِعني، والسيْر آرلان اعتادَ أن يقول إنني لا أستخدمه على كلِّ حال.*

- «أربع ساعاتٍ حسب المِزولة الشَّمسيَّة».

أربع ساعاتٍ ليست بذلك السُّوء. لقد سمعَ مرَّةً حكايةً عن فارسٍ ضُرِبَ بعُنفٍ أفضى إلى نومه أربعين عامًا واستيقظَ ليجد نفسه عجوزًا ذاويًا. «أتعرف هل انتصرَ السيْر أوثْور في نزاله الثَّاني؟». قد يفوز الحلزون بالدَّورة؛ سيخفُّ شيءٌ من وخز الهزيمة إذا استطاعَ دنك أن يقول لنفسه إنه خسرَ أمام أفضل فارسٍ في الميدان.

- «هو؟ بالتَّأكيد انتصرَ، على السيْر أدام فِراي، ابن عمومة العروس ورمَّاح شابٌّ واعد. حضرة الليْدي أُغميَ عليها حين سقطَ السيْر أدام، ووجبَت مساعدتها على العودة إلى مسكنها».

أرغمَ دنك نفسه على القيام فترنَّح وهو ينهض، لكن المِيْستر أعانَه على الثَّبات. «أين ملابسي؟ يجب أن أذهب. عليَّ... يجب...».

قـال المَيسـتر: «مـا دُمـت لا تَذكُـر فلا يُمكـن أنهـا مسـألة في غايـة العجلـة»، ولـوَّح بيـده بضيـقٍ مُردفًـا: «لربَّمـا اقترحـتُ أن تتجنَّـب الأطعمـة الدَّسـمة والمشـروبات القويَّـة ومزيـدًا مـن الضَّربـات بيـن عينيْـك... لكنـني تعلَّمـتُ منـذ زمـنٍ طويـل أنَّ الفُرسـان يصمُّـون آذانهـم عـن صـوت العقـل. اذهـب، اذهـب. عنـدي حمـقى آخَـرون علـيَّ الاعتنـاء بهـم».

***

في الخـارج أبصـرَ دنـكِ بـازًا يُحلِّـق في دوائـر واسـعةٍ عبـر سـماءٍ زرقـاء صافيـة، ولكـم غبطَـه. كان قليـلٌ مـن السَّـحاب يحتشـد إلى الشَّـرق مدلهمًّـا كمزاجـه. بينمـا وجـدَ طريـق العـودة إلى أرض النِّـزال انهالَـت الشَّـمس بضرباتهـا علـى رأسـه كمطرقـةٍ علـى سَـندان، وبـدا أنَّ الأرض تتحـرَّك تحـت قدميْـه... أو لعلَّـه هـو الـذي يتمايَـل. وهـو يرتـقي سلالـم القبـو كادَ يَسـقُط مرَّتيـن. *كان علـيَّ أن أصغي إلى إج.*

شـقَّ طريقـه البـطيء في السَّـاحة الخارجيَّـة حـول حافـات المتفرِّجيـن. في المضمـار يعـرج الـلورد آلِـن كوكـشو اللَّحيـم إلى الخـارج بيـن مُرافقيْـن، آخِـر غـزوةٍ للشَّـاب جلنـدُن بوْل، وقـد حمـل مُرافـق ثالـث خوذتـه الـتي انكسـرَت ريشـاتها الشَّـامخة الـثَّلاث.

صـاحَ الحاجـب: «السـيْر چوْن الكمنـجي. السـيْر فرانكلـن سـليل عائلـة فـراي، فـارسٌ مـن (التَّوأمتيْـن)، مُقسـم لسـيِّد (المعبـر). تقدَّمـا وأثبِتـا بسـالتكما».

لـم يـسع دنـك إلَّا الوقـوف والمشـاهدة فيمـا خـبَّ فحـل الكمنـجي الأسـود الكبيـر داخلًا المضمـار في دوَّامـةٍ مـن الحريـر الأزرق والسُّـيوف والكمنجـات الذَّهبيَّـة. صدريَّتـه مطليَّـة بالمينـا الأزرق أيضًـا، وكـذا واقيـا رُكبتيْـه وواقيـا مرفقيْـه وكلسـته وعُنقيَّتـه، والحلقـات المعدنيَّـة تحـت درعـه مذهَّبـة. أمَّـا السـيْر فرانكلـن فيركـبَ حصانًـا رماديًّـا أرقـط ذا عُـرف فـضِّيٍ مسترسـل، يتمـاشى مع الرَّمـادي في ثيـابِ صاحبـه الحريـر والفـضِّي في درعـه، وعـلى التُّـرس والمعطـف وكُسـوة الحصـان يحمـل السـيْر فرانكلـن بُـرجَي فـراي التَّوأميْـن. كـرَّ الفارسـان وكـرًّا ثانيـةً، ووقـفَ دنـك يُشـاهِد لكنـه لـم يـرَ شـيئًا مـن نزالهمـا. قـال لنفسـه موبِّخًـا: *دنـك الأنـوَك، غليـظ العقـل كسـور قلعـة. كـان عـلى تُرسـه حلـزون. كيـف تخسـر أمـام رجـلٍ عـلى تُرسـه حلـزون؟*

ارتـفعَ تهليـلٌ مـن كلِّ مكـانٍ حولـه، ولمَّـا رفعَ دنـك عينيْـه رأى أنَّ فرانكلـن فـراي سـقطَ، وقـد ترجَّـل الكمنـجي ليُسـاعِد خصمـه السَّـاقط عـلى النُّهـوض. فكّـر دنـك: *دنـا خُطـوةً أخـرى مـن بيضـة التنِّيـن الـتي يرغـب فيهـا، أمَّـا أنـا فأيـن؟*

مع اقترابـه مـن البوَّابـة الخلفيَّـة لاقى دنـك جماعـة الأقـزام مـن مأدبـة البارحـة وهـم يسـتعدُّون للرَّحيـل؛ يربطـون أفراسًـا قزمـةً إلى خنزيرهـم الخشـبيِّ المـزوَّد بعـجلات، وإلى عربـة ثانيـة ذات تصميـم أكثـر اعتيـادًا. سـتَّةٌ هُـم حسـبما رأى، كلٌّ منهـم أصغـر حجمًـا وأشـدُّ تشـوُّهًا مـن سـابقه. قـد يكـون بعضهـم أطفـالًا، لكـن قِصـر قاماتهـم الشَّـديد جميعًـا يُصعِّـب التَّمييـز. في وضح النَّهـار وقـد ارتـدوا بناطِيـل مـن جلـد الخيـل ومعاطـف مقلنسـة مـن الخيـش، يبـدون أقـلَّ جذلًا ممَّـا بـدوا بثيابهـم المرقَّعـة بشـتَّى الألـوان. قـالَ دنـك مـن بـاب الكياسـة: «طـابَ صباحكـم. أأنتـم متَّجهـون إلى الطَّريـق؟ إلى الشَّـرق سـحاب، قـد يعـني هـذا المطـر».



الـرَّدُّ الوحيـد الـذي نالَـه نظـرةٌ ناريًّـة مـن القـزم الأقبـح. *أهـو الـذي سـحبته مـن فـوق الليْـدي بتَـرول اللّيلـة الماضيـة؟* مـن قريـب رائحـة الرَّجل الصَّغيـر كالمرحـاض. نفحـةٌ واحـدة تكفَّلـت بـأن يحـثَّ دنـك الخُطى.

بـدا كأن المسيرة عبـر (دار الحليـب) استغرقَت مـن دنـك الوقـت الـذي اسـتغرقَه قـطعُ رمـال (دوْرن) مع إج. حـرِصَ عـلى المـشي بمحـاذاة جِدار، ومن وقتٍ إلى آخَـر ركـنَ إليـه. كلَّمـا أدارَ رأسـه مـادَ العالـم. *شـراب. أحتـاجُ إلى شـربة مـاءٍ وإلّا فسأسـقطُ.*

أخبـرَه سـائسٌ مـارٌّ أيـن يجـد أقـرب بئـر، وهنـاك اكتشـفَ كايـل القِـطَّ يتحـدَّث بخفـوتٍ مع مِاينـارد پلَـم. كانـت كتفـا السـيْر كايـل متهدِّلتيْـن اغتمامًـا، لكنـه رفعَ ناظريْـه مع اقتـراب دنـك. «سـيْر دنكـن؟ سـمعنا أنـك مُـتَّ أو تمـوت».

فركَ دنك صُدغيْه قائلًا: «ليتني كذلك».

زفـرَ السـيْر كايـل، وقـال: «أعـرفُ ذلـك الشُّـعور جيِّـدًا. الـلوْرد كازوِل لـم يعرفـني. عندمـا قلـتُ لـه إنـني نحـتُّ سـيفه الأوَّل حـدَّق إليَّ كأنـني فقـدتُ عقـلي. قـال إنـه لا مكان في (جسـرِ العلقـم) للفرسـان الواهنيـن الذيـن أظهـرتُ أني منهـم»، وأطلـقَ القـطُّ ضحكـةً مريـرةً مضيفًـا: «لكنـه أخـذَ أسـلحتي ودرعي، ومطيَّـتي أيضًـا. مـاذا أفعـلُ؟».

لـم يحـر دنـك لـه جوابًـا. حـتى المُحـارب غيـر النِّظـامي يلزمـه حصـانٌ ليركبـه، ويجـب أن يملـك المرتزِقـة سـيوفًا ليرتزِقـوا بهـا. قـال دنـك وهـو يسـحب الدَّلـو: «سـتجد حصانًـا آخَـر. (الممالـك السَّبع) حافلة بالخيـول. ستجد لوْردًا آخَـر يُسلِّحك»، ثـم ضمَّ يديْـه

وملأهمـا بالمـاء وشـربَ.

ـ «لوْرد آخَـر. أجـل. هـل تعـرف واحـدًا؟ أنـا لسـتُ شـابًّا وقويًّـا مثلـك، ولا كبيـرًا كذلـك. كبـار الحجـم مطلوبـون دومًـا. اللوْرد بَتَـروِل مـثلًا يحـبُّ فُرسـانه كبـارًا. انظُـر إلى توْم هِـدِل هـذا. هـل رأيتـه في مُثاقفـة؟ لقـد أطاحَ بكلِّ رجلٍ واجهَـه. علـى أنَّ ولـد كُـرة النَّـار فعـل المثـل، والكمنـجي أيضًـا. ليتـهُ هـو الـذي أسـقطَني. إنـه يَرفُـض أخـذ فديـة. يقـول إنـه لا يُريـد أكثـر مـن بيضـة التنِّيـن... وإضافـةً إلى ذلـك صداقـة خصومـه السَّـاقطين. زهـرة الشَّـهامة ذلـك الشَّـاب».

ضحـكَ مِاينـارد پلَـم قـائلًا: «تعـني كمنجـة الشَّـهامة. الفـتى يعـزف لحـن عاصفـةٍ مقبلـة، وخيـرٌ لنـا جميعًـا أن نرحـل مـن هنـا قبـل أن تهـبَّ».

قال دنك: «لا يأخذ فديةً؟ لفتةٌ نبيلة».

قـال السـيْر مِاينـارد: «اللَّفتـات النَّبيلـة سـهلةٌ وكيـس نقـودك منتـفخ بالذَّهـب. يُوجَـد درسٌ هنـا إذا تحلَّيـت بمـا يكـفي مـن عقـلٍ لتعلُّمـه أيُّهـا السـيْر دنكـن. لـم يَفُـت أوان رحيلـك».

ـ «رحيلي؟ رحيلي إلى أين؟».

هـزَّ السـيْر مِاينـارد كتفيْـه، وأجـابَ: «إلى أيِّ مكان. (وينترفـل)، (بهـو الصَّيـف)، (آشـاي عنـد الظِّـل). لا يَهـمُّ مـا دامَ الـمكان ليـس هنـا. خُـذ حصانـك ودرعـك وانسـلَّ مـن البوَّابـة الخلفيَّـة. لـن يفتقـدك أحـد. الحلـزون مشـغول بالتَّفكيـر في نزالـه التَّـالي، والباقـون أعيُنهـم لا تـرى إلَّا المُثاقفـات».

لنصف نبضة قلب أغوَت دنك الفكرة. ما دامَ يحمل سلاحًا ويمتطي حصانًا فسيبقى فارسًا بشكلٍ أو بآخَر، ومن غيرهما فإنه ليس أكثر من شحَّاذ. *شحَّاذ كبير، لكنه شحَّاذ.* لكن أسلحته ودرعه تنتمي إلى السِيْر أوثوْر الآن، وكذلك ثندر. *شحَّاذ أفضل من لصّ.* لقد كان هذا وذاك في (سفح البراغيث) إبَّان مصاحبته ابن مقرِض ورافي وپودنج، بيد أنَّ العجوز أنقذَه من تلك العيشة. يعلم ما كان السِيْر آرلان ابن (شجرة البنسات) سيردُّ به على اقتراحات پلَم، وبما أنَّ السِيْر آرلان ميت فقد ردَّ دنك نيابةً عنه: «حتى الفارس الجوَّال له شرفه».

ـ «أتُحبِّذ أن تموت بشرفٍ مصون أم تعيش به مدنَّسًا؟ لا، أعفِني، أعلَمُ ماذا ستقول. خُذْ غُلامك واهرب يا فارس المشنقة قبل أن يُصبح شعارك مصيرك».

مغضبًا ردَّ دنك: «أنَّى لك بمعرفة مصيري؟ هل رأيتَ حُلمًا مثل چوْن الكمنجي؟ ماذا تعرف عن إج؟».

قال پلَم: «أعرفُ أنه خيرٌ للبيض أن يبقى خارج المقلاة. (الجُدران البيضاء) ليست مكانًا صحِّيًا للغُلام».

سألَه دنك: «كيف أبليت في نزالك أيُّها السِيْر؟».

ـ «أوْه، لم أغامر بدخول المضمار. النُّذر لم تُبشِّر بخير. مَن تتخيَّله سيظفر ببيضة التنِّين يا تُرى؟».

ـ *ليس أنا.* «**السَّبعة** يعلمون. أنا لا أعلمُ».

ـ «أقدِم على تخمين أيُّها السِيْر. إنَّ لك عينيْن».

فكَّر دنك لحظةً. «الكمنجي؟».

ـ «ممتاز. هل تودُّ أن تشرح ما قادكَ إلى هذا الاستنتاج؟».

ـ «إنَّ... لديَّ شعورًا فقط».

قال مِاينارد پلَم: «وأنا أيضًا. شعورٌ سيِّئ تجاه أيِّ رجلٍ أو صبيٍّ تعوزه الحكمة إلى درجة أن يعترض طريق كمنجيِّنا».

***

كان إج يُمشِّط شعر ثندر خارج خيمتهما، وإن شردَت عيناه. *سقطتي آلمَت الولد بشدَّة.* نادى دنك: «كفى. مزيدٌ من التَّمشيط وسيُصبح ثندر أصلع مثلك».



أفلتَ إج الفُرشة صائحًا: «سير؟ كنتُ أعرفُ أنَّ لا حلزون سخيفًا يستطيع أن يَقتُلك أيُّها السير»، وطوَّق دنك بذراعيْه.

اختطفَ دنك القبَّعة القش المرنة من الغُلام ليضعها فوق رأسه، وقال: «الميْستر قال إنك هربت بدرعي».

انتزعَ إج قبَّعته بسخطٍ قائلًا: «لقد جلوتُ زردك ولمَّعتُ كلستك وعُنقيَّتك وصدريَّتك أيُّها السير، لكن خوذتك مشروخة ومنبعجة حيث أصابَها رأس رُمح السير أوثور. عليك أن تأخذها إلى صانع سلاحٍ ليُسوِّيها».

ـ «دع السير أوثور يُسوِّيها. إنها ملكه الآن». *لا حصان، لا سيف، لا درع. قد يدعني أولئك الأقزام أنضمُّ إلى فِرقتهم. سيكون منظرًا طريفًا؛ ستَّة أقزام يضربون عملاقًا بمثانات خنازير.* «ثندر أيضًا ملكه. تعالَ. سنَأخذ إليه كلَّ شيءٍ ونتمنَّى له التَّوفيق في بقيَّة نزالاته».

ـ «الآن أيُّها السير؟ ألن تدفع فدية ثندر؟».

ـ «بِمَ أيُّها الصَّبي؟ بالحصى وفضلات الخرفان؟».

ـ «لقد فكَّرتُ في ذلك أيُّها السير. إذا اقترضنا...».

قاطعَه دنك: «لا أحد سيُقرِضني ذلك المبلغ الكبير يا إج. ما الدَّافع؟ ماذا أنا إلَّا أخرق عظيم دعا نفسه بالفارس حتى كادَ حلزون بعصا يُهشِّم رأسه؟».

قـال إج: «طيِّـب، يُمكنـك أن تأخـذ ريْـن أيُّهـا السـيْر. سـأعودُ أركـبُ ميْسـتر. سـنذهب إلى (بهـو الصَّيـف). بإمكانـك أن تلتحـق بخدمـة أهـل بيـت أبـي. الخيـول تـملأ إسـطبلاته. لـك أن تأخـذِ بِرذونـا ورهوانًـا أيضًـا».

نيَّـة إج صافيـة، إلَّا أنَّ دنـك لا يسـتطيع الذَّهـاب ذليـلًا إلى (بهـو الصَّيـف)، لا يسـتطيع عـلى هـذه الحـال، مفلسًـا مغلوبًـا يـروم الخدمـة دونمـا مجـرَّد سـيف. قـال: «أيُّهـا الصَّبـي، لُطـف منـك أن تقتـرح ذلـك، لكنـني لا أريـدُ فُتاتًـا مـن مائـدة السيِّد والـدك، أو مـن إسـطبلاته. ربَّمـا حـانَ الوقـت ليذهـب كلٍّ منـا في حـال سـبيله». باسـتطاعة دنـك دائمًـا أن ينسـلَّ خلسـةً ليلتحـق بحـرس المدينـة في (لانسـپۏرت) أو (البلـدة القديمـة)، إذ يروقهـم الرِّجال كبار الحجـم لأجـل ذلـك العمـل. *لقـد خبطـتُ بـرأسي كلَّ عارضـةٍ في كلِّ خـانٍ مـن (لانسـپۏرت) إلى (كينجـز لانـدنج). ربَّمـا آنَ الأوان ليُكسِـبني حجـمي قليـلًا مـن المـال بـدلًا مـن مجـرَّد رأس* متـورِّم. عـلى أنَّ الحُـرَّاس لا مُرافقيـن لهـم. «لقـد علَّمتـك مـا أقـدرُ عليـه، وهـو قليـل. ستُبلي بلاءً أحسـن مع قيِّـم سلاحٍ لائـق يُشرِف عـلى تدريبـك، فارس عجـوز شـديد يعـرف بـأيِّ طـرفَي الـرُّمح يُمسِـك».

قـال إج: «لا أريـدُ قيِّـم سلاحٍ لائقًـا. أريـدك أنـت. مـاذا إذا اسـتخدمنا...».

ـ «لا. انـسَ ذلـك تمامًـا، لـن أسـمع كلمـةً عنـه. اذهـب واجـمع أسـلحتي ودرعي. سـنُقدِّمها للسـيْر أوثوْر مع تحيَّـاتي. المصاعـب لا تـزداد إلَّا صعوبـةً إذا سـوَّفتها».

رفسَ إج الأرض وقد تهدَّل وجهه مثل قبَّعته القش الكبيرة، وقال: «حاضر أيُّها السيْر، كما تقول».

***

من الخارج بدَت خيمة السيْر أوثوْر تقليديَّةً جدًّا؛ عُلبة مربَّعة كبيرة من قُماش الأشرعة البنِّي الرَّمادي، موتَّدة في الأرض بحبالٍ من القنَّب، ويُحلِّي حلزون فضِّي قائمتها المركزيَّة فوق رايةٍ مثلَّثيَّة رماديَّة طويلة، لكن هذه هي الزِّينة الوحيدة.

قال دنك لإج: «انتظِر هنا». يُمسِك الغُلام مقود ثندر، والبِرذون البنِّي الكبير محمَّل بأسلحة دنك ودرعه، بما فيها تُرسه القديم الجديد. *فارس المشنقة. ها قد أثبتُّ أنه ما أتعسني فارسًا غامضًا.* «لن أتأخَّر». قالها وخفضَ رأسه وحنى كتفيْه داخلًا من سديلة الخيمة.

لم يُهيِّئه ظاهر الخيمة لوسائل الرَّاحة التي ألفاها في الدَّاخل. الأرضيَّة تحت قدميْه مفروشة بالبُسط المايريَّة الغنيَّة بالألوان، وتستقرُّ طاولةٌ مزخرفة محاطةٌ بكراسي المعسكرات، والفِراش المحشو بالرِّيش مغطًّى بوسائد طريَّة، وفي مجمرةٍ حديديَّة يحترق بخورٌ معطَّر.

كان السيْر أوثْور جالسًا إلى الطَّاولة، أمامه كومةٌ من الذَّهب والفضَّة وعند مرفقه إبريق من النَّبيذ، يعدُّ قطع العُملة مع مُرافقه، وهو شخصٌ تعوزه الرَّشاقة يبدو قريبًا من دنك في السِّن. بين فينةٍ وفينةٍ عضَّ الحلزون عُملةً أو نحَّاها جانبًا، وسمعَه دنك يقول: «ما زالَ عليَّ أن أعلِّمك أشياء كثيرةً يا ويل. هذه العُملة مقصوصة، والأخرى مكشوطة. وهذه؟». على أصابعه رقصَت قطعةٌ ذهبيَّة. «انظُر بعينيْك إلى العُملات قبل أن تأخذها. هاك، أخبِرني ماذا ترى». دارَ التنِّين في الهواء، وحاولَ ويل تلقُّفه، لكنه ارتدَّ عن أصابعه وسقطَ أرضًا. اضطرَّ الفتى إلى النُّزول على رُكبتيْه ليجده، ولمَّا فعلَ أدارَه مرَّتيْن قبل قوله: «إنها قطعةٌ جيِّدة يا سِيدي. على أحد الوجهيْن تنِّين وعلى الآخَر ملك...».

نظرَ أندرليف نظرةً سريعةً نحو دنك، وقال: «الرَّجل المشنوق. يسرُّني أن أراك تتحرَّك أيُّها السيْر. خشيتُ أني قتلتك. هلَّا أسديت إليَّ معروفًا وأرشدت مُرافقي في طبيعة التَّنانين؟ ويل، أعطِ السيْر دنكن العُملة».

لم يملك دنك خيارًا إلَّا أخذها. *لقد أسقطَني. أيجب أن يتَّخذني هُزأةً أيضًا؟* عابسًا، رفعَ العُملة في راحة يده وفحصَ كلا جانبيْها وذاقَها، ثم قال: «ذهب، ليس مكشوطًا أو مقصوصًا. الوزن يبدو سليمًا. كنتُ لآخذها أيضًا يا سِيدي. ما عيبها؟».

- «الملك».

أمعنَ دنك النَّظر. الوجه على العُملة شاب، حليق، وسيم. الملك إيْرس ملتح على عُملته، مثله مثل الملك المُسن إيْجوْن، أمَّا الملك ديْروْن الذي أتى بينهما فكان حليقًا، لكن هذا ليس هو. لا تبدو العُملة باليةً كفايةً لتكون من قبل عهد إيْجوْن غير الجدير. زرَّ دنك عينيْه رامقًا الكلمة تحت الرَّأس. خمسة حروف. تبدو مثلما رأى على التَّنانين الأخرى. الحروف تقول «ديْروْن»، إلَّا أنه يعرف وجه ديْروْن الصَّالح، وليس هذا هو. عندما أعادَ النَّظر لمحَ شيئًا غريبًا في شكل الحرف الثَّالث، فليس... اندفعَ يقول: «ديْموْن! تقول «ديْموْن». ولكن لم يُوجَد قَطُّ ملكٌ اسمه ديْموْن، باستثناء...».

- «... المدَّعي. ديْموْن بلاكفاير سكَّ لنفسه عُملةً في أثناء تمرُّده».

حاجَّه ويل: «لكنها ذهب. ما دامَت ذهبيَّةً فيُفترَض أنَّ قيمتها كتلك التَّنانين الأخرى يا سِيدي».

لطمَه الحلزون على جنب رأسه، وقال: «معتوه! أجل، إنها ذهب، ذهب متمرِّدين، ذهب خونة. خيانةٌ أن يحوز المرء عُملةً كهذه، وخيانةٌ مضاعفة أن يتداوَلها. عليَّ أن أصهرها»، وعادَ يضرب الرَّجل قائلًا: «غُر من وجهي. أنا وهذا الفارس الكريم عندنا أمورٌ نُناقِشها».

لم يُضيِّع ويل وقتًا في فراره من الخيمة، في حين قال السِّير أوثوْر لدنك بتهذيب: «تفضَّل بالجلوس. هل تشرب نبيذًا؟». هنا في خيمته يبدو أندرليف رجلًا مختلفًا عمَّا بدا في المأدبة.

حدَّث دنك نفسه متذكِّرًا: *الحلزون يختبئ في قوقعته.* «شُكرًا، لا». نقرَ العُملة الذَّهبيَّة معيدًا إيَّاها إلى السِّر أوثْور. *ذهب خونة، ذهب بلا كفاير. إج قال إنَّ هذه دورة مباريات للخونة، لكنني أبيتُ الإصغاء.* إنه مدينٌ للغُلام باعتذار.

أصرَّ أندرليف: «نصف كوب. يبدو من صوتك أنك محتاجٌ إليه»، وملأ كوبيْن بالنَّبيذ وناولَ دنك واحدًا. خارج درعه يبدو الرَّجل أقرب إلى تاجرٍ منه إلى فارس. «أفترضُ أنك أتيت بخصوص الغرامة».

ـ «أجل». أخذَ دنك النَّبيذ. قد يُساعِد على وقف الدَّقِّ في رأسه. «لقد أحضرتُ مطيَّتي، وأسلحتي ودرعي. خُذها مصحوبةً بتحيَّاتي».

ابتسمَ السِّر أوثْور قائلًا: «وعند هذه النُّقطة أقولُ لك إنك ركبت في المضمار بهمَّة».



تساءلَ دنك إن كانت «همَّة» طريقةً شهمةً لقول «خَرَق».

«لُطف منك أن تقول هذا، ولكن...

ـ «أظنُّك أسأت سمعي أيُّها السِّر. هل سأتجاوزُ حدودي إذا سألتك كيف نلت الفروسيَّة أيُّها السِّر؟».

ـ «السيْر آرلان ابن (شجرة البنسات) وجدَني في (سفح البراغيث) أطاردُ الخنازير. مُرافقه القديم قُتِلَ في (حقل العُشب الأحمر)، فلزمَه أحدٌ يعتني بمطيَّته ويُنظِّف زرده. وعدَ بتعليمي السَّيف والرُّمح وركوب الخيل إذا ذهبتُ معه لأخدمه، ففعلتُ».

ـ «حكايةٌ بديعة... ولكن لو أني في مكانك لتجاوزت جزئيَّة الخنازير. أخبِرني إذا سمحت، أين سيِّدك السيْر آرلان الآن؟».

ـ «ماتَ. دفنته بنفسي».

ـ «مفهوم. هل أخذته إلى دياره في (شجرة البنسات)؟».

ـ «لم أعرف مكانها». لم يرَ دنك قَطُّ قرية العجوز (شجرة البنسات)، ونادرًا ما تكلَّم السيْر آرلان عنها أكثر ممَّا تعوَّد دنك الكلام عن (سفح البراغيث). «لقد دفنته على جنب تلٍّ يُواجِه الغرب ليرى الشَّمس تغيب». صرَّ كُرسي المعسكرات بطريقةٍ مُقلقة تحت وزنه.

عادَ السيْر أوثور يجلس، وقال: «إنَّ عندي درعي، وحصانًا أفضل من حصانك. ماذا أريدُ من ركوبةِ عجوز مستنزَفة وجوالٍ من الصَّفائح المنبعجة والحلقات الصَّدئة؟».

ردَّ دنك بلمسةٍ من الغضب: «پيْت الفولاذي صنعَ تلك الدِّرع، وإج اعتنى بها خير عناية. لا تُوجَد بُقعةٌ واحدة من الصَّدأ على زردي، والفولاذ ممتاز وقوي».

تبـرَّم السـيْر أوثوْر: «قـويٌّ وثقيـل، وكبيـرٌ للغايـة عـلى أيِّ رجـلٍ مـنِ الحجـم العـادي. إنـك كبيـرٌ عـلى نحـوٍ خـارق للعـادة يـاَ دنكـنَ الطَّويـل. أمَّـا حصانـك فهـو أكبـر سنًّا مـن أن يُركَـب، ولحمـه أقـسى مـن أن يُـؤكَل».

ـ «ثنـدر لـم يَعُـد بشـبابه السَّـابق فـعلًا، ودرعي كبيـرة كمـا تقـول، ولكـن يُمكنـك بيعهـا. في (لانسپوْرت) و(كينجـز لانـدنج) حـدَّادون كُثـر سـيُخلِّصونك منهـا».

قـال السـيْر أوثوْر: «لقـاء عُشـر قيمتهـا ربَّمـا، ولتُصهَـر مـن أجـل المعـدن فحسـب. لا. إنَّ الفضَّـة الحُلـوة هي مـا أقتضيـه، لا الحديـد القديـم. عُملـة الـبلاد. والآن، هـل ترغـب في دفـع فديـة أسـلحتك أم لا؟».

دوَّر دنـك كـوب النَّبيـذ بيـنٍ يديْـه متجهِّمًـا. الكـوب مـن الفضَّـة الخالصـة، وحـول الفوَّهـة صـفٌّ مـن الحلزونـات الذَّهبيَّـة المنقوشـة. النَّبيـذ أيضًـا ذهبـيٌّ، ولـه مـذاقٌ مُسكر عـلى اللِّسـان. «لـو أنَّ المطالب تُلبَّـى بالتَّمـنِّي، أجـل، كنـتُ سـأدفعُ، وبسـرور، لكنـني...».

ـ «... لا تملك أيَّليْن اثنيْن ليتناطَحا بقرونهما».

ـ «إذا قبلـت... قبلـت أن تُعيـرني حصـاني ودرعي فيُمكنـني أن أدفع الفديـة لاحقًـا، حالمـا أجـدُ المبـلغ».

بـدا أنَّ الحلـزون اسـتطرفَ الطَّلـب، وقـال: «وأيـن سـتجده يـا تُـرى؟».

ـ «بإمكاني أن ألتحق بالخدمة عند لوْرد ما، أو...». تعسَّر عليه لفظ الكلام الذي أشعرَه أنه متسوِّل. «قد يستغرق الأمر بضع سنوات، لكنني سأدفعُ لك، أقسمُ على هذا».

ـ «بشرفك باعتبارك فارسًا؟».

احتقنَ وجه دنك، وقال: «يُمكنني أن أضع علامتي على رق».

دوَّر السيْر أوثوْر عينيْه في محجريْهما قائلًا: «شخبطة فارس جوَّال على قُصاصةٍ من الورق؟ تَصلُح لأن أمسح بها مؤخِّرتي ليس إلَّا».

ـ «أنت أيضًا فارسٌ جوَّال».

ـ «الآن تُهينني. إنني أركبُ حيثما شئتُ ولا أخدمُ أحدًا إلَّا نفسي، صحيح... لكن أعوامًا طويلةً مرَّت منذ نمتُ أسفل سياج. أجدُ الخانات أكثر راحةً بكثير. أنا فارس مباريات، غالبًا الأفضل بين مَن ستلتقيهم يومًا».

ـ «الأفضل؟». أحنقَ غروره دنك. «قد يُخالفك العاصفة الضَّاحكة الرَّأي أيُّها السيْر، وكذا ليوْ الشَّوكة الطَّويلة، وكذا غاشم براكن. في (مرج آشفرد) لم يتكلَّم أحد عن الحلزونات، فما السَّبب لو أنك بطل مباريات طبَّق صيته الآفاق؟».

ردَّ أندرليف: «هل سمعتني أسمِّي نفسي بطلًا؟ في ذلك الطَّريق تقع الشُّهرة، وأنا أوثرُ أن يُصيبني الجُدري. شُكرًا، ولكن لا. سأفوزُ في مُثاقفتي التَّالية، أجل، ولكن في النِّزال الأخير سأسقطُ. بَترول سيُقدِّم ثلاثين تنِّينًا للفارس صاحب المركز الثَّاني، وذلك يكفيني... بجانب بعض الفديات الكبيرة وأرباحي من

الرِّهانات»، وأشارَ إلى كومة الأيائل الفضَّة والتَّنانين الذَّهب على الطَّاولة متابعًا: «تبدو شخصًا صحيح البدن، وضخمًا. الحجم يُثير إعجاب الحمقى دائمًا مع أنه يعني قليلًا فأقلَّ في المُثاقفة. ويل تمكَّن من الحصول على أرجحيَّة ثلاثة إلى واحد ضدي. اللورد شاوني راهنَ بخمسة إلى واحد، الأحمق»، والتقطَ أيَّلًا فضِّيًّا وبدأ يُدوِّره بنقرةٍ من أصابعه الطَّويلة، وواصلَ: «الثَّور العجوز سيَسقُط في الجولة التَّالية، ثم فارس (صفصاف القِطط) إذا نجا حتى ذلك الحين. في ظلِّ المزاج السَّائد، يُفترَض أن أحصل على أرجحيَّةٍ لا بأس بها ضد الاثنيْن. العموم يحبُّون أبطال القُرى».

اندفعَ دنك يقول: «السيِر جلندُن في عروقه دم بطل».

ـ «أوه، آملُ هذا حقًّا. دماء الأبطال مناسبة لأرجحيَّة اثنيْن إلى واحد، أمَّا دماء العاهرات فأرجحيَّتها أزهد. السيِر جلندُن يتكلَّم عن والده المزعوم كلَّما وجدَ فُرصةً، ولكن هل لاحظت أنه لا يَذكُر أمَّه أبدًا؟ السَّبب وجيه. لقد ولدَته تابعة معسكرات. كان اسمها چني، چني أم پني كما دعوها حتى (حقل العُشب الأحمر). عشيَّة المعركة ضاجعَت من الرِّجال كثرةً جعلَتها تُعرَف منذ ذلك الحين بچني العُشب الأحمر. كُرة النَّار وطئَها قبل ذلك، لا شكَّ عندي، لكن مئة رجلٍ آخَر فعلوا المثل. صديقنا جلندُن يُغالي في افتراضاته على ما يبدو لي. إنَّ شعره ليس أحمر أصلًا».

ـ دم *بطل*. «يقول إنه فارس».

ـ «أوه، ذلك الجزء حقيقي. الولد وأخته نشآ في ماخورٍ اسمه

(صفصاف القِطط). بعد موت چني أُم پني رعَتهما العاهرات الأخريات وأوهَمن الصَّبي بحكاية اختلقَتها أمُّه عن كونه من صُلب كُرة النَّار. على مقربةٍ عاشَ مُرافق عجوز مدَّ الصَّبي بتدريبه المحدود مقابل المزر والفروج، ولكن لأنه مجرَّد مُرافق فلم يستطع إسباغ الفروسيَّة على النَّغل الصَّغير. على أنه قبلَ نصف عام تصادفَ أن زارَت مجموعة فُرسان الماخور، وحدثَ أنَّ رجلًا معيَّنًا اسمه السِيْر مؤرجن دنستيْبل استهوَته أخت السِيْر جلندُن وهو سكران. بالصُّدفة كانت الأخت لا تزال عذراء، ولم يملك دنستيْبل ثمن بكارتها، وهكذا عُقدَت صفقة. السِيْر مؤرجن أسبغَ على أخيها الفروسيَّة هناك في (صفصاف القِطط) أمام عشرين من الشُّهود، وبعدها أخذَته الأخت الصَّغيرة إلى الطَّابق العُلوي وتركَته يقطف زهرتها. وهي ذي الحكاية».

لأيِّ فارسٍ أن يُسبغ الفروسيَّة. وقت عمله مُرافقًا عند السِيْر آرلانَ، سمعَ دنك حكاياتٍ عن رجالٍ آخَرين اشتروا فروسيَّتهم بمعروفٍ أو بتهديدٍ أو بكيسٍ من العُملات الفضَّة، أمَّا ببكارة أختٍ فهذا ما لم يسمعه قَطُّ. سمعَ نفسه يقول: «تلك مجرَّد حكايةٍ، لا يُمكن أنها حقيقيَّة».

قال السِيْر أوثؤر: «لقد سمعتها من كِربي پم الذي يدَّعي أنه كان حاضرًا وشاهدًا على التَّنصيب»، وهزَّ كَتفيه وأردفَ: «ابن بطل، ابن عاهرة، أو كلاهما، حين يُواجِهني الصَّبي سيَسقُط».

ـ «قد تُعطيك القُرعة خصمًا آخَر».

قوَّس السِيْر أوثؤر حاجبه، وقال: «كوْزجروْڤ مغرم بالفضَّة

كغيره من الرِّجال. أعدُك بأن الثَّور العجوز سيقع من نصيبي في النِّزال التَّالي، ثم الصَّبي. أتودُّ أن تُراهِن؟».



ـ «لم يتبقَّ لي ما أراهنُ به».

لم يدرِ دنك ما كدَّره أكثر: معرفته بأن الحلزون يرشو قيِّم المباريات ليَحصُل على المزاوجات التي يرغب فيها، أم إدراكه أنَّ الرَّجل رغبَ فيه هو. قال وهو يقوم: «لقد قلتُ ما أتيتُ لأقوله. حصاني وسيفي ملكك، وكذا درعي كلُّها».

شبَّك الحلزون أصابعه قائلًا: «لعلَّ لدينا سبيلًا آخَر. أنت لست معدوم المواهب بالكامل. إنك تَسقُط بطريقةٍ في غاية الرَّوعة»، والتمعَت شفتا السِّير أوثور باللُّعاب عندما ابتسمَ مُكملًا: «سأعيرك جوادك ودرعك... إذا التحقت بخدمتي».

ـ «خدمتك؟». لم يفهم دنك. «أيُّ نوع من الخدمة؟ إنَّ لك مُرافقًا. أيلزمك أن تُزوِّد قلعةً ما بحاميةٍ؟».

ـ «ربَّما لو أنَّ عندي قلعةً. لأقول الحقَّ، إنني أفضِّلُ الخانات المريحة. صيانة القلاع باهظة التَّكاليف. لا، الخدمة التي سأطلبها منك هي أن تُواجِهني في مزيد من الدَّورات. عشرون تكفي في تقديري. بإمكانك ذلك بالتَّأكيد، صح؟ ستَحصُل على عُشر أرباحي، وأعدُ بأن أضربك في المستقبل على صدرك العريض هذا، وليس على رأسك».

- «تُريدني أن أتنقَّل معك لمجرَّد أن أسقط عن حصاني؟».

قهقهَ السِّير أوثِور ببشاشة قائلًا: «إنك عيِّنةٌ قويَّة ضخمة من الرِّجال، ولن يُصدِّق أحدٌ أبدًا أنَّ عجوزًا مستدير الكتفيْن يضع حلزونًا على تُرسه يقوى على غلبتك»، وفركَ ذقنه مواصلًا: «يلزمك عن نفسك شعارٌ جديد بالمناسبة. ذلك الرَّجل المشنوق مُقبض بما يكفي، أقرُّ بهذا، ولكن... إنه مشنوق شنقًا، أليس كذلك؟ ميت ومهزوم. مطلوبٌ شيء أشدُّ. رأس دُبّ ربَّما. جمجمة، أو ثلاث جماجم، أفضل وأفضل. رضيع مخوزَق على حربة. وعليك أن تَترُك شعرك يطول وتُطلق لحيتك، وأفضلُ كلَّما صارَت متشعِّبةً شعثاء. مثل هذه الدَّورات الصَّغيرة أكثر ممَّا تُدرِك. بالأرجحيَّة التي سأنالها سنكسب ما يكفي لشراء بيضة تنِّين قبل...».

ـ «... أنْ ينتشر خبر أني يائس؟ لقد خسرتُ درعي لا شرفي. ستأخذ ثندر وأسلحتي فحسب».

ـ «الكبرياء لا تليق بشحَّاذٍ أيُّها السِّير. ثمَّة أشياء يُمكنك أن تفعلها أسوأ كثيرًا من الرُّكوب معي. على الأقل بإمكاني أن أعلِّمك شيئًا أو اثنيْن عن المُثاقفة التي تجهلها في الوقت الحالي جهل الخنازير».

ـ «تُريد أن تُبديني كالحمقى».

ـ «لقد فعلتُ ذلك قبل قليل، والحمقى أنفُسهم يجب أن يأكلوا».

أرادَ دنك أن ينزع هذه الابتسامة عن وجهه بلكمة. «أرى سبب وضعك حلزونًا على تُرسك. إنك لست فارسًا حقًّا».

ردَّ السِير أوثور: «تقولها كساذج حقيقي. أأنت أعمى إلى درجة أنك لا ترى الخطر المحدق بك؟»، ووضعَ كوبه جانبًا سائلًا: «أتعرف لِمَ أصبتك حيث أصبتك أيُّها السِير؟». نهضَ الحلزون ولمسَ دنك بخفَّةٍ في وسط صدره مجيبًا: «كان حدُّ رُمح يضربك هنا سيرميك أرضًا بالسُّرعة ذاتها. الرَّأس هدفٌ أصغرَ، إصابة الضَّربة هدفها أصعب... ولو أنَّ قابليَّتها للقتل أرجح. لقد نُقِدتُ مالًا لأضربك هناك».

تراجعَ عنه دنك. «نُقِدت مالًا؟ ماذا تعني؟».

ـ «ستَّة تنانين مدفوعة مقدَّمًا، أربعة أخرى موعودة عند موتك. مبلغٌ زهيد مقابل حياة فارس. فلتمتنَّ لذلك. لو عُرِضَ أكثر فلربَّما غرستُ رأس رُمحي عبر فتحة الرُّؤية في خوذتك».

عادَ دنك يحسُّ بالدُّوار. *لماذا يدفع أحدهم مالًا لكي أُقتَل؟ إنني لم أوذِ أحدًا في (الجُدران البيضاء)*. مؤكَّد أنَّ أحدًا لا يبغضه إلى ذلك الحدِّ غير إيريون شقيق إج، لكن الأمير السَّاطع في المنفى وراء (البحر الضيِّق). «مَن دفعَ لك؟».

ـ «جلبَ الذَّهب خادمٌ عند الشُّروق، ليس بعد فترةٍ طويلة من تعليق قيِّم المباريات لائحة المزاوجات. كان وجهه مخفيًّا تحت قلنسوة، ولم يَذكُر اسم سيِّده».

ـ «لكن لماذا؟».

ـ «لم أسأل». أعادَ السِير أوثِر ملء الكوب قائلًا: «أظنُّ أنَّ لك أعداءً أكثر ممَّا تُدرك أيُّها السِير دنكن. وكيف لا؟ يُوجَد مَن يقولون إنك السَّبب في ويلاتنا جميعًا».

شعرَ دنك بيدٍ باردة تقبض على قلبه. «قُل ما تعنيه».

هزَّ الحلزون كتفيْه، وقال: «ربَّما لم أكن حاضرًا في (مرج آشفرد)، لكن المُثاقفات عيشي وملحي. إنني أتابعُ المباريات من بُعد مثلما يُتابِع الميسترات النُّجوم، وأعرفُ كيف أصبحَ فارسٌ جوَّال معيَّن سبب محاكمةٍ بالسَّبعة في (مرج آشفرد)، أفضَت إلى موت بيلور كاسِر الحراب على يد أخيه ميكار». جلسَ السِير أوثِر ومدَّ ساقيْه متابعًا: «الأمير بيلور كان محبوبًا حُبًّا جمًّا. الأمير السَّاطع كان له أصدقاء أيضًا، أصدقاء لن يزالوا يَذكُرون سبب نفيه. فكِر في عرضي أيُّها السِير. قد يُخلِّف الحلزون أثرًا من المُخاط، لكن قليلًا من المُخاط لا يضرُّ أحدًا... أمَّا إذا رقصت مع التَّنانين فعليك أن تتوقَّع أن تحترق».

***

بدا النَّهار أقتم حين خرجَ دنك من خيمة الحلزون؛ السُّحب في الشَّرق تعاظمَت وحلكَ لونها، والشَّمس تغوص نحو الغرب ملقيةً بظلالٍ طويلة على السَّاحة. وجدَ المُرافق ويل يفحص أقدام ثندر، فسألَه: «أين إج؟».

ـ «الغُلام الأصلع؟ وما أدراني؟ هربَ إلى مكانٍ ما».

قـرَّر دنـك في داخلـه: *لـم يُطِـق أن يُـودِّع ثـنـدر. سـيكون في الخيمـة معَ كتبه.* عـلى أنـه لـم يجـده هنـاك. الكتـب موجـودة، مربوطـة بعنايـةٍ في كومةٍ بجـوار لفَّـة نـوم إج، لكـن الـغُلام نفسـه لا أثـر لـه. شيء مـا عـلى غيـر مـا يُـرام هنـا، شيء شـعرَ بـه دنـك. ليـس مـن عـادة إج أن يسـرح دون إذنـه.

كان زوجـان أشـيبان مـن الرِّجـال المسلَّحين يشـربان بيـرة الشَّـعير خـارج سُـرادق مقلَّـم يَبعُـد بضعـة أقـدام، ويُهمهِـم أحدهمـا: «... طيِّـب، سُـحقًا لذلـك، مرَّة واحـدة تكفيـني. العُشـب كان أخضـر لمَّـا طلَعـت الشَّـمس، أجـل...». بتـرَ عبارتـه إذ لكـزَه الرَّجـل الآخَـر، وعندئـذٍ فقـط لحـظَ دنـك. «سيْر؟».

ـ «هل رأيتما مُرافقي؟ اسمه إج».

حـكَّ الرَّجـل الشَّـعر الشَّـائب الخشـن تحـت إحـدى أذنيْـه قـائلًا: «أذكـره. شـعرٌ أقـلُّ مـن شـعري، وفـمٌ أكبـر مـن حجمـه ثلاث مـرَّات. بعـض الفِتيـة الآخَريـن خشـنَ عليـه قلـيلًا، لكـن ذلـك حـدثَ البارحـة. لـم أرَه منـذ حينهـا أيُّهـا السـيْر».

قال رفيقه: «أخافوه».

رمـاه دنـك بنظـرةٍ قاسـية، وقـال: «إذا عـادَ فقـولا لـه أن ينتظـرني هنـا».

ـ «حاضر أيُّها السيْر، سنفعل ذلك».

ـ *لعلَّـه ذهـبَ ليُشـاهِد المُثاقفـات.* عـادَ دنـك يتَّجـه إلى أرض المجـاولات، وفيمـا مـرَّ بالإسـطبلات صـادفَ السـيْر جلنـدُن بوْل الـذي يُمشِّـط كـرَّارةً جميلـةً ذات لـونٍ أسـمر محمـر، فسـألَه: «هـل

رأيـت إج؟».

أجابَـه السـيْر جلنـدُن: «جـرى مـارًا مـن هنـا قبـل دقائـق قليلـة»، وأخـرجَ مـن كُمِّـه جـزرةً أطعمَهـا للكـرَّارة قـائلًا: «هـل تروقـك فـرسي الجديـدة؟ اللوْرد كوْسـتيْن أرسـلَ مُرافقـه ليـدفع فديتهـا، لكننـي قلـتُ لـه أن يدَّخـر ذهبـه. أنـوي الاحتفـاظ بهـا لنفـسي».

ـ «حضرته لن يحبَّ ذلك».

ـ «حضرتـه قـال إنـني لا أملـكُ الحـقَّ في وضعِ كُـرة نـارٍ عـلى تُـرسي، قـال لي إنَّ شـعاري ينبـغي أن يكـون أجمـةً مـن صفصـاف القِطـط. لحضرتـه أن يذهـب وينـكح نفسـه».

لـم يـسَع دنـك إلَّا أن يبتسـم. لقـد تعشَّى عـن نفسـه عـلى تلـك المائـدة عينهـا، وابتـلعَ رغـم أنفـه الأصنـاف المريـرة ذاتهـا الـتي قدَّمها أمثـال الأميـر السَّـاطع والسـيْر ستفوْن فوْسوْواي، وهـو مـا أشـعرَه بـأن بينـه وبيـن الفـارس الشَّـاب شـائك الطِّبـاع آصـرة قرابـةٍ معيَّنـة. *عـلى حـدِّ علـمي، ربَّمـا كانـت أمِّي عاهـرةً أيضًـا.* «كـم حصانًـا ربحـت؟».

هـزَّ السـيْر جلنـدُن كتفيْـه مجيبًـا: «لـم يَعُـد يُمكننـي العـدَّ. موْرتمـر بوْجـز مـا زالَ مدينًـا لي. يقـول إنـه يُفضِّـل أن يـأكل فرسـه عـلى أن يَترُكهـا لنغـل عاهـرةٍ ليركبهـا، كمـا أنـه أتلـفَ درعـه بمطرقـةٍ قبـل أن يُرسِلها إليَّ. إنهـا مليئـة بالثُّقـوب. بإمكاني أن أحصـل عـلى شيءٍ مقابـل المعـدن عـلى مـا أظـنُّ». حمـلَ صوتـه أكثـر مـن الغضـب حُزنًـا. «كان يُوجَـد إسـطبل عنـد الـ... عنـد الخـان الـذي رُبِّيـتُ فيـه. عملـتُ هنـاك في صِبـاي، واعتـدتُ متى اسـتطعتُ أن أتسـلَّل بالخيـول وأصحابهـا مشـغولون. لطالمـا برعـتُ في ركـوب الخيـل. خيـل رديئـة، خيـل شُـغل، رهوانـات، خيـل جرٍّ، خيـل حـرث، خيـل

حرب، ركبتها جميعًا، بل وجواد رمالٍ دوْرنيٍ أيضًا. عرفتُ رجلًا عجوزًا علَّمني كيف أصنعُ رماحي بنفسي. فكرتُ أنه إذا أريتهم جميعًا مبلغ مهارتي فلن يجدوا خيارًا إلَّا الاعتراف بأني ابن أبي. لكنهم لن يعترفوا. حتى الآن. يَرفُضون أن يعترفوا».

قال له دنك: «بعضهم لن يفعل أبدًا. لا يهمُّ ما تفعله. أمَّا بعض الآخَرين... ليس جميعهم سواءً. لقد قابلتُ بعض الصَّالحين»، وفكَّر لحظةً قبل أن يُردِف: «عندما تنتهي الدَّورة أنوي وإج أن نذهب شمالًا لنلتحق بالخدمة في (وينترفل) ونُقاتِل في سبيل آل ستارك ضد الحديديِّين. يُمكنك أن تأتي معنا». الشَّمال عالَمٌ مستقلٌّ بذاته كما قال السِّير آرلان دومًا. على الأرجح لن يعرف أحدٌ هناك بحكاية چني أُم پني وفارس (صفصاف القِطط). لا *أحد سيضحك منك هناك. سيعرفونك بسيفك فقط ويُقدِّرونك وفق جدارتك.*

حدجَه السِّير جلندُن بنظرةٍ مرتابة سائلًا: «ولِمَ أريدُ أن أفعل ذلك؟ أتقول لي إنَّ عليَّ أن أهرب وأختبئ؟».

- «لا. خطرَ لي فقط... سيفان بدلًا من واحد. الطُّرق ليست آمنةً كما كانت».

قال الفتى على مضض: «صحيحٌ بما فيه الكفاية، لكن أبي وُعِدَ يومًا بموضعٍ بين الحرس الملكي، وأنوي أن أظفر بالمعطف الأبيض الذي لمْ ينَل فُرصة ارتدائه قطّ».

أوشكَ دنك أن يقول: *فُرصتك في ارتداء معطف أبيض تُساوي فُرصتي. إنك وليد تابعة معسكرات، وأنا زحفتُ خارجًا من حواري (سفح البراغيث). الملوك لا يُغدِقون بالتَّكريم على*

أشـباهك وأشـباهي. عـلى أنَّ الفـتى مـا كان ليتقبَّـل تلـك الحقيقـة برحابـة صـدر، ولـذا قـال دنـك بـدلًا مـن ذلـك: «القـوَّة لذراعـك إذًا».

لـم يكـد يبتعـد إلَّا أقدامًـا قليلـةً حـتى نـاداه السـير جلنـدُن: «سـير دنكـن، انتظِـر. لـم... لـم يجـب أن أتحـدَّث بهـذه الحـدَّة. عـلى الفـارس أن يتحـلَّى بالكياسـة كمـا تعـوَّدت أمِّي أن تقـول». بـدا أنَّ الفـتى يُكافـح ليجـد الكلام. «اللـورد پيـك أتى ليـراني بعـد مُثاقفـتي الأخيـرة. لقـد عـرضَ عـليَّ مكانًـا في (سـتارپايك). قـال إنَّ في الطَّريـق عاصفـةً لـم تشـهد (وسـتروس) مثيلتهـا منـذ جيـلٍ كامـل، إنـه سيحتاج إلى سـيوفٍ ورجـالٍ يحملونهـا، رجـالٍ أوفيـاءٍ يعرفـون كيـف يُطيعـون الأوامـر».

استعصى عـلى دنـك تصديـق ذلـك. جـورمون پيـك جاهـرَ باحتقـاره الفُرسـان الجوَّالـة، عـلى الطَّريـق وعـلى السَّـطح، إلَّا أنَّ العـرض سـخيٌّ. بحـذرٍ قـال: «پيـك لـورد كبيـر، لكنـه... لكنـه ليـس رجلًا يُمكنـني الثِّقـةَ بـه عـلى مـا أظـنُّ».

تـورَّد وجـه الفـتى، وقـال: «نعـم. لقـد طلـبَ ثمنًـا. سيضمُّني إلى خدمتـه، قـال... ولكـن عـليَّ أوَّلًا أن أثبـت إخلاصي. سـيحرص أن أواجـه صديقـه الكمنـجي في النِّـزال التَّـالي، وأرادَني أن أقسـم أن أنهـزِم».

صدَّقه دنـك عالمًـا أنَّ المفتـرَض أن يصدمـه هـذا، غيـر أنـه بطريقـةٍ مـا لـم يُصـدَم. «مـاذا قلـت؟».

ـ «قلـتُ إنـني قـد لا أتمكَّـنُ مـن الانهـزام أمـام الكمنـجي ولـو حاولـتُ، إنـني أسـقطتُ بالفعـل رجـالًا أبـرع منـه مـرارًا، إنَّ بيضـة

التنِّيـن سـتكون لي قبـل ختـام اليـوم»، وابتسمَ بوْل بخفـوتٍ مُردفًـا: «ليسـت الإجابـة الـتي أرادَهـا. نعتَـني بالحماقـة حينهـا، وقـال إنـه خيـرٌ لي أن أتـوخَّى الحـذر. للكمنـجي أصدقـاء كُثـر كمـا قـال، وأنـا بلا أصدقـاء».

وضعَ دنـك يـدًا عـلى كتفـه واعتصرَهـا قـائلًا: «بـل لـك صديـقٌ أيُّهـا السـيْر. اثنـان بمجـرَّد أن أعثـر عـلى إج».

نظرَ إليـه الفتى في عينـه مومئًـا برأسه، وقـال: «يسرُّني أن أعـرف أنـه مـا زالَ في العالـم فُرسـان حقيقيُّـون».

***

ألـقى دنـك بنظرتـه الأولى مـن كثـبٍ عـلى السـيْر توْمـارد هِـدِل وهـو يُفتِّـش عـن إج في الزِّحـام حـول مضمـار النِّـزال. ابـن الـلوْرد بَتَـروِل الصِّهـر متيـن البنيـة عريـض الصَّـدر كالبرميـل، ويرتـدي صفـائح سـوداء فـوق الجلـد المغـلي، ويعتمـر خـوذةً منمَّقـةً مشكَّلةً لتُحـاكي شيطانًا مـا حرشـفيًّا سـائل اللُّعـاب. حصانـه أطـول مـن ثنـدر بثلاثـة أشـبار وأثقـل منـه بحجريْـن، حيـوانٌ وحـش مـدرَّع بحلقـات المعـدن، لكـن وزن كلِّ هـذا الحديـد أبطـأه، فلـم يتعدَّ هِـدِل الخبـب وقـت انطلاقـه في المضمـار، غيـر أنَّ ذلـك لـم يُعِقـه عـن التَّغلُّـب سـريعًا عـلى السـيْر كلارنـس تشـارلتن، وفيمـا حُمِـلَ تشـارلتن مـن المضمـار عـلى محفَّـة، خلـعَ هِـدِل خوذتـه الشَّـيطانيَّة. رأسـه عريـض أصـلع، ولحيتـه سـوداء ومربَّعـة، وعـلى خـدِّه ورقبتـه تتقيَّـح دمامـل

حمـراء غاضبـة.

يعـرف دنـك هـذا الوجـه. إنـه الفـارس الـذي زمجـرَ فيـه في غُرفـة النَّـوم عندمـا لمـسَ بيضـة التِّنِّيـن، الرَّجـل صاحـب الصَّـوت العميـق الـذي سـمعَه يتكلَّـم مع اللوْرد پيـك.

انـدفعَ خليـطٌ مـن الكلمـات إلى ذاكرتـه... *مأدبة الشحَّاذين التي فرشتها أمامنـا... هـل الفتى ابـن أبيـه... الفولاذ الأليـم... يحتـاج إلى السَّيف... صاحـب الدَّم اللَّبني العجـوز يتـوقَّع... هـل الفتى ابـن أبيه... أؤكِّـدُ لك أنَّ غُـداف الـدَّم ليس مستغرقًا في الأحلام... هـل الفتى ابـن أبيـه؟*

حـدَّق إلى مدرَّجـات المشـاهدة متسـائلًا هـل وجـدَ إج وسـيلةً مـا ليأخـذ موضعـه المسـتحَقَّ بيـن الأعيـان، لكنـه لـم يـرَ أثـرًا للغُلام. بَتـروِل وفـراي أيضًـا غائبـان، مع أنَّ زوجـة بَتـروِل لا تـزال عـلى مقعدهـا، يبـدو عليهـا الملـل والتَّملمُـل. فكَّـر دنـك: *غريبٌ هـنا*. هـذه قلعـة بَتـروِل، وهـذا زفافـه، وفـراي أبـو العـروس. هـذه المُثاقفـات عـلى شـرفهما، فأيـن عسـاهما ذهبـا؟

جهـورَ الحاجـب: «السـيْر أوثـوْر أندرليـف. السـيْر ثـيوْموْر سـليل عائلـة بولـوَر، الثَّـور العجـوز، مـن فُرسـان (التَّـاج الأسـود). تقدَّمـا وأثبِتـا بسـالتكما».

بـدا منظـر الثَّـور العجـوز مخيفًـا بدرعـه الحمـراء القانيـة وخوذتـه الـتي يرتـفع منهـا قرنـا ثـورٍ أسـودان، ولـو أنـه احتـاجَ إلى مسـاعدة مُرافـق مفتـول العـضلات ليسـتطيع ركـوب حصانـه، والطَّريقـة الـتي ظـلَّ رأسـه يتلفَّـت بهـا أوحَـت بـأن السـيْر مِاينـارد أصـابَ في قولـه عـن عينـه، ومع ذلـك تلقَّى الرَّجـل هتافًـا حماسـيًّا إذ دخـلَ المضمار.

أمَّـا الحلـزون فلا، وهـو مـا فضَّلـه لا ريـب. في الجولـة الأولى ضـربَ كلا الفارسيْن ضربـةً عابـرةً، وفي الثَّانيـة كسـرَ الثَّـور العجـوز رُمحـه عـلى تُـرس السـيْر أوثْور، فيمـا أخطـأت ضربـة الحلـزون هدفهـا بالكامـل. الـشَّيء نفسـه حـدثَ في الجولـة الثَّالثـة، وهـذه المـرَّة تمايـلَ السـيْر أوثْور كأنـه عـلى شـفا السُّـقوط. أدركَ دنـك: *إنـه يتصنَّـع، يُماطِـل لتطول المسابقة لكي تتضاعَـف الأرجحيَّـة في المـرَّة التَّاليـة.* لـم يكـن عليـه إلَّا أن يُلقي نظـرةً سـريعةً حوله ليـرى ويـل منهـمكًا في العمـل، يجـمع الرِّهانـات مـن أجـل سـيِّده. عندهـا فقـط خطـرَ لـه أنـه كان بإمكانـه أن يُضيـف عُملـةً أو اثنتيْـن إلى كيـس نقـوده بالرِّهـان عـلى الحلـزون. *دنـك الأنـوَك، غليـظ العقـل كسـور قلعـة.*

سـقطَ الثَّـور العجـوز في الجولـة الخامسـة، أطيـحَ بـه جانِبًـا بـرأس رُمح انزلـقَ بحـذقٍ عـن تُرسـه ليُصيبـه في صـدره. اشـتبكت قدمـه بركابـه إذ سـقطَ، وجرَّه حصانـه أربعيـن يـاردةً عبـر المضمـار قبـل أنَ يتمكّـن رجـال بولـوَر مـن كبـح جماحـه. ومـرَّةً أخـرى خرجَـت المحفَّـة لتحملـه إلى المِيسـتر. بـدأت قطـرات قليلـة مـن المطـر تَسـقُط فيمـا حُمِـلَ بولـوَر، جاعلـةً البقـاع الـتي سـقطَت عليهـا في معطفـه أغمـق. شـاهدَ دنـك بلا تعبيـر وهـو يُفكِـر في إج. *مـاذا إذا وضعَ عـدوِّي السـرِّي هـذا يـده عليـه؟* الاحتمـال معقـولٌ كأيِّ احتمالٍ آخَـر. *الـغُلام ليـس ملومًـا. لـو أنَّ عنـد أحدهـم خلافًـا معـي فيجـب ألَّا يتحمَّـل هـو عاقبتـه.*

***

وجدَ دنك السِّر جوْن الكمنجي وهو يُسلَّح للنِّزال التَّالي، يخدمه مُرافقون لا يقلُّ عددهم عن ثلاثة، يربطون أحزمة درعه ويعتنون بكسوة حصانه، فيما يجلس اللوْرد آلِن كوْكشوْ على مقربةٍ يشرب نبيذًا مخفَّفًا بالماء ويبدو مرضوضًا شكسًا. عندما أبصرَ دنك تكلَّم اللوْرد آلِن بسرعةٍ غاضبة ريَّلت النَّبيذ على صدره: «كيف يُمكن أنك ما زلت تمشي؟ الحلزون هشَّم وجهك».

- «پيْت الفولاذي صنعَ لي خوذةً قويَّةً ممتازةً يا سِيدي، ورأسي صُلب كالحجر كما اعتادَ السِّر آرلان القول».

ضحكَ الكمنجي قائلًا: «لا تُعِر آلِن اهتمامًا. نغل كُرة النَّار أسقطَه من فوق حصانه على عجيزته الممتلئة، وهكذا قرَّر أنه يكره الفُرسان الجوَّالة كافَّةً».

أصرَّ آلِن كوْكشوْ: «ذلك المخلوق التَّعس المبثَّر ليس ابنًا لكونتِن بوْل. لم يجب إطلاقًا أن يُسمَح له بالمنافسة. لو أنَّ هذا زفافي لأمرت بجَلده لقاء اجترائه».

قال السِّر جوْن: «وأيُّ فتاةٍ يُمكن أن تتزوَّجك؟ واجتراء بوْل أقلُّ إزعاجًا بكثير من عبوسك. سِر دنكن، أيتصادَف أنك صديقٌ لجالتري الأخضر؟ عليَّ بعد قليلٍ أن أفرِّق بينه وبين حصانه».

لم يشكَّ دنك في هذا. «لا أعرفُ الرَّجل يا سِيدي».

- «هل تتناوَل كوبًا من النَّبيذ؟ قليلًا من الخُبز والزَّيتون؟».

- «أريدُ كلمةً فقط يا سِيدي».

قال الكمنجي: «لك كلَّ الكلمات التي ترغب فيها. فلننتقل

إلى سُرادقي»، ورفعَ له السَّديلة مضيفًا: «ليس أنت يا آلِن. عليك أن تُقلِّل من أكل الزَّيتون إذا أردت الحقَّ».

في الدَّاخل التفتَ الكمنجي إلى دنك، وقال: «كنتُ أعلمُ أنَّ السيْر أوثوْر لم يَقتُلك. أحلامي لا تُخطئ أبدًا. وعلى الحلزون أن يُواجِهني قريبًا. بمجرَّد إسقاطه سأطالبُ باستعادة أسلحتك ودرعك، وبِرذونك أيضًا، مع أنك تستحقُّ مطيَّةً أفضل. هلَّا أخذت واحدًا هديَّةً مني؟».

ـ «أنا... لا... لا يُمكنني ذلك». أزعجَت الفكرة دنك. «لا أقصدُ أن أكون جاحدًا، ولكن...».

ردَّ السيْر چوْن: «لو أنَّ الدَّين ما يُقلِقك فاطرد تلك الفكرة من ذهنك. لستُ محتاجًا إلى فضَّتك أيُّها السيْر، بل إلى صداقتك فحسب. كيف يُمكنك أن تُصبِح واحدًا من فُرساني بلا حصان؟»، ووضعَ قُفَّازيه المصنوعيْن من الفولاذ المشبَّك وثنى أصابعه وبسطَها.

ـ «مُرافقي مفقود».

ـ «هربَ مع فتاةٍ ربَّما؟».

ـ «إج صغيرٌ جدًّا على الفتيات يا سِيدي. لا يُمكن أبدًا أن يَترُكني بإرادته. حتى إن كنتُ أموتُ فسيبقى حتى تَبرُد جثَّتي. ما زال حصانه هنا، وكذلك بغلنا».

ـ «إذا أردت، أستطيعُ أن أطلب من رجالي البحث عنه».

ـ رجالي. لم يَرُق دنك وقع الكلمة. *دورة مباريات للخونة.* «لستَ فارسًا جوَّالًا».

- «نعم». امتلأت ابتسامة الكمنجي بالجاذبيَّة الصِّبيانيَّة. «لكنك عرفت ذلك من البداية. إنك تدعوني بـ«سِيدي» منذ التقينا على الطَّريق، فلِمَ؟».

- «الطَّريقة التي تتكلَّم بها. الطَّريقة التي تبدو بها. الطَّريقة التي تتصرَّف بها». *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة.* «فوق السَّطح ليلة أمس قلتَ أشياء...».

- «النَّبيذ يجعلني أكثرُ من الكلام، لكنني عنيتُ كلَّ كلمة. إنَّ مكاننا معًا أنت وأنا. أحلامي لا تكذب».

ردَّ دنك: «أحلامك لا تكذب، لكنك تكذب. چوْن ليس اسمك الحقيقي، صح؟».

- «بلى». تلألأت في عينَي الكمنجي العفرتة.

- *إنَّ له عينَي إج.*

- «اسمه الحقيقي سيُكشَف في القريب العاجل لمَن تلزمهم المعرفة». كان اللوْرد جوْرموْن پيك قد انسلَّ إلى داخل السُّرادق مقطِّبًا. «أيُّها الفارس الجوَّال، إنني أحذِّرك...».

قاطعَه الكمنجي: «أوْه، كفاك يا جوْرمي. السيْر دنكن معنا، أوْ إنه سيُصبِح كذلك قريبًا. كما أخبرتك، لقد حلمتُ به». في الخارج دوَّى بوق الحاجب، فقال الكمنجي: «إنهم يستدعونني إلى المضمار. أرجو أن تَعذُرني أيُّها السيْر دنكن. يُمكننا استئناف حديثنا بعدما أتخلَّصُ من السيْر جالتري الأخضر».

قال دنك: «القوَّة لذراعك». من الكياسة أن يقول هذا.

مكثَ اللورد جورمون بعد ذهاب السِير چون، وقال: «أحلامه ستجلب علينا الموت جميعًا».



سمعَ دنك نفسه يسأل: «كم كلَّف شراء السِير جالتري؟ هل كفَت الفضَّة أم إن الذَّهب ما يلزمه؟».

علَّق پيك: «أحدهم ثرثرَ لك حسبما أرى»، وأجلسَ نفسه على كُرسي معسكراتٍ قائلًا: «إنَّ معي دستةً من الرِّجال في الخارج. حريٌّ بي أن أناديهم وآمرهم بنحرك أيُّها السِير».

ـ «ولِمَ لا تفعل؟».

ـ «صاحب الجلالة لن يرضى عن ذلك».

ـ *صاحب الجلالة*. شعرَ دنك كأنَّما لُكِمَ في بطنه، وفكر: *تِنِّينٌ أسود آخَر. تمرُّد بلاكفاير آخَر. وقريبًا حقل عُشب أحمر آخَر. العُشب لم يكن أحمر عندما طلعَت الشَّمس.* «لماذا هذا

الزِّفـاف؟».

ـ «الـلوْرد بَتَـرول أرادَ زوجـةً شـابَّةً جديـدةً لتُـدفِّئ فِراشـه، والـلوْرد فـراي عنـده ابنـةٌ ملوَّثـة نوعًـا. قرانهمـا زوَّد بعـض اللوْردات مشـترَكي الميـول بحُجَّـةٍ مقبولـة للاجتمـاع. معظـم المدعوِّيـن هنـا قاتـلَ في سـبيل التنِّيـن الأسـود ذات يـوم، والبقيَّـة عندهـم أسـباب للسُّـخط على حُكـم غُـداف الـدَّم، أو يكنُّـون شكاوى أو طموحـاتٍ تخصُّهـم. كثيـرون منـا أُخِـذَ منهـم أبنـاء وبنـات إلى (كينجـز لانـدنج) لضمـان ولائنـا مستقبلًا، لكـن أغلـب الرَّهائـن قـضى خلال الوبـاء الرَّبيـعي العظيـم. أيادينـا لـم تَعُـد مقيَّـدةً. لقـد حـانَ وقتنـا. إيْـرس ضعيـف، رجـلٌ محـبٌّ للكُتـب وليـس بمُحـارب. العمـوم بـالكاد يعرفونـه، ومـا يعرفونـه لا يُعجِبهـم، ومحبَّتـه عنـد لوْرداتـه أقـلُّ. أبـوه أيضًـا كان ضعيفًـا، صحيـحٌ هـذا، ولكـن عندمـا هُـدِّدَ عرشـه كان عنـده ابنـان ينـزلان إلى ميـدان القتـال نيابـةً عنـه. بيْلوْر وميْكار، المطرقـة والسَّندان... غيـر أنَّ بيْلوْر كاسِـر الحـراب راحَ، والأميـر ميْكار يقبـع واجمًـا في (بهـو الصَّيـف)، في خصـامٍ مع الملـك ويـده».

فكَّـر دنـك: *أجـل، والآن سـلَّم فـارسٌ جـوَّال أحمـق ابنـه المفضَّـل إلى أيـدي أعدائـه. هـل مـن وسـيلةٍ أفضـل تكفـل ألَّا يتحـرَّك الأميـر مـن (بهـو الصَّيـف) أبـدًا؟* قـال: «غُـداف الـدَّم موجـود. إنـه ليـس ضعيفًـا».

قـال الـلوْرد بيـك: «نعم، لكـن أحـدًا لا يحـبُّ المشـعوذين، وقتَلـة الأقربيـن ملعونـون في أنظـار الآلهـة والبشـر. عنـد أوَّل بـادرة ضعـفٍ أو هزيمـة سـيذوب رجـال غُـداف الـدَّم كثلـوج الصَّيـف. وإذا تحقَّـقَ الحُلـم الـذي حلمَـه الأميـر وظهـرَ تنِّيـنٌ حيٌّ هـا هنـا في (الجُـدران

البيضاء)...».

أتمَّ دنك جُملته: «... فالعرش لك».

قال اللوْرد جوْرموْن پيك: «له. ما أنا إلَّا خادم متواضع»، وقامَ مُتبعًا: «لا تُحاوِل مغادرة القلعة أيُّها السيْر. إذا حاولت فسأعدُّه دليلًا على الغدر، وستدفع الثَّمن بحياتك. لقد قطعنا شوطًا أطول من أن نعود أدراجنا».

***

فيما بصقَت السَّماء الرَّصاصيَّة مطرًا مدرارًا، التقطَ چوْن الكمنجي والسيْر جالتري الأخضر رُمحيْن جديديْن عند طرفَي المضمار المتقابليْن، وقد أخذَ بعض ضيوف الزِّفاف يتدفَّق نحو القاعة الكُبرى منحنيًا تحت المعاطف.

يمتطي السيْر جالتري فحلًا أبيض، وتُزيِّن ريشةٌ خضراء مرتخية خوذته وواحدةٌ مماثلة واقي عُنق حصانه. معطفه مرقَّعٌ من مربَّعاتِ قُماشٍ متعدِّدة، لكلٍّ منها درجةٌ مختلفة من الأخضر، وتَبرُق كلسته وقُفَّازه برصائع من الذَّهب، وبِعرض تُرسه تسع نجماتٍ بخُضرة اليشم على خلفيَّةٍ بخُضرة الكرَّاث. حتى لحيته مصبوغةٌ بالأخضر على نهج رجال (تايروْش) وراء (البحر الضيِّق).

تسع مرَّاتٍ كرَّ هو والكمنجي برماح مسدَّدة، فارس الرُّقع الخضراء واللوْرد الشَّاب صاحب السُّيوف والكمنجات الذَّهبيَّة،

وتسع مرَّاتٍ تحطَّمت رماحهما. بحلول الجولة الثَّامنة كانت الأرض قد بدأت تطرى، فخاضَ البِرذونان الكبيران في بِرك من ماء المطر، وفي التَّاسعة كادَ الكمنجي يَسقُط، لكنه استعادَ توازُنه قبل أن يَحدُث ذلك، ونادى ضاحكا: «أحسنتَ الضَّربة. كدتَ تُرديني أيُّها السِير».

صاحَ الفارس الأخضر عبر المطر: «في القريب العاجل».

ـ «لا، لا أظنُّ». رمى الكمنجي رُمحه المتشظِّي، وناولَه مُرافق واحدًا جديدًا.

كانت جولتهما التَّالية الأخيرة. احتكَّ رُمح السِير جالتري بلا تأثير بتُرس الكمنجي، فيما أصابَ السِير چون الفارس الأخضر في منتصف صدره مباشرةً وطرحَه من فوق سرجه ليحطَّ أرضًا في فوضى بنِّيَّة عارمة. في الشَّرق رأى دنك وميض برقٍ بعيد.

بدأت منصَّات المشاهدة تَشغُر سريعًا إذ هرعَ العوام واللوردات على حدِّ سواءٍ ليحتموا من البللِ. «انظُر كيف يَركُضون». غمغمَ آلِن كوكشو بالتَّعليق وهو ينسلُّ ليقف بجوار دنك. «قطرات قليلة من المطر ويذهب اللوردات العظام جميعًا مصوِّتين طلبًا للمأوى. ماذا سيفعلون حينما تثور العاصفة الحقيقيَّة يا تُرى؟».

ـ *العاصفة الحقيقيَّة*. علمَ دنك أنَّ اللورد آلِن لا يتكلَّم عن الطَّقس. *ماذا يُريد هذا الرَّجل؟ هل قرَّر فجأةً أن يُصادِقني؟*

من جديدٍ اعتلى الحاجب المنصَّة، وصاحَ فيما هزمَ الرَّعد من بعيد: «السِير تومارد هِدِل، من فُرسان (الجُدران البيضاء)، في خدمة اللورد بَترِول. السِير أوثور أندرليف. تقدَّما وأثبِتا

بسالتكما».

ألقى دنك بنظرةٍ نحو السير أوثور في الوقت المناسب ليرى ابتسامة الحلزون تستحيل عبوسًا. *ليس النَّزال الذي دفعَ ليخوضه.* قيِّم المباريات خدعَه، ولكن لِمَ؟ *شخصٌ آخرٍ تدخَّل، شخصٌ يُقدِّره كوزجروق أكثر من أوثور أندرليف.* تفكَّر دنك في الأمر قليلًا، ودُفعةً واحدةً أدركَ: *إنهم يجهلون أنَّ أوثور* **لا** *ينوي الفوز، يرونه تهديدًا، ولذا يستهدفون أن يُزيحه توم الأسود من طريق الكمنجي.* هِدِل نفسه جزء من مؤامرة پيك، ويُمكن الاعتماد عليه في الخسارة عندما تدعو الحاجة. هكذا لا يتبقَّى إلَّا...

وإذا باللورد پيك نفسه يقتحم المضمار الموحل ليتسلَّق السَّلالم إلى منصَّة الحاجب ومعطفه يُرفرف وراءه، ويصيح: «خيانة! لغُداف الدَّم جاسوس بيننا. بيضة التنِّين سُرقَت!».



دارَ السير چون الكمنجي بمطيَّته قائلًا: «بيضتي؟ كيف يُمكن ذلك؟ اللورد بَترِول يضع حرسًا خارج غُرفة نومه ليلًا ونهارًا».

أعلنَ اللورد پيك: «قُتِلوا، لكن رجلًا منهم ذكرَ اسم قاتِله قبل أن يموت».

تساءلَ دنك: *أينوي أن يتَّهمني؟* لقد رأته دستةٌ من الرِّجال يلمس بيضة التِّنين البارحة عندما حملَ الليْدي بَتَروِل إلى سرير السيِّد زوجها.

طعنَت إصبع اللوْرد جوْرموْن الهواء اتِّهامًا إذ قال: «ها هو ذا. ابن العاهرة. اقبضوا عليه».

عند طرف المضمار القصيّ نظرَ السيْر جلندُن بوْل بارتباك. للحظةٍ لم يبدُ أنه يفهم ما يَحدُث، إلى أن رأى الرِّجال يندفعون نحوه من كلِّ اتِّجاه. ثم تحرَّك الفتى بسرعةٍ جاوزَت قُدرة دنك على التَّصديق، فأخرجَ نصف سيفه من غِمده فيما طوَّق الرَّجل الأوَّل حلقه بذراعه، وانتزعَ بوْل نفسه من قبضته، ولكن عندئذ انقضَّ عليه اثنان آخَران فارتطَما به وجرَّاه إلى الوحل، واحتشدَ حوله رجالٌ غيرهم يزعقون فيه ويَركُلونه. فكر دنك مدركًا: *كان يُمكن أن يكون هذا أنا*، وقد شعرَ بالعجز الذي تملَّكه في (مرج آشفرد) يوم أخبَروه بوجوب فقدانه يدًا وقدمًا.

سحبَه آلن كوْكشوْ إلى الخلف قائلًا: «لا تتدخَّل إذا أردت العثور على مُرافقك ذاك».

التفتَ إليه دنك بحركةٍ حادَّة ليسأله: «ماذا تعني؟».

- «قد أعرفُ أين تجد الغُلام».

- «أين؟». ليس دنك في مزاجٍ للألعاب.

عند طرف المضمار القصيِّ شُدَّ السيْر جلندُن بخشونةٍ ليقف مجدَّدًا، وكُبِّلَ بين رجليْن مسلَّحيْن يرتدي كلاهما زردًا ويعتمر خوذةً قصيرةً. اصطبغَ الفتى بالبنِّي من الخصر إلى الكاحليْن،

وانهمرَ الدَّم والمطر على وجنته. *دمُ بطل*. قالها دنك لنفسه فيما ترجَّل توْم الأسود أمام الأسير وسأله: «أين البيضة؟».

قطرَ الدَّم من فم بوْل. «لِمَ أسرقُ البيضة؟ لقد كنتُ على وشك الفوز بها».

فكَّر دنك: *أجل، وذلك شيء ما كان يُمكن أن يسمحوا به.*

ضربَ توْم الأسود بوْل على وجهه بقبضةٍ مغلَّفة بحلقات المعدن، وقال اللوْرد پيك آمرًا: «فتِّشوا خِراج سرجه. سنجد بيضة التنِّين ملفوفةً مخبَّأةً، أراهنُ».

خفضَ اللوْرد آلِن صوته قائلًا: «وسيجدونها. تعالَ معي إذا أردت العثور على مُرافقك. لا وقت أنسب من الآن وكلُّهم مشغول»، ولم ينتظر جوابًا.

تبعَه دنك مضطرًّا، وحاذَته ثلاث خُطواتٍ طويلة واسعة باللوْرد الصَّغير. «إذا آذيت إج بأيِّ شكل...».

- «الغِلمان ليسوا ذوقي. من هنا. خِفَّ خُطاك».

عبر رُواقٍ مقنطر، ونزولًا على درجاتٍ موحلة، وحول زاوية، تبعَه دنك خائضًا في بِرك الماء فيما يَسقُط المطر حولهما. لزما الحركة قُرب الجُدران ملتحفيْن بالظِّلال، ليتوقَّفا أخيرًا في فِناءٍ مغلق، أرضه المرصوفة بالحجارة ملساء زلقة. المباني هناك متراصَّةٌ على كلِّ جانب، وبالأعلى نوافذ مغلقة مسدلة السَّتائر، وفي منتصف الفِناء بئرٌ محوَّطة بسورٍ حجريٍّ واطئ.

فكَّر دنك: *بُقعة منعزلة*. لم يُعجِبه إحساسه بالمكان، وحثَّته الغريزة القديمة على مدِّ يده إلى مقبض سيفه قبل أن يتذكَّر أنَّ

الحلـزون فـازَ بسـيفه، وبينمـا تحسَّـس وركـه حيـث يُفترَض أن يُعلِّق غِمده، أحسَّ برأس سكِّينٍ يخزه في أسفل ظهره. «دُر لتُهاجِمني وسأستأصلُ كُليتك وأعطيها لطبَّاخ بَتَروِل ليُحمِّرها من أجل المأدبة».

انغرسَ السكِّين في ظهر جركينة دنك بإصرار.

«إلى البئر. لا حركات مباغتة أيُّها السِير».

– *إذا رمى إج في هذه البئر فسيحتاج إلى ما هو أكثر من سكِّينِ لُعبة صغير ليُنقِذ* نفسه. تقدَّم دنك بتؤدةٍ شاعرًا بالغضب يتنامى في بطنه.

اختفى النَّصل الملتصق بظهـره، وقـال كوكـشو: «لـك أن تلتفـت وتُواجِهـني الآن أيُّهـا

الفـارس الجـوَّال».

فالتفتَ دنك. «سِيدي. ألهذا صلةٌ ببيضة التنِّين؟».

أجـابَ السيْر آلِـن: «لا، بـل لـه صلـةٌ بالتنِّيـن. أظننتـني سـأقفُ بلا حـراكٍ وأدعـك تسـرقه؟»، وتجهَّـم مُردفًـا: «لقـد وجـبَ أن أكـون أعقـل مـنِ أن آتمِـن ذلـك الحلـزون البائـس عـلى قتلـك. سأسـتردُّ ذهبـي، كلَّ قطعـةٍ منـه».

ـ هو؟ *هذا اللوُرد الصَّغير المعطَّر الممتلئ ذو الوجه الممتقع هو عدوِّي السرِّي*؟ لم يعرف دنك هل يضحك أم يبكي.



«السيْر أوثوْر استحقَّ ذهبه. كلُّ ما في الأمر أنَّ لي رأسًا صُلبًا».

ـ «على ما يبدو. تراجع».

فأخذَ دنك خُطوةً إلى الوراء.

ـ «ثانيةً، ثانيةً، مرَّةً أخرى».

خُطـوة أخـرى والتصـقَ بالبئـر لتضغـط أحجارهـا عـلى أسـفل ظهـره.

ـ «اجلـس عـلى الحافـة. لسـت تخـشى حمَّامًـا صغيـرًا، أليـس

كذلـك؟ لا يُمكــن أن تـزداد بـللًا».

ـ «لا أسـتطيعُ السِّـباحة». أراحَ دنـك يـدًا عـلى البئـر فأحـسَّ بالأحجـار مبتلَّـةً، وتحـرَّك أحدهـا تحـت ضغـط كفِّـه.

ـ «يا للأسف. هل ستقفز أم عليَّ أن أخزك؟».

ألـقى دنـك نظـرةً إلى أسـفل، فـرأى قطـرات المطـر تُشكِّل غمَّازاتٍ في مـاء البئـر عـلى انخفـاض عشرين قدمًا كاملةً، والجُـدران مغطَّـاةً بلزوجـة الطَّحالـب. «أنـا لـم أوذِك قَـطّ».

ـ «ولـن تفعـل أبـدًا. ديْـمون لي. سـأقودُ حرسـه المـلكي. أنـت لسـت جديـرًا بمعطـفٍ أبيـض».

ـ «لـم أدَّعِ ذلـك إطلاقًـا». *ديْـمون*. رنَّ الاسـم في رأس دنـك. *ليـس چون. ديْـمون، عـلى اسـم أبيـه. دنـك الأنـوَك، غليـظ العقـل كسـور قلعـة*. «ديْـمون بلاكفايـر أنجـبَ سـبعة أبنـاء، اثنـان ماتـا في (حقـل العُشـب الأحمـر)، توأمـان...».

ـ «إيْـمون وإيْـجون. بلطجيَّـان أبلهـان مأفونـان، مثلـك تمامًـا. في صِغرنـا تلـذَّذا بتعذيبـي أنـا وديْـمون. لقـد بكيـتُ عندمـا حملَـه الفـولاذ الأليـم إلى المنـفى، وبكيـتُ ثانيـةً عندمـا أبلغَـني اللـورد پيـك أنـه عائـدٌ إلى الوطـن. ثـم إنـه رآك أنـت عـلى الطَّريـق ونـسيَ أنـني موجـود». لـوَّح كوكـشو بخنجـره مهـدِّدًا إذ أردفَ: «لـك أن تغطـس في المـاء كمـا أنـت، أو لـك أن تغطـس فيـه وأنـت تنـزف. أيُّهمـا تختـار؟».

أغلـقَ دنـك يـده حـول الحجـر المخلخـل، فاتَّـضح أنـه أقـلُّ خلخلـةً ممَّـا أمـلَ، وقبـل أن يسـتطيع انتزاعـه انقـضَّ السـير آلِـن. التـوى

دنك جانبًا، فشقَّ رأس السكِّين لحم ذراع تُرسه، وعندئذ انخلعَ الحجر. أطعمَه دنك لحضرة اللؤرد، وشعرَ بالأسنان تتهشَّم من الضَّربة. «البئر تُريد؟». ثانيةً ضربَ اللؤرد الصَّغير في فمه، ثم أفلتَ الحجر وأطبقَ على معصم كؤكشؤ ولواه حتى انكسرَت عظمةٌ وسقطَ الخنجر فوق الحجارة. «بعدك يا سِيدي». بخُطوةٍ إلى الجانب شدَّ دنك ذراع اللؤرد الصَّغير وزرعَ ركلةً في ظهره من أسفل، لينقلب اللؤرد آلِن رأسًا في البئر ويرتفع صوت ماءٍ يتناثَر.

ـ «أحسنت أيُّها السِيْر».

أسرعَ دنك يدور على عقبيْه. في المطر لم يُميِّز غير جسم مقلنس وعين بيضاء شاحبة واحدة، وفقط حين تقدَّم الرَّجلُ اتَّخذ الوجه المظلَّل تحت القلنسوة ملامح السِيْر مِاينارد بِلَم المألوفة، وتبيَّن أنَّ العين الشَّاحبة ليست إلَّا دبُّوس حجر القمر الذي يُثبِّت معطفه إلى كتفه.

في البئر بالأسفل كان اللؤرد آلِن يتخبَّط ويَنثُر الماء ويُنادي طالبًا النَّجدة. «جريمة قتل! فليُساعِدني أحد!».

قال دنك: «حاولَ أن يَقتُلني».

ـ «وهو ما يُفسِّر كلَّ هذا الدَّم».

ـ «دم؟». نظرَ فرأى ذراعه اليُسرى حمراء من الكتف إلى المرفق، وغلالته تُلاصِق جلده. «أوه».

لا يَذكُر دنك أنه سقط، ولكن إذا به على الأرض وقطرات المطر تجري على وجهه. تناهى إلى سمعه نحيب اللؤرد آلِن من

البئر، لكن تخبُّطه صارَ أوهى. قال السِيْر مِاينارد: «علينا أن نربط هذه الذِّراع»، ودسَّ ذراعه هو تحت دنك قائلًا: «هلمَّ، انهض. لا أستطيعُ حملك وحدي. استخدِم قدميْك».

فاستخدمَ دنك قدميْه. «اللوْرد آلِن. سيغرق».

ـ «لن يفتقده أحد، بخاصَّةٍ الكمنجي».

شهقَ دنك ممتقعًا من الألم، وقال: «إنه ليس كمنجيًّا».

ـ «نعم. إنه ديْمؤن سليل عائلة بلاكفاير، الثَّاني من اسمه. أو هكذا سيدعو نفسه إذا ظفرَ بالعرش الحديدي يومًا. سيُدهشك أن تعرف عدد اللوْردات الذين يُفضِّلون ملوكهم شُجعان وأغبياء. ديْمؤن شابٌّ وجذّاب ويبدو حسن المظهر فوق حصان».

الأصوات من البئر تكاد تُصبح أخفت من أن تُسمَع. «ألا يجب أن نُلقي لحضرته حبلًا؟».

ـ «نُنقذه الآن لنُعدمه لاحقًا؟ لا أظنُّ. دعه يأكل الوجبة التي انتوى أن يُقدِّمها لك. هيَّا، اتَّكئ عليَّ». قادَه بِلَم عبر الفِناء. من هذا القُرب يبدو في سبكة ملامح السِيْر مِاينارد شيء غريب؛ كلَّما أطالَ دنك النَّظر بدا أنَّ ما يراه أقلُّ. «لقد حضضتك على الهرب كما تَذكُر، لكنك قدَّرت شرفك أكثر من حياتك. الميتة الشَّريفة شيء طيِّب حسن، ولكن لو أنَّ المعرَّض للخطر ليس حياتك أنت فماذا إذًا؟ هل ستبقى إجابتك كما هي أيُّها السِيْر؟».

ـ «حياة مَن؟». من البئر أتى صوت الماء يتناثر مرَّةً أخيرةً. «إج؟ أتعني إج؟». قبضَ دنك على ذراع بِلَم سائلًا بشراسة: «أين هو؟».

ـ «مع الآلهة. وستعرف أنت السَّبب على ما أظنُّ».

الألـم الـذي تلـوَّى في داخـل دنـك لحظتهـا أنسـاه ذراعـه، وأنَّ قـائلًا: «حـاولَ اسـتخدام الحـذاء».

ـ «هكـذا تقديـري. لقـد أرى الخاتـم للميْسـتر لوْثـار، الـذي أخـذَ الـغُلام إلى بَتَـروِل، الـذي لا شـكَّ أنـه بـالَ في بنطالـه لمـرأى الخاتـم وبـدأ يتسـاءَل هـل اختـارَ الطَّـرف الخطـأ وكـم يعلـم غُـداف الـدَّم عـن هـذه المؤامـرة. الإجابـة عـن الشِّـق الأخيـر: كثيـرًا جـدًّا». قالهـا بِلَـم وقهقـهَ.

ـ «مَن أنت حقًّا؟».

قـال مِاينـارد بِلَـم: «صديـق، صديـقٌ ظـلَّ يُراقِبـك ويتعجَّـب مـن وجـودك في جُحـر الأفـاعي هـذا. والآن الـزم الصَّمـت إلى أن نُعالِجـك».

باقيَيْـن في الظِّـل، شـقَّ كلاهمـا طريـق العـودة إلى خيمـة دنـك، ومـا إن دخلا حـتى أشـعلَ السـيْر مِاينـارد نـارًا وملأ وعـاءً بالنَّبيـذ ووضعَـه فـوق اللَّهـب ليغـلي. «جـرحٌ نظيـف، وعـلى الأقـل ليسـت ذراع سـيفك». قالهـا وهـو يشـقُّ كُـمَّ غلالـة دنـك الملـطَّخ بالـدَّم. «يبـدو أنَّ الطَّعنـة أخطـأت العظـم. ولـو، علينـا أن نغسـل الجـرح وإلَّا فقـد تفقـد ذراعـك».

ـ «لا يهـمُّ». كانـت معـدة دنـك جائشـةً، وأحـسَّ أنـه قـد يتقيَّـأ في أيَّـة لحظـة. «إذا مـاتَ إج...».

ـ «... فاللَّـوم عليـك. لقـد وجـبَ أن تُجنِّبـه الاقتـراب مـن هنـا تمامًـا. عـلى أنـني لـم أقـل إنَّ الـغُلام مـاتَ. قلـتُ إنـه مع الآلهـة. هـل عنـدك كتَّـان نظيـف؟ أو حريـر؟».

ـ «غلالـتي، الغلالـة الفاخـرة الـتي اشـتريتها في (دوْرن). مـاذا

تعني بأنه مع الآلهة؟».

- «في الوقت المناسب. ذراعك أوَّلًا».

سرعان ما بدأ النَّبيذ يَبخُر. وجدَ السِيْر مِاينارد غلالة دنك الحرير الفاخرة وتشمَّمها بشك، ثم استلَّ خنجرًا وشرعَ يُقطِّعها. ابتلعَ دنك احتجاجه، وقال السِيْر مِاينارد وهو يُكوِّر ثلاث شرائط من الحرير ويُلقي بها في النَّبيذ: «آمبروز بَتروِل لم يكن قطُّ بالرَّجل الذي يُمكنك وصفه بالحاسم. لقد خامرَته الشُّكوك بصدد هذه المكيدة من البداية، شكوك ألهبَتها معرفته أنَّ الفتى لا يحمل السَّيف. وهذا الصَّباح اختفَت بيضته بيضة التنِّين، ومعها ثُمالة شجاعته».

قال دنك: «السِيْر جلندُن لم يسرق البيضة. لقد قضى النَّهار كلَّه في السَّاحة، يُثاقِف أو يُشاهِد الآخَرين يتثاقفون».

- «پيك سيجد البيضة في خِراج سرجه رغم ذلك». غلى النَّبيذ، فوضعَ پلَم قُفَّازًا جلديًّا قائلًا: «حاوِل ألَّا تَصرُخ»، ثم أخذ شريطًا من الحرير من النَّبيذ المغليّ وبدأ يغسل الجرح.

ولم يَصرُخ دنك؛ كزَّ على أسنانه وعضَّ لسانه وهوى بقبضته على فخذه بعُنف قمين بتخليف رضوض، لكنه لم يَصرُخ. استخدمَ السِيْر مِاينارد بقيَّة غلالته الفاخرة لعمل ضمادةٍ وربطها حول ذراعه، ولمَّا فرغَ سألَ: «ما شعورك الآن؟».

مرتعشًا أجابَ دنك: «شنيع حقًّا»، ثم سألَ بتصميم: «أين إج؟».

- «مع الآلهة، لقد أخبرتك».

مدَّ دنك يده السَّليمة ولفَّها حول عُنق پلَم. «تكلَّم بوضوح.

لقد سئمتُ الغمز واللَّمز. أخبِرني أين أجدُ الغُلام وإلَّا كسرتُ رقبتك سواء أكنت صديقًا أم لم تكن».

قال السير مايناردِ: «السِّپت. خيرٌ لك أن تذهب مسلَّحًا»، وابتسمَ مضيفًا: «أواضحٌ هذا كفايةً لك يا دنك؟».

***

محطَّته الأولى سُرادق السير أوثور أندرليف.

عندما خطا دنك إلى الدَّاخل لم يجد إلَّا المُرافق ويل منحنيًا فوق حوض استحمام ليُنظِّف ثياب سيِّده التَّحتيَّة. «أنت ثانيةً؟ السير أوثور في المأدبة. ماذا تُريد؟».

- «سيفي وتُرسي».
- «هل أحضرت الفدية؟».
- «لا».
- «لماذا أدعك تأخذ أسلحتك إذًا؟».
- «إنني محتاجٌ إليها».
- «ليس ذلك سببًا وجيهًا».
- «ما رأيك في هذا؟ حاوِل أن تمنعني وسأقتلك».

حدَّق ويل فاغرًا فاه، وقال: «إنها في ذلك الرُّكن».



توقَّـف دنـك خـارج سِـپت القلعـة. *فلتُوفِّقـني الآلهـة لـئلَّا أصـل بعـد فـوات الأوان.* عـادَ نِجـاده إلى موضعـه المعتـاد موثقًـا حـول خصـر، وثبَّـت تُـرس المشـنقة إلى ذراعـه الجريحـة، ليبعـث وزنـه نبضـات ألـم تنفـذ فيـه مع كلِّ خُطـوة، حتى إنـه خشيَ أنـه قـد يَصرُخ إذا لمسَـه أحـدٌ أخـفَّ لمسـة. بدفعـةٍ مـن يـده السَّـليمة فـتحَ البـاب عـلى مصراعيْـه.

في الدَّاخـل وجـدَ السِّـپت معتمًـا سـاكنًا، لا يُضيـؤه إلَّا الشُّـموع المتلألئـة عـلى مذابـح **السَّـبعة**. يحـظى **المُحـارب** بأكثـر الشُّـموع الموقـدة مثلمـا هـو متـوقَّع خلال دورة مباريـات،



فمؤكَّد أنَّ فُرسانًا كُثرًا أتوا ليُصلُّوا ابتغاء القوَّة والشَّجاعة قبل أن يُغامِروا بدخول مضمار النِّزال، ومذبح **الغريب** محفوفٌ بالظِّلال ولا يشتعل عليه إلَّا شمعة وحيدة، فيما تحترق عشرات الشَّمعات على مذبحَي **الأُم والأب**، وعددٌ أقل نوعًا عند **الحدَّاد والعذراء**، أمَّا تحت قنديل**العجـوز** السَّـاطع فيـركع اللـوْرد آمبـروْز بَتَـروِل مُطرقًـا، يُصلِّي بصمـتٍ ناشـدًا الحكمـة.

وليـس بمفـرده. لـم يكـد دنـك يتقـدَّم نحـوه حـتى تحـرَّك رجلان مسلَّحان ليقطعـا عليـه الطَّريـق، وجهاهمـا صارمـان تحـت خوذتيْهمـا

القصيرتيْـن. يرتـدي كلا الرَّجليْـن زردًا تحـت معطفـه المخطَّـط بشرائط عائلة بَترول الخضراء والبيضاء والصَّفراء. قال أحدهما: «توقَّف أيُّها السيْر. ليس لك شأنٌ هنا».

ـ «بل له. لقد أنذرتكم أنه سيَعثُر عليَّ».

الصَّوت صوت إج.

حين خطا من الظِّلال أسفل **الأب** ورأسه المحلوق يلمع في ضوء الشُّموع، كادَ دنك يندفع إلى الغُلام ليختطفه بصيحةٍ فرحة ويسحقه بين ذراعيْه. على أنَّ شيئًا ما في لهجة إجٍ جعلَه يتردَّد. *صوته غاضبٌ أكثر منه خائف، ولم أرَه من قبل قطُّ باديًا بهذه الصَّرامة. وبَترول على رُكبتيْه. شيء ما غريب هنا.*

دفعَ اللوْرد بَترول نفسه إلى النُّهوض، وحتى في إضاءة الشُّموع المعتمة بدَت بشرته شاحبةً رطبةً. قال للحارسيْن: «دعاه يمرُّ»، وعندما تراجَعا أشارَ لدنك بالاقتراب. «لم أوذِ الغُلام. لقد عرفتُ أباه حقَّ معرفةٍ وأنا يد الملك. على الأمير ميْكار أن يعلم أنَّ شيئًا من هذا ليس فكرتي».

وعدَه دنك: «سيعلم». *ما الذي يجري هنا؟*

قال اللوْرد بَترول: «بيك. كلُّ هذا من صُنعه، أقسمُ **بالسَّبعة**»، ووضعَ يدًا على المذبح متابعًا: «عسى الآلهة أن تُهلكني لو أني كاذب. لقد أملى عليَّ مَن يجب أن أدعو ومَن يجب أن يُستبعَدوا، وجاءَ بهذا الفتى المدَّعي إلى هنا. لم أشأ قَطُّ أن أكون جزءًا من أيِّ خيانة، يجب أن تُصدِّقني. أمَّا توْم هِدل، لقد حرَّضني، لن أنكر هذا. إنه ابني الصِّهر، متزوِّج بابنتي الكُبرى، لكنني لن

أكذب، إنه ضالعٌ في هذا».

قال إج: «إنه نصيرك. إذا كان ضالعًا في هذا فأنت أيضًا ضالع».

أرادَ دنك أن يهدر: *صمتًا. لسانك السَّليط هذا سيتسبَّب في مقتلنا*. ومع ذلك بدا أنَّ بَترول انكمشَ خوفًا، وقال: «سيِّدي، لست تفهم. هِدِل يقود حاميتي».

قال إج: «مؤكَّد أنَّ لديك بعض حرسٍ مخلصين على الأقل».

ـ «هذان الرَّجلان هنا. قلائلٌ زيادة. لقد تهاونتُ جدًّا، أقرُّ بهذا، لكنني لم أكن خائنًا قطّ. أنا وفراي ساورَتنا الشُّكوك بشأن مدَّعي اللورد بيك من البداية. إنه لا يحمل السَّيف! لو أنه ابن أبيه لسلَّحه الفولاذ الأليم بـ«اللَّهب الأسود». وكلُّ هذا الكلام عن تنِّين... جنون، جنون وحماقة». جفَّف حضرته العرق عن وجهه بكمِّه، وواصلَ: «والآن أخذوا البيضة، بيضة التنِّين التي جناها جدِّي من الملك نفسه مكافأةً على خدمته الوفيَّة. كانت في مكانها عندما استيقظتُ هذا الصَّباح، وحُرَّاسي يُقسِمون أنَّ أحدًا لم يَدخُل غُرفة النَّوم أو يُغادِرها. يجوز أنَّ اللورد بيك اشتراهم، لا يُمكنني الجزم، لكن البيضة اختفَت! مؤكَّد أنها معهم، أو إنَّ...».

ـ *أو إنها انفلقَت عن التنِّين*. إذا ظهرَ تنِّينٌ حيٌّ من جديد في (وستروس) فسيتوافَد اللوردات والعموم على حدٍّ سواءٍ إلى أيِّما أميرٍ يستطيع إثبات أحقيَّته فيه. قال دنك: «سيِّدي، أريدُ كلمةً مع... مع مُرافقي إذا تفضَّلت».

ـ «كما ترغب أيُّها السِر». عادَ اللورد بَترِول يركع ليُصلِّي، فيما سحبَ دنك إج جانبًا وجثا على رُكبةٍ واحدة ليُكلِّمه وجهًا لوجه. «سألطمك على الأذن بقوَّةٍ تُدير رأسك بالعكس، وستقضي بقيَّة حياتك تَنظُر إلى حيث كنت».

ـ «جديرٌ بك أن تفعل أيُّها السِر». تحلَّى إج بالكياسة ليبدو عليه الخجل. «آسفٌ. لم أقصد إلَّا إرسال غُدافٍ إلى أبي».

ـ *لكي أبقى فارسًا. الغُلام تصرَّف بحُسن نيَّة.* ألقى دنك نظرةً عابرةً إلى حيث يُصلِّي اللورد بَترِول، وسألَ: «ماذا فعلت به؟».

ـ «أخفته أيُّها السِر».

ـ «أجل، أرى ذلك. ستُغطِّي رُكبتيْه الجُلب قبل انقضاء اللَّيل».

ـ «لم أدرِ ما العمل غير ذلك أيُّها السِر. المِيستر جلبَني إليهم بمجرَّد أن رأى خاتم أبي».

ـ «إليهم؟».

ـ «اللورد بَترِول واللورد فراي أيُّها السِر. بعض الحرس كان حاضرًا أيضًا. كلُّهم بدا مستاءً. أحدهم سرقَ بيضة التنِّين».

ـ «آملُ أنه ليس أنت».

هزَّ إج رأسه نفيًا، وقال: «نعم أيُّها السِر. لقد عرفتُ أني في مشكلةٍ حين أرى المِيستر اللورد بَترِول خاتمي. فكَّرتُ أن أقول إنني سرقته، لكنني لم أحسب أنه سيُصدِّقني. ثم تذكَّرتُ تلك المرَّة التي سمعتُ فيها أبي يتكلَّم عن شيءٍ قاله اللورد غُداف

الدَّم، عن أنه أفضل أن تُخيف منِ أن تخاف، ولذا قلتُ لهم إنَّ أبي أرسلَنا لنتجسَّس له، إنه في الطريق إلى هنا بجيش، إنه خيرٌ لحضرة اللورد أن يُطلِق سراحي ويتخلَّى عن خيانته وإلَّا عنى الأمر رأسه»، وابتسمَ ابتسامةً خجلى مُردفًا: «ونجحَت الحيلة أكثر ممَّا ظننتُ أيُّها السيِّر».



أرادَ دنـك أن يُمسـك الـغُلام مـن كتفيْـه ويرجَّـه إلى أن تصطـكَّ أسنانه، ولربَّمـا جـأر: *ليسـت هـذه لُعبةً. إنهـا مسـألة حيـاةٍ أو مـوت.* «هـل سـمعَ الـلوْرد فـراي أيضًـا كلَّ هـذا؟».

ـ «نعـم. لقـد تمـنَّى لـلوْرد بَتَـروِل السَّـعادة في زيجتـه وأعلـنَ أنـه عائـدٌ إلى (التَّوأمتيْـن) تـوًّا. عندئـذٍ جلبنَـا حضـرة الـلوْرد إلى هنـا للـصَّلاة».

فكَّـر دنـك: *فـراي بإمكانـه الهـرب، أمَّـا بَتَـروِل فلا يملـك ذلـك الخيـار، وعـاجلًا أَو آجلًا سـيبدأ يتسـاءَل لِمَ لـم يظهـر الأمير ميْكار وجيشـه.* «إذا بـلغَ الـلوْرد پيـك أنـك في القلعـة...».

انفـتحَ بـاب السِّـپت الخـارجي بعُنـف مـدوّ، والتفـتَ دنـك ليـرى توْم هِـدِل الأسـود يُحـدِّق بسـحنةٍ مربـدَّة، يرتـدي حلقـات المعـدن وصفائحـه ويتقاطَـر مـن معطفـه الغَـارق مـاء المطـر ليتجـمَّع في بِركـةٍ عنـد قدميْـه. وراءه وقفَـت دسـتةٌ مـن المسـلَّحين بالحـراب والفـؤوس، ووراءهـم ومـضَ البـرق أزرق وأبيـض في السَّـماء ناقشًـا ظلالًا مفاجئةً علـى الأرض الحجريَّـة الباهتـة، فيمـا دفعَـت هبَّـة ريـحٍ بليلـة كلَّ مـا في السِّـپت مـن شـموعٍ إلى الرَّقـص.

ـ *أوْه، بحـقِّ الجحائـم السَّـبع اللَّعينـة.* لـم يجـد دنـك وقتًـا ليُفكِـر إلَّا في هـذا قبـل أن يقـول هِـدِل: «هـا هـو ذا الـغُلام. خُـذوه».

قـال الـلوْرد بَتَـروِل الـذي قـامَ: «لا. توقَّفـوا. لا يتعرَّضَـنَّ أحدكـم للـغُلام. توْمـارد، مـا معـنى هـذا؟».

التـوَت قسـمات هِـدِل ازدراءً، وردَّ: «اللَّبـن لا يجـري في عروقنـا جميعًـا يـا حضـرة الـلوْرد. سـآخذُ الـغُلام».

ـ «لست تفهم». استحالَ صوت بَتَروِل إلى رعدةٍ عالية رفيعة. «أمرنا انتهى. اللوْرد فراي رحل، وسيتبعه آخَرون. الأمير ميْكار قادمٌ بجيش».

ـ «وهو سببٌ أدعى لأخذ الغُلام رهينةً».

قال بَتَروِل: «لا، لا. لم أعُد أريدُ دورًا مع اللوْرد پيك أو مدَّعيه. لن أقاتل».

رمقَ توْم الأسود سيِّده ببرود، وبصقَ قائلًا: «جبان. قُل ما تُريد. ستُقاتِل أو تموت يا سيِّدي»، وأشارَ إلى إج وقال: «أيَّل لأوَّل رجلٍ يُريق الدَّم».

ـ «لا، لا». التفتَ اللوْرد بَتَروِل إلى حارسيْه صائحًا: «امنعاهم، أتسمعانني؟ إنني آمركما. امنعاهم»، إلَّا أنَّ الحرس كافَّةً توقَّفوا في ارتباك، متحيِّرين في مَن عليهم أن يُطيعوا.

ـ «أيجب أن أفعلها بنفسي إذًا؟». قالها توْم الأسود واستلَّ سيفه.

وفعلَ دنك المثل قائلًا: «ورائي يا إج».

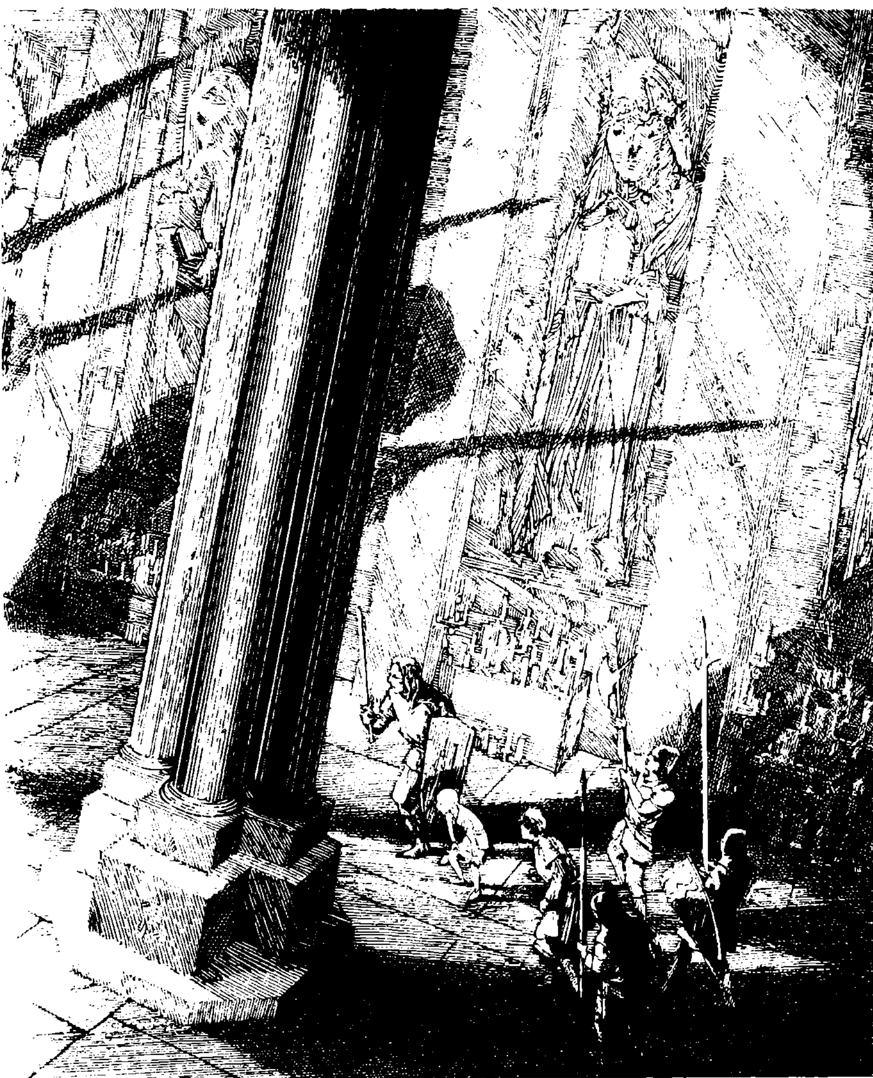
صرخَ بَتَروِل: «أغمِدا فولاذكما كلاكما! لن أسمح بسفك الدِماء في السِپت! سيْر توْمارد، هذا الرَّجل تُرس الأمير المحلَّف. سيَقتُلك!».

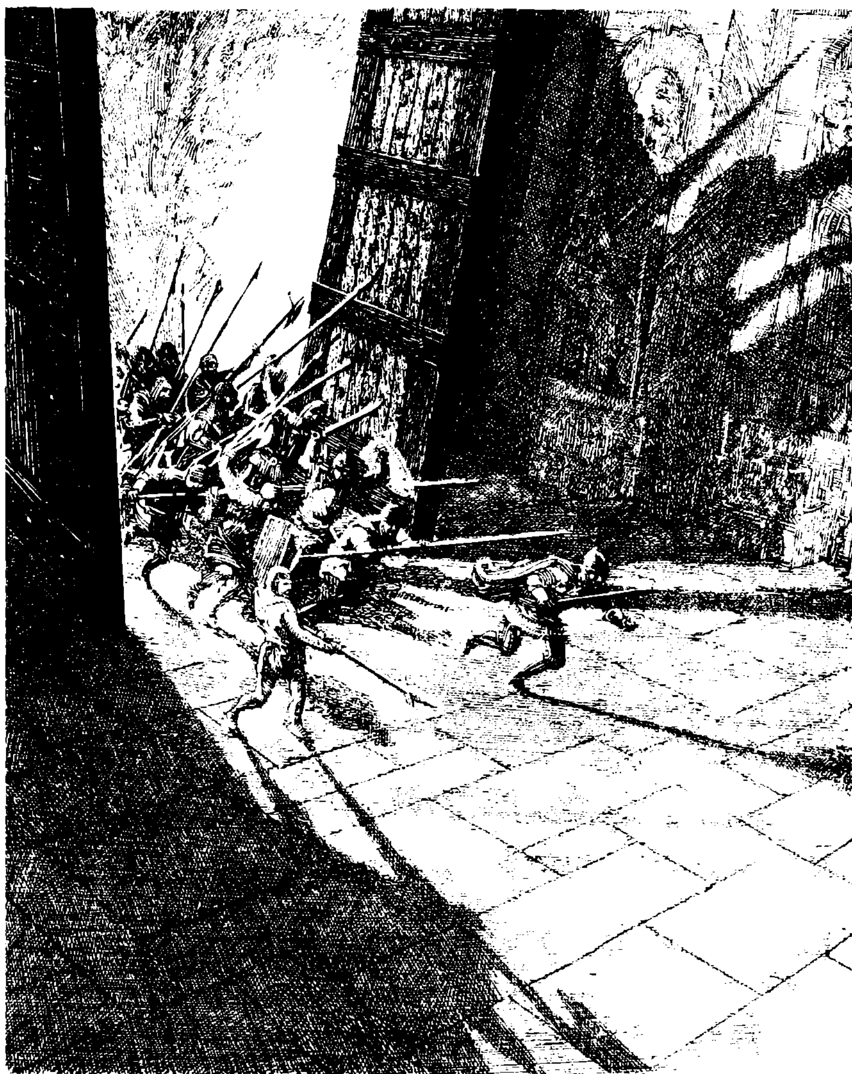
ـ «فقط إذا سقطَ فوقي». أبرزَ توْم الأسود أسنانه بابتسامةٍ عريضة قاسية. «لقد رأيته يُحاوِل أن يُثاقِف».

حذَّره دنك: «إنني أفضل بالسَّيف».

ردَّ هِدل بنخيرٍ ساخر، وهجمَ.







نـحَّى دنـك إج إلى الخلـف بخشـونةٍ ودارَ ليُواجِـه سـيف هِـدِل. الضَّربـة الأولى صدَّهـا عـلى نحـوٍ لا بـأس بـه، لكـن صدمـة توْم الأسـود عـلى تُرسـه والجـرح المضمَّـد وراءه بعثَـت في ذراعـه صاعقةً مـن الألـم طقطقَـت بطولها. حـاولَ أن يهـوي بضربـةٍ عـلى رأس هِـدِل ردًّا، غيـر أنَّ توْم الأسـود تملَّـص منهـا ونـزلَ عليه بسـيفه ثانيـةً. بالكاد أدارَ دنـك درعـه في الوقـت المناسـب، وتطايـرَت شُـدف الصَّنوبـر وضحـكَ هِـدِل ضاغطًـا في هجومـه، يضـرب إلى أسـفل وإلى أعـلى وإلى أسـفل مـرَّةً أخـرى. تلـقَّى دنـك كلَّ ضربـةٍ عـلى تُرسـه، لكـن كلَّ واحـدةٍ منهـا عـذاب، ووجـدَ نفسـه يتقهقَـر.



سمعَ إج يُنادي: «عليك به أيُّها السِّير، عليك به، عليك به، إنه أمامك مباشرةً!». ذاقَ دنك دمًا في فمه، والأدهى أن جرحه انفتحَ مجدَّدًا.

غمرَته موجةٌ من الدُّوار. كان نصل توْم الأسود يُحيل التُّرس اللَّوزي إلى شظايا، وفكَّر دنك: *السِّنديان والحديد يقيانني خير وقاء، وإلَّا فأنا ميِّتٌ وإلى الجحيم الانتهاء*، قبل أن يتذكَّر أنَّ تُرسه من خشب الصَّنوبر.

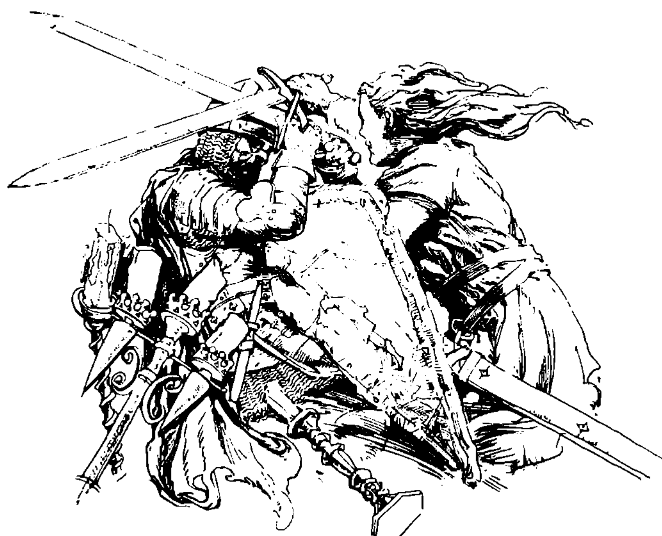
عندما ارتطمَ ظهره بقوَّةٍ بأحد المذابح،

زلَّ ساقطًا على رُكبةٍ واحدة وأدركَ أنَّ مجالًا لم يَعُد للتَّقهقُر.

قـال توْم الأسـود: «لسـتَ فارسًـا. أهـذه دمـوعٌ في عينيْـك أيُّهـا الأخـرق؟».

ـ *دموع ألـم*. دفعَ دنك نفسـه مرتكـزًا عـلى رُكبتـه، وقـامَ صادمًا نفسـه مـن وراء تُرسـه بغريمـه.

تعثَّـر توْم الأسـود إلى الخلـف، ومع ذلـك احتفـظَ بوسـيلةٍ مـا بتوازُنـه. أقبـلَ عليـه دنـك بعُنـف هاويًـا عليـه بالتُّـرس مـرَّةً تلـو مـرَّة، يسـتغلُّ قوَّتـه ليُسـقِط هِـدِل في منتصـف الطَّريـق عبـر السِّـپت، ثـم إنـه أزاحَ تُرسـه جانبًـا وضـربَ بسـيفه الطَّويـل، وصـرخَ هِـدِل إذ نفـذَ الفـولاذ مـن الصُّـوف إلى عُمـق العـضلات في فخـذه. لـوَّح بسـيفه بضـراوة، لكـن ضربتـه يائسـة خرقـاء، وتـركَ دنـك تُرسـه يتلقَّاهـا مـرَّةً أخيـرةً، ووضـعَ وزنـه كلَّـه في الـرَّدِّ.



وتـرنَّح توْم الأسـود متراجعًـا خُطـوةً وحملـقَ برُعـب إلى سـاعده الـذي يتلـوَّى عـلى الأرض أسـفل مذبـح الغريـب، وشـهقَ متمتمًـا: «أنـت، أنـت، أنـت...».

قـال دنـك: «لقـد أخبرتـك»، وطعنَـه في حلقـه مُكـملًا: «إنـني أفضـل بالسَّـيف».

***

فـرَّ اثنـان مـن الرِّجـال المسـلَّحين إلى المطـر فيمـا اتَّسـعت بِركـة مـن الـدَّم مـن جثَّـة توْم الأسود، أمَّـا الآخَـرون فقبضـوا عـلى حرابهـم متردِّديـن، يُلقـون بنظـراتٍ حـذرة نحـو دنـك وهُـم ينتظـرون أن يتكلَّـم سـيِّدهم.



أخيرًا استطاعَ بَترولِ أن يقول: «هذا... تصرُّفٌ غير مسؤول هذا»، ثم التفتَ إلى دنك وإج قائلًا: «علينا أن نرحل من (الجُدران البيضاء) قبل أن ينقل ذانك الاثنان الخبر إلى جوْرموْن پيك. إنَّ له أصدقاء أكثـر مـني بيـن الضُّيـوف. البوَّابـة الخلفيَّـة في السُّـور الشَّـمالي،

سنتسلَّل من هناك... هلمَّا، يجب أن نُسرِع».

أغمدَ دنك سيفه بقوَّة، وقال: «إج، اذهب مع اللوْرد بَتَروِل»، ووضعَ ذراعه حول الغُلام وخفضَ صوته مضيفًا: «لا تبق معه وقتًا يزيد على الحاجة. اترُك لريْن الحبل على الغارب وابتعِد قبل أن يُبدِّل حضرة اللوْرد فريقه ثانيةً. اتَّجه إلى (بِركة العذارى)؛ إنها أقرب من (كينجز لاندنج)».

- «وأنت أيُّها السيْر؟».

- «لا عليك بي».

- «إنني مُرافقك».

قال دنك: «أجل، وستفعل كما آمرك وإلَّا فستنال لطمةً موجعةً على الأذن».

***

كان بعض الرِّجال يُغادِر القاعة الكُبرى في مجموعة، متوقِّفين فقط ليرفعوا قلانسهم فوق رؤوسهم قبل أن يُقدِموا على الخروج في المطر، ضمنهم الثَّور العجوز واللوْرد كازوِل المهزول مخمورًا مرَّةً أخرى. تحاشى كلاهما دنك، وتفضَّل عليه السيْر مؤرتمر بوُجز بنظرةٍ فضوليَّة وإن عدلَ عن تكليمه، في حين لم يخجل أوثُور أندرليف، وخاطبَه وهو يضع قُفَّازيْه: «أتيت إلى المأدبة متأخِّرًا أيُّها السيْر. وأرى أنك تحمل سيفك من جديد».

- «ستقبض فديتك عنه لو أنَّ شيئًا لا يهمُّك إلَّا هذا». ترك دنك تُرسه المحطَّم في السِّبت، وأسدلَ معطفه على ذراعه الجريحة ليُداري الدَّم. «ما لم أمُت. حينئذٍ لك إذني في سلبِ ما أملكُ من جثَّتي».

ضحكَ السِير أوثِر، وقال: «أما أشمُّه شهامة أم مجرَّد غباء؟ الرَّائحتان متشابهتان جدًّا حسبما أذكرُ. لم يتأخَّر الوقت على قبول عرضي أيُّها السِير».

حذَّره دنك: «بل تأخَّر أكثر ممَّا تظنُّ»، ولم ينتظر من أندرليف ردًّا، بل اندفعَ يتجاوَزه داخلًا من الباب ذي الضَّلفتيْن. تفوح في القاعة الكُبرى روائح المزر والدُّخان والأصواف المبتلَّة، وفي الشُّرفة بالأعلى يعزف بعض الموسيقيِّين لحنًا خفيفًا، ويُصدي الضَّحك من المائدة العالية حيث يلعب السِير كِربي بِم والسِير لوكَس نايلاند لُعبة شُرب، وفوق المنصَّة ينهمك اللورد بيك في حديثٍ جاد مع اللورد كوستيْن، فيما تجلس عروس آمبروز بَترِول الجديدة مهجورةً على مقعدها العالي.

أسفل الملح وجدَ دنك السِير كايل يُغرِق حسرته في مزر اللورد بَترِول، وقد امتلأ طبقه بيخنةٍ ثخينة مطبوخة بطعام متبقٍّ من اللَّيلة السَّابقة. في محال الأكل بـ(كينجز لاندنج) يُسَمُّون مثل هذه الوجبة بـ«وعاء من البنِّي». واضحٌ أنَّ السِير كايل لم يستسغها، فدون أن تُمَسَّ بردَت اليخنة وتكوَّنت على وجه البنِّي طبقةٌ لامعة من الدُّهن.

انسلَّ دنك جالسًا بجواره على الدكَّة، وبادرَه: «سِير كايل».

أومأ القِطُّ برأسه قائلًا: «سِير دنكن. هل تشرب قليلًا من

المـزر؟».

ـ «لا». المزر آخِر ما يحتاج إليه الآن.

ـ «أأنت متوعِّك أيُّها السِّر؟ اعذُرني، لكنك تبدو...».

ـ ... *أفضل ممَّا أشعرُ.* «ماذا فعلوا بالسِّر جلندُن بوْل؟».

أجـابَ السـِّر كايـل: «أخـذوه إلى الزَّنازيـن»، وهـزَّ رأسـه مُتبعًـا: «ابـن عاهـرةٍ أو لا، الفـتى لـم يُعطِـني انطباعًـا قَـطُّ بأنـه لـصٌّ».

ـ «ليس كذلك».

زرَّ السِّر كايل عينيْه رامقًا إيَّاه، وقال: «ذراعك... كيف...».

ـ «خنجـر». أدارَ دنـك وجهـه إلى المنصَّـة مقطِّبًـا. لقـد هـربَ مـن المـوت مرَّتيْـن اليـوم، ويعلـم أنَّ ذلـك يكـفي أغلـب النَّـاس. *دنـك الأنـوَك، غليـظ العقـل كسـور قلعـة.* قـامَ مناديًـا: «صاحـب الجلالـة».

وضعَ بعـض الرِّجـال الجالسـين عـلى الـدِّكك القريبـة ملاعقهـم وبتـروا محادثاتهـم والتفَتـوا ناظريـن إليـه.

ثانيـةً قـال دنـك: «يـا صاحـب الجلالـة»، وتقـدَّم بخُطـواتٍ واسـعة عـلى البسـاط المايـري صـوب المنصَّـة. «ديـموْن».

الآن يُلـوذ نصـف مَـن في القاعـة بالصَّمـت. عنـد المائـدة العاليـة التفـتَ الرَّجـل الـذي يدعـو نفسـه بالكمنـجي ليبتسـم لـه، ورأى دنـك أنـه ارتـدى غلالـةً أرجوانيَّـةً لأجـل المأدبـة. *أرجـواني، ليُبـرِز لـون* عينيْـه. «سـِر دنكـن. يسـرُّني أنـك معنـا. فيـمَ ترغـب مـني؟».

قال دنك: «العدالة لجلندُن بوْل».

تـردَّد صـدى الاسـم عـلى الجُـدران، ولنصـف نبضـة قلـبٍ بـدا كأنَّمـا تحجَّـر كلُّ رجـلٍ وامـرأةٍ وطفـلٍ في القاعـة.

ثـم هـوى اللوْرد كوْستيْن بقبضتـه عـلى المائـدة، وزعـقَ: «المـوت مـا يسـتحقُّه لا العدالـة»، فـردَّدت دسـتةٌ مـن الأصـوات الأخـرى قولـه، وأعلـنَ السـيْر هاربـرت پيْـج: «إنـه نغـل المولـد. النُّغـول كلُّهـم لصـوصٌ أو أسـوأ. الـدَّم يـشي».

للحظـةٍ شـعرَ دنـك باليـأس. *إنني بمفـردي هنـا*. عـلى أنَّ السـيْر كايـل القِـطَّ دفعَ نفسـه ناهضـا. تـرنَّح الرَّجـلُ قليـلًا جـدًّا، وقـال: «قد يكـون الفتى نـغلًا أيُّهـا السَّـادة، لكنـه نغـل كُـرة النَّـار بجلالـة قـدره. كمـا قـال السـيْر هاربـرت، الـدَّم يـشي».

عقـدَ ديْمـوْن حاجبيْـه قـائلًا: «لا أحـد يجـلُّ كُـرة النَّـار أكثـر مني. لـن أصـدِّق أنَّ هـذا الفـارس الزَّائـف مـن صُلبـه. لقـد سـرقَ بيضـة التنِّيـن وفتـكَ بثلاثـة رجـالٍ صالحيـن فيمـا فعـلَ فعلتـه».

أصـرَّ دنـك: «لـم يسـرق شـيئًا أو يَقتُـل أحـدًا. إذا قُتِـلَ ثلاثـة رجـالٍ فابحـث في مكانٍ آخَـر عـن قاتِلهـم. صاحـب الجلالـة يعلـم مثـلي تمامًـا أنَّ السـيْر جلنـدُن قـضى النَّهـار كلَّـه في السَّـاحة، يركـب في نـزالٍ تلـو نـزال».

ـ «أجـل. لقـد تسـاءلتُ عـن ذلـك عـن نفـسي. لكنهـم وجـدوا بيضـة التنِّيـن بيـن أغراضـه».

ـ «حقًّا؟ أين هي الآن؟».

قـامَ الـلوْرد جوْرموْن پيـك بـارد العينيْـن صلفًـا، وقـال: «آمنـةٌ وتحـت حراسـةٍ مشـدَّدة. وفيـمَ يعنيـك هـذا بـأيِّ شكلٍ أيُّهـا السـيْر؟».

ـ «اجلبها. أودُّ إلقاء نظرةٍ أخرى عليها يا سِيدي. اللَّيلة السَّابقة لم أرَها إلَّا لحظةً وجيزةً».

ضاقَت عينا پيك، وخاطبَ ديْمؤن: «صاحب الجلالة، يَخطُر لي أنَّ هذا الفارس الجوَّال وصلَ إلى (الجُدران البيضاء) مع السيْر جلندُن، ودونما دعوة. واردٌ للغاية أنه شريك في الجريمة».

تجاهلَه دنك، وقال: «صاحب الجلالة، بيضة التِّنين التي وجدَها اللوْرد پيك بين أغراض السيْر جلندُن هي البيضة التي وضعَها هناك. فليجلبها إذا استطاعَ. افحصها بنفسك. أراهنك أنها ليست إلَّا حجرًا مطليًّا».

دبَّت في القاعة الفوضى؛ بدأت مئةٌ من الأصوات تتكلَّم في آنٍ واحد، وهبَّت دستةٌ من الفُرسان تنهض. شابهَ ديْمؤن منظر السيْر جلندُن في صِغر سنِّه وضياعه عندما اتُّهِمَ، وسألَ دنك: «أأنت سكران يا صديقي؟».

ـ *يا ليتني*. «لقد فقدتُ قليلًا من الدَّم، لكنني لم أفقد عقلي. السيْر جلندُن متَّهم ظُلمًا».

سألَ ديْمؤن مدهوشًا: «لماذا؟ لو لم يرتكب بؤل جريرةً كما تصرُّ، فلِمَ يَزعُم حضرة اللوْرد أنه فعلَ ويُحاوِل إثبات زعمه بصخرةٍ مطليَّة؟».

ـ «ليُزيحه من طريقك. حضرة اللوْرد اشترى خصومك الآخَرين بالذَّهب والوعود، لكن بؤل لم يكن للبيع».

احتقنَ وجه الكمنجي، وقال ضاغطًا على كلماته: «غير صحيح».

ـ «هو كذلك. أرسِل في طلب السِر جلندُن وسله بنفسك».

ـ «هكذا تحديدًا سأفعلُ. لوْرد پيك، اجعلهم يُحضِرون النَّغل في الحال. واجلب بيضة التنِّين أيضًا. أودُّ أن ألقي عليها نظرةً من كثب».

حدجَ جوْرموْن پيك دنك بنظرة احتقار، وقال: «صاحب الجلالة، الفتى النَّغل يُستجوَب حاليًّا. بضع ساعاتٍ إضافيَّة وسنَحصُل لك على اعتراف، لا شكَّ عندي».

قال دنك: «بـ«الاستجواب» يعني سِيدي «التَّعذيب». بضع ساعاتٍ إضافيَّة وسيعترف السِر جلندُن بقتل أبيك يا صاحب الجلالة، وأخويْك الاثنيْن أيضًا».

ـ «كفى!». اربدَّ وجه اللوْرد پيك حتى قاربَ لونه الأرجواني. «كلمةٌ أخرى وسأقتلعُ لسانك من جذوره».

ردَّ دنك: «أنت كاذب. إليك كلمتيْن».

توعَّده پيك: «وستندم على كلتيْهما»، ثم أمرَ رجاله: «خُذوا هذا الرَّجل إلى الزَّنازين وقيِّدوه بالسَّلاسل».

ـ «لا». تكلَّم ديْموْن بصوتٍ خطير من فرط هدوئه. «أريدُ حقيقة هذا الأمر. سندرلاند، ڤيرول، سموْلوود، خُذوا رجالكم واذهبوا لتجدوا السِر جلندُن في الزَّنازين. اجلبوه من غير إبطاءٍ واحرصوا ألَّا يُصيبه أذى. إذا حاولَ أيُّ أحدٍ إعاقتكم فأخبِروه أنكم في شأنٍ يخصُّ الملك».

أجابَ اللوْرد ڤيرول: «أمرك».

قال الكمنجي: «سأسوِّي هذه المسألة مثلما كان أبي ليُسوِّيها. السِّير جلندُن متَّهم بجرائم جسيمة. بصفته فارسًا فله حقٌّ في الدِّفاع عن نفسه بقوَّة السِّلاح. سألاقيه في مضمار النِّزال، ولتبتَّ الآلهة في أمر الذَّنب والبراءة».

***

قال دنك لنفسه حين رمى اثنان من رجال اللورد ڤيروِل السِّير جلندُن عاريًا عند قدميْه: دم *بطلٍ أو دم عاهرة، لقد نزفَ منه بغزارة.*

ضُرِبَ الفتى بوحشيَّة. وجهه مكدومٌ متورِّم، وعدَّة من أسنانه مكسورة أو مفقودة، وعينه اليُمنى تذرف دمًا، وأعلى صدره وأسفله جلده محمرٌّ متشقِّق حيث أحرَقوه بمكاوٍ ساخنة.

غمغمَ السِّير كايل: «أنت آمنٌ الآن. لا أحد هنا إلَّا فُرسان جوَّالة، والآلهة تعلم أننا معشرٌ عديم الأذى». أعطاهم ديمون مسكن الميْستر وأمرَهم بتضميد أيِّ جراحٍ مُنِيَ بها السِّير جلندُن والحرص على استعداده للمضمار. فيما غُسلَ وجه الفتى ويديْه من الدَّم، رأى دنك أنَّ ثلاثة أظفارٍ خُلعَت من يد بول اليُسرى، وأقلقَه هذا أكثر من سائر الإصابات. «أيُمكنك أن تحمل رُمحًا؟».

- «رُمحًا؟». تقاطرَ الدَّم من فم السِّير جلندُن حينما حاولَ الكلام. «ألديَّ أصابعي كلُّها؟».

ـ «عشر، ولكن سبعة أظفارٍ فقط».

أومأ بوْل برأسه قائلًا: «توْم الأسود كان سيَبتُر أصابعي، لكنه استُدعيَ. أهو مَن سأقاتلُ؟».

ـ «لا. لقد قتلتُه».

ابتسمَ لهذا، وقال: «كان على أحدهم أن يفعلها».

ـ «ستُنازِل الكمنجي، لكن اسمه الحقيقي...».

ـ «... ديْموْن، أجل. لقد أخبَروني. التنِّين الأسود». ضحكَ السيْر جلنـدُن وتابعَ: «لقد ماتَ أبي في سبيل أبيه. كنتُ لأصبح رجله، وبكلّ سرور. كنتُ لأقاتل في سبيله، أقتل في سبيله، أموت في سبيله، لَكنني لم أستطِع أن أخسر في سبيله»، وأدارَ رأسه باصقًا سنًّا مكسورةً، وسألَ: «ألي بكوبٍ من النَّبيذ؟».

ـ «سيْر كايل، أحضِر قربة النَّبيذ».

طويلًا عبَّ الفتى الشَّراب عبًّا، ثم مسحَ فمه وقال: «انظُروا إليَّ. إنني أرتجفُ كالفتيات».

سألَه دنك مقطِّبًا جبينه: «أما زالَ بوسعك ركوب حصان؟».

أجابَ السيْر جلنـدُن: «ساعِدوني على الاغتسال واجلبوا تُرسي ورُمحي وسرجي وسترون ما بوسعي».

***



قـاربَ الفجـر الطَّلـوع قبـل أن يهـدأ المطـر بمـا يكـفي لوقـوع القتـال. تحوَّلـت سـاحة القلعـة إلى مستنقع من الأوحـال الطريَّـة التي تلـمع مبتلَّـةً في ضـوء مئـة مشـعل، ووراءَ المضمـار ارتـفعَ ضبـابٌ رمـاديٌّ دافعًـا بأصابـع شـبحيَّةٍ تتسـلَّق الجُـدران الحجريَّـة الشَّـاحبة لتقبـض عـلى شُـرفات القلعـة. كثيـرون من ضيـوف الزِّفـاف اختفـوا خلال السَّـاعات الفاصلـة، لكـن مَـن تبقَّـوا عـادوا يرتقـون مدرَّجـات المشـاهدة واستقرُّوا عـلى ألـواح من خشـب الصَّنوبـر المشبَّع بمـاء المطـر، وبينهـم وقـفَ السـيِر جورمون پيـك يكتنفـه لفيـفٌ مـن اللـوردات الأدنى شـأنًا وفُرسـان أهـالي البيـوت.

لـم يمرَّ أكثـر مـن سنواتٍ معـدودة منـذ رافـقَ دنـك السـيِر آرلان العجـوز، ولـم ينـسَ مـا يتضمَّنـه هـذا، فأوثـقَ الأبازيـم في درع السـيِر

جلندُن التي لا تُناسِب مقاساته، وربطَ خوذته إلى عُنقيَّته، وساعدَه على الرُّكوب، وناولَه تُرسه. خلَّفت المسابقات السَّابقة تقعُّرات عميقةً في الخشب، إلَّا أنَّ كُرة النَّار الملتهبة لا تزال مرئيَّةً. فكَّر دنك: *يبدو صغيرًا صِغر إج، غُلامًا خائفًا ومتجهِّمًا*. فرسه السَّمراء المحمرَّة بلا كُسوة، ومضطربة أيضًا. *وجبَ أن يحتفظ بحصانه. لعلَّ الفرس أحسن استيلادًا وأسرع، لكن الخيَّال يركب أفضل ركوبٍ بحصانٍ يعرفه جيِّدًا، وهذه الفرس غريبةٌ عليه.*

قال السِّير جلندُن: «سيلزمني رُمح، رُمح حربي».

ذهبَ دنك إلى الرُّفوف. الرِّماح الحربيَّة أقصر وأثقل من رماح المباريات التي استُخدمَت في جميع النِّزالات السَّابقة، ثمانية أقدام من خشب المُرَّان المصمت تنتهي برأسٍ حديدي. انتقى دنكَ واحدًا وسحبَه ممرِّرًا يده على طوله ليتأكَّد من خلوِّه من الشُّقوق.

في طرف المضمار الآخَر تناولَ ديمُن من أحد مُرافقيه رُمحًا مماثلًا. لم يَعُد كمنجيًّا، فبدلًا من السُّيوف والكمنجات تعرض كُسوة جواده الحربي الآن تِنِّين عائلة بلاكفاير ثُلاثي الرُّؤوس، أسود على خلفيَّةٍ من الأحمر. غسلَ الأمير شعره من الصِّبغة السَّوداء أيضًا، لينسدل إلى ياقته في شلَّالٍ من الفضِّي والذَّهبي يَبرُق كمعدنٍ مطرَّق في ضوء المشاعل. أدركَ دنك: *هكذا سيكون شعر إج إذا تركَه ينمو*. استعصى عليه أن يتخيَّله بتلك الصُّورة، لكنه يعلم أنَّ على الغُلام أن يفعلها يومًا ما إذا عاشا حتى ذلك الحين.

مرَّةً أخرى تسلَّق الحاجب منصَّته، وأعلنَ: «السِّير جلندُن النَّغل

متَّهم بالسَّرقة والقتل، والآن يتقدَّم ليُثبِت براءته مخاطرًا بجسده. ديمون سليل عائلة بلاكفاير، الثَّاني من اسمه، ملك الأنداليِّين والروينار والبشر الأوائل شرعيُّ المولد، سيِّد (الممالك السَّبع) وحامي البلاد، يتقدَّم ليُثبِت صحَّة الاتِّهامات الموجَّهة إلى النَّغل جلندُن».

وعلى حين غرَّةٍ اختفَت السِّنون وعادَ دنك إلى (مرج آشفرد) من جديد، يُصغي إلى بيلور كاسِر الحراب قُبيل تقدُّمهم ليُقاتِلوا من أجل حياته. ثم أعادَ الرُّمح الحربي إلى مكانه والتقطَ رُمح مبارياتٍ من الرَّفِّ المجاور... طوله اثنا عشر قدمًا، رفيع، أنيق. قال للسير جلندُن: «استخدِم هذا. إنه ما استخدمناه في (آشفرد) في المحاكمة بالسَّبعة».

- «الكمنجي اختارَ رُمحًا حربيًّا. إنه يهدف إلى قتلي».

- «عليه أن يضربك أوَّلًا. إذا أحسنت التَّصويب فلن يمسَّك سِنانه أبدًا».

- «لا أعرفُ».

- «أنا أعرفُ».

اختطفَ منه السير جلندُن الرُّمح ودارَ وخبَّ صوب المضمار قائلًا: «ليُنقِذ **السَّبعة** كلَيْنا إذًا».

في مكانٍ ما في الشَّرق طقطقَ البرق في سماءٍ ورديَّة شاحبة. غرزَ ديمون مِهمازه الذَّهبي في جنبَي فحله وانقضَّ كقصف الرَّعد خافضًا رُمحه الحربي برأسه الحديدي المميت، ورفعَ السير جلندُن تُرسه وانطلقَ ليُلاقيه محرِّكًا رُمحه الأطول من فوق رأس

فرسه ليُسدِّده إلى صدر المدَّعي الشَّاب. تناثرَ الوحل من حوافر حصانيْهما، وبدا كأن لهب المشاعل ازدادَ سطوعًا إذ مرَّ الفارسان مهروليْن.

أغلقَ دنك عينيْه، وسمعَ فرقعةً، وصيحةً، وارتطامًا مكتومًا.

وسمعَ اللورد پيك يَصرُخ ملتاعًا: «لا، لاااا!». لنصف نبضة قلب كادَ دنك يُشفِق عليه. من جديد فتحَ عينيْه. بلا راكب كانَ الفحل الأسودِ الكبير يُبطئ حركته إلى خبب، فقفزَ دنك إلى المضمار وأمسكه من عنانه، وفي طرف المضمار الآخر دارَ السِير جلندُن بول بفرسه ورفعَ رُمحه المتشظِّي. اندفعَ الرِّجال إلى الميدان حيث ارتمى الكمنجي بلا حراكٍ على وجهه في بِركة، ولمَّا ساعَدوه لينهض بدا بنِّيًّا من رأسه إلى قدميْه.

صاحَ أحدهم: «التنِّين البنِّي»، فماجَت الضَّحكات في أنحاء السَّاحة فيما غمرَ الفجر (الجُدران البيضاء).

وبعد بضع نبضات قلب معدودة، فيما عاونَ دنك والسيْر كايل جلندُن بوْل على التَّرجُّل، دوَّى البوق الأوَّل ودقَّ الخُفراء فوق الأسوار ناقوس الإنذار إذ ظهرَ أمام القلعة جيشٌ منبثقًا من ضباب الصَّباح.

وقال دنك للسيْر كايل مندهشًا: «إج لم يكذب رغم كلِّ شيء!».



مـن (بِركـة العـذارى) حضـرَ الـلوْرد موتُـن، ومـن (شـجرة الغِدفـان) الـلوْرد بلاكـوود، ومـن (وادي الغسـق) الـلوْرد داركلـن، في حيـن أرسـلَت الرُّبـوع الملكيَّـة حـول (كينجـز لانـدنج) رجـالًا تابعيـن لعـائلات هايـفوْرد وروْزبـي وسـتوْكوُرث ومـاسي، ومعهـم سـيَّافة الملـك المحلَّفـون، يقودهـم ثلاثـة فُرسـان مـن الحـرس المـلكي ويدعمهـم ثلاثمئـة مـن أسـنان الغِـداف يحملـون أقواسًـا طويلةً بيضـاء مـن خشـب الويـروود. دانـل لوْثسـتن المجنونـة نفسـها خرجَـت بفِرقـةٍ ذات بـأسٍ مـن أبراجهـا المسكونـة بالأشـباح في (هارنهـال)، تلبـسٍ درعًـا سوداء تُلائِمها كقُفَّـازٍ حديـدي ويسترسـل شـعرها الأحمـر الطَّويـل.

تلألأ ضـوء الشَّـمس المشـرقة عـلى رؤوسِ خمسـمئة رُمح وعشـرة أضعافهـا مـن الحـراب، ووُلـدَت رايـات اللَّيـل الرَّماديَّـة مـن جديـدٍ بنصفمئـةٍ مـن الألـوان الصَّارخـة، يعلوهـا جميعًـا تنِّينـان ملكيَّـان على خلفيَّتيْـن بسـواد اللَّيـل: وحـش الملـك إيْـرس تارجاريَـن الأوَّل العظيم ثُلاثي الـرُّؤوس بحُمـرة النَّـار، ومخلـوقٌ ضـارٍ أبيـض الجناحيْـن ينفث لهبًـا قرمزيًّـا.

- *لیس مـيْكار في النِّهايـة.* علـمَ دنـك هـذا لمَّـا رأى الرَّايتيْـن. رايـات أميـر (بهـو الصَّـيف) تحمـل أربعـة تنانيـن ثُلاثيَّـة الـرُّؤوس، اثنيْـن واثنيْـن، شـعار رابـع أبنـاء الملـك الرَّاحـل ديْـروْن تارجاريَـن الثَّـاني. أمَّـا تنِّيـن أبيـض واحـد فيُعلِـن حضـور يـد الملـك، الـلوْرد بريـنـدن ريفْـرز.

غُداف الدَّم بنفسه جاءَ إلى (الجُدران البيضاء).

***

تمـرُّد بلاكفايـر الأوَّل بـادَ في (حقـل العُشـب الأحمـر) بالـدَّم والمجد. تمرُّد بلاكفاير الثَّاني انتهى بالمذلَّة. من شُرفات القلعة جهرَ الشَّاب ديمون بعدما رأى حلقة الحديد التي طوَّقتهم: «لا يُمكنهم أن يُخيفونا بتهديداتهم، ذلك أنَّ قضيَّتنا عادلة. سنشقُّ طريقنا عبرهم تقتيلًا ونركب بعزيمةٍ إلى (كينجز لاندنج)! انفُخوا في الأبواق!».

وبدلًا من ذلك همهمَ بعض الفُرسان واللوردات والرِّجال المسلَّحين لبعض بخفوت، وبدأ قليلون منهم ينسلُّون متَّجهين إلى الإسطبلات أو إلى بوَّابةٍ خلفيَّة أو مكمنٍ ما يأملون أن يحفظهم. وحين امتشقَ ديمون سيفه ورفعَه فوق رأسه، رأوا عن آخِرهم أنه ليس «اللَّهب الأسود».

وعدَهم المدَّعي: «اليوم سنزرع حقل عُشب أحمر آخَر».

ردَّ عليه مُرافق أشيب زاعقًا: «بولٌ على ذلك يا فتى الكمنجة. أوثرُ أن أعيش».

في النِّهاية خرجَ ثاني ديمون بلاكفاير وحده، وكبحَ حصانه أمام الجيش الملكي ليتحدَّى اللورد غُداف الدَّم في نزالٍ فردي. «سأقاتلك، أو ذلك الجبان إيرس، أو أيَّ نصير تُريد اختياره». ولكن بدل ذلك حاصرَه رجال اللورد غُداف الدَّم وسحبوه من فوق حصانه وكبَّلوه بأغلالٍ ذهبيَّة، والرَّاية التي حملَها عُرسَت في الأرض الموحلة وأُضرمَت فيها النَّار، لتحترق وقتًا طويلًا باعثةً عمودًا ملتويًا من الدُّخان تُمكن رؤيته من بُعد فراسخ في كلِّ اتِّجاه.

الدَّم الوحيد الذي أريقَ يومها أريقَ لمَّا شرَعَ رجلٌ في خدمة اللورد ڤيرول يتباهى بأنه أحد عيون غُداف الدَّم، وقريبًا سينال مكافأةً مجزيةً. «سيدور القمر عليَّ وأنا أنكحُ العاهرات وأشرب الدورني الأحمر». هكذا زُعِمَ أنه قال قُبيل أن يشقَّ أحد فُرسان اللورد كوستين حلقه، وفيما غرقَ رجل ڤيرول في دمه قال له الفارس: «اشرب هذا. ليس دورنيًّا، لكنه أحمر».

فيما عدا ذلك، كان ما خرجَ بخُطواتٍ ثقيلة من بوَّابة (الجُدران البيضاء) طابورًا واجمًا صامتًا، رمى أفراده أسلحتهم في كومةٍ ملتمعة قبل أن يُقيَّدوا ويُقادوا إلى حيث سينتظرون حُكمَ اللورد غُداف الدَّم. غادرَ دنك مع بقيَّتهم، ومعه السير كايل القِطّ وجلندُن بول، بعد أن بحثوا عن السير مِينارد لينضمَّ إليهم، غير أنَّ بِلَم اختفى في وقتٍ ما ليلًا.

في ساعةٍ متأخِرة من ذلك الأصيل وجدَ السير رولند كريكهول فارس الحرس الملكي دنك بين السُّجناء الآخَرين، وخاطبَه: «سير دنكن. أين اختبأت بحقِّ الجحائم السَّبع؟ اللورد ريڤرز يسأل عنك منذ ساعات. تعالَ معي إذا سمحت».

تقدَّم دنك ليمشي بجواره. رفرفَ معطف كريكهول الطَّويل خلفه كلَّما هبَّت الرِّيح، أبيض كنور القمر على الثَّلج، وحدا منظره بدنك إلى التَّفكير في كلام الكمنجي فوق السَّطح. حلمتُ *أنك تلبس أبيض على أبيض من رأسك إلى قدميك، ومن فوق هاتين الكتفين العريضتين يسترسل معطفٌ باهت طويل.* نخرَ دنك تهكمًا. أجل، *وأنت حلمت بتنانين ينفلق عنها بيضٌ من حجر. هذا سيٌّ ذاك.*

يقع سُرادق اليد على بُعد نصف ميلٍ من القلعة، في ظلِّ دردارةٍ ممتدَّة الفروع، وعلى مقربةٍ منه راحَت دستةٌ من البقرِ ترعى في الكلأ. فكر دنك: *الملوك يقومون ويقعون، ويمضي كلٌّ من البقر والعامَّة في حال سبيله*. إنه شيء اعتادَ العجوز قوله. سألَ دنك السير رولند فيما مرًّا بمجموعةٍ من الأسرى الجالسين على العُشب: «ماذا سيَحدُث لهم جميعًا؟».

- «سيُساقون إلى (كينجز لاندنج) ليُحاكَموا. المفترَض أن ينال الفُرسان والرِّجال المسلَّحون عقوبةً مخفَّفةً، فقد تبعوا سادتهم الغُلاة لا أكثر».

- «واللوردات؟».

- «بعضهم سيُعفى عنه شريطة أن يحكي حقيقة ما يعرفه ويُسلِّم ابنًا أو ابنةً لضمان ولائه مستقبلًا. سيكون العقاب أقسى على مَن نالوا عفوًا بعد (حقل العُشب الأحمر). سيُسجَنون أو يُجرَّدون من أملاكهم. أسوؤهم سيفقدون رؤوسهم».

وهو ما استهلَّه غُداف الدَّم بالفعل كما رأى دنك عندما بلغا سُرادقه. على جانبَي المدخل خُوزقَ رأسا جورمون پيك وتوم هِدل الأسود على حربتيْن، وتحتهما تُرساهما. *ثلاث قلاع، أسود على برتقالي. الرَّجل الذي قتلَ روچر ابن (شجرة البنسات)*.

حتى في موته بدَت عينا اللورد جورمون قاسيتيْن صوَّانيَّتيْن. أغلقَهما دنك بأصابعه، فقال له أحد الحُرَّاس: «لماذا فعلت هذا؟ الغِربان ستحظى بهما عمَّا قريب».

ـ «كنتُ مدينًا له بهذا القدر». لو لم يَمُت روُچر في ذلك اليوم لما نظرَ السيْر آرلان مرَّتيْن إلى دنك حين رآه يُطارِد ذلك الخنزير في أزقَّة (كينجز لاندنج). *ملكٌ عجوز ميت أعطى سيفًا لابنٍ بدلًا من آخَر، وهكذا بدأ كلُّ شيء. والآن هأنذا واقفٌ هنا، وروُچر المسكين في قبره.*

آمرًا قال روُلند كريْكهوُل: «اليد في الانتظار».

تخطَّاه دنك ليَمثُل أمام اللوُرد بريندن ريڤرز، النَّغل والمشعوذ ويد الملك.

أمامه وقفَ إچ وقد استحمَّ قبل قليلٍ وارتدى ثياب أميرٍ كما يليق بابن أخٍ للملك، وعلى مقربةٍ جلسَ اللوُرد فراي على كرسي معسكرات، في يده كوب نبيذٍ وعلى حجره يتلوَّى وريثه الصَّغير البشع. واللوُرد بَتروِل أيضًا حاضرٌ... على رُكبتيْه، ممتقع الوجه يرتجف.

كان اللوُرد ريڤرز يقول: «الخيانة لا تقلُّ خسَّةً إذا اتَّضح جُبن الخائن. لقد سمعتُ ثُغاءك أيُّها اللوُرد آمبروُز، وأصدِّق من كلِّ عشر كلماتٍ واحدةً. بناءً عليه، سأسمحُ لك بالاحتفاظ بعُشر ثروتك. لك أن تحتفظ بزوجتك أيضًا. أرجو أن تجد فيها السَّعادة».

سألَه بَتروِل بصوتٍ متهدِّج: «و(الجُدران البيضاء)؟».

أجـابَ ريڤـرز: «غرامـة للعـرش الحديـدي. أنـوي أن أهدمهـا حجـرًا حجـرًا وأبـذر الأرض الـتي ترتـفع عليهـا بالمـلح. في غضـون عشـرين عامًا لـن يتذكَّـر أحـد أنهـا وُجـدَت يومًـا. الحمـقى المسنُّون والنَّاقمـون الشُّـبَّان مـا زالـوا يرتحلـونَ إلى (حقـل العُشـب الأحمـر) ليزرعـوا زهـرًا في البُقعـة الـتي سـقطَ فيهـا ديـمون بلاكفايـر. لـن أسـمح بـأن تُصبِـح (الجُـدران البيضـاء) نُصبًـا تذكاريًّـا آخَـر للتنِّيـن الأسـود»، ولـوَّح بيـدٍ شـاحبة مضيفًـا: «والآن ولِّ الأدبـار أيُّهـا الصُّرصـور». مكتبة سُر مَن قرأ

- «اليـد رؤوف». ابتعـدَ بَتَـروِل متعثِّـرًا معميًّـا بـالأسى حـتى إنـه عـلى مـا يبـدو لـم يتعـرَّف عـلى دنـك وهـو يمـرُّ.

أمـرَ ريڤـرز: «لـك أيضًـا إذني في الذَّهـاب أيُّهـا الـلوْرد فـرِاي. سـنتحدَّث ثانيـةً لاحقًـا».

قال فرِاي: «كما يأمر سيِّدي»، وقادَ ابنه من السُّرادق.

عندئذٍ فقط التفتَ يد الملك إلى دنك.

أكبرُ هـو ممَّـا يَذكُـره دنـك، وجهـه قـاسٍ متجعِّـد، لكـن بشـرته مـا زالَـت شـاحبةً كالعظـم، ووجنتـه ورقبتـه مـا زالَتـا تحـملان الوحمـة الخمريَّـة القبيحـة الـتي يحسـب بعـض النَّـاس أنهـا تُشـبه غُدافًـا. حـذاؤه أسـود، وغلالتـه سـقلَّاتيَّة، وفوقهـا يرتـدي معطفًـا بلـون الدُّخـان، يُثبِّتـه دبُّـوس بـشكل يـد حديديَّـة. ينسـدل شـعره إلى كتفيْـه طـويلًا وأبيـض ومسـترسلًا، ومصفَّفًـا إلى الأمـام بحيـث يُخـفي عينـه المفقـودة، العيـن الـتي اقتلعَهـا منـه الفـولاذ الأليـم في (حقل العُشـب الأحمـر)، أمَّـا العيـن الباقيـة فحمـراء للغايـة. *كـم عينًـا للوْرد غُـداف الـدَّم؟ ألـف عيـنٍ وعيـن.*

قـال: «لا شـكَّ أنَّ الأميـر مـيْكار كان لديـه سـببٌ وجيـه للسَّـماح لابنـه بالعمـل مُرافقًـا لفـارسٍ جـوَّال، ولـو أنـني لا أتصـوَّرُ إطلاقًـا أنـه تضمَّـن إيصالـه إلى قلعـةٍ ملأى بخونـةٍ يُخطِّطـون لتمـرُّد. كيـف وصلـتُ لأجـد ابـن عمومـتي في جُحـر الأفـاعي هـذا أيُّهـا السـيْر؟ اللوْرد بَتَـروِل يُريـدني أن أصـدِّق أنَّ الأميـر مـيْكار أرسـلَك إلى هنـا لتتقـصَّى أمر هـذا التَّمرُّد متنكِّرًا في هيئـة فـارسٍ غامـض. أتلـك هي الحقيقـة؟».

ركعَ دنـك عـلى رُكبـةٍ واحـدة قـائلًا: «لا يـا سِـيدي. أعـني نعـم يـا سِـيدي. هكـذا أخبـرَه إج. أعـني إيْـجوْن، الأمـير إيْـجوْن. ذلـك الجـزء صحيـحٌ إذًا، لكنـه ليـس مـا يُوصَـف بالحقيقـة الحقيقيَّـة».

ـ «مفهـوم. إذًا فقـد أدركتمـا وجـود هـذه المؤامـرة ضـد التَّـاج وقرَّرتمـا إحباطهمـا بنفسـيْكما، أهكـذا المسـألة؟».

ـ «ليسـت كذلـك أيضًـا. لقـد تصـادفَ فقـط أننـا... تعثَّرنـا فيهـا. لـك أن تقـول هـذا عـلى مـا أظـنُّ».

ربَّـع إج ذراعيْـه، وقـال: «والسـيْر دنكـن وأنـا كنـا مسـيطريْن عـلى الأمـور قبـل أن تظهـر بجيشـك».

أضافَ دنك: «لقد نلنا بعض العون يا سِيدي».

ـ «من فُرسان جوَّالة».

ـ «أجـل يـا سِـيدي. السـيْر كايـلِ القِـطُّ ومِاينـارد بِلَـم، والسـيْر جلنـدُن بوْل أيضًـا. هـو الـذي أسـقطَ الكمنـ... المـدَّعي».

ـ «نعـم، سـمعتُ تلـك الحكايـة مـن نصفمئـة شـفةٍ بالفعـل. نغـل (صفصـاف القِطـط)، وليـد عاهـرةٍ وخائـن».

قال إج بإصرار: «إنه وليد أبطال. لو أنه بين الأسرى فأريدُ أن يُعثَر عليه ويُطلَق سراحه، وأن يُكافَأ أيضًا».

ـ «ومَن أنت لتُملي على يد الملك ما يفعله؟».

لم يجفل إج، وردَّ: «تعلم مَن أنا يا ابن العمّ».

خاطبَ اللورد ريفرز دنك: «مُرافقك وقحٌ أيُّها السير. حريٌّ بك أن تضربه حتى ينبذ هذه الخصلة».

ـ «حاولتُ يا سِيدي، لكنه أمير».

قال غُداف الدَّم: «إنَّما هو تِنِّين. انهض أيُّها السير».

فنهضَ دنك.

قال غُداف الدَّم: «لطالما وُجِدَ من قبل الفتح بزمنٍ طويل أفرادٌ من آل تارجاريَن يَحلُمون بأشياء ستَحدُث، فلا ينبغي إذًا أن نندهش إذا أظهرَ واحدٌ من آل بلاكفاير تلك الموهبة من آنٍ إلى آخَر. ديمون حلمَ بأن تنِّينًا سيُولَد في (الجُدران البيضاء)، وقد وُلِدَ. الأحمق أخطأ في اللَّون ليس إلَّا».

نظرَ دنك إلى إج، ورأى الخاتم. *خاتم أبيه. إنه حول إصبعه وليس محشورًا في داخل حذائه.*

قال اللورد ريفرز لإج: «أميلُ إلى أخذك معنا إلى (كينجز لاندنج) وإبقائك في البلاط باعتبارك... ضيفي».

ـ «لن يُعجِب ذلك أبي».

ـ «على ما أظنُّ. الأمير ميكار ذو... طباعٍ... شائكة. قد يَجدُر بي أن أرسلك إلى (بهو الصَّيف)».



ـ «مكاني مع السِّر دنكن. أنا مُرافقه».

ـ «ليُنقِذكما **السَّبعة**. كما تشاء. لكما أن ترحلا».

قال إج: «سنفعل، ولكن أوَّلًا يلزمنا بعض الذَّهب. على السِّر دنكن أن يدفع للحلزون فديته».

ضحكَ غُداف الدَّم قائلًا: «ماذا دها الصَّبي المتواضع الذي قابلته يومًا في (كينجز لاندنج)؟ كما تقول يا أميري. سآمرُ أمين نقدي بأن يُعطيك ما ترغب فيه من ذهب، في حدود المعقول».

أصرَّ دنك: «باعتباره قرضًا فقط. سوف أسدِّده».

ردَّ اللورد ريفرز: «حينما تتعلَّم المُثاقفة لا ريب»، وأشارَ لهما بالانصراف بحركةٍ من أصابعه، وبسطَ رقًّا وبدأ يُؤشِّر على بعض الأسماء بريشة.

أدركَ دنك: *يُعيِّن الرِّجال الذين سيموتون*، ثم قال: «سيِّدي، لقد رأينا الرَّأسيْن بالخارج. أهذا... الكمنجي... ديمون... هل ستقطع رأسه أيضًا؟».

رفعَ غُداف الدَّم ناظره عن الرَّق، وأجابَ: «القرار في ذلك للملك إيرس... لكن لديمون أربعة إخوةٍ أصغر، وأخوات أيضًا. إذا تصرَّفتُ بحماقةٍ وخلعتُ رأسه فستندبه أمُّه، ويلعنني أصدقاؤه بصفتي قاتِل أقربين، ويُتوِّج الفولاذ الأليم أخاه هيجون. ميتًا، الشَّاب ديمون بطل. حيًّا، هو عقبة في طريق أخي غير الشَّقيق، فلا يُمكنه أن يُتوِّج بلاكفاير ثالثًا ملكًا في حين أنَّ الثَّاني باقٍ حيًّا على نحوٍ مزعج. بجانب ذلك، رهينةٌ نبيلة مثله ستكون

زينـةً لبلاطنـا وشـهادةً حيَّـةً عـلى رحمـة صاحـب الجلالـة الملـك إيْـرس وعطفـه».

قال إج: «أنا كذلك عندي سؤال».

ـ «بـدأتُ أفهـمُ لِـمَ أرادَ أبـوك الـخلاص منـك بكلِّ رضـا. فيـمَ ترغـب مـني أيضًـا يـا ابـن العـمِّ؟».

ـ «مَـن أخـذَ بيضـة التنِّيـن؟ لقـد وقـفَ عـلى البـاب حـرس، ومزيدٌ منهـم عـلى السَّلالـم، أي إنـه لا سـبيل إلى دخـول غُرفـة نـوم الـلوْرد بَتَـروِل دون أن يُـرى».

ابتسـمَ اللوْرد ريفـرز قـائلًا: «لـو أنَّ لي أن أخمِّـن لقلـت إنَّ أحدهـم تسـلَّق داخـل بئـر المرحاض».

ـ «بئر المرحاض أصغر من أن يتسلَّقها أحد».

ـ «على رجل، أمَّا طفلٌ فيستطيع».

انـدفعَ دنـك يقـول: «أو قـزم». *ألـف عيـنٍ وعيـن، فلِـمَ لا ينتـمي بعضهـا إلى فِرقـةٍ مـن الأقـزام الهزليِّيـن؟*

نهاية...
...البداية

مزيدٌ من الأسفار والأخطار في انتظار فارسنا الجوَّال ومُرافقه في السَّنوات المقبلة. من (دورن) إلى (الجِدار) ستحملهما رحلاتهما بطول (الممالك السَّبع) وعرضها، بل وإلى خارجها أيضًا وراء (البحر الضيِّق) إلى (أراضي النِّزاع) ومُدن (إسوس) البرَّاقة.

على الطَّريق سيلتقيان لوردات وفُرسانًا ومشعوذين، وعديد الفتيات الحسناوات والسيِّدات النَّبيلات، لكي يَسطُرا اسميْهما في سجلَّات (وستروس) فلا يُنسَيان أبدًا.

لكن تلك حكايات لوقتٍ آخَر.

واصِلوا القراءة.

چورچ ر. ر. مارتن

سانتا في

مايو، ٢٠١٥

شُكر وتقدير

على مرِّ الشُّهور الثَّمانيـة عشـرة الـتي قضيتهـا في رسـم «الممالـك السَّـبع»، عاونَـني أنـاسٌ كثيـرون. الشُّكـر لزوجـتي چـولي، وابنـتيَّ نِـكي وچينـا، ورايـا وچوْرچ، وآن جروْيـل، وڤرچينيـا نوْري، وكارل جوستافسـن، وپـات جوستافسـن، ورانـدي بروْكـر، وكِاي كـروْن، ووليـم وكرسـتوْفر نيوبـاور وفوْرتـزا للفنـون القتاليَّـة. أخيـرًا، أشـعرُ بأشـد امتنـانٍ لِمارسلوْ آنسـيانوْ، فإرشـاده الفنِّي هـو القـوَّة المحرِّكـة لكثيـرٍ مـن الكُتـب الـتي رسـمتها، بمـا فيهـا «فـارسٌ مـن الممالـك السَّـبع».

جاري چياني

مكتبة
t.me/soramnqraa

GEORGE R. R. MARTIN

A KNIGHT OF THE SEVEN KINGDOMS

قبل مئة عام تقريبًا منْ أحداث «أغنيَّة الجليد والنَّار»، جال بطلان غير تقليديَّيْن في أنحاء وستروس...

في عصر لم تزل فيه سُلالة تارجاريَن تُسيطِر على العرش الحديدي، والذكريات عن آخر التنانين حيَّة في وجدانِ الناس، نتعرَّف فارسًا جوَّالًا ساذجًا لكنه شجاع. يرتفع السِّير دنكن الطويل فوق خصومه بقامته المديدة، لكن كثيرًا منَ الخبرة لا يزال يعوزه، وفي مغامراته هنا وهناك يصحبه مُرافقه ضئيل الحجم إج الذي يجب أن يُخفي هويَّته الحقيقيَّة، ذلك أنه في الحقيقة الأمير إيجون تارجاريَن، ويومًا ما سيُصبح ملكًا.

في الرِّوايات القصيرة الثَّلاث التي يضمُّها هذا الكتاب، يأخذنا چورج ر. ر. مارتن إلى أماكنٍ في وستروس لم تسبق لنا زيارتها، نلتقي فيها شخصيات تاريخيَّة قرأنا عنها فقط في «أغنيَّة الجليد والنار»، شخصيات مؤثرة ستلعب أدوارًا بارزة في حكايات دنك وإج، وفي مستقبل الممالك السَّبع.



9 789778 202441
